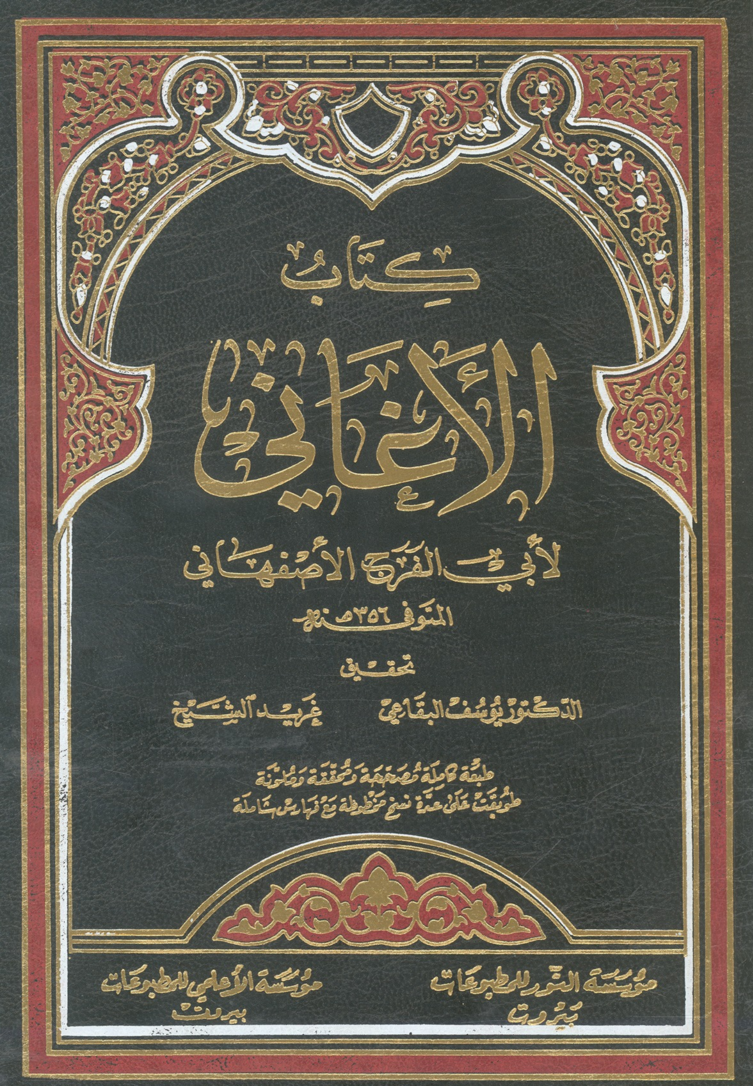
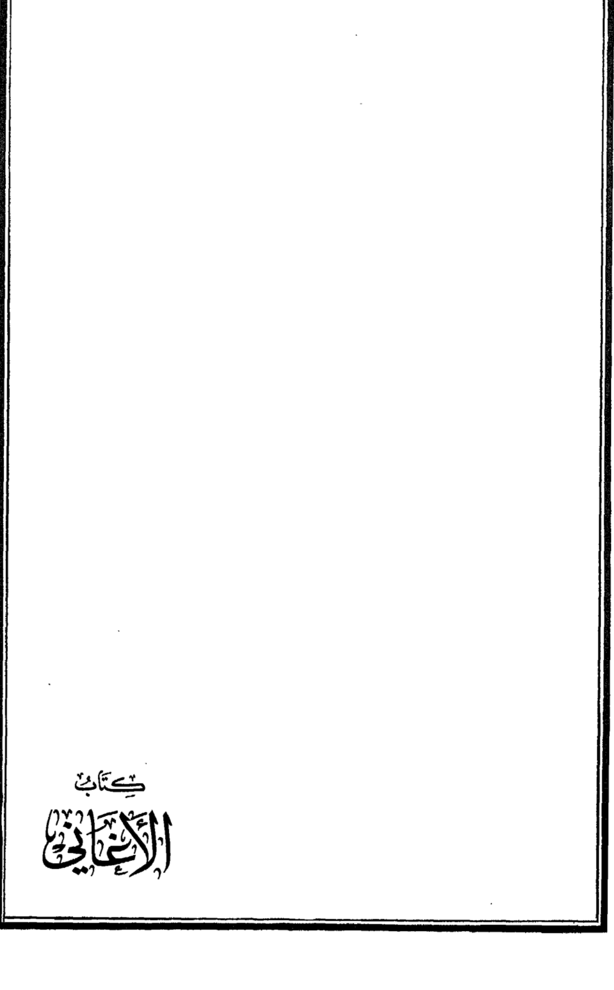
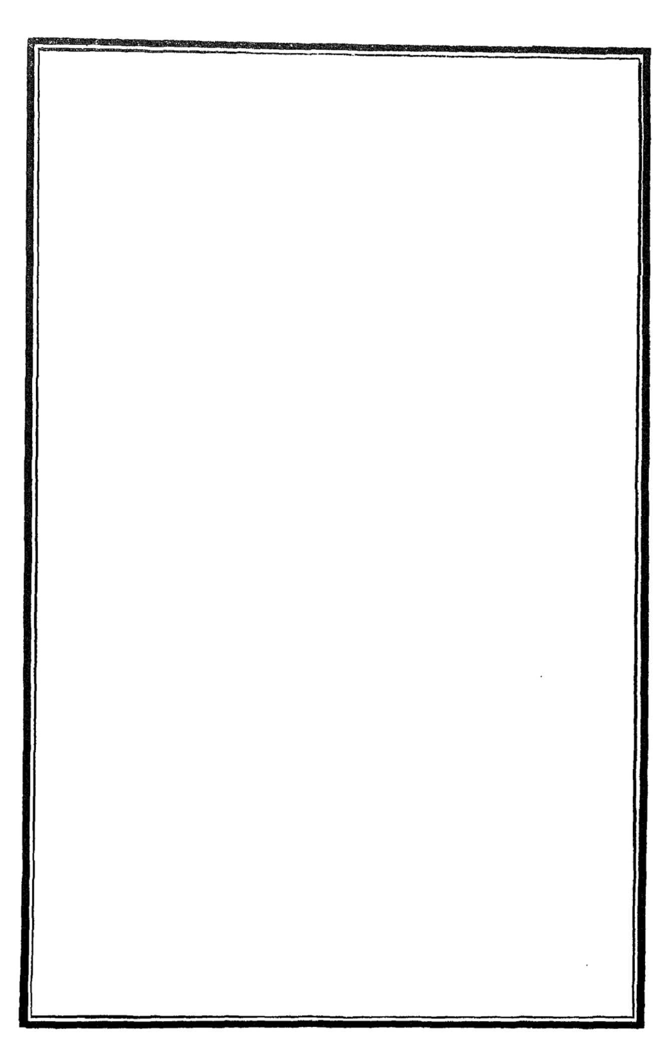

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


كتاب
الأغاني



كتاب
الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء الحادي عشر

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .
ملك الأعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخبار النّابغة ونسبه

[توفي نحو ١٨ ق.هـ/ توفي ٦٠٤ م]

[نسبه وطبقته ومنزلته عند الخلفاء]

النابغة اسمه زِيادُ بن معاوية بن ضِبَاب بن جَنَاب بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرَّةَ بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيَان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلاَنَ بن مُضَر. ويُكْنَى أبا أُمَامَة. وذكر أهل الرِّواية أنه إنما لُقِّب النّابغةَ لقوله:

فـقـد نَـبَـغَـتْ لـهـم مِـنَّـا شُـؤونُ

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ الشعرُ منهم، وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نَصْر المُهَلَّبيّ قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدّثنا أبو نُعَيْم قال: حَدّثنا شَرِيكٌ عن مُجَاهِد عن الشَّعْبِيّ عن رِبْعِيّ بن حِرَاش قال: قال عمر: يا معشرَ غَطَفانَ، مَنِ الّذي يقول: [الوافر]

أَتَـيْـتُـكَ عَـارِيـاً خَـلَـقـاً ثِـيَـابِـي ... عـلـى خَـوْفٍ تُـظَـنُّ بِـيَ الـظُّـنـونُ

قلنا: النّابغة، قال: ذاك أشعرُ شعرائكم.

أخبرني أحمد وحبيب قالا: حَدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا عُبَيْد بن جَنّاد قال: حَدّثنا مَعْن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَميّ عن جدّه عن الشَّعبِيّ قال: قال عمر: مَنْ أشعرُ النّاس؟ قالوا: أنتَ أعلمُ يا أمير المؤمنين. قال:

مَنِ الَّذي يقول: [البسيط]

إلاّ سُلَيْمَانَ إذ قَالَ الإلهُ لَهُ ... قُمْ في البَرِيَّةِ فَاحْدُدْها عَنِ الفَنَدِ[١]

وخَبِّرِ الجِنَّ أنّي قَدْ أذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ والعُمُدِ[٢]

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

أتَيْتُكَ عَارِياً خَلَقاً ثِيَابِي ... على خَوْفٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنُونُ

قالوا: النابغة. قال: فَمنِ الذي يقول: [الطويل]

حَلَفْتُ فلمْ أتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وليسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

لَئِنْ كُنْتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً ... لَمُبْلِغُكَ الوَاشِي أغَشُّ وأكْذَبُ

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ[٣]

قالوا: النابغة. قال: فهو أشعر العرب.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث قال: حَدّثنا عمر بن أبي زائدة عن الشَّعْبِيّ قال: ذُكِر الشِّعْرُ عند عمر؛ ثم ذَكَر مثلَه.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثنا عمر قال: حَدَّثَنِي عليّ بن محمد عن المدائنيّ عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحُبَاب عن أبي المؤمّل قال: قام رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال: أيُّ الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخْبِرْهُ يا أبا الأسود الدُّؤليّ؛ قال الذي يقول: [الطويل]

فَإنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هو مُدْرِكِي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأى عَنْكَ وَاسِعُ[٤]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأتُ على أبي عن جرير بن شَرِيك بن جَرِير بن عبد الله البَجَليّ قال: كنّا عند الجُنَيْد بن عبد الرحمن بِخُرَاسان وعنده بنو مُرّة وجلساؤه من الناس، فتذاكروا شعرَ النابغة حتى أنشدوا قوله:

فإنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذي هو مُدْرِكِي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأى عَنْكَ وَاسِعُ

(١) احددها عن الفند: أبعدها عن الباطل والكفر بالنعمة.
(٢) الصُفّاح: الحجارة العريضة الرقيقة. والعُمُد: جمع العمود.
(٣) الشَّعَث: ما تفرّق من الأمور.
(٤) المنتأى: اسم مكان من انتأى أي بَعُدَ.

فقال شيخٌ من بنِي مُرّة: ما الَّذِي رأى في النُّعْمان حيث يقول له هذا! وهل كان النُّعمان إلاّ على مَنْظَرةٍ من مَنَاظر الحيرة! وقالت ذلك القيسيَّةُ فأكثروا. فنظر إليّ الجُنَيْد وقال: يا أبا خالد! لا يَهُولنّك قولُ هؤلاء الأعَاريض! فأُقسم بِالله أنْ لو عاينوا من النُّعمان ما عاينَ صاحبُهم لقالوا أكثر مما قال، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون.

[احتكام الشعراء إليه في سوق عكاظ]

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدَّثنا أبو بكر العُلَيْمِيّ قال: حَدَّثني عبد الملكُ بن قُرَيْب قال: كان يُضْرَبُ لِلنابغة قُبَّةٌ من أَدَم بسوق عُكَاظ، فتأتيه الشعراءُ فَتَعْرِضُ عليه أشعارَها، قال: وأوّل من أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم أنشدتْه الشعراء، ثم أنشدتْه الخَنْساء بنت عمرو بن الشَّرِيد: [البسيط]

وإنَّ صَـخْـراً لَـتَـأْتَـمُّ الـهُـدَاةُ بـه ... كَـأنَّــهُ عَـلَـمٌ فــي رَأسِــهِ نَــارُ

فقال: واللّهِ لولا أنّ أبا بَصِير أنشدني آنِفاً لَقلتُ إنّكِ أشعر الجنّ والإنس. فقام حسّان فقال: واللّه لأنا أشعرُ منكَ ومن أبيكَ! فقال له النابغة: يابنَ أخِي، أنتَ لا تُحْسِنُ أن تقولَ:

فَـإنَّـكَ كـالـلَّـيْـلِ الَّـذي هـو مُـدْرِكِـي ... وَإنْ خِـلْـتُ أَنَّ الـمُـنْـتَـأى عَـنْـكَ وَاسِـعُ

خَـطَـاطِـيـفُ حُـجْـنٌ فـي حِـبـالٍ مَـتِـيْـنـةٍ ... تَــمُــدُّ بــهــا أَيْــدٍ إلــيــكَ نَــوَازِعُ[1]

قال: فَخَنَسَ[2] حَسّان لقوله.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصْر المهلَّبِي قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثنا الأصمعيّ قال: حَدَّثنا أبو عمرو بن العَلاَء قال: قال فلان لرجل سمّاه فأُنْسِيتُه: بينا نحن نسير بين أَنْقَاءٍ[3] من الأرض تَذاكَرْنا الشّعرَ، فإذا

---

(١) الخطاطيف: جمع الخُطَّاف: حديدة حجناء تُعْقَل بها البَكْرة من جانبيها في المِحوَر. والحُجن: المعوَجّة. والنوازع: الجواذب.

(٢) خنس: استاء وانقبض.

(٣) الأنقاء: جمع النّقا: القطعة من الرمل تنقاد محدودبة.

راكبُ أُطَيْلِسٍ[١] يقول: أشعرُ النّاسِ زِياد بن مُعَاوية؛ ثم تَمَلَّسَ[٢] فلم نَرَه.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثنا عمر قال: حَدَّثنا الأصمعيّ قال: سَمِعتُ أبا عمرو يقول: ما كان ينبغي للنابغة إلاّ أن يكون زُهَيْرٌ أجيراً له.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثنا عمر قال: قال عمرو بن المُنْتَشِر المُرَادِيّ: وَفَدْنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه، فقام رجلٌ فاعتذرَ من أمرٍ وحلف عليه، فقال له عبد الملك: ما كنتَ حَرِيّاً أن تفعلَ ولا تعتذرَ، ثم أقبل على أهل الشّأم فقال: أيُّكمَ يَروي من اعتذار النابغة إلى النُّعمان: [الطويل]

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وليسَ وَرَاءَ اللّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

فلم يجد فيهم مَنْ يَرْويه؛ فأقبل عَلَيَّ فقال: أَتَرْوِيه؟ قلت: نعم! فأنشدتُه القصيدةَ كلَّها؛ فقال: هذا أشعر العرب.

أخبرنا حَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: قال معاوية بن بكر الباهليّ: قلتُ لِحمّاد الراوية: بِمَ تَقَدَّمَ النّابغةُ؟ قال: باكتفائِكَ بالبيت الواحد من شعره، لا بل بنصفِ بَيْتٍ، لا بل بِربع بيت، مثل قوله: [الطويل]

حَلَفْتُ فلم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً ... وليسَ وراءَ اللّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

كُلُّ نصفٍ يُغنِيكَ عن صاحبه، وقولِه: «أيّ الرجال المهذَّبُ» ربع بيت يُغنيك عن غيره.

وهذه القصيدة العينيّة يقولها في النُّعْمان بن المُنْذِر يعتذر إليه بها وبِعدّة قصائد قالها فيه تُذْكَرُ في مواضعها، ولقد اختلفت الرُّواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك.

[دخوله على المتجرّدة زوجة النعمان ووصفه لها]

فأخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حَدَّثنا عمر بن شبّة عن أبي عُبَيْدة وغيره من علمائهم، أنّ النابغة كان كبيراً عند النُّعْمان

(١) الأُطَيلس: تصغير الأطلس: وهو الذئب الأمعط في لونه غبرة إلى السّواد.
(٢) تملَّسَ: أفلت.

خاصّاً به وكان من نُدَمائِهِ وأهل أُنْسه؛ فرأى زوجته المُتَجَرِّدة يوماً وغَشِيها[1] تشبيهاً بِالفُجَاءة، فسقط نَصِيفُها[2] واستترتْ بيدِها وذراعها، فكادت ذراعُها تسترُ وجهها لِعَبَالتها[3] وغِلَظها؛ فقال قصيدتَه التي أوّلها: [الكامل]

أَمِـنْ آلِ مَـيَّـةَ رَائِـحٌ أَو مُـغْـتَـدِي ... عَـجْـلانَ ذا زَادٍ وغَـيْـرَ مُـزَوَّدِ[4]

زَعَـمَ الـبَـوَارِحُ أَنَّ رِحْـلَـتَـنـا غَـداً ... وَبِـذَاكَ تَـنْـعَـابُ الـغُـرَابِ الأسـودِ

لا مَـرْحَـبـاً بِـغَـدٍ ولا أَهْـلاً بِـهِ ... إنْ كـانَ تَـفْـرِيـقُ الأَحِـبَّـةِ فـي غَـدِ

أَزِفَ الـتَّـرَحُّـلُ غـيـرَ أَنَّ رِكَـابَـنـا ... لَـمَّـا تَـزُلْ بِـرِحَـالِـنـا وَكَـأَنْ قَـدِ

فِـي إِثْـرِ غَـانِـيَـةٍ رَمَـتْـكَ بِـسَـهْـمِـهَـا ... فَأَصابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ[5]

بِـالـدُّرِّ والـيَـاقُـوتِ زُيِّـنَ نَـحْـرُهـا ... ومُـفَـصَّـلٍ مِـنْ لُـؤْلُـؤٍ وزَبَـرْجَـدِ

عروضه من الكامل، وغَنّاه أبو كاملٍ من رواية حَبَشٍ ثقِيلاً أوّل بالبنصر، وغنّاه الغَرِيض من روايته ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى، وغَنّاه ابن سُرَيْج من رواية إسحاق ثقيلاً أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى.

قوله: أَمِنْ آلِ مَيَّةَ: يخاطب نفسه كالمُسْتَثْبِت، وعجلان: من العجلة، نصبه على الحال، والزّاد في هذا الموضع: ما كان من تسليم وردِّ تحيّة. والبوارح: ما جاء من مَيَامِنِكَ إلى مَيَاسِرِكَ فولاَّكَ مَيَاسِرَهُ. والسَّانح: ما جاء من مياسرك فولاّكَ ميامنه؛ حكى ذلك أبو عُبَيْدة عن رُؤْبة وقد سأله يونس عنه. وأهل نَجْدٍ يتشاءمون بِالبوارح، وغيرُهم من العرب تتشاءمُ بالسَّانح وتتيمَّنُ بالبارح؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئاً؛ قال بعضهم: [مجزوء الكامل]

ولـقـد غَـدَوْتُ وكُـنْـتُ لا ... أَغْـدُو عـلـى وَاقٍ وحَـاتِـمْ[6]

فَـإذا الأَشَـائِـمُ كَـالأَيَـا ... مِـنِ والأَيَـامِـنُ كَـالأَشَـائِـمْ

وَتَنْعَابُ الغراب: صياحُه؛ يقال: نَعَبَ الغُراب يَنْعَبُ نَعِيباً ونَعَبَاناً، والتَّنعاب

---

(١) غَشِيَها: أتاها.

(٢) النّصيف: كلّ ما غطّى الرأس من عمامة أو خمار.

(٣) العبالة: الضخامة.

(٤) الرائح: السائر في العشيّ، والمغتدي: السائر صباحاً.

(٥) أقصده السّهمُ: أصاب المقتَل.

(٦) الواقي: هو الصُرَد وهو طائر كانت العرب تتشاءم من صوته. والحاتم: الغراب الأسود.

تَفْعالٌ من هذا، وكان النابغة قال في هذا البيت: «وبذاكَ خَبَّرنا الغُرَابُ الأسودُ» ثم ورد يَثْرِبَ فسمِعَه يُغَنَّى فيه، فبان له الإقواءُ[١]، فغيَّره في مواضع من شعره.

[النابغة وبشر بن أبي خازم يُقويان في الشعر ثم يرجعان عنه]

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأتُ على أبي: قال أبو عُبَيْدة: كان فَحْلاَنِ من الشعراء يُقْويان: النابغةُ وبِشْرُ بن أبي خَازِم، فأمّا النابغةُ فدخل يَثْرِبَ فهابُوه أن يقولوا له لَحَنْتَ وأكفأتَ[٢]، فَدَعَوْا قَيْنَةً وأمروها أن تُغَنِّيَ في شعره ففعلتْ، فلمّا سمِعَ الغناء و «غير مزوَّدِ» و «الغرابُ الأسودُ» وبان له ذلك في اللّحن فَطِنَ لموضع الخطأ فلم يَعُدْ. وأمّا بِشْر بن أبي خَازِمٍ فقال له أخوه سَوَادَةُ: إنَّك تُقْوِي. قال: وما ذاك؟ قال: قولُك:

ويُنْسِي مِثْلَ ما نُسِيت جُذَامُ

ثم قلت بعده «إلى البلد الشّآمِ»، ففطن فلم يَعُدْ.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبة قال: حَدّثنا خَلاّد الأرقط وغيرُه من علمائنا قالوا: كان النابغةُ يقول: إنّ في شعري لَعَاهَةً ما أَقِفُ عليها. فلمَّا قَدِمَ المدينة غُنِّيَ في شعره؛ فلمّا سمِعَ قولَه: «واتَّقَتْنا باليد» و «يكاد من اللَّطافةِ يُعْقَدُ» تبيّن له لمَّا مُدَّتْ «باليد» فصارت الكسرة ياء ومُدَّتْ «يُعْقَدُ» فصارت الضمَّة كالواو؛ ففَطِنَ فغيَّره وجعله:

عَنَمٌ على أغصانِهِ لم يُعْقَدِ[٣]

وكان يقول: وردتُ يَثْرِبَ وفي شِعري بعضُ العاهة، فصَدَرْتُ عنها وأنا أشْعَرُ الناس. وقوله لا مَرْحَباً: لا سعةً؛ ونصبُه ها هنا شبيهٌ بالمصدر؛ كأنه قال لا رَحُبَ رُحْباً ولا أَهَلَ أهْلاً، وأزِفَ: قَرُبَ.

قال: وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المُتَجَرِّدة وسَتْرِها وجهَهَا بذراعها:

---

(١) الإقواء في الشعر: مخالفة قوافيه برفع بيت وجَرّ آخر.

(٢) الإكفاء في الشعر: هو أن يخالف الشاعر بين القوافي كأن يجعل بعضها نوناً وبعضها ميماً لما بينهما من شبه.

(٣) العَنَم: شجرة صغيرة دائمة الخضرة لها ثمر أحمر تُتَّخَذ للصباغ.

صوت

[الكامل]

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْهُ واتَّقَتْنا باليَدِ
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ على أغْصَانِهِ لم يُعْقَدِ
وبِفَاحِمٍ رَجْلٍ أَثِيثٍ نَبْتُهُ كَالكَرْمِ مَالَ على الدِّعَامِ المُسْنَدِ
نَظَرَتْ إليكَ بِحَاجَةٍ لم تَقْضِها نَظَرَ السَّقِيمِ إلى وُجُوهِ العُوَّدِ

غَنّاه ابن سُرَيْج، ولحنُه مِن خَفيفِ الثَّقيل الأول بالوسطَى عن عمرو. والنَّصِيف: الخِمَارَ، والجمع أَنْصِفةٌ وَنُصُفٌ. والعَنَم، فيما ذكر أبو عُبَيْدة، يَسارِيعُ حُمْرٌ تكون في البقل في الربيع. وقال الأصمعيّ: العَنَم: شجر يَحْمَرُّ ويَنْعَم نبتُه، والفاحم: الشديد السواد، والرَّجْلُ: الذي ليسَ بِجَعْدٍ. والأَثِيثُ: المتكاثِف؛ قال امرؤ القيس:

أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ[1]

ويقال: شَعْرٌ رَجْلٌ ورَجِلٌ، ويُرْوى:

وَرَنَتْ إِلَيَّ بِمُقْلَتَيْ مَكْحُولَةٍ

والمكحولة: البقرة، وقوله: لم تَقْضِها: يعني المرأة أي لم تقدِرْ على الكلام من مخافة أهلها، فهي كالسَّقيم الذي ينظر إلى من يعوده.

غَنّاه ابن سُرَيْج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

[اتُّهِمَ بالتخنّث لبيت شِعرٍ قاله]

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حدّثنا الخليل بن أَسَد قال: حَدَّثنا العُمَريّ قال: قال الهَيْثم بن عَدِي: قال لي صالح بن حَسّان: كان والله النَّابغةُ مُخَنَّثاً. قلت: وما عِلْمُكَ به؟ أرأيتَهُ قَطّ؟ قال: لا والله!. قلت: أَفَأُخبِرْتَ عنه؟ قال: لا. قلت: فما عِلْمُكَ به؟ قال: أَمَا سمعتَ قولَه: [الكامل]

سَقَط النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسْقَاطَهُ فتناوَلَتْهُ واتَّقَتْنا بِاليَدِ

(١) القِنْوُ: عنقود النخل. والمتعثكِل: الكثيرة عثاكيله والعثاكيل: جمع العِثكال: عنقود البلح.

لا والله ما أحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلاّ مُخَنَّثٌ.

[عودة إلى قصته مع النعمان]

قال: فأنشدها النابغةُ مُرَّةَ بنَ سعد القُرَيْعِيّ، فأنشدها مُرَّةُ النُّعمانَ، فامتلأ غضباً فأوعد النابغةَ وتهدّده؛ فهرَبَ منه فأتى قومَه، ثم شخَصَ إلى ملوك غسّان بالشّأم فامتدحهم. وقيل: إنّ عِصَام بن شَهْبَرٍ الجَرْمِيّ حاجبَ النُّعمان أنذره وعرّفه ما يُريده النُّعمان، وكان صديقَه، فهرَبَ. وعِصَامٌ الذي يقول فيه الراجز:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا ... وَعَلَّمَتْهُ الكَرَّ وَالإِقْدَامَا

وجَعَلَتْهُ مَلِكاً هُمَامَا

وقال مَنْ رويتُ عنه خبرَ النابغة: إنَّ السببَ في هَرَبه من النُّعمان أنّ عبد القيس بن خُفَاف التَّميميّ ومُرّة بن سَعْد بن قُرَيْع السَّعْدِيّ عَمِلا هجاءً في النُّعمان على لسانه، وأنشدا النّعمانَ منه أبياتاً يقال فيها: [الكامل]

مَلِكٌ يُلاَعِبُ أُمَّهُ وقَطِينَهُ ... رِخْوُ المَفَاصِلِ أَيْرُهُ كَالمِرْوَدِ[1]

ومنه: [الخفيف]

قَبَّحَ اللَّهُ ثمّ ثَنَّى بِلَعْنٍ ... وَارِثَ الصَّائِغِ الجَبَانَ الجَهُولاَ

مَنْ يَضُرُّ الأَدنَى وَيَعْجِزُ عن ضَرِّ ... الأَقَاصِي وَمَنْ يَخُونُ الخَلِيلا

يجمعُ الجَيْشَ ذا الأُلُوفِ ويَغْزُو ... ثمَّ لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتِيلاَ

يعني بوارث الصَّائغ النُّعمانَ؛ وكان جَدُّه لأُمّه بِفَدَكَ[2] يقال له عَطِيّة، وأُمّ النُّعمان سَلْمَى بنت عَطِيّة.

فأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدَّثني عَمّي عُبَيد اللَّه عن ابن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل: أَنَّ مُرَّة بن سَعْد القُرَيعيّ الذي وَشَى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له ذو الرِّيقَة من كثرة فِرِنْدِه وجوهره، فذكره النابغةُ للنعمان، فأخذه، فاضطغنَ ذلك القُرَيعيُّ حتى وَشَى به إلى النُّعمان وحَرَّضه عليه.

---

(١) القطين: الخادم. والمِروَد: حديدة تدور في اللجام أو الوتد.

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن يونس بن حَبيب عن أبي عمرو بن العَلاَء، وأخبرنا إبراهيم بن أَيُّوب عن ابن قُتَيْبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة، قالوا جميعاً: إنَّ الذي من أجله هَرَب النّابغةُ من النُّعمان أنه كان والمُنَخَّلُ بن عُبَيْد بن عامر اليَشْكُرِيّ جَالِسَيْنِ عنده، وكان النُّعمان دميماً أَبْرش[1] قبيح المَنْظَر، وكان المُنَخَّل بن عُبَيْد من أجمل العرب، وكان يُرْمَى بِالمُتَجَرِّدة زوجةِ النعمان، ويتحدَّث العربُ أنَّ ابني النعمان منها كانا من المُنَخَّل، فقال النُّعمان للنابغة: يا أبا أُمامةَ، صِفِ المُتَجرِّدةَ في شِعرك؛ فقال قصيدتَه التي وصَفها فيها ووصَف بطنَها وروادفها وَفَرْجَها. فلَحِقَتِ المُنَخَّلَ من ذلك غَيْرةٌ، فقال للنُّعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشّعرَ إلاّ مَنْ جَرَّبه. فوقَر ذلك في نفس النُّعْمان، وبلغ النابغةَ فخافه فهرب فصار في غَسّان.

[تشبيبه بصاحبة المنخّل هند بنت عمرو]

قالوا: وكان المُنَخَّل يَهْوَى هِنداً بنت عَمْرو بن هند، وفيها يقول:

صوت

[مجزوء الكامل]

ولــقــد دَخَــلْــتُ عــلــى الــفَــتَــا	ةِ الــخِــدْرَ فــي الــيَــوْمِ الــمَــطِــيــرِ
الــكَــاعِــبِ الــحَــسْــنَــاءِ تَــرْ	فُــلُ فــي الــدِّمَــقْــسِ وفــي الــحَــرِيــرِ
فــدَفَــعْــتُــهــا فــتَــدَافَــعَــتْ	مَــشْــيَ الــقَــطَــاةِ إلــى الــغَــدِيــرِ[2]
وَلَــثَــمْــتُــهــا فــتَــنَــفَّــسَــتْ	كَــتَــنَــفُّــسِ الــظَّــبْــيِ الــبَــهِــيــرِ[3]

غَنّاه إبراهيم المَوْصِليّ من رواية عمرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق.

وَبَــدَتْ وقَــالَــتْ يَــا مُــنَــخَّـــ	ـلُ مــا بِــجِــسْــمِــكَ مِــنْ فُــتُــورِ؟
مَــا مَــسَّ جِــسْــمِــي غَــيْــرُ حُــبِّـــ	ـكِ فَــاهْــدَئِــي عَــنِّــي وسِــيــرِي
ولَــقَــدْ شَــرِبْــتُ مِــنَ الــمُــدَا	مَــةِ بِــالــكَــبِــيــرِ وبِــالــصَّــغِــيــرِ

(١) الأبرش: الذي على جلده نقط بيضاء أو نقط يختلف لونها عن لون الجلد.

(٢) القطاة: طائر في حجم الحَمام يعيش في الصحراء خصوصاً.

(٣) البهير: المتقطّع النَّفَس المتتابع من شدّة التعب.

فــإذا سَــكِــرْتُ فَــإِنَّــنِــي رَبُّ الــخَــوَرْنَــقِ وَالــسَّــدِيــرِ[1]
وإذا صَــحَــوْتُ فَــإِنَّــنِــي رَبُّ الــشُّــوَيْــهَــةِ والــبَــعِــيــرِ
يَــا هِــنْــدُ هَــلْ مِــنْ نَــائِــلٍ يَــا هِــنْــدُ لِــلْــعَــانِــي الأَسِــيــرِ
وأُحِــبُّــهَــا وتُــحِــبُّــنِــي وتُــحِــبُّ نَــاقَــتُــهَــا بَــعِــيــرِي

ـ وقال حَمّاد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مِسْجَح: في هذا الصوت لمالك ومَعْبَدٍ وابنِ سُرَيج وابن مُحْرِز والغَرِيض وابن مِسْجَح لكلّهم فيه ألحانٌ ـ قال: فبلغ عمراً خبرُ المُنَخَّل فأخذَه فقتله. وقال المُنَخَّلُ قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يَحُضُّ قومه على طلب الثأر به: [الخفيف]

طُلَّ وَسْطَ العِرَاقِ قَتْلِي بِلاَ جُرْ مٍ وَقَوْمِي يُنَتِّجُونَ السِّخَالا[2]

رجع الخبر إلى سِياقِه. قالوا جميعاً: فلمّا صار النَّابغةُ إلى غَسّانَ نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر ـ وأمّ الحارث الأعرج مَارِيَةُ بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعَاوية بن ثَوْر بن مُرتِع الكِنْدِيّة وهي ذات القُرْطين اللّذين يُضْرَبُ بهما المَثَلُ فيقال لِما يُغْلَى به الثمن «خُذْه وَلو بقُرْطَيْ مَارِيَةَ»، وأُختها هند الهنود امرأة حُجْرِ آكِلِ المُرَار. وإيّاها عنى حَسّان بقوله في جَبَلة بن الأَيْهَم: [الكامل]

أَولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ قَبْرُ ابنِ مَارِيَةَ الجَوَادِ المُفْضِلِ

[مدحه عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان]

ولذلك خبر يأتي في موضعه ـ فمدحه النابغةُ ومدح أخاه النُّعْمان، ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات، وملك أخوه النُّعْمان؛ فصار معه إلى أن استطلعه النُّعمان فعاد إليه. فمِمَّا مَدَحَ به عَمْراً قولُه:

صوت

[الطويل]

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

(١) الخورنق: قصر النعمان بظهر الحيرة. والسّدير: قصر قريب من الخورنق (معجم ما استعجم ص ٥١٦).
(٢) طُلَّ دَمُه: ذهب هدراً ولم يُثْأَرْ به. والسِّخال: جمع السَّخلة: ولد الضّأن والمعزى، للذكر والأنثى.

وَصَـدْرٍ أَرَاحَ اللَّـيْـلُ عَـازِبَ هَـمِّـهِ — تَضَاعَفَ فيه الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ — وليسَ الَّذِي يَهْدِي النُّجُومَ بِآئِبِ
عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بعدَ نِعْمَةٍ — لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ

عروضه من الطويل، غَنَّى في البيتين الأوّلين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو، وغَنَّى فيه الأبْجَر من رواية حَبَشٍ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى، وغَنَّى مالكٌ في البيت الرابع ثانيَ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارونَ بنِ محمد بن عبد الملك الزيّات، وغَنَّى في الأربعة الأبياتِ عبد اللّه بن العبّاس الرَّبِيعيّ مَاخُورِيًّا عن حَبَشٍ، وغنّى فيها طُوَيْس رَمَلاً بالوسطى بحكايتين عن حَبَش.

هكذا رُوِيَ قولُه «يا أُمَيْمَةَ» مفتوحَ الهاء. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المُؤَنَّث بالترخيم فتقول يا أُمَيْمَ ويا عَزَّ ويا سَلْم؛ فلمّا لم يُرَخِّمْ لحاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مُرَخَّمَةً وأتى بها بالفتح، وكِلِيني أي دَعِيني، وَوَكَلْتُه إلى كذا أَكِلُهُ وِكَالةً. وناصب: مُتْعِب. وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري ولا تَغُور. أراح: ردّ. يقال أراح الرّجلُ إبلَه أي رَدَّها. فيقول: رَدَّ هذا اللَّيلُ إلَيَّ ما عزَبَ من هَمِّي بالنهار؛ لأنه يتعلّلُ نهاراً بمحادثة النّاس والتّشاغُلِ بغير الفكر، فإذا خلا بِاللَّيلِ راحَ إليه هَمُّه. وتقاعس: تأخَّر؛ وأصل التقاعس الرُّجوعُ إلى خَلْفٍ القَهْقَرى، فشبّه اللّيلَ في طُوله بالمُتقاعِس، والذي يَهْدِي النجومَ أوّلُها، شَبّهها بِهواديها. وقوله «ليست بذات عقارب» أي لا يُكَدِّرها ولا يَمُنُّها.

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة:

حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ — ولا عِلْمَ إلاَّ حُسْنَ ظَنِّي بِصَاحِبِ[1]
لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلَّقٍ — وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءَ الَّذِي عِنْدَ حَارِبِ[2]
ولِلْحَارِثِ الجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ — لَيَلْتَمِسنْ بِالجَيْشِ دَارَ المُحَارِبِ

ـ غَنّاه إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانة عنه ومن رواية حَبَش، وغنّاه ابن سُرَيْج ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر، يقول: ليس لي عِلْمٌ بما

(١) غير ذي مثنويّة: الحَلفة غير المُحَلَّلة.
(٢) جِلَّق: موضع بالشام معروف (معجم ما استعجم ص ٣٩٠) وحارب: موضع بالشام (معجم ما استعجم ص ٤١٧).

يكون من صاحبي إلاّ أنّي أُحْسِن الظنَّ به. وقوله «لئن كان للقبرين» يعني لئن كان عمرٌو ابناً للمدفونَيْن في هذين القبرين، يعني قبر أبيه وجده وهما الحارث الأكبر والحارث الأعرج، لَيَلْتَمِسَنَّ جيشه دار المُحَارِب له؛ يحرّضه بذلك. ويُروى «أرْضَ المحارب».

وَلاَ عَيْبَ فيهم غير أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِرَاع الكَتَائِبِ[1]

إذا اسْتُنْزِلُوا عَنهنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلوا ... إلى المَوْتِ إرقالَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ[2]

صوت

[الطويل]

لَهُمْ شِيمَةٌ لم يُعْطِها اللَّهُ غَيْرَهُمْ ... مِنَ النَّاسِ وَالأَحْلاَمُ غَيْرُ عَوَازِبِ

على عَارِفاتٍ لِلطِّعَانِ عَوَابِسٍ ... بِهِنَّ كُلومٌ بَيْنَ دَامٍ وجَالِبِ

ولا عَيْبَ فيهم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِرَاع الْكَتَائِبِ

إذا اسْتُنْزِلُوا عَنهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلوا ... إلى المَوْتِ إرْقَالَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ

حَبَوْتُ بها غَسَّانَ إذ كُنْتُ لاَحِقاً ... بِقَوْمِي وإذْ أَعْيَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي

وجدت في كتاب لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى مَعْبَد من خفيف الرمل بالوسطى، وأحسبه من لحن يحيى المَكّيّ. الشِّيمة: الطبيعة، وجمعها شِيَمٌ. غير عوازب: أي لا تَعْزُبُ أحلامُهم فتنفُذ عنهم. وعارفات لِلطعان: أي صابرات عليه قد عُوِّدَتْ أن يُحَارَب عليها. وعوابس: كوالح. وجالب: أي عليه جُلْبة وهي قِشْرة تكون على الجرح؛ يقال جَلَبَ الجرحُ يَجْلِبُ جلوباً وأجلبَ إجلاباً. والإرقالُ: مَشْيٌ يُشبهُ الخَبَبَ سريعٌ. والمصاعب: واحدها مُصْعَبٌ وهو الفحل الّذي لم يَمْسَسْهُ الحبل وإنَّما يُقْتَنَى للفِحْلة، ويقال له قَرْمٌ ومُقْرَمٌ. وقوله «حبوت بها»: يعني بالقصيدة، وروى أبو عُبيدة «إذ كنت لاحقاً بِقومٍ» وقال: يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين، فكنتم أَحَقَّ بالمدحِ منهم. قالوا: فنظر إلى النعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلامٌ فقال:

[السريع]

هــذا غُــلامٌ حَسَــنٌ وَجْهُــهُ ... مُقْتَبِلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامْ

(١) الفلول: الثلوم.

(٢) أرقلوا: أسرعوا. والمصاعب: جمع المُصْعَب: الفرس أو الجمل الذي لم يُركَبْ فصار صعباً.

لِلحارِثِ الأكبرِ والحارِثِ الْـ أَصغرِ والأعْرَجِ خيرِ الأنامْ
ثمَّ لِهِندٍ ولِهِندٍ فقدْ أَسْرَعَ في الخَيْرَاتِ منه إِمَامْ
خَمْسَةُ آبَاءٍ وهُمْ ما هُمُ هُمْ خَيْرُ مَنْ يشربُ صَوْبَ الغَمَامْ

غَنّاه حُنَيْنٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن حَبَش.

[الشعبي يفضّل النابغة على الأخطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثنا هارون بن عبد اللّه الزُّبَيريّ قال: حَدَّثنا شيخ يُكْنَى أبا داود عن الشعبيّ قال: دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوانَ وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه، فقلتُ حين دخلتُ: عامرُ بن شَرَاحيل الشَّعْبِيّ. فقال: على علم ما أَذِنَّا لك. فقلت في نفسي: خذ واحدةً على وافد أهل العراق. فسأل عبد الملك الأخطلَ: مَنْ أشعرُ النّاس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. فقلت لعبد الملك: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فتبسَّمَ وقال: هذا الأخطل. فقلت في نفسي: خُذْهَا ثِنْتين على وافد أهل العراق، فقلت: أشعرُ منك الذي يقول: [السريع]

هذا غلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامْ
لِلحَارِثِ الأَكْبَرِ والحَارِثِ الْـ أَصغرِ والأَعْرَجِ خَيْرِ الأَنَامْ
خَمْسَةُ آبَاءٍ وهُمْ مَا هُمُ هُمْ خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ مَاءَ الغَمَامْ

ـ والشعر للنابغة ـ فقال الأخطل: إنَّ أمير المؤمنين إنَّما سألني عن أشعر أهل زمانه، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهليّة لكنتُ حَرِيًّا أن أقول كما قلتَ أو شبيهاً به. فقلت في نفسي: خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق. (يعني أنه أخطأ ثلاث مرات). ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز ولم أسمعه من أحد، ووجدته أتمَّ مما رأيتُ في كل موضع، فأتيتُ به في هذا الموضع وإن لم يكنْ من خَاصِّ خبر النابغة لأنه أليقُ به.

قال أحمد بن الحارث الخرّاز حَدَّثني المدائنيّ عن عبد الملك بن مسلم قال: كتب عبدُ الملك إلى الحَجّاج: إنه ليس شيءٌ من لَذّة الدنيا إلا وقد أصبتُ منه، ولم يكن عندي شيء أَلَذُّه إلاّ مناقلة الإِخوان للحديث، وقِبَلَكَ عامرٌ الشَّعْبِيّ، فابْعَثْ به إِليَّ يحدّثني، فدعا الحجّاجُ الشعبيَّ فجهّزه وبعث به إليه وقرّظه وأطراه في

كتابه. فخرج الشعبيّ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذِنْ لي. قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا عامر الشعبيّ. قال: حيّاكَ اللَّهُ! ثم نَهَضَ فأجلسني على كرسيّه. فلم يلبث أن خرج إليَّ فقال: ادخُلْ يرحمُك اللّه. فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرّأس واللِّحية على كرسيّ، فسلَّمْتُ فَردَّ عَلَيَّ السَّلام، ثم أومأ إليّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال: وَيْحَكَ! مَن أشعرُ الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. قال الشعبيّ: فأَظْلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك، فلم أصبِرْ أن قلتُ: ومَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس؟! ـ قال: فعجب عبد الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالي ـ قال: هذا الأخطل. فقلت: يا أخطل! أشعرُ واللَّهِ منك الذي يقول: [السريع]

هــذا غُــلامٌ حَــسَــنٌ وَجْــهُــهُ ... مُسْتَقبِلُ الخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامْ
لِلحَارِثِ الأكبرِ والحَارِثِ الـ ... أصغرِ والأعرجِ خَيْرِ الأنامْ
ثم لِهِنْدٍ ولِهِنْدٍ فقد ... أسرعَ في الخَيْرَاتِ منه إمامْ
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ ... هُمْ خَيْرُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الغَمَامْ

فردّدتها حتى حَفِظَها عبد الملك. فقال الأخطل: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبيّ. قال: فقال: صدَق واللَّهِ يا أمير المؤمنين، النابغةُ واللَّهِ أشعرُ منّي. فقال الشعبيّ: ثم أقبلَ عليّ فقال: كيف أنت يا شعبيّ؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به. ثم ذهبتُ لأَضَعَ مَعَاذِيري لِما كان من خِلافِي على الحجّاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعث؛ فقال: مَهْ! إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منّا في قول ولا فعل حتى تُفَارِقَنا. ثم أقبل عليّ فقال: ما تقول في النابغة؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، قد فضَّلَهُ عمرُ بن الخَطّاب في غير موطن على الشعراء أجمعين، وببابه وفدُ غَطَفَانَ فقال: يا معشر غطفان، أيُّ شعرائكم الذي يقول: [الطويل]

حَلَفْتُ فلمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... ولَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلمَرْءِ مَذْهَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنّي خِيَانَةً ... لَمُبْلِغُكَ الوَاشِي أَغَشُّ وأَكْذَبُ
ولَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

قالوا: النابغةُ يا أمير المؤمنين. قال: فأيُّكم الذي يقول:

فإنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هو مُدْرِكِي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأى عنكَ واسِعُ

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ في حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إليكَ نوازعُ

قالوا: النابغةُ. قال: فأيُّكم الذي يقول: [الوافر]

إلى ابْنِ مُحَرِّقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وَرَاحِلَتِي وقَدْ هَدَتِ العُيُونُ[١]
أَتَيْتُكَ عَارِياً خَلَقاً ثِيَابِي على خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ
فَأَلْفَيْتُ الأَمَانَةَ لم تَخُنْهَا كذلكَ كَانَ نُوحٌ لا يَخُونُ

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: هذا أشعر شعرائكم. قال: ثم أقبل على الأخطل فقال: أَتُحِبُّ أنّ لك قَياضاً[٢] بشِعرك شِعرَ أحدٍ من العرب أو تحبّ أنك قلتَه قال: لا واللّه يا أمير المؤمنين، إلاَّ أنّي وَدِدْتُ أنْ كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا، كان والله ما علمتُ مُغْدَف القِنَاع[٣] قليل السَّماع قصيرَ الذِّراع. قال: وما قال؟ فأنشد قصيدته: [البسيط]

إنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وإنْ بَلِيتَ وإنْ طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ[٤]
ليسَ الجَدِيدُ به تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إلاَّ قَلِيلاً ولا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ
والعَيْشُ لا عَيْشَ إلاَّ ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ ولا حَالَ إلاَّ سَوفَ تَنْتَقِلُ
إنْ تَرْجِعِي من أبي عُثْمَانَ مُنْجِحَةً فقد يَهُونُ على المُسْتَنْجِحِ العَمَلُ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قائلونَ له ما يَشْتَهِي وَلأُمِّ المُخْطِئِ الهَبَلُ
قد يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وقد يكونُ مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

حتى أتى على آخرها، قال الشّعبيّ: فقلت: قد قال القَطَامِي أفضلَ من هذا قال: وما قال؟ قلت قال: [الكامل]

طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالَنَا مِنْ مَطْرَقِ ما كُنْتُ أَحْسَبُها قَرِيبَ المُعْنَقِ[٥]
قَطَعَتْ إليكَ بِمِثْلِ جِيدِ جَدَايَةٍ حَسَنٍ مُعَلَّقُ تُومَتَيْهِ مُطَوَّقِ[٦]

(١) هدت: يريد هدأت.
(٢) القياض: المبادلة.
(٣) إغداق القناع: إرساله على الوجه.
(٤) الطِّيَل: جمع طيلة وهي الدّهر.
(٥) طرقت: أتت ليلاً. والمُعْنَق: اسم مكان من العَنَق، أي المكان الذي أعنقت منه أي أسرعت.
(٦) الجَدَاية: الغزال. والتومة: القرط فيه حبة كبيرة كاللؤلؤ.

ومُصَرَّعِينَ مِنَ الكَلاَلِ كَأَنَّمَا شَرِبُوا الغَبُوقَ مِنَ الرَّحِيقِ المُعْرَقِ(١)
مُتَوَسِّدِينَ ذِراعَ كُلِّ نَجِيبَةٍ ومُفَرَّجٍ عُرَقِ المَقَذِّ مُنَوَّقِ(٢)
وَجَثَتْ على رُكَبٍ تَهُدُّ بها الصَّفَا وعلى كَلاَكِلَ كَالنَّقِيلِ المُطْرَقِ(٣)
وإذا سَمِعْنَ إلى هَمَاهِمِ رُفْقَةٍ ومِنَ النُّجُومِ غَوَابِرٌ لم تَخْفِقِ(٤)
جَعَلَتْ تُمِيلُ خُدُودَهَا آذَانُها طَرَباً بِهِنَّ إلى حُدَاءِ السُّوَّقِ
كَالمُنْصِتَاتِ إلى الغِنَاءِ سَمِعْنَهُ مِن رَائِعٍ لِقُلوبِهِنَّ مُشَوِّقِ
وإذا نَظَرْنَ إلى الطَّرِيقِ رَأَيْنَهُ لَهِقاً كَشَاكِلَةِ الحِصَانِ الأَبْلَقِ(٥)
وإذا تَخَلَّفَ بَعْدَهُنَّ لِحَاجةٍ حَادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَهُ لم يَلْحَقِ(٦)
وإذا يُصِيبُكَ وَالحَوَادِثُ جَمَّةٌ حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أَخِيكَ الأَوْثَقِ
لَئِنِ الهُمُومُ عَنِ الفُؤَادِ تَفَرَّقَتْ وَخَلاَ التَّكَلُّمُ لِلِّسَانِ المُطْلَقِ

قال: فقال عبد الملك: هذا والله أَشْعَرُ، ثَكِلَتِ القَطَامِيَّ أُمُّه!. قال: فالتفتَ إليَّ الأخطلُ فقال: يا شعبيّ، إن لكَ فنوناً في الأحاديث، وإنما لنا فنٌّ واحد؛ فإنْ رأيتَ ألاّ تحملني على أكتاف قومك فأدَعَهم حَرَضاً(٧)!. فقلت: لا أعرِضُ لك في شيء من الشّعر أبداً، فأَقِلْني في هذه المرّة. قال: مَنْ يتكفّل بك؟ قلت: أمير المؤمنين. فقال عبد الملك: هو عَلَيَّ ألاَّ يعرِضَ لك أبداً؛ ثم قال: يا شعبيّ، أيُّ نساء الجاهليّة أشعر؟ قلت: خَنْساء. قال: ولِمَ فَضَّلْتَها على غيرها؟ قلت: لقولها:

[الطويل]

وقَائِلَةٍ وَالنَّعْشُ قد فَاتَ خَطْوَهَا لِتُدْرِكَهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي على صَخْرِ
أَلاَ ثَكِلَتْ أُمُّ الذينَ غَدَوْا بِهِ إلى القَبْرِ! ماذا يحملونَ إلى القَبْرِ

(١) الكَلال: التعب. والغَبوق: ما يُشرَب في العشيّ. والرّحيق: من أسماء الخمر. والمُعْرق: القليل الماء.
(٢) النجيبة: الكريمة من الإبل. والمُفَرَّج: ما بان مرفقه عن إبطه. والعُرَق: كثير العرق. والمَقَذّ: ما بين الأذنين من خلف. نَوَّق الجملَ: ذَلَّلهُ وأحسنَ رياضته.
(٣) الصَّفا: جمع الصَّفاة: الحجر الضخم. والكلاكل: جمع الكلكل: الصدر. والنّقيل: جمع النقيلة: رُقعة يُصلَح بها الخفّ والنّعل.
(٤) الهماهم: جمع الهمهمة: صوت الكلام غير المفهوم. والغوابر: جمع الغابرة: الباقية. ولم تخفق: لم تغبْ.
(٥) اللَّهِق: الشديد البياض. والشاكلة: الخاصرة. والأبلق: الذي في لونه سواد وبياض.
(٦) يُشسّع النّعل: يجعل لها شِسعاً، والشِّسْع: سير النعل الذي يدخل بين الأصبعين.
(٧) الحَرَض: الرديء من الناس.

فقال عبد الملك: أشعرُ منها والله التي تقول[١]: [البسيط]

مُهَفْهَفُ الكَشْحِ والسِّرْبَالِ مُنْخَرِقٌ عنه القَمِيصُ لِسَيْرِ اللَّيْلِ محتقرُ[٢]
لا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ في كُلِّ فَجٍّ وإنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ثم قال: يا شعبيّ، لَعَلَّكَ شَقَّ عليكَ ما سمعتَ. قلت: إي والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقّة. إني أُحدّثك منذ شهرين لم أُفِدْكَ إلاّ أبياتَ النابغة في الغلام. قال: يا شعبيّ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام، يقولون: إنْ كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية؛ وأهلُ الشّأم أعلمُ بعلم أهل العراق من أهل العراق؛ ثم ردّ عليّ الأبياتَ أبياتَ لَيْلَى حتى حفظتها، ولم أزلْ عنده؛ فكنتُ أوّلَ داخل وآخرَ خارج. قال: فمكثتُ كذلك سنتين، وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين؛ فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مَرْوان بمصر وكتب إليه: يا أخي، إنّي قد بعثتُ إليك الشعبيّ، فانظر هل رأيتَ مثلَه قطُّ؟! ثم أَذِنَ لِي فانصرفت.

[حسان بن ثابت وقصّته مع النعمان والنابغة]

أخبرني الحسين بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدَائِنِيّ، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثني عمر بن شَبّة عن أبي بكر الهُذَلِي قال: قال حَسّان بن ثابت: قَدِمتُ على النُّعْمان بن المُنْذِر وقد امتدحتُه، فأتيت حاجبه عِصَامَ بن شَهْبَرٍ فجلستُ إليه؛ فقال: إنّي لأَرَى عربيًّا، أفمن الحجاز أنت؟ قلتُ: نعم. قال: فكُنْ قَحْطَانِيًّا. فقلت: فأنا قحطانيّ. قال: فكن يَثْرِبِيًّا. قلتُ: فأنا يثربيّ. قال: فكن خَزْرَجِيًّا. قلت: فأنا خزرجيّ. قال: فكن حَسَّان بن ثابت. قلت: فأنا هو. قال: أَجِئْتَ بِمِدْحة الملكِ؟ قلت: نعم. قال: فإنّي أُرشدكَ: إذا دخلتَ إليه فإنه يسألك عن جَبَلَةَ بن الأَيْهم ويسُبّه، فإيّاك أن تساعده على ذلك، ولكن أَمِرَّ ذِكرَه إمراراً لا تُوافِق فيه ولا تُخالِف، وقل: ما دخول مثلي أيُّها الملك بينك وبين جبلةَ وهو منك وأنت منه!. وإن دعاك إلى الطّعام فلا تُؤاكِلْه؛ فإنْ أقسمَ عليكَ فأَصِبْ منه اليسيرَ إصابةَ بارٍّ قَسَمَه مُتَشَرِّفٍ

---

(١) هي ليلى الأخيلية.
(٢) مهفهف الكشح: ضامره، ومنخرق عنه القميص: كثير الخرق.

بمؤاكلته لا أَكْلَ جائع سَغِب، ولا تُطِلْ محادثَته، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السّائلَ لك، ولا تُطِل الإقامةَ في مجلسه. فقلت: أحسنَ الله رِفْدَكَ! قد أوصيتَ واعياً. ودخل ثم خرج إليَّ فقال لي: ادخُلْ. فدخلتُ فسلَّمْتُ وحَيَّيْتُ تحيّةَ الملوك. فجاراني من أمر جَبَلَةَ ما قاله عِصَامٌ كأنه كان حاضراً، وأجبتُ بما أمرني، ثم استأذنتُه في الإنشاد فأذِنَ لي فأنشدته. ثم دعا بالطعام، ففعلتُ ما أمرني عِصَامٌ به، وبالشراب ففعلتُ مثلَ ذلك، فأمر لي بجائزة سنيّة وخرجت. فقال لي عصام: بَقِيَتْ عَلَيَّ واحدةٌ لم أُوصِكَ بها؛ قد بلغني أنّ النابغة الذُّبْيَانِيَّ قَدِمَ عليه، وإذا قدم فليس لأحد منه حظٌّ سواه؛ فاستأذِنْ حينئذٍ وانصرِفْ مُكَرَّماً خيرٌ من أن تنصرفَ مَجْفُوّاً؛ فأقمتُ ببابه شهراً. ثم قدِمَ عليه الفَزارِيّانِ وكان بينهما وبين النّعمان دُخْلُلٌ[1] (أي خاصّة) وكان معهما النّابغة قد استجارَ بهما وسألهما مسألة النعمان أن يرضَى عنه، فضرب عليهما قُبَّةً من أَدَمٍ، ولم يشعرْ بأنّ النَّابغة معهما. ودسّ النابغةُ قَيْنةً تُغَنِّيهِ بشعره:

يـا دَارَ مَـيَّـةَ بِـالـعَـلْـيـاءِ فَـالـسَّـنَـدِ

فلمّا سمع الشعر قال: أُقسم بالله إنه لَشِعْرُ النّابغة! وسأل عنه فأُخْبِر أنه مع الفَزَارِيَّيْن؛ فكلّماه فيه فأَمَّنه.

وقال أبو زيد عمر بن شَبّة في خبره: لمّا صار معهما إلى النعمان كان يُرسل إليهما بِطِيبٍ وأَلْطاف[2] مع قَيْنة من إمائه، فكانا يأمُرانِها أن تبدأ بالنابغة قبلهما. فذكَرتْ ذلك للنُّعْمان، فعلم أنّه النابغة. ثم ألقى عليها شعره هذا وسألها أن تُغَنِّيه به إذا أخذتْ فيه الخمرُ، ففعلت فأطربته؛ فقال: هذا شعر عُلْوِيّ[3]، هذا شعر النابغة! قال: ثم خرج في غِبِّ سماء، فعارضه الفَزَارِيّان والنابغةُ بينهما قد خُضِبَ بِحِنَّاءٍ فَقَنَأَ خِضَابُه[4]، فلمّا رآه النُّعْمان قال: هي بِدَم كانت أَحْرَى أَنْ تُخْضَبَ. فقال الفَزَارِيّانِ: أبيتَ اللَّعْنَ! لا تثريبَ[5]، قد أَجَرْنَاه، والعفو أجمل، فأمّنه

(١) دُخْلُل الإنسان: الذي يداخله في أموره.
(٢) الألطاف: جمع اللُّطَف: الهدية.
(٣) عُلويّ: نسبة إلى العالية: وهي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة (معجم البلدان ٤: ٧١).
(٤) قنأ خضابه: اسودّ.
(٥) لا تثريب: لا لومَ ولا تعيير بالذّنب.

واستنشده أشعَارَه. فعند ذلك قال حَسّان بن ثابت: فحسَدته على ثلاث لا أدري على أيَّتهن كنتُ له أشَدَّ حسداً: على إدناء النُّعْمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه إليه، أم على جَوْدة شعره، أم على مائة بعيرٍ من عَصَافيره[1] أَمَر له بها.

قال أبو عُبَيْدة: قيل لأبي عمرو: أفمِنْ مخافتِه امتدحه وأتاه بعد هَرَبه منه أم لغير ذلك؟ فقال: لا لَعَمْرُ الله ما لِمَخَافته فعل، إنْ كان لآمناً من أن يوجِّهَ النعمانُ له جيشاً، وما كانت عشيرتُه لِتُسْلِمَهُ لأَوّل وَهْلة، ولكنه رغِبَ في عطاياه وعصافيره. وكان النابغةُ يأكل ويشرب في آنية الفِضّة والذَّهب من عطايا النعمان وأبيه وجَدّه، لا يستعمل غيرَ ذلك. وقيل: إنَّ السبب في رجوعه إلى النُّعمان بعد هَرَبه منه أنه بلغه أنه عَلِيلٌ لا يُرْجَى، فأقلقَه ذلك ولم يملكِ الصَّبرَ على البعد عنه مع علّته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره يُنْقَلُ ما بين الغَمْر وقصور الحِيرة، فقال لعِصَام بن شَهْبَرٍ حاجبه ـ فيما أخبرَنا به اليزيديّ عن عَمّه عُبَيد اللّه وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل ـ:

صوت

[الوافر]

أَلَمْ أُقْسِمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِّي ... أَمَحْمُولٌ على النَّعْشِ الهُمَامُ

فَإِنّي لا أَلُومُكَ في دُخُولِي ... وَلَكِنْ ما وَرَاءَكَ يا عِصَامُ

فَإِنْ يَهْلِكْ أبو قَابُوسَ يَهْلِكْ ... رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الحَرَامُ[2]

ونُمْسِكْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ ... أَجَبِّ الظَّهْرِ لَيْسَ له سَنَامُ[3]

غَنّاه حُنَيْن ثقيلاً أَوَّلَ بالبنصر عن حَبَش.

قال أبو عُبَيْدة: كانت ملوك العرب إذا مَرِضَ أحدُهم حملته الرجالُ على أكتافها يتعاقبونه، فيكون كذلك على أكتاف الرجال؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض.

وقوله:

فَإِنّي لا أَلُومُكَ في دخولي

---

(١) العصافير: الإبل النجائب التي هي للملوك خاصّة.
(٢) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر.
(٣) ذناب العيش: مؤخّره. وأجبّ الظهر: مقطوع السّنام.

أي لا ألومُكَ في تَرْكِ الإذن لي في الدخول، ولكن أخْبِرْنِي بِكُنْهِ أمره. وقوله:

ربيع النَّاس والشّهر الحرامُ

يريد أنه كالربيع في الخِصْب لِمُجْتَدِيه، وكالشّهر الحرام لجاره، لا يُوصَلُ إلى مَنْ أجاره كما لا يُوصَلُ في الشّهر الحرام إلى أحد.

[مما يُغَنَّى من شِعرِ النابغة]

صوت [الطويل]

رَأَيْتُكَ تَرْعَانِي بِعَيْنٍ بَصِيرَةٍ ... وَتَبْعَثُ حُرَّاساً عَلَيَّ ونَاظِرا
فَآلَيْتُ لا آتِيكَ إنْ كُنْتُ مُجْرِماً ... ولا أَبْتَغِي جَاراً سِوَاكَ مُجَاوِرا
وأَهْلِي فِدَاءٌ لامْرِئٍ إنْ أَتَيْتُهُ ... تَقَبَّلَ مَعْرُوفي وسَدَّ المَفَاقِرَا[1]
أَلاَ أَبْلِغِ النُّعْمَانَ حَيْثُ لَقِيتَهُ ... وَأَهْدَىٰ له اللّهُ الغيوثَ البَواكِرا

غَنَّاه خُلَيْد الواديّ رملاً بالبنصر من رواية حَبَشٍ.

ومما يُغَنَّى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النعمان:

صوت [البسيط]

يا دَارَ مَيَّةَ بِالعَلْياءِ فَالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَمَدِ
وَقَفْتُ فيها أُصَيْلاَناً أُسَائِلُها ... أَعْيَتْ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إلاَّ الأواريَّ لأْياً ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤْيُ كَالحَوْضِ بِالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ
رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ... ضَرْبُ الوَلِيدةِ بِالمِسْحاةِ في الثَّأَدِ
خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كان يَحْبِسُهُ ... ورَفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فَالنَّضَدِ
أَضْحَتْ خَلاَءً وأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا ... أَخْنَى عليها الَّذِي أَخْنَىٰ على لُبَدِ

الغناء لِمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لِجَميلة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَشٍ.

---

(١) المفاقر: وجوه الفقر، لا واحد من لفظه.

قال الأصمعيّ: قوله «يا دار ميّة» يريد يا أهلَ دار ميّة، كما قال امرؤ القيس:

أَلاَ عِـمْ صَـبَـاحـاً أيُّـهـا الـطَّـلَـلُ الـبَـالـي

يريد أهلَ الطَّلَل، وقال الفرّاء: إنَّما نادى الدَّار لا أَهْلَها أسفاً عليها وتشوّقاً إلى أهلها وَتَمَنِّيَه أن تكون أهلاً، والعلياء: المكان المرتفع بناؤه؛ يقال من ذلك عَلاَ يَعْلُو وعَلِيَ يَعْلَى، مثلُ حَلاَ يَحْلُو وحَلِيَ يَحْلَى، وَسَلاَ يَسْلُو وسَلِيَ يَسْلَى. والسَّنَد: سَنَدَ الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسْنَد فيه أي يُصْعد. أقْوَتْ: أقفرتْ وخَلَتْ من أهلها. وقال أبو عُبَيْدة في قوله «يا دار مَيّة» ثم قال أَقْوَتْ ولم يقل أَقْوَيْتِ: إنَّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشَّيء ثم يتركوه ويكُفُّوا عنه، وروى الأصمعيّ «أُصَيْلاناً» وهو تصغير أَصْلاَن. ويُرْوَى «عَيَّتْ جواباً» أي عَيِيَتْ بالجواب. وَالأَوَارِيّ: جمع آرِيّ. ولأياً: بُطْأً. والمظلومة: التي لم يكن فيها أثرٌ فحفر أهلُها فيها حوضاً، وظُلْمُهم إيّاها إحداثهم فيها ما لم يكن فيها، شبّه النُّؤيَ بذلك الحوض لاستدارته. والجَلَد: الأرض الصُّلْبة الغليظة من غير حجارة. وإنما جعلها جَلَداً لأن الحفر فيها لا يسهلُ. وقوله «رَدّتْ عليه أقاصِيه» يعني أَمَةً فعلتْ ذلك، أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر. وأقاصيه: يعني أقاصي النُّؤْي على أدناه ليرتفع. ولَبَّده: طَأْمَنه، والوليدة: الأَمَةُ الشَّابّة. والثَّأد: النَّدَى. والسّبيل: الطريق، والأَتِيّ: النهر المحفور، والأَتِيّ: السيل من حيث كان، يقول: لمّا أُفسِدَتْ طريقُ الأَتِيِّ سهّلت له طريقاً حتى جرى، ورفّعته أي قدّمت الحفر إلى موضع السَّجْفين، وليس رَفْعَتْه ها هنا من ارتفاع العُلُوّ. والسَّجْفان: سِتْران رقيقان يكونان في مُقَدَّم البيت. والنَّضَد: ما نُضِدَ من المَتَاع. وأَخْنَى: أَفْسَد. ولُبَد: آخر نسور لُقْمان التي اختار أن يُعَمَّر مثلَ أعمارها؛ وله حديث ليس هذا موضعه.

صوت

[البسيط]

أَسْـرَتْ عـلـيـه مـن الـجَـوْزاءِ سَـارِيـةٌ ... تُـزجِـي الـشَّـمَـالُ عـلـيـه جَـامِـدَ الـبَـرَدِ

فَـارْتَـاعَ مِـنْ صَـوْتِ كَـلاَّبٍ فَـبَـاتَ لـه ... طَوْعُ الشَّوامِتِ من خَوْفٍ ومِنْ صَرَدِ[1]

فـبَـثَّـهُـنَّ عـلـيـه واسْـتَـمَـرَّ بـه ... صُـمْـعُ الـكُـعُـوبِ بَـرِيَّـاتٌ مـن الـحَـرَدِ

وكـان ضُـمْـرَانُ مـنـه حَـيْـثُ يُـوزِعُـهُ ... طَعْنَ المُعَارِكِ عِنْدَ المُحْجَرِ النَّجُدِ

(١) الصَّرَد: البرد.

شَكَّ الفَرِيصَةَ بِالمِدْرَى فَأَنْفَذَها ... طَعْنَ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِي مِنَ العَضَدِ

غَنَّى فيه إبراهيم الموصليّ هَزَجاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانةَ، وفيه لحن لمالك، يعني أنّ سحابةً مرّتْ عليه ليلاً وأن أنواء الجَوْزاء أسْرَتْ عليه بها، وتُزْجِي: تسوق وتَدْفَع، عَلَيْهِ: أي على الثّور. والكَلاّب: صاحب الكِلاَب، وقوله «بات له طوْعُ الشوامت» أي بات له ما يَسُرّ الشوامتَ اللَّوَاتِي شَمِتْنَ به. وصُمْعُ الكعوب: يعني قوائمَه أنها لازقةٌ محدَّدة الأطراف ليست بِرَهلاتٍ. وأصلُ الصَّمَعِ رِقّة الشيء ولطافته. والحَرَدُ: داء يعيبه؛ يقال بعيرٌ أحْرَدُ، وناقةٌ حَرْداءُ. والمُحْجَرُ: المُلْجَأ. والنَّجُدُ: الشجاع. والفَرِيصةُ: مَرْجِع الكَتِفِ إلى الخاصرة. والمِدْرَى: القَرْن. والمُبَيْطِر: البَيْطار. والعَضَدُ: داء يأخذ في العَضُد.

وفي لحن إبراهيم الموصليّ بعدَ «فارتاع من صوت كَلاّبٍ»: [البسيط]

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا ... يَوْمَ الجَلِيلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ ... طَاوِي المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ

قال الأصمعيّ: زال النهارُ بنا أي انتصف. و «بنا» ها هنا في موضع «علينا». ومَنْ روى «مُسْتَوْجِس» فإنه يعني أنه قد أوْجَسَ شيئاً خافه فهو يَسْتَوْجِس. والجليل: الثُّمَام، واحدته جَلِيلةٌ. وَوَجْرة: طَرَف السِّيِّ وهي فلاة بين مَرّان وذات عِرْق وهي ستون مِيلاً يجتمع فيها الوحش. ومَوْشِيّ أكارعُهُ أي إنه أبيض في قوائمه نُقَطٌ سُودٌ وفي وجهه سُفْعَةٌ[1]. وطاوِي المَصِير: ضامر. والمَصِير المِعَى، وجمعه المُصْران. والفَرَدُ: المنقطع القرينِ؛ يقال: فَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: غَنَّى مُخَارِقٌ يوماً بين يدي الرَّشيد:

سَرَتْ عليهِ مِنَ الجَوْزَاءِ سَارِيةٌ

فلمّا بلغ إلى قوله:

فَارتاع مِنْ صَوْتِ كَلاّبٍ فباتَ له

(١) السُّفعة: السواد المُشرَب حمرة.

قال: فارتاعُ (بضم العين)؛ فأردتُ أن أَرُدّ عليه خطأه، ثم خِفتُ أن يغضبَ الرشيدُ ويظنَّ أنّي حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطَه. فالتفت إليه بعضُ مَنْ حضر ـ أظنّه قال محمد بن عمر الروميّ ـ فقال له: ويلكَ يا مخارق! أتغنّي بمثل هذا الخطأ القبيح لِسُوقةٍ فضلاً عن الملوك! ويلكَ! لو قلتَ: «فارتاعَ» كان أخفَّ على اللّسان وأسهلَ من قولك «فارتاعُ». فخجِلَ مُخارق، وكُفِيتُ ما أردته بغيري. قال: وكان مخارق لَحّاناً.

ومنها:

صوت

[البسيط]

قَالَتْ أَلاَ لَيْتَما هَذَا الحَمَامُ لنا ... إلى حَمَامَتِنا ونِصْفُهُ فَقَدِ

يَحُفُّهُ جَانِبَا نِيقٍ وتُتْبِعُهُ ... مِثْلَ الزُّجَاجةِ لم تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ[1]

فحَسَبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا حَسِبَتْ ... تِسْعاً وتسعينَ لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ

فَكَمَّلَتْ مائةً فيها حَمامَتُها ... وأَسْرَعَتْ حِسْبةً في ذلك العَدَدِ

غَنّاه ابن سُرَيْج خفيفَ ثقيلٍ عن الهشاميّ، هذا خبرٌ رُوِيَ عن زَرْقاء اليَمامة[2]، ويُرْوَى عن بنت الخُسّ[3].

[أخذه معنًى من شعر لزرقاء اليمامة وتضمينه له في شعره]

حَدَّثني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول: هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة، قالت: **[مجزوء الرجز]**

لَيْتَ الحَمَامَ لِيَهْ ... ونِصْفَهُ قَدِيَهْ[4]

إلى حَمَامَتِيَهْ ... تَمَّ الحَمَامُ مِيَهْ

فسلَخه النابغة، وقال الأصمعيّ: سمعتُ أُناساً من أهل البادية يتحدّثون أنّ

(١) النِّيق: أعلى موضع في الجبل.

(٢) زرقاء اليمامة: امرأة من جديس أو من طسم كانت تبصرُ الشيء من مسيرة ثلاثة أيام.

(٣) بنت الخُسّ: امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة.

(٤) قَدِيَهْ: حسبي.

بنت الخُسّ كانت قاعدةً في جَوَارٍ، فمرّ بها قَطاً واردٌ في مَضِيقٍ من الجبل، فقالت:

[مجزوء الرجز]

يَـا لَـيْـتَ ذَا الـقَـطَـا لِـيَـهْ ... ومِـثْـلَ نِـصْـفِ مَـعِـيَـهْ

إلـى قَـطَـاةِ أَهْـلِـيَـهْ ... إذاً لَـنَـا قَـطـاً مِـيَـهْ

وأُتْبِعَتْ فَعُدَّتْ على الماء فإذا هي ستٌّ وستّون. وقوله: «فَقَدْ» أي فحَسْبُ. ويَحُفُّه: أي يكون من ناحية هذا الثَّمَد؛ يقال: حَفَّ القومُ بالرجل أي اكتنفوه. والنِّيق: الجبل. ومثل الزّجاجة: يريد عيناً صافية كصفاء الزجاجة. الحِسْبة: الهيئة التي تُحْسَب؛ يقال: ما أَحْسَنَ حِسْبَتَه، مثل الجِلْسَة واللِّبْسَة والرِّكْبَة.

ومنها:

صوت

[البسيط]

نُـبِّـئْـتُ أَنَّ أَبَـا قَـابُـوسَ أَوْعَـدَنِـي ... ولا قَـرَارَ عـلـى زَأْرٍ مِـنَ الأَسَـدِ

مَـهْـلاً فِـدَاءٌ لَـكَ الأَقْـوَامُ كُـلُّـهُـمُ ... ومَـا أُثَـمِّـرُ مِـنْ مَـالٍ ومِـنْ وَلَـدِ

إنْ كُنْتُ قُلْتُ الَّذِي بُلِّغْتَ مُعْتَمِداً ... إذاً فـلا رَفَـعَـتْ سَـوْطِـي إلَـيَّ يَـدِي

هـذا الـثَّـنَـاءُ فَـإنْ تَـسْـمَـعْ بـه حَـسَـنـاً ... فـلـم أُعَـرِّضْ أَبَـيْـتَ الـلَّـعْـنَ بِـالـصَّـفَـدِ

غَنّاه الهُذَلِيّ، ولحنه من الثقيل الأوّل عن الهشامي. أُثَمِّرُ: أُصلِح وأجمع. والزَّأْرُ: صياح الأسد؛ يقال: زأر زئيراً وهو الزأر. والصَّفَد: العطيّة؛ يقال: أَصْفده يُصْفِدُه إِصفاداً إذا أعطاه، وَصَفَده يَصْفِدُه صَفْداً إذا أوثقه.

[حسان يروي قصة وفود النابغة على النعمان]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: حَدَّثني الصَّلْت بن مسعود قال: حَدَّثنا أحمد بن شَبُّوَيْهِ عن سليمان بن صالح عن عبد اللّه بن المبارَك عن فُلَيْح بن سليمان عن رجل قد سمّاه عن حسّان بن ثابت، ونسخت من كتاب ابن أبي خَيْثَمَةَ عن أبيه عن مُصْعَب الزبيريّ قال: قال حسّان بن ثابت، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثني عمِّي يوسف بن محمد عن عمّه إسماعيل بن أبي محمد قال: قال أبو عمرو الشيبانيّ قال حسان بن ثابت ـ وقد جمعتُ رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها، وأكثرُ اللّفظ للجوهريّ ـ قال:

خرجتُ إلى النُّعْمان بن المنذر، فلَقِيتُ رجلاً ـ وقال اليزيديّ في خبره: فلقيتُ صائغاً من أهل فَدَك ـ فلمّا رآني قال: كن يَثْرِبِيًّا؛ فقلت: الأمر كذلك. قال: كن خَزْرَجِيًّا؛ قلت: أنا خزرجيّ. قال: كن نَجَّارِيًّا؛ قلت: أنا نجّاري. قال: كن حسّان بن ثابت؛ قلت: أنا هو. فقال: أين تريد؟ قلت: إلى هذا الملك. قال: تريد أن أُسَدِّدكَ إلى أين تذهب ومَنْ تريد؟ قلت: نعم. قال: إن لي به عِلماً وخُبْراً. قلت: فأعْلِمْنِي ذلك. قال: فإنكَ إذا جِئتَه متروكٌ شهراً قبل أن يُرسلَ إليك ثم عسى أن يسأل عنك رأسَ الشهر، ثم إنك متروكٌ آخَرَ بعد المسألة ثم عسى أن يُؤْذَنَ لك. فإنْ أنت خلوتَ به وأَعْجَبْتَه فأنت مصيبٌ منه خيراً؛ فأقِمْ ما أقمتَ، فإن رأيت أبا أُمَامة[1] فاظْعَنْ، فلا شيءَ لك عنده. قال: فقدِمْتُ ففعَل بي ما قال الرّجل ثم أَذِنَ لي وأصبتُ منه مالاً كثيراً ونادمتُه وأكلتُ معه؛ فبينا أنا على ذلك وأنا معه في قُبّة له إذا رجلٌ يرتجز حولها: [الرجز]

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ رَبُّ القُبَّهْ ... يَا أَوْهَبَ النَّاسِ لِعَنْسٍ صُلْبَهْ[2]
ضَرَّابَةٍ بِالمِشْفَرِ الأَذِبَّهْ ... ذات هِبَابٍ في يَدَيْهَا جُلْبَهْ[3]
في لاَحِبٍ كَأَنَّهُ الأَطِبَّهْ[4]

ـ وفي رواية اليزيديّ «في يديها خُدْبَة» أي طول واضطراب. والأَطِبّة: جمع طِبَاب وهو الشِّراك يجمع فيه بين الأديمين في الخَرْزِ. وقال عمر بن شَبَّة في خبره: قال فُلَيح بن سليمان: أخذت هذا الرجز عن ابن دَأْب ـ قال: فقال: ألي بأبي أمَامة؟ قالوا: بلى. قال: فَأْذنوا له. ودخل فَحيَّاه وشرِب معه، ثم وردت النِّعَمُ السُّودُ، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يُعْرَف مكانُهُ ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أسود غير النعمان. فاستأذنه في أن يُنشده كلمته على الباء؛ فأذِنَ له أن يُنشده قصيدته التي يقول فيها: [الطويل]

فإنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ... إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبِيَّة فيها رِعاؤها وبيتها وكلبُها، فقال:

---

(١) أبو أمامة: كنية النابغة.
(٢) العَنْس: الناقة القويّة.
(٣) الأَذِبّة: جمع قِلّة لذباب. والهِبَاب: النشاط والسرعة.
(٤) اللاّحب: الطريق الواضح.

شأنَكَ بها يا أبا أُمامة، فهي لك بما فيها. قال حسّان: فما أصابني حَسَدٌ في موضع ما أصابني يومئذٍ، وما أدري أيَّما كنتُ أَحْسَدَ له عليه: أَلِمَا أسمع من فضل شعره، أم ما أرى من جزيل عطائه؛ فجمعتُ جَرَامِيزي[1] وركبت إلى بلادي.

وقد روى الواقديّ عن محمد بن صالح الخبر فذكر أن حسّان قدِمَ على جَبَلة بن أبي شَمِر؛ ولعله غلط. أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي يوسف قال: حدّثني عمّي إسماعيل عن الواقِديّ عن محمد بن صالح قال: كان حسّان بن ثابت يقدُم على جَبَلة بن الأَيْهَم سنةً ويُقيم سنةً في أهله فقال: لو وفدْتُ على الحارث، فإن له قرابةً ورَحِماً بصاحبي، وهو أبذل الناسِ لمعروف، وقد يَئِسَ منِّي أن أقدَمَ عليه لِما يعرف من انقطاعي إلى جَبَلة. فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قدِمتُ على الحارث وقد هَيّأتُ مديحاً. فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً: إنَّ الملك قد سُرَّ بقدومك عليه، وهو لا يَدَعُك حتى تذكُرَ جَبَلةَ. فإيَّاك أن تقع فيه فإنه يختبرك؛ فإنّك إن وقعتَ فيه زَهِدَ فيك، وإن ذكرتَ مَحَاسِنَه ثَقُل عليه، فلا تبتدئ بذكره؛ فإن سألك عنه فلا تُطْنِبْ في الثناء عليه ولا تَعِبْه، امسَحْ ذكرَه مَسْحاً وجَاوِزْه. وإنه سوف يدعوك إلى الطعام وهو يثقُل عليه أن يُؤْكَلَ طعامُهُ أو يُشْرَبَ شرَابُه، فلا تَضَعْ يدك في شيء حتى يدعوَكَ إليه. قال: فشكرتُ له ذلك. ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس وعن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب، وكلّ ذلك أُخبره، حتى انتهى إلى ذكر جَبَلة فقال: كيف تَجِدُ جَبلة، فقد انقطعتَ إليه وتركتنا؟ فقلت له: إنّما جبلة منك وأنت منه؛ فلم أَجْرِ معه في مدح ولا ذَمٍّ، وفعلتُ في الطّعام والشراب كما قال لي الحاجب. قال: ثم قال لي الحاجب: قد بلغني قدومُ النابغة وهو صديقُه وآنَسُ به، وهو قبيح أن يَجفوَكَ بعد البِرِّ، فاستأذِنْه من الآن فهو أحسن. فاستأذنتُه فأذِنَ لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكُساً وحُمْلان، فقبضتها وانصرَفتُ إلى أهلي.

صوت

[الطويل]

مُـلُـوكٌ وإخْـوانٌ إذا مـا لَـقِـيـتُـهـمْ … أُحَـكَّـمُ فـي أَمْـوالِـهِـمْ وأُقَـرَّبُ
ولَـكِـنَّـنِـي كُـنْـتُ امْـرَأً لِـيَ جَـانِـبٌ … مِـنَ الأرضِ فـيـه مُـسْـتَـرَادٌ ومَـطْـلَـبُ

(١) جراميز الرجل: جسده وأعضاؤه، ويقال: ضم فلانٌ إليه جراميزه: إذا رفع ما انتشر من ثيابه ومضى.

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل، الجانب هنا: المتَّسَع من الأرض. والمُستراد: المُخْتَلَف يذهب فيه ويجيء؛ ويقال: رَادَ الرّجُلُ لأهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلأِ ونحوه. ثم ذكر مستراده فقال: «ملوكٌ وإخوانٌ».

ومن القصيدة العينيّة:

صوت

[الطويل]

عَفَا ذو حُساً مِنْ فَرْتَنَا فَالفَوَارِعُ ... فَجَنْبَا أَرِيكٍ فَالتِّلاعُ الدَّوَافِعُ[1]
فَمُجْتَمَعُ الأَشْرَاجِ غَيَّرَ رَسْمَهَا ... مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ[2]
تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا ... لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وذا العَامُ سَابِعُ
رَمَادٌ كَكُحْلِ العَيْنِ مَا إِنْ أُبِينُهُ ... وَنُؤْيٌ كَجِذْمِ الحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ[3]

غَنَّاه مَعْبَدٌ من رواية حَبَشٍ رملاً بالبنصر.

صوت

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ ... رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ... ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الخَلْصَاءُ

عروضه من الخفيف، آذنتنا: أعلمتنا. والبَيْنُ: الفرقة. والثّاوي: المقيم؛ يقال ثَوَى ثَوَاءً. والبُرْقة: أرض ذات رمل وطين. وشَمّاء والخَلْصاء: موضعان. الشعر للحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيّ، والغناء لمعبد، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو، ومن الناس من ينسبُه إلى حُنَيْن.

---

(١) ذو حُساً: وادٍ بأرض الشَّرَبّة من ديار عبس وغطفان (معجم البلدان ٢: ٢٥٨). وأريك: اسم جبل في البادية أو وادٍ (معجم البلدان ١: ١٦٥). والفوارع: تلال مشرفات على المسايل (معجم البلدان ٤: ٢٧٩). والتّلاع: جمع التلعة: مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض. والدوافع: التي تدفع بالماء إلى الوادي.

(٢) الأشراج: جمع شَرَج: من الوادي: منفسحه.

(٣) النُّؤيُ: ما يحفر حول الخيمة ليمنع الماء عنها. والجِذم: الأصل.

أخبار الحارث بن حِلِّزة ونسبه

[توفي نحو ٥٠ق.هـ/ نحو ٥٧٠ م]

[نسبه ومناسبة معلّقته]

هو الحارث بن حِلِّزة بن مَكْرُوه بن يزيد بن عبد اللَّه بن مالك بن عَبْد بن سَعْد بن جُشَمَ بن عاصم بن ذُبْيَان بن كِنَانة بن يَشْكُرَ بن بَكْر بن وائل بن قَاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلةَ بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزَار.

قال أبو عمرو الشيباني: كان من خبر هذه القصيدة والسببِ الذي دعا الحارثَ إلى قولها أنّ عمرو بن هِنْد المَلِك، وكان جبّاراً عظيمَ الشأن والمُلْك، لَمّا جمع بَكْراً وتَغْلِبَ ابني وائل وأصلح بينهم، أخذ من الحَيَّيْن رُهُناً من كلّ حيٍّ مائةَ غلام ليكفَّ بعضَهم عن بعض؛ فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه في مسيره ويغزُون معه؛ فأصابتهم سَمُومٌ[1] في بعض مَسِيرهم فهَلَكَ عامّة التَّغْلبِيِّين وسَلِم البَكْرِيّون. فقالت تَغْلِب لِبكر: أَعطُونا دِيَاتِ أبنائنا، فإن ذلك لكم لازم، فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تَغْلِبُ إلى عَمْرِو بن كُلْثوم وأخبروه بالقصة. فقال عمرو بن كلثوم لِتَغْلِب: بِمَنْ ترون بَكراً تَعْصِبُ أمرَها اليوم؟ قالوا: بمن عسى إلاّ برجل من أولاد ثَعْلَبَةَ. قال عمرو: أرى واللَّه الأمرَ سينجلي عن أحمر أصْلَجَ[2] أصَمّ من بني يَشْكُرَ. فجاءت بكرٌ بالنُّعْمان بن هَرِمٍ أحد بني ثَعْلَبة بن غَنْم بن يَشْكُر، وجاءت تَغْلِب بعمرو بن كُلْثوم. فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هَرِم: يا أَصَمُّ! جاءت بك أولاد ثَعْلَبة تُناضل عنهم وهم يَفْخَرُونَ عليك!. فقال

(١) السّموم: الريح الحارّة.

(٢) الأصلج: الشديد الأملس. وأظنّه مُحرّفاً عن «أصلخ» بالخاء وهو الأصمّ الذي لا يسمع شيئاً.

النُّعمان: وعلى مَنْ أَظَلَّتِ السَّماءُ كلُّها يفخَرون ثم لا يُنْكَر ذلك، فقال عمرو بن كلثوم له: أَمَا والله لو لَطَمْتُكَ لطمةً ما أخذوا لك بها، فقال له النُّعمان: والله لو فعلتَ ما أَفْلَتَّ بها قَيْسَ أَيْرِ أبيك. فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تَغْلِب على بكر، فقال: يا جارية أَعْطِيه لَحْياً بلسان أُنْثَى (أي سُبِّيه بلسانك). فقال: أيُّها الملك، أعطِ ذلك أَحَبَّ أهلِكَ إليك. فقال: يا نُعمان أَيَسُرُّكَ أَنِّي أبوك؟ قال: لا! ولكن وَدِدتُ أنّك أُمِّي. فغضِبَ عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همّ بالنُّعمان. وقام الحارث بن حِلِّزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً، تَوَكَّأَ على قوسه وأنشدها وانتظم[1] كفَّه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرَغ منها. قال ابن الكلبيّ: أنشد الحارثُ عمرَو بن هند هذه القصيدة وكان به وَضَحٌ[2]، فقيل لعمرو بن هند: إنَّ به وَضَحاً؛ فأمر أن يُجْعَلَ بينه وبينه سِتْرٌ. فلمّا تكلّم أُعجِبَ بمنطِقه؛ فلم يزلْ عمرو يقول: أَدْنُوه أَدنوه حتى أمر بطرح السِّتر وأقعده معه قريباً منه لإِعجابه به، هذه رواية أبي عمرو. وذكر الأصمعيُّ نحواً من ذلك وقال: أخذ منهم ثمانين غلاماً من كلّ حيّ وأصلح بينهم بذي المَجَاز[3]، وذكر أن الغلمان من بني تَغْلِب كانوا معه في حرب فأُصيبوا. وقال في خبره: إنَّ الحارث بن حلِّزة لمّا ارتجلَ هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته:

قِفِي قبلَ التَّفَرُّقِ يا ظَعِينَا

وغيرُ الأصمعيِّ يُنكر ذلك ويُنكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم.

وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه أنّ الصّلح كان بين بَكْر وتَغْلِب عند المنذر بن ماء السماء، وكان قد شَرط: أيُّ رجلٍ وُجِدَ قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه، وإن وُجِدَ بين مَحَلَّتين قِيسَ ما بينهما فيُنْظَرَ أقربُهُما إليه فتضمَنُ ذلك القتيل. وكان الذي وَلِيَ ذلك واحتمى لبني تغلِب قَيْس بن شَرَاحيل بن مُرَّة بن هَمّام. ثم إنَّ المنذر أخذ من الحَيَّيْن أشرافَهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكّة؛ فشرَطَ بعضُهم على بعض وتواثقوا على ألاّ يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلةً[4] ولا يطلبه بشيء مما كان من

---

(١) انتظم كَفّه: جرحها.
(٢) الوَضَح: البرص.
(٣) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة وهو لهذيل (معجم البلدان ٥:٥٥).
(٤) الغائلة: الحقد الباطن.

الآخر من الدِّماء. وبعث المنذرُ معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغَلاَّق. وفي ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة: [المتقارب]

فهلاً سَعَيْتَ لِصُلْحِ الصَّدِيقِ كَصُلْحِ ابْنِ مَارِيَةَ الأَقْصَمِ[1]
وقَيْسٌ تَدارَكَ بَكْرَ العِرَاقِ وتَغْلِبَ مِنْ شَرِّهَا الأَعْظَمِ
وبَيْتُ شَرَاحِيلَ في وَائِلٍ مَكَانَ الثُّرَيَّا مِنَ الأَنْجُمِ
فَأَصْلَحَ ما أَفْسَدُوا بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ فِعْلُ الفَتَى الأَكْرَمِ

ـ ابن مارية هو قيس بن شَرَاحِيل، ومارية أمّه بنت الصبّاح بن شيبان من بني هند ـ. فلبثوا كذلك ما شاء الله، وقد أخذ المنذر من الفريقين رُهُناً بأحداثهم؛ فمتى الْتَوَى أحد منهم بحقٍّ صاحبه أقاد من الرُّهُن. فسرّح النُّعْمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى طيِّىء في أمر من أمره، فنزلوا بالطرفة وهي لبني شَيْبان وتَيْم اللاّت، فذكروا أنهم أَجْلَوْهم عن الماء وحملوهم على المَفَازة، فمات القومُ عطشاً. فلمّا بلغ ذلك بني تَغْلِب غضِبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَوْه على بكر، وقالوا: غَدَرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحُرْمة وسَفكتم الدِّماء. وقالت بكر: أنتم الذين فعلتم ذلك، قذفتمونا بالعَضِيهةِ[2] وسمَّعتم الناسَ بها، وهَتكتم الحجاب والسِّتر بادّعائكم الباطلَ علينا. قد سقيناهم إذ وردوا، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا، فهل علينا إذ حار القوم وضلُّوا!. ويصدِّق ذلك قولُ الحارث بن حِلِّزة:

[الخفيف]

لم يَغُرُّوكُمُ غُرُوراً، ولَكِنْ يَرْفَعُ الآلُ جِزْمَهُمْ والضَّحَاءُ[3]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت: كان أبو عمرو الشيبانيّ يعجَبُ لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول: لو قالها في حول لم يُلَمْ. قال: وقد جمع فيها ذكر عِدّةٍ من أيّام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند؛ فمن ذلك قولُه:

أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْـ ـنَمَ غَازِيهِمُ ومِنَّا الجَزَاءُ

---

(١) الأقصم: المنكسر الثنيّة من النصف.

(٢) العضيهة: الكذب والزور والبهتان.

(٣) الآل: السراب، والضَّحَاء: ارتفاع النهار. وفي المعلقات «يرفع الآلُ جَمْعَهُم والضَّحَاءُ». ويروى: «حَزْمَهُمْ والضَّحاءُ».

قال: وكانت كِندة قد كَسَرَتِ الخراجَ على الملك، فبعث إليهم رجالاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك، فقُتِلُوا ولم يُدْرَكْ بثأرِهم؛ فعيّرهم بذلك. هكذا ذكر الأصمعيّ. وذكر غيره أنّ كِنْدَةَ غزَتهم فقتلت وَسَبتْ واستاقت، فلم يكن في ذلك منهم شيءٌ ولا أدركوا ثأراً. قال: وهكذا البيت الذي يليه وهو:

أم عَـلـيـنـا جَـرَّى قُـضَـاعَـة أم لـيـ ... ـسَ عَـلَـيْـنَـا فـيـمـا جَـنَـوْا أَنْـدَاءُ[1]

فإنه عيّره بأن قضاعة كانت غزتْ بني تغلب ففعلت بهم فِعْلَ كِنْدة، ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأراً. قال: وقوله:

أم عَـلَـيْـنَـا جَـرَّى حَـنِـيـفَـةَ أم مَـا ... جَـمَّـعَـتْ مِـنْ مُـحَـارِبٍ غـبْـرَاءُ[2]

قال: وكانت حَنيفة محالفةً لِتغلبَ على بكر، فأذكر الحارثُ عمروَ بن هند بهذا البيت قَتْلَ شِمْر بن عمرو الحنفيِّ أحدِ بني سُحَيْم المنذرَ بنَ ماء السماء غِيلةً لمّا حارب الحارثَ بن جَبَلَةَ الغسّانيّ، وبعث الحارثُ إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شِمْر هذا يسأله الأمانَ على أن يخرج له عن مُلْكه ويكونَ من قِبَله؛ فركَنَ المنذرُ إلى ذلك وأقام الغِلْمانُ معه، فاغتاله شِمْر بن عمرو الحنفيّ فقتله غِيلةً، وتفرّق مَنْ كان مع المنذر، وانتهبوا عسكرَه، فحرّضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حَنيفة. قال: وقوله:

وثَـمَـانُـونَ مِـنْ تَـمِـيـمٍ بِـأَيْـدِيـ ... ـهِـمْ رِمَـاحٌ صُـدُورُهُـنَّ الـقَـضَـاءُ

يعني عمراً أحدَ بني سعد بن زيد مناة، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم من بني قَطَنٍ من تَغْلِب يقال لهم بنو رِزَاحٍ كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنَطَاعِ قريبةً من البَحْرَيْن، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة، فلم يُدْرَك منه بثأر. قال: وقوله:

ثـمّ خَـيْـلٌ مِـنْ بَـعْـدِ ذَاكَ مَـعَ الـغَـلاّ ... قِ، لا رَأْفَـةٌ ولا إِبْـقَـاءُ[3]

قال: الغَلاّق صاحب هجائن النُّعْمان بن المنذر، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميميّاً. وكان عمرو بن هند دعا بني تَغْلِب بعد قتل المنذرِ إلى الطلب بثأره من غَسّان؛ فامتنعوا وقالوا: لا نُطيع أحداً من بني المنذر أبداً! أَيظنُّ ابن هند أنّا له

(١) الجَرَّى: الذنب. والأنداء: جمع نَدَى، وهو ما يلحق الإنسان من الشرّ.
(٢) الغبراء: الصعاليك والفقراء.
(٣) لا رأفةٌ ولا إبقاء: أي ليس لأصحاب الغلاّق رأفة بهم ولا إبقاء عليهم.

رِعَاء! . فغضِبَ عمرو بن هند وجمع جموعاً كثيرة من العرب؛ فلما اجتمعتْ آلى ألاّ يغزوَ قبل تَغْلِب أحداً؛ فغزاهم فقتل منهم قوماً، ثم استعطفه مَنْ معه لهم واستوهبوه جريرتَهم، فأمسك عن بقيّتهم، وطُلّت دماء القتلى، فذلك قول الحارث:

مَنْ أَصَابُوا مِنْ تَغْلِبِيٍّ فَمَطْلُو ... لٌ عَلَيْهِ إذا تَوَلَّى العَفَاءُ[١]

ثم اعتدّ على عمرو بِحسن بلاء بَكْرٍ عنده فقال:

مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الخَيْرِ آيَا ... تٌ ثَلاثٌ في كُلِّهِنَّ القَضَاءُ[٢]

آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إذا جَا ... ءُوا جَمِيعاً لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ[٣]

حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ ... قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلاءُ[٤]

فَرَدَدْنَاهُمُ بِضَرْبٍ كما يَخْـ ... ـرُجُ مِنْ خُرْبَةِ المَزَادِ المَاءُ[٥]

ثم حُجْراً أَعني ابنَ أُمِّ قَطَامٍ ... وله فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ[٦]

أَسَدٌ في اللِّقَاءِ ذو أَشْبَالٍ ... ورَبِيعٌ إنْ شَنَّعَتْ غَبْرَاءُ[٧]

فَرَدَدْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كَمَا تُنْـ ... ـهَزُ في جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدِّلاءُ[٨]

وفَكَكْنَا غُلَّ امْرِىءِ القَيْسِ عنه ... بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالعَنَاءُ

وَأَقَدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بِالمُنْـ ... ـذِرِ كَرْهاً، وما تُكَالُ الدِّمَاءُ[٩]

وَفَدَيْنَاهُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلا ... كٍ كِرَامٍ أَسْلابُهُمْ أَغْلاءُ[١٠]

وَمَعَ الجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي الأَوْ ... سِ عَنُودٌ كَأَنَّهَا دَفْوَاءُ[١١]

يعني بهذه الأيّام أيّاماً كانت كلها لبكر مع المنذر؛ فمنها يوم الشَّقِيقة وهم

---

(١) مطلولٌ عليه: أي لا يُدرَك بثأره. والعَفَاء: الدُّروس أي يُنْسَى فيصير بمنزلة الشيء الدارس.

(٢) الآيات: العلامات. و «في كلّهنّ القضاء»: أي في كلّهنَّ يُقضى لنا بولاء الملك.

(٣) الشارق: القادم من قِبَلِ المشرق. ولكلِّ حيٍّ لواءٌ: أي هم أحياء مختلفة.

(٤) المستلئم: الذي قد لبس اللأمة وهي الدرع. وقرظيّ: منسوب إلى البلاد التي ينبت فيها القَرَظ وهي اليمن. والعبلاء: هضبة بيضاء أو هي الصخرة مطلقاً.

(٥) ويروى «فجبهناهم». والخُربة: فم المزادة وهو مسيل الماء منها.

(٦) وله فارسية: أي معه كتيبة خضراء من كثرة السلاح، وفارسية: أي سلاحُها من عمل فارس.

(٧) ويروى: «أسدٌ في اللّقاء وردٌ هموسٌ» وشنّعت: جاءت بأمر شنيع. وربيع: أي ذو ربيع: أي خِصب.

(٨) تُنهز: تُحرَّك. والجَمَّة: البئر الكثيرة الماء، أو مجتمع ماء البئر. والطَّوِيّ: البئر المطويّة.

(٩) ويروى: «إذ لا تُكَالُ الدِّماءُ» أقدتُ فلاناً: أعطيته القَوَد. وما تُكال الدّماءُ: أي ذهبت هَدراً.

(١٠) الأسلاب: جمع السلب: عدّة المحارب من ثياب وسلاح وغيرها. وأغلاء: غالية.

(١١) العَنود هنا: الكتيبة وكأنها تعند في سيرها. والدَّفواء: المنحنية، يصف كثرتها.

قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن مَعْدِيكربِ ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُغيرون على إبل عمرو بن هند، فردّتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم، ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند. ومنها يومُ غزا حُجْر الكِنْدِيّ، وهو حُجْر بن أُمِّ قَطَام، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر، لَقِيَهُ ومع حُجْر جمعٌ كثير من كندة، وكانت بكر مع امرىء القيس، فخرجت إلى حُجْر فردّته وقتلت جنودَه. وقوله:

فَفَكَكْنا غُلَّ امْرِىءِ القَيْسِ عنه

وكانت غسّان أَسَرَتْهُ يوم قَتْلِ المنذرِ أبيه، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوَادِي الشام فقتلوا مِلِكاً من ملوك غسّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها مَيْسُون. وقوله: «وفديناهُمُ بتسعة. . .» يعني بني حُجْر آكلِ المُرَار. وكان المنذر وجّه خيلاً من بكر في طلب بني حُجْر، فظفِرَتْ بهم بكر بن وائل فأتَوْا المنذرَ بهم وهم تسعة، فأمر بذبحهم في ظاهر الحِيرة فذُبِحوا بمكان يقال له جَفْر الأملاك. قال: والجون جون آل بني الأوْس: ملكٌ من ملوك كِنْدة وهو ابن عَمّ قيس بن مَعْدِيكَرِبَ. وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المُرَار ومعه كتيبةٌ خَشْناء، فحاربته بكرٌ فهزَموه، وأخذوا بني الجون فجاءُوا بهم إلى المنذر فقتلهم.

قال: فلمّا فرَغ الحارث من هذه القصيدة حكَم عمرو بن هند أنه لا يلزم بَكْرَ ابنَ وائل ما حدث على رهائن تَغْلِبَ؛ فتفرّقوا على هذه الحال، ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتّى همّ باستخدام أُمّ عمرو بن كُلْثوم تعرُّضاً لهم وإذلالاً؛ فقتله عمرو بن كلثوم. وخبره يُذْكَر هناك.

قال يعقوب بن السِّكِّيت: أنشدني النَّضْر بن شُمَيْل للحارث بن حِلِّزة - وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول: لله دَرُّه ما أشعره -:

صوت

[مجزوء الكامل]

مَنْ حاكِمٌ بيني وبيـ ... نَ الدَّهْرِ مالَ عليَّ عَمْدَا

أَوْدَى بِسَادَتِنا وَقَدْ ... تَرَكُوا لَنا حَلَقاً وجُرْدَا[1]

---

(١) الحَلَق: الدروع. والجرد: الخيل القصيرة الشعر.

خَـيْـلِـي وفَـارِسُـهـا ورَبُّ أَبِـيـكَ كَـانَ أَعَـزَّ فَـقْـدَا
فَـلَـوَ آنَّ مـا يَـأْوِي إِلَـيَّ أَصَـابَ مِـنْ ثَـهْـلاَنَ هَـدّا[1]
فَـضَـعِـي قِـنَـاعَـكِ إِنَّ رَيْـبَ الـدَّهْـرِ قـد أَفْـنَـى مَـعَـدَّا
فَـلَـكَـمْ رَأَيْـتُ مَـعَـاشِـراً قـد جَـمَّـعُـوا مَـالاً ووُلْـدَا
وهُـمُ زَبَـابٌ حَـائِـرٌ لا تَـسْـمَـعُ الآذَانُ رَعْـدا[2]
فَـعِـشْ بِـجَـدٍّ لاَ يَـضِـرْ كَ الـنُّـوكُ مـا لاقَـيْـتَ جَـدَّا[3]
والـعَـيْـشُ خَـيْـرٌ فـي ظِـلاَ لِ الـنُّـوكِ مِـمَّـنْ عَـاشَ كَـدَّا

في البيت الأوّل من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى لعبد اللّه بن العبّاس الرَّبيعيّ، ومن الناس من ينسبه إلى بَابويه.

صوت

[الوافر]

أَلاَ هُـبِّي بِصَـحْـنِـكِ فَـاصْـبَـحِـيـنـا ولا تُـبْـقِـي خُـمُـورَ الأَنْـدَرِيـنَـا[4]
مُـشَـعْـشَـعَـةً كَـأَنَّ الـحُـصَّ فِـيـهـا إذا مـا الـمَـاءُ خَـالَـطَـهـا سَـخِـيـنَـا[5]

عروضه من الوافر، الشعر لعمرو بن كُلْثوم التَّغْلبيّ، والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته، وفيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

---

(١) ثهلان: جبل بالعالية ضخم (معجم البلدان ٢:٨٨).

(٢) الزَّباب: جمع الزَّبابة: نوع من الفئران لا يسمع، يشبّه بها الجاهل.

(٣) النّوك: الحمق.

(٤) الصحن: القدح الكبير الواسع. واصبحينا: اسقينا الصبوح وهو شراب الغداة. وأندرين: من القرى الشهيرة بالخمر وهي جنوبي حلب (معجم البلدان ١ : ٢٦٠).

(٥) الحُصّ: الورس أو الزعفران، وقد شبّه صفرتها بصفرته. والسَّخين: الحار.

نسب عمرو بن كُلثوم وخبره

[توفي نحو ٤٠ق.هـ/ نحو ٥٨٤ م]

[نسبه ونسب أمّه]

هو عمرو بن كُلْثوم بن مالك بن عَتّاب بن سَعْد بن زُهَيْر بن جُشم بن بكر بن حُبَيْبِ بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِبَ بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلَة بن أسَد بن رَبِيعة بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنان. وأُمّ عمرو بن كُلْثوم ليلى بنت مُهَلْهِل أخي كُلَيْب، وأُمّها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زُهَيْر.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حَدَّثني العُكْلِيّ عن العبّاس بن هِشَام عن أبيه عن خِرَاش بن إسماعيل عن رجل من بني تَغْلِب ثم من بني عَتّاب قال: سمعتُ الأَخْذَر - وكان نَسّابة - يقول: لمّا تزوَّجَ مُهَلْهِلٌ بنتَ بعج بن عُتْبة أُهدِيَتْ إليه، فولدت له ليلى بنت مُهَلْهِل، فقال مهلهل لامرأته هند: اقتُليها، فأمرتْ خادماً لها أن تُغَيِّبها عنها. فلما نام هَتف به هاتفٌ يقول: [مجزوء الرجز]

كم مِنْ فَتًى يُؤَمَّلْ ... وسَيِّدٍ شَمَرْدَلْ[1]
وعُدَّةٍ لا تُجْهَلْ ... في بَطْنِ بِنْتِ مُهَلْهِلْ

واستيقظ فقال: يا هند أين بنتي؟ قالت: قتلتُها. قال: كَلاّ وإلٰه ربيعة! - فكان أوّلَ مَنْ حلف بها - فاصدُقِينِي، فأخبرته. فقال: أَحْسِنِي غِذاءَها. فتزوجها كُلْثوم بن مالك بن عَتّاب، فلمّا حملت بعمرو بن كلثوم قالت: إنّه أتاني آتٍ في

(١) الشَّمردل: القويّ الحسن الخلق.

المنام فقال: [مجزوء الرجز]

يـا لَـكِ لَـيْـلَـى مِـنْ وَلَـدْ يُـقْـدِمُ إقْـدَامَ الأَسَـدْ
مِـنْ جُـشَـمٍ فِـيـهِ الـعَـدَدْ أَقُـولُ قِـيـلاً لا فَـنَـدْ[1]

فولدت غلاماً فسمّته عمراً، فلما أتت عليه سنةٌ قالت أتاني ذلك الآتي في اللّيل أعرِفه، فأشار إلى الصبِّي وقال: [الرجز]

إنِّـي زَعِـيـمٌ لَـكِ أُمَّ عَـمْـرِو بِـمَـاجِـدِ الـجَـدِّ كَـرِيـمِ الـنَّـجْـرِ[2]
أَشْـجَـعَ مِـن ذِي لِـبَـدٍ هِـزَبْـرِ وَقَّـاصِ أقـرانٍ شـديـدِ الأَسْـرِ[3]
يَـسُـودُهُـم فـي خَـمْـسَـةٍ وعَـشْـرِ

قال الأَخْذر: فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر، ومات وله مائة وخمسون سنة.

[قتله لعمرو بن هند ومعلّقته وفخر شعراء تغلب بذلك]

قال أبو عمرو: حدَّثَني أَسَدُ بن عمر الحَنَفِيّ وكُرْد بن السَّمْعِيّ وغيرُهما، وقال ابن الكلبي: حدَّثني أبي وشَرْقِيُّ بن القَطَامِيّ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيْبة: أنَّ عمرو بن هند قال ذات يوم لِنُدَمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تَأْنَفُ أُمُّه من خِدمة أُمِّي؟ فقالوا: نعم! أُمُّ عمرو بن كُلْثوم. قال: ولِمَ؟ قالوا: لأنّ أباها مُهَلْهِلُ بنُ ربيعة، وعمّها كُلَيْب وائل أعزُّ العرب، وبَعْلها كُلْثوم بن مالك أفرسُ العرب، وابنها عمرو وهو سيِّد قومه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كُلثوم يستزيره ويسأله أن يُزِيرَ أُمَّه أُمَّه. فأقبل عمروٌ من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة بني تغْلِب، وأقبلت ليلى بنت مُهَلْهِل في ظُعُنٍ من بني تَغْلِب. وأمر عمرو بن هند بِرواقه فضُرِبَ فيما بين الحِيرة والفُرَات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلِب. فدخل عمرو بن كُلْثوم على عمرو بن هند في

---

(١) لا فند: لا خطأ.

(٢) الزعيم: الكفيل. والماجد: الحسن الخُلُق. والنّجْر: الأصل.

(٣) ذو اللِّبَد: الأسد، واللِّبدة: هي الشعر الذي على كتفيه. والهزبر: من أسماء الأسد. والوقّاص: من وقصَ الشيء: عابه ونقصه. والأقران: جمع القِرن وهو المثيل. وشديد الأسر: مُحْكَم الخلق غير مسترخٍ.

رُواقه، ودخلت ليلى وهند في قُبّة من جانب الرِّواق[1]. وكانت هند عمّةَ امرىء القيس بن حُجْر الشاعر، وكانت أُمُّ ليلى بنت مُهَلْهِل بنتَ أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أُمُّ امرىء القيس، وبينهما هذا النسب. وقد كان عمرو بن هند أمرَ أُمَّه أن تُنَحِّي الخدَمَ إذا دعا بِالطُّرَفِ وتستخدمَ ليلى. فدعا عمرو بمائدةٍ ثم دعا بِالطُّرَفِ. فقالت هند: نَاوِلِيني يا ليلى ذلك الطَّبَق. فقالت ليلى: لِتَقُمْ صاحبةُ الحاجة إلى حاجتها. فأعادت عليها وألَحَّتْ. فصاحت ليلى: وَاذُلاَّهْ! يا لَتَغْلِب! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدَّمُ في وجهه؛ ونظر إليه عمرو بن هند فعَرَف الشَّرَّ في وجهه؛ فوثب عمرو بن كُلْثوم إلى سيفٍ لِعَمرو بن هند مُعَلَّقٍ بِالرِّواق ليس هناك سيفٌ غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند، ونادى في بني تغلب، فانتهبوا ما في الرِّواق وساقوا نجائبه، وساروا نحوَ الجزيرة. ففي ذلك يقول عمرو بن كُلْثوم:

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِك فَاصْبَحِينا

وكان قام بها خطيباً بِسوقِ عُكَاظ وقام بها في موسم مكّة، وبنو تَغْلِب تُعَظِّمها جِدًّا ويرويها صِغارُهم وكِبارُهم، حتى هُجُوا بذلك؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل: [البسيط]

أَلْهَى بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ	قَصِيدةٌ قَالَهَا عَمْرُو بن كلثومِ
يَرْوُونَها أبداً مُذْ كانَ أَوَّلُهُمْ	يا لَلرِّجالِ لِشِعْرٍ غيرِ مَشْؤُومِ

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطلَ: [الكامل]

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهَجَوْتَها	أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابنَ هِنْدٍ عَنْوَةً	عَمْراً وهم قَسَطُوا على النُّعْمانِ[2]

وقال أُفْنونٌ صُرَيْمٌ التَّغْلِبيّ يفخَر بفعل عمرو بن كُلْثوم في قصيدةٍ له: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما عَمْرُو بنُ هِنْدٍ وقد دَعَا	لِتَخْدُمَ لَيْلَى أُمَّه بِمُوَفَّقِ
فقامَ ابنُ كُلْثُومٍ إلى السَّيفِ مُصْلِتاً	فأمسكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالمُخَنَّقِ[3]

---

(١) الرُّواق: بيت كالخيمة يُحمَل على عمود طويل.

(٢) عَنوة: قهراً وقسراً. وقسطوا: جاروا.

(٣) مُصلِتاً: مجرّداً إيّاه من غمده. ونَدمانه: الذي ينادمه على الشراب. والمُخَنَّق: موضع الخنق من العنق.

وجَلَّلَهُ عَمْرٌو على الرَّأْسِ ضَرْبَةً ... بِذِي شُطَبٍ صَافِي الحَدِيدَةِ رَوْنَقِ[(١)]

وقال: وكان لِعَمرو أخ يقال له مُرّة بن كُلْثوم، فقتل المُنْذِرَ بن النُّعْمان وأخاه. وإيّاه عَنى الأخطلُ بقوله لجرير: [الكامل]

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا ... قَتَلا المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عَبَّاد، وهو قاتِل بِشْر بن عمرو بن عُدَسَ. ولِعمرو بن كُلْثوم عَقِبٌ باقٍ، ومنهم كُلْثوم بن عمرو العَتّابيّ الشاعر صاحب الرسائل.

[أسره وبعض أخباره]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدَّثني محمد بن الحسن الأحْوَل عن ابن الأعرابيّ قال: أغار عمرو بن كُلْثوم التغلبيّ على بني تميم ثم مَرَّ من غَزْوِهِ ذلك على حيٍّ من بني قَيْس بن ثَعْلَبة، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبَايَا؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جَنْدَل السَّعْدِيّ، ثم انتهى إلى بني حَنِيفةَ باليَمَامَةِ وفيهم أناس من عِجل، فَسمِعَ به أهلُ حَجْر[(٢)]؛ فكان أوَّلَ مَنْ أتاه من بني حنيفةَ بنو سُحَيْم عليهم يزيد بن عمرو بن شِمْر، فلمّا رآهم عمرو بن كُلْثوم ارتجز فقال: [الرجز]

مَنْ عَاذَ مِنِّي بَعْدَهَا فَلاَ اجْتَبَرْ ... ولا سَقَى المَاءَ ولا أَرْعَى الشَّجَرْ

بَنُو لُجَيْمٍ وجَعَاسِيسُ مُضَرْ ... بِجَانِبِ الدَّوِّ يُدَهْدُون العَكَرْ[(٣)]

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعَنَه فصرّعه عن فرسه وأسَره، وكان يزيد شديداً جسيماً، فشدّه في القِدّ[(٤)] وقال له: أنت الذي تقول: [الوافر]

مَتَى تُعْقَدْ قَرِينَتُنَا بِحَبْلٍ ... تَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ تَقِصِ القَرِينا[(٥)]

---

(١) الشُّطَب: جمع الشطبة: الطرائق في متن السيف من شدة بريقه. ورونق السيف: صفاؤه وحُسنه.
(٢) حَجْر: هي مدينة اليمامة وأم قراها. (معجم البلدان ٢: ٢٢١).
(٣) الجعاسيس: جمع الجعسوس: هو اللئيم الخَلق والخُلق. والدَّوّ: المفازة. ويدهدون: يقلبون ويدحرجون. والعَكَر: التربة.
(٤) القِدّ: السَّير يُقَدُّ من جلد ويقيَّد به الأسير.
(٥) القرينة: التي تُقرن إلى غيرها بحبل. وتجذّ: تقطع. وتَقِصْ: تكسر.

أَمَا إنِّي سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطرُدُكُما[١] جميعاً. فنادى عمرُو بن كلثوم يا لَرَبيعَةَ! أَمُثْلة! . قال: فاجتمعت بنو لُجَيْم فَنَهوْه ولم يكن يريد ذلك به. فسار به حتى أتى قَصْراً بِحَجْرٍ من قصورهم، وضرب عليه قُبّة ونَحَر له وكساه وحمَله على نجيبه وسقاه الخمر. فلمّا أخذتْ برأسه تغنَّى: [الوافر]

أَأَجْمَعَ صُحْبَتِي السَّحَرَ ارْتِحَالاً ... ولَمْ أَشْعُرْ بِبَيْنٍ مِنْكِ هَالاَ
ولم أَرَ مِثْلَ هَالَةَ فِي مَعَدٍّ ... أُشَبِّهُ حُسْنَهَا إلاَّ الهِلاَلاَ
أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي جُشَمَ بنِ بَكْرٍ ... وتَغْلِبَ كُلَّمَا أَتَيَا حِلاَلا[٢]
بِأَنَّ المَاجِدَ القَرْمَ ابنَ عَمْرٍو ... غَدَاةَ نَطَاعِ قد صَدَقَ القِتَالا[٣]
كَتِيبَتُهُ مُلَمْلَمَةٌ رَدَاحٌ ... إذا يَرْمُونَهَا تُفْنِي النِّبَالا[٤]
جَزَى اللَّهُ الأَغَرَّ يَزِيدَ خَيْراً ... وَلَقَّاهُ المَسَرَّةَ والجَمَالا
بِمَأْخَذِهِ ابنَ كُلْثوم بنِ عَمْرٍو ... يَزِيدَ الخَيْرِ نَازَلَه نِزَالا
بِجَمْعٍ مِنْ بَنِي قُرَّانَ صِيدٍ ... يَجِيلُونَ الطِّعَانَ إذا أَجَالا[٥]
يَزِيدُ يُقَدِّمُ السُّفَرَاءَ حَتَّى ... يُرَوِّي صَدْرَهَا الأَسَلَ النِّهَالا[٦]

[حواره مع عمرو بن أبي حجر الغسّاني]

أخبرني عليّ بن سليمان قال: أخبرنا الأحْوَل عن ابن الأعرابيّ قال: زعموا أنّ بني تَغْلِبَ حاربوا المُنْذِر بنَ ماء السّماء فلَحِقُوا بالشّأم خوفاً منه، فمرّ بهم عَمْرو بن أبي حُجْر الغَسّاني، فتلقّاه عمرو بن كُلْثوم. فقال له: يا عَمْرو، ما مَنَعَ قومَك أن يتلقَّوْني؟! فقال له: يا عمرو يا خيرَ الفِتْيان، فإنّ قومي لم يستيقِظوا لِحَربٍ قَطُّ إلاّ عَلاَ فيها أَمْرُهم واشتدّ شأنُهم ومَنَعُوا ما وراء ظهورهم. فقال له: أيقاظ نَوْمَةٍ ليس فيها حُلم، أَجْتَثُّ فيها أُصولَهم، وأنفي فَلَّهم[٧] إلى اليابس الجَرَدِ،

---

(١) أطردكما: أسوقكما.
(٢) الحِلال: جماعة البيوت ومجتمع الناس.
(٣) نطاع: أرض يسكنها بنو رزاح قريبة من البحرين ويُطلق على مواضع أُخرى (معجم البلدان ٥:٢٩١).
(٤) ململمة: مجتمعة. ورداح: كثيرة جَرّارة.
(٥) قُرّان: قرية بين مكة والمدينة، وقيل باليمامة (معجم البلدان ٤:٣١٨). والصِّيد: جمع الأصيد: الرجل المتكبّر أو الملك الذي يزهو بنفسه فلا يلتفت يميناً ولا شمالاً.
(٦) الأسل: النبل.
(٧) الفَلّ: القوم المنهزمون.

والنَّازح الثَّمَدِ[١].

فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول: [الوافر]

ألاَ فاعلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّا ... على عَمْدٍ سَنَأْتِي مَا نُرِيدُ
تَعَلَّمْ أَنَّ مَحْمَلَنا ثَقِيلٌ ... وَأَنَّ زِنَادَ كَبَّتِنا شَدِيدُ[٢]
وَأَنَّا لَيْسَ حَيٌّ مِنْ مَعَدٍّ ... يُوَازِينا إذا لُبِسَ الحَدِيدُ

[هجاؤه للنعمان بن المنذر]

قال: وقال ابن الأعرابيّ: بلغ عمرَو بن كُلْثومٍ أنّ النعمان بن المُنْذِرِ يتوعّده، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه: [الطويل]

ألاَ أَبلِغ النُّعْمانَ عَنِّي رِسَالَةً ... فَمَدْحُكَ حَوْلِيٌّ وذَمُّكَ قَارِحُ[٣]
مَتَى تَلْقَنِي في تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ ... وَأَشْيَاعَها تَرْقَى إليكَ المَسَالِحُ[٤]

وهجا النُّعْمَانَ بنَ المنذر هجاءً كثيراً، منه قوله يُعَيِّره بأُمِّه سُلَيْمَى: [البسيط]

حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتٍ بَعْدَ فِرْتَاجِ ... وقد تكونُ قَدِيماً في بَنِي نَاجِ[٥]
إذ لا تُرَجِّي سُلَيْمَى أَنْ يكونَ لَهَا ... مَنْ بِالخَوَرْنَقِ مِنْ قَيْنٍ وَنَسَّاجِ[٦]
ولا يكونَ على أبوابِها حَرَسٌ ... كما تَلَفَّفُ قِبْطِيٌّ بِدِيباجِ
تَمْشِي بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ ... مَشْيَ المُقَيَّدِ في اليَنْبُوتِ والحَاجِ[٧]

قال: وقال في النّعمان: [الطويل]

لَحَا اللَّهُ أَدْنَانا إلى اللُّؤْمِ زُلْفَةً ... وَأَلأَمَنا خَالاً وأَعْجَزَنَا أَبَا[٨]
وَأَجْدَرَنا أَنْ يَنْفُخَ الكِيرَ خَالُهُ ... يَصُوغُ القُروطَ والشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا[٩]

---

(١) نزحت البئر: قلّ ماؤها كثيراً. والثَّمَد: الماء القليل.
(٢) الكَبَّة: الحملة في الحرب.
(٣) الحوليّ: الذي أتى عليه حولٌ، أي سنة. والقارح: الذي شقّ نابه وطلع أي استتم الخامسة.
(٤) المسالح: جمع المسلحة: القوم ذوو السلاح.
(٥) الخَبت: ما انخفض من الأرض وغمض، وهو اسم لعدة مواضع (٢: ٣٤٣). وفِرتاج: اسم لعدة مواضع منها موضع في بلاد طيّئ أو ماء لبني أسد وغيرها (معجم البلدان ٤: ٢٤٦).
(٦) الخورنق: قصر النعمان بظهر الحيرة (معجم ما استعجم ٥١٦).
(٧) الينبوت: نبت ذو شوك. والحاج: نوع من الشوك.
(٨) الزُلفة: القربة والدّرجة.
(٩) الكير: زِقّ ينفخ فيه الحدّاد. والشنوف: جمع الشنف: القرط.

أخبرني الحسين بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمَشْقِيّ قال: حَدَّثنا الزبير بن بَكّار قال: حَدَّثني عليّ بن المُغِيرة عن ابن الكلبيّ عن رجل من النَّمِر بن قاسط قال: لمّا حضرت عمروَ بنَ كلثوم الوفاةُ وقد أتت عليه خمسون ومائةُ سنة، جمع بنيه فقال: يا بَنِيَّ، قد بلغتُ من العمر ما لم يبلُغْه أحدٌ من آبائي، ولا بدّ أن ينزلَ بي ما نزل بهم من الموت. وإنّي والله ما عَيَّرْتُ أحداً بشيء إلاَّ عُيِّرْتُ بمثله، إن كان حقًّا فحقًّا، وإن كان باطلاً فباطلاً. ومَنْ سَبَّ سُبَّ؛ فكُفُّوا عن الشَّتْم فإنّه أسلمُ لكم، وأَحْسِنوا جِوَارَكم يَحْسُنْ ثناؤكم، وامنعوا من ضَيم الغريب؛ فَرُبَّ رجلٍ خيرٌ من ألف، ورَدٌّ خيرٌ من خُلْف. وإذا حُدِّثْتم فَعُوا، وإذا حَدَّثْتم فأوجِزوا؛ فإنَّ مع الإكثار تكون الأهذار[1]. وأشْجَعُ القوم العَطُوفُ بعد الكَرِّ، كما أنَّ أكرمَ المنايا القتل. ولا خيرَ فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغَضَب، ولا مَنْ إذا عُوتِبَ لم يُعْتِبْ. ومِنَ النَّاس مَنْ لا يُرْجَى خيرُه، ولا يُخَافُ شرُّه؛ فبَكْؤه خيرٌ من دَرِّه[2]، وعقوقُه خيرٌ من بِرِّه. ولا تتزوّجوا في حَيِّكم فإنه يؤدّي إلى قبيح البُغْض.

صوت

[الكامل]

لِـمَـنِ الـدِّيَـارُ بِـبُـرْقَـةِ الـرَّوْحَـانِ ... إذ لا نَـبِـيـعُ زَمَـانَـنَـا بِـزَمَـانِ[3]

صَـدَعَ الـغَـوَانِـي إذ رَمَـيْـنَ فُـؤَادَهُ ... صَـدْعَ الـزُّجَـاجَـةِ مـا لِـذَاكَ تَـدَانِـي

إنْ زُرْتُ أَهْـلَـكِ لـم أُنَـوَّلْ حَـاجَـةً ... وإذا هَـجَـرْتُـكِ شَـفَّـنِـي هِـجْـرَانِـي

الشّعر لجرير يهجو الأخطلَ ويردّ عليه حكومَته التي حكم بها للفرزدق عليه، والغناء، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجِّم في كتابه الذي لقّبه بالمحدَث، لِمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى، وذكر الهشاميّ أنّه لحُنَيْن، قال ويقال: إنه لمعبد. وفيه ليزيدِ حَوْراء لحنٌ ذكره عبد الملك بن موسى عنه، وقال: لا أدري أهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل، وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيلَ الأوّل للغَرِيض وأنّ خفيف الرمل بالبنصر للدَّلاَل.

---

(١) الأهذار: جمع الهذر: الكلام الساقط الرديء.

(٢) بَكْؤه: قِلّة عطائه. والدَّرّ: العطاء والخير.

(٣) بُرقة الرّوحان: روضة تنبت الرّمث باليمامة (معجم البلدان ١: ٣٦٥).

ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل

[النقائض بين جرير والأخطل وسببها]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ قالا: حَدَّثنا أبو سعيد السكَّريّ عن محمد بن حبيبَ عن أبي عُبَيْدة وعن أبي غسّان دَمَاذٍ عن أبي عُبَيْدة، وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدَّثنا أبو ذَكْوان القاسم بن إسماعيل قال: حَدَّثنا أبو غسّان عن أبي عُبَيْدة، وأخبرنا الصُّوليّ عن إبراهيم بن المُعَلَّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ، وقد جمعتُ رواياتهم، قالَ أبو عبيدة: حدَّثني عامر بن مالك المِسْمَعِيّ قال: كان الذي هاجَ التَّهاجِيَ بين جريرٍ والأخطل أنّه لمّا بلغَ الأخطلَ تَهَاجِي جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ - وهو أكبر ولده وبه كان يُكْنَى -: انْحَدِرْ إلى العراق حتّى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما. فانحدَر مالكٌ حتى لَقِيَهما، وسمع منهما ثم أتى أباه. فقال له: كيف وجدتَهما؟ قال: وجدتُ جريراً يغرِفُ من بَحْر، ووجدت الفرزدق ينحتُ من صخر. فقال الأخطلُ: الذي يغرِفُ من بحرٍ أشعرُهما؛ وقال يُفَضِّل جريراً على الفرزدق: [البسيط]

إنِّي قَضَيْتُ قَضَاءً غيرَ ذِي جَنَفٍ ... لَمَّا سَمِعْتُ ولَمَّا جَاءَنِي الخَبَرُ[1]
أنَّ الفَرَزْدَقَ قد شَالَتْ نَعَامَتُهُ ... وعَضَّهُ حَيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ذَكَرُ[2]

وفي رواية ابن الأعرابيّ «قد سالَ الفُرَاتُ به»، قال أبو عُبَيْدة: ثم إن بِشْرَ بن مَرْوان دخل الكوفة، فقدِمَ عليه الأخطلُ، فبعثَ إليه محمدُ بن عُمَيْر بن عُطَارِد بن حاجِب بن زُرَارة بألف درهم وكُسْوة وبَغْلة وخَمْر، وقال له: لا تُعِنْ عليَّ شاعرنا،

---

(١) الجَنَف: الجَوْر والميل عن العدل والحق.
(٢) شالت نعامته: خَفّ وغضب ثم سَكَنَ.

واهجُ هذا الكلبَ الذي يهجو بني دارم؛ فإنك قد قضيتَ على صاحبنا، فقُلْ أبياتاً واقْضِ لِصَاحبنا عليه. فقال الأخطل: [الكامل]

أَجَـرِيـرُ إِنَّـكَ والَّـذي تَـسْـمُـو لـه ... كَأَسِيفَةٍ فَخَرَتْ بِحِدْجِ حَصَانِ[١]

عَـمِـلَـتْ لِـرَبَّـتِـهَـا فَـلَـمَّـا عُـولِـيَـتْ ... نَسَلَتْ تُعَارِضُها مَعَ الرُّكْبَانِ[٢]

أَتَـعُـدُّ مَـأْثَـرَةً لِـغَـيْـرِكَ فَـخْـرُهـا ... وثَنَاؤُهـا فـي سَالِـفِ الأَزمـانِ

تَـاجُ الـمُـلـوكِ وفَـخْـرُهُـمْ فـي دَارِمٍ ... أَيَّـامَ يَـرْبُـوعٌ مِـنَ الـرُّعْـيَـانِ

وهي طويلة يقول فيها:

فَاخسَأْ إليكَ كُلَيْبُ إنَّ مُجَاشِعاً ... وَأَبَا الفَوَارِسِ نَهْشَلاً أَخَوَانِ

سَبَقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ أَعْلَى تَلْعَةٍ ... في المَجْدِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الرُّكْبَانِ

قَوْمٌ إذا خَطَرَتْ عَلَيْكَ قُرُومُهُمْ ... أَلْقَتْكَ بَيْنَ كَلاكِلٍ وجِرَانِ[٣]

وإذا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ ... رَجَحُوا وشَالَ أبوكَ في المِيزَانِ[٤]

وقال جرير يَرُدُّ حكومة الأخطل: [الكامل]

لِـمَـنِ الـدِّيَـارُ بِـبُـرْقَـةِ الـرَّوْحَـانِ ... إذ لا نَـبِـيـعُ زَمَـانَـنَـا بِـزَمَـانِ

وهي طويلة يقول فيها:

يَـا ذَا الـغَـبَـاوَةِ إنَّ بِـشْـراً قـد قَـضَـى ... أَلاَّ تَـجُـوزَ حُـكُـومَـةُ الـنَّـشْـوَانِ[٥]

فَدَعُوا الحُكُومَةَ لَسْتُمُ مِنْ أَهْلِهَا ... إنَّ الحُكُومَةَ في بَنِي شَيْبَانِ

قَتَلُوا كُلَيْبَكُمُ بِلِقْحَةِ جَارِهِمْ ... يَا خُزْرَ تَغْلِبَ لَسْتُمُ بِهِجَانِ[٦]

ومما غُنِّيَ فيه من نقائض جرير والأخطل:

---

(١) الأسيفة: الأَمَة. والحِدج: مركب من مراكب النساء. والحَصَان: العفيفة الحُرَّة.

(٢) نسلت: أسرعت في المشي.

(٣) القروم: جمع القرم: السيد العظيم. والكلاكل: جمع الكلكل: الصدر. والجِران: باطن عنق البعير.

(٤) شال في الميزان: غُلِبَ في المفاخرة، وشال الميزان: ارتفعت إحدى كَفَّتيه.

(٥) النشوان: السّكران.

(٦) اللِّقحة: الناقة الحلوب. والخزر: جمع الأخزر. هو ضَيّق العين وصغيرها، والهِجان من كلّ شيء: خيارُهُ وخالصُه.

صوت

[الطويل]

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لم يَتَسَرْبَلُوا(١)
فَقُلْتُ اصْبَحُونِي لا أَبَا لأَبِيكُمُ وما وَضَعُوا الأَثْقَالَ إِلاَّ لِيَفْعَلُوا
تَمُرُّ بها الأَيْدِي سَنِيحاً وبَارِحاً وتُرْفَعُ بِاللَّهُمَّ حَيَّ وتُنْزَلُ

الشَّاصيات: الشائلات القوائم من امتلائها، وعَنَى بالشّاصيات ها هنا الزِّقاق، لأنها إذا امتلأتْ شالت أكارعُها؛ يقال: شَصَا بِرجلِهِ إذا رفعها، وَشَصَا ببصره إذا شَخص؛ قال الراجز يصف الشاخصَ: [مجزوء الرجز]

وبَقَرٍ خِمَاصِ يَنْظُرْنَ مِنْ خَصَاصِ(٢)
بِأَعْيُنٍ شَوَاصِ كَفِلَقِ الرَّصَاصِ(٣)

والسّانح والسَّنيح: ما جاء عن يمينك يريد شمالَك، والبارح: ما جاء عن شِمالك يريد يمينَكَ، والجابهُ: ما جاء من أمامك مواجهاً لك، والقَعِيدُ والخَفِيفُ: ما جاء من ورائك. شبّه دَوْرَ الكأس واختلافَها بينهم بالسوانح والبوارح. الشعر للأخطل، والغناء لمالك، فيه لحنان كلاهما له، أحدُهما رَمَلٌ بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الوِلاَء من رواية إسحاق، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الثالث ثم الأوّل والثاني عن عمرو، وذكر عمرو أنّ الرمَلَ أيضاً لابن سُرَيْج وأنه بالوسطى، وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر في الأوّل والثاني عن الهشاميّ وعمرو، وفيه لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ. ومنها:

صوت

[البسيط]

خَفَّ القَطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وأَزْعَجَتْهُمْ نَوًى في صَرْفِهَا غِيَرُ(٤)
كأَنَّنِي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتُبِدَّ بِهِمْ مِنْ قَرْقَفٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أَوْ جَدَرُ(٥)

---

(١) الشّاصيات: جمع الشّاصية: هي الزِّقاق المملوءة الشائلة القوائم والقِرَب. لم يتسربلوا: لم يرتدوا السرابيل.
(٢) خِماص: ضامرات البطون. والخَصاص: جمع خصاصة: الخرق في الباب أو الفرجة.
(٣) أعين شواصي: شاخصات. والفِلَق: جمع الفلقة: القطعة.
(٤) القطين: جمع القاطن: أهل الدار. والنوى: البعد. وغِيَرُ الدهر: أحداثه.
(٥) جدر: قرية بين حمص والسلمية تنسب إليها الخمر (معجم البلدان ٢: ١١٣).

جَادَتْ بِهَا مِنْ ذَوَاتِ القَارِ مُتْرَعَةٌ ... كَلْفَاءُ يَنْحَتُّ مِنْ خُرْطومِهَا المَدَرُ
يا قَاتَلَ اللَّهُ وَصْلَ الغَانِياتِ إذا ... أَيْقَنَّ أَنَّكَ مِمَّنْ قد زَهَا الكِبَرُ
أَعْرَضْنَ لَمَّا حَنَى قَوْسِي مُوَتِّرُها ... وابْيَضَّ بَعْدَ سَوَادِ اللِّمَّةِ الشَّعَرُ

اسْتُبِدَّ بهم أي غُلِبَ عليهم، والقَرْقَفُ: التي تأخذ شاربَها رِعدة لِشِدَّتها، والكَلْفاءُ: الخابِيَةُ في لونها كَلَفٌ، وقوله «زَهَا الكِبَرُ» يعني استخفَّه وأضعفه؛ يقال: زَهَاه وازْدَهَاه. وقال أبو عُبَيْدة: الأصل في زَهَاهُ رَفَعَه؛ فكأنه أراد أنه رفعه في عُلوِّ سِنِّه عَمَّا يُرِدْنَ منه. واللِّمّة: الشعر المجتمع.

الشعر للأخطل يمدَح عبد الملك بن مَرْوان ويهجو قَيْساً وبني كُلَيْب، ويقول فيها: [البسيط]

أَمَّا كُلَيْبُ بنُ يَرْبُوع فليسَ لها ... عِنْدَ التَّفَاخُرِ إيرَادٌ ولا صَدَرُ
مُخَلَّفُون ويَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمُ ... وهُمْ بِغَيْبٍ وفي عَمْيَاءَ ما شَعَرُوا
مُلَطَّمُونَ بِأَعْقَارِ الحِيَاضِ فَمَا ... يَنْفَكُّ مِنْ دَارِمِيٍّ فِيهِمُ أَثَرُ[1]
بِئْسَ الصُّحَاةُ وبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ ... إذا جَرَى فِيهِمُ المُزَّاءُ والسَّكَرُ[2]
قَوْمٌ تَنَاهَتْ إليهم كُلُّ مُخْزِيَةٍ ... وكُلُّ فَاحِشَةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ
الآكِلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحْدَهُمُ ... والسَّائِلونَ بِظَهْرِ الغَيْبِ ما الخَبَرُ

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومُقَدَّمه ومما غُلِّبَ فيه على جرير، وقد احتاج جريرٌ إلى سلخ بيته هذا الأخير فردَّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة، وضَمَّنه بيتين من شعره فقال: [البسيط]

الآكِلُون خَبِيثَ الزَّادِ وَحْدَهُمُ ... والنَّازِلُونَ إذا وَارَاهُمُ الخَمَرُ
والظَّاعِنُونَ على العَمْيَاءِ إِنْ رَحَلُوا ... وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الغَيْبِ ما الخَبَرُ

وفي هذه القصيدة يقول الأخطلُ يمدَح عبدَ الملك: [البسيط]

إلى امْرِئٍ لا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ ... أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلْيَهْنِئْ له الظَّفَرُ
الخَائِضُ الغَمْرَ والمَيْمُونُ طَائِرُهُ ... خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ
والهَمُّ بَعْدَ نَجِيِّ النَّفْسِ يَبْعَثُهُ ... بِالحَزْمِ والأَصْمَعَانِ القَلْبُ والحَذَرُ[3]

(١) الأعقار جمع العُقر: هو مُؤَخَّر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت.
(٢) الشَّرْب: جماعة الشاربين. والمُزَّاء: من أسماء الخمر.
(٣) القلب الأصمع: الذكي الفَطِن المتوقِّد.

وما الـفُـرَاتُ إذا جَـاشَـتْ غَـوَارِبُـهُ في حَافَتَيْهِ وفي أوْسَاطِهِ العُشُرُ[١]
وزَعْزَعَتْهُ رِياحُ الصَّيْفِ واضْطَرَبَتْ فَـوْقَ الْـجَـآجِـئِ مِـنْ آذِيِّـهِ غُـدُرُ[٢]
مُسْحَنْفِرٌ مِنْ جِبَالِ الرُّومِ يَسْتُرُهُ مِـنـهـا أكَـافِـيفُ فـيـهـا دُونَـهُ زَوَرُ[٣]
يَـوْمـاً بِـأجْـوَدَ مـنـه حِـيـنَ تَـسْـألُـهُ ولا بِـأجْـهَـرَ مِـنْـهُ حِـيـنَ يُـجْـتَـهَـرُ
فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبونَ بها مَا إنْ يُوَازَى بِأعْلَىٰ نَبْتِها الشَّجَرُ[٤]
حُشْدٌ على الخَيْرِ عَيَّافُو الخَنَا أُنُفٌ إذا ألَـمَّـتْ بـهـم مَكْرُوهَـةٌ صَبَرُوا[٥]
لا يَسْتَقِلُّ ذَوو الأضْغانِ حَرْبَهُمُ ولا يُـبَـيِّـنُ فـي عِـيـدَانِـهِـمْ خَـوَرُ
شُمْسُ العَدَاوةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُم وأعْظَمُ النَّاسِ أحْلاماً إذا قَدَرُوا[٦]

[أمدح بيت في رأي الرشيد هو بيت الأخطل]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سَعْد قال: حَدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن أبيه: أنّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجُلَسائه: أيُّ بيت مُدِحَ به الخلفاءُ منّا ومن بَنِي أُمَيَّةَ أفْخَرُ؟ فقالوا وأكثروا. فقال الرشيد: أمْدَحُ بيتٍ وأفخرُهُ قولُ ابن النَّصْرَانِيَّة في عبد الملك: [البسيط]

شُمْسُ العَدَاوةِ حتى يُسْتَقَادَ لهم وأعْظَمُ النَّاسِ أحْلاماً إذا قَدَرُوا

[آدم بن عمر بن عبد العزيز يمدح الأخطل في مجلس المهدي]

أخبرني الحسن قال: حدَّثنا ابن مهرويه قال: حدَّثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: قال المهدي يوماً وبين يديه مَرْوان بن أبي حَفْصة: أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور: [الطويل]

لـه لَحَظَاتٌ عـن حِفَافَيْ سَرِيرِه إذا كَرَّهـا فـيـهـا عِقَابٌ ونَائِلُ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهاتَ والله يا أمير المؤمنين أن

(١) الغوارب: الأمواج العالية. والعُشَر: نوع من الشجر.
(٢) الجآجئ: جمع الجؤجؤ: مقدّم السفينة. والآذيّ: الموج. والغُدُر: جمع الغدير.
(٣) مسحنفر: مسرع في جريه. والأكافيف: حروف الجبل الناتئة. والزَّوَر: الميل والاعوجاج.
(٤) النَّبعة: شجرة يُتَّخذ منها القسيّ. ويعصبون بها: يلزمونها ويلتفون حولها.
(٥) الخنا: الفاحشة والذلّ. والأُنُف: أصحاب أنَفة ورفعة.
(٦) شُمسُ: جمع شموس: الشديد على عدوّه.

يقول هذا ولا ابنُ هَرْمة كما قال الأخطل: [البسيط]

شُمْسُ العَدَاوةِ حتى يُسْتَقَادَ لهم وأَعْظَمُ النَّاسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

قال: فغضِبَ المهديّ حتى استشاط وقال: كذَبَ والله ابنُ النَّصرانيّة العاضُّ بَظْر أُمّه وكذبْتَ يا عاضَّ بَظْرِ أمِّك! والله لولا أن يقال: إنّي خَفَرْتُ[1] بكَ لَعَرَّفْتُكَ مَنْ أكثرُ شِعراً! خذوا برِجْلِ ابن الفاعلة فأخرِجوه عنّي! فأخرَجوه على تلك الحال، وجعل يشتُمُه وهو يُجَرُّ ويقول: يابن الفاعلة! أراها في رؤوسكم وأنفسكم!

صوت

[البسيط]

إنِّي أَرِقْتُ ولم يَأْرَقْ مَعِي صَاحِ لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْدَ النَّوْمِ لَوَّاحِ

دَانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرْضِ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

عَروضه من البسيط، الشعر لأوْس بن حَجَر ـ وهكذا رواه الأصمعيّ، أخبرنا بذلك اليزيديّ عن الرِّياشيّ عنه، ووافقه بعض الكوفيين، وغير هؤلاء يرويه لعُبَيدِ بن الأبرص ـ والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى، ولحسين بن مُحْرِز لحنٌ في البيت الثاني وبعده:

إنْ أَشْرَبِ الخَمْرَ أَوْ أُغْلَى بِهَا ثَمَناً فَلا مَحَالَةَ يَوْماً أَنَّنِي صَاحِ

وطريقته خفيف رمل بالوسطى. قوله: مُسْتكفّ: يعني مستديراً؛ وكلُّ طُرَّة كِفَّة.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدَّثنا الرِّياشي قال: حَدَّثنا الأصمعيّ قال: سمعت أبا مهديّ يقول وهو يصفُ شُجَاعاً[2] عرض له في طريقه: تبعني شجاعٌ من هذه الشُّجعان، فمرَّ خلفي كأنه سهمٌ زالجٌ، فحِدْتُ عنه، واستكفَّ كأنه كُفَّةُ حابلٍ، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه[3]. وكذلك يقال كُفَّة الحابل وكِفّة الميزان بالكسر، والأولى مضمومة. ولَوَّاح: من قولهم لاَحَ يلوحُ إذا ظهر. ومُسِفّ: قد أَسَفَّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرُبَ منها أو دنا إليها؛ ومن هذا يقال:

---

(١) خفرتُ بك: غدرت بك.

(٢) الشجاع: ضرب من الحيّات.

(٣) أثناء: جمع ثِني: مطاوي الحية إذا تثنت.

أسَفَّ الطَّائرُ إذا طار على وجه الأرض؛ ويقال ذلك لِلسَّهم أيضاً. وهَيْدَبُهُ: الذي تراه كالمُتَعَلِّق بالسَّحاب. يقول: هذا السَّحاب يكاد من قام أن يمسّه ويدفعه براحته لقربه من الأرض؛ وهو أحسن ما وُصِفَ به السحاب.

ذكر أَوْس بن حَجَرٍ وشيء من أخباره

[٩٨ ـ نحو ٢ق.هـ/ ٥٣٠ ـ نحو ٦٢٠ م]

[نسبه وطبقته بين الشعراء]

وقد اختُلِفَ في نسبه، فقال الأصمعيّ، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ عن الرياشي عنه: هو أَوْسُ بن حَجَرِ بن مالك بن حَزْن بن عُقَيْل بن خَلَف بن نُمَيْر. وقال ابن حبيب، فيما ذكره السكّريّ عنه: هو أوس بن حجر من شعراء الجاهليّة وفحولها. وذكر أبو عُبَيْدة أنه من الطبقة الثالثة، وقَرَنه بالحُطَيْئَة ونابغة بني جَعْدة.

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: قال أبو عبيدة حدَّثنا يونس عن أبي عمرو قال: كان أَوسٌ شاعرَ مُضَر حتى أسقطه النّابغةُ وزُهَيْر، فهو شاعر تميم في الجاهليّة غير مُدَافَع.

أخبرنا أحمد قال: حَدَّثنا عمر قال: حَدَّثنا الأصمعيّ قال: سمعت أبا عمرو يقول: كان أَوْس بن حَجَرٍ فَحْلَ الشعراء؛ فلمّا نشأ النّابغةُ طأطأ منه، وأمّا الكلبيّ فإنه زعم أنّ من هذه الطبقة لَبِيدَ بن رَبيعةَ والشَّمَّاخ بن ضِرَار. قال: وتميم إلى الآن مقيمةٌ على تقديم أَوْس. قال: ومنهم، من يقول بتقديم عَدِيٍّ؛ وأنشد لحارثة بن بَدْرٍ الغُدَانيّ: [الكامل]

والشِّعْرُ كانَ مَبِيتُهُ وَمَظَلُّهُ عند العِبَادِيِّ الَّذي لا يُجْهَلُ

وقال يعقوب بن سليمان: قال حمّاد: أدركتُ رجالاً من بني تميم لا يفضّلون على عديّ في الشعر أحداً.

أخبرني اليزيديّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: تميم تروي هذه القصيدة

الحائيّة لِعَبيدٍ، وذلك غلطٌ؛ ومن النّاس من يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورَوِيِّها لتشابههما.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو سَعِيدٍ السُّكّري قال: حَدَّثنا عليّ بن الصبَّاح قال: حَدَّثني عُبَيد اللَّه بن الحسين بن المسوّد بن وَرْدَان مولى رسول الله ﷺ قال: خرج أعرابيٌّ مكفوف ومعه ابنةُ عمٍّ له لِرَعْي غنم لهما، فقال الشيخ: أجدُ ريحَ النَّسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظُرِي. فقالت: أراها كأنّها رَبْرَبُ[1] مِعْزَى هَزْلَى. قال: ارْعَيْ واحذَرِي، ثم قال لها بعد ساعة: إنّي أجدُ ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظُري. قالت: أراها كأنها بِغالٌ دُهْمٌ[2] تجرُّ جِلالها. قال: ارْعَيْ واحذَرِي. ثم مكثَ ساعةً ثم قال: إني لأَجِدُ ريحَ النسيم قد دنا، فانظُري. قالت: أراها كأنها بطن حمارٍ أَصْحَرَ. فقال: ارعي واحذَري. ثم مكث ساعةً فقال: إنّي لأَجِدُ ريح النسيم، فما ترين؟ قالت: أراها كما قال الشاعر[3]: [البسيط]

دَانٍ مُسِفٌ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ ... يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ[4]
كَأَنَّمَا بَيْنَ أَعْلاَهُ وَأَسْفَلِهِ ... رَيْطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضَوْءُ مِصْبَاحِ[5]
فَمَنْ بِمَحْفِلِهِ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ ... والمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ

فقال: انْجِي لا أبا لكِ! فما انقضى كلامُهُ حتى هطلت السماء عليهما.

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعيّ.

معنى قول الجارية «كأنها بطن حمار أصحر»: تعني أنه أبيض فيه حمرة، والصُّحرة لونٌ كذلك. وقوله: «فَمَنْ بِمَحْفِله كمن بنجوته»: يعني مَنْ هو بحيث احتفل السّيلُ ـ واحتفالُ كلِّ شيء مُعْظَمُه ـ كمن في نجوته. وقد رُوِيَ «بِمَحْفِشه»، وهما واحد، ومعناهما مجرى معظم السيل. يقول: فمَنْ هو في هذا الموضع منه كمن بِنَجْوته (أي ناحية عنه) سواءً لكثرة المطر. والقِرْواح: الفضاء، يقال قِرْواحٌ

(١) الرَّبْرَب: القطيع من بقر الوحش أو من البقر الأليف، وهو القطيع عامّة.
(٢) الدُّهم: جمع الدَّهماء: الخالصة الحمرة. والأدهم: الأسود.
(٣) هو أوس بن حجر.
(٤) أسَفَّت السحابةُ: قربت من الأرض. والهيدب: السحاب المتدلّي الذي يقرب من الأرض ويُرى كأنه خيوط عند انصباب المطر.
(٥) الرَّيط: جمع الرَّيطة: كل ملاءة من نسج واحد وقطعة واحدة.

وقِرْياحٌ. ويقال في معنى المَحْفِش: حَفَشت الأوديةُ إذا سالت، وتحفّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه.

[بعض أخباره]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثني عليّ بن أبي عامر السَّهْمِيُّ المِصْريُّ قال: حَدَّثني أبو يوسف الأصبهانيّ قال: حَدَّثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ، وذكر هذا الخبر أيضاً التَّوّزيّ عن أبي عُبَيدة، فجمعت روايتيهما، قالا:

كان أَوْس بن حجر غَزِلاً مُغْرَماً بالنساء؛ فخرج في سفر، حتى إذا كان بأرض بني أَسَدٍ بين شَرْج وناظِرَةَ[1]، فبينا هو ينسير ظلاماً إذا جالت به ناقته فَصَرعته فانْدَقَّتْ فخذاه فباتَ مكانَه؛ حتى إذا أصبح غَدَا جَوَارِي الحيّ يجتنين الكَمْأَة وغيرَها من نبات الأرض والنَّاسُ في ربيع. فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرنَ بناقته تجولُ وقد عَلِقَ زمامها في شجرة وأبصرنه مُلْقًى، ففزِعْنَ فهَرَبنَ. فدعا بجارية منهن فقال لها: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا حَلِيمةُ بنت فَضالةَ بن كَلَدَة، وكانت أصغرَهنّ؛ فأعطاها حَجَراً وقال لها: اذهبي إلى أبيك فقولي له: ابنُ هذا يُقْرِئُكَ السَّلام. فأخبرته فقال: يا بُنَيّة، لقد أتيتِ أباكِ بمدح طويل أو هجاء طويل. ثم احتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيتَه حيث صُرِعَ وقال: والله لا أتحوَّلُ أبداً حتى تبرأ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ، فقال أوس بن حجر في ذلك: [المتقارب]

جُـدِلْـتُ عـلـى لَـيْـلـةٍ سَـاهِـرَهْ ... بِـصَـحْـرَاءِ شَـرْجٍ إلـى نَـاظِـرَهْ[2]
تُـزَادُ لَـيَـالِـيَّ فـي طُـولِـهـا ... فـلـيـسـتْ بِـطَـلْـقٍ ولا سَـاكِـرَهْ[3]
أَنُـوءُ بِـرجـلٍ بـهـا ذِهْـنُـهـا ... وأَعْـيَـتْ بـهـا أُخْـتُـهـا الـغَـابِـرَهْ[4]

وقال في حَلِيمةَ: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ مَـا مَـلَّـتْ ثَـوَاءَ ثَـوِيِّـهـا ... حَـلِـيـمَـةُ إذ أَلْـقَـى مَرَاسِيَ مُـقْـعَـدِ[5]

---

(١) شرج: ماء في ديار بني أسد أو هو جبل في ديار غني أو ماء (معجم البلدان ٣:٣٣٤). وناظرة: ماء لعبس في ديار بني أسد. (معجم البلدان ٥:٢٥٢).
(٢) جُدلت: صُرِعتُ.
(٣) ليلة طَلْق: لا برد فيها ولا مطر. وليلة ساكرة: ساكنة الريح بعد الهبوب.
(٤) الذِّهن: القوة. والغابرة الباقية.
(٥) الثواء: الإقامة، والثويّ: المقيم.

ولكن تَلَقَّتْ باليَدَيْنِ ضَمَانَتي وحَلَّ بِشَرْجٍ م القَبَائِلِ عُوَّدِي[1]
ولم تُلْهِهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ إِنَّهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أُكْرُومَةٍ وَتَخَرُّدِ[2]
سَأَجْزِيكِ أَوْ يَجْزِيكِ عَنِّي مُثَوِّبٌ وقَصْرُكِ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكِ وتُحْمَدِي[3]

قالا: ثم مات فَضَالةُ بن كَلَدَة، وكان يكنى أبا دُلَيْجة، فقال فيه أوْس بن حَجَرٍ يرثيه: [البسيط]

يا عَيْنُ لا بُدَّ مِنْ سَكْبٍ وتَهْمَالِ على فَضَالَةَ جَلَّ الرُّزْءُ والعَالِي

ويروى «عَيْنَيَّ». العالي: الأمر العظيم الغالب، وهي طويلة جداً. وفيها مما يُغَنَّى فيه:

صوت

أَبَا دُلَيْجَةَ مَنْ تُوصِي بِأَرْمَلَةٍ أَمْ مَنْ لأَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ مِمْحَالِ[4]
أَبا دُلَيْجَةَ مَنْ يَكْفِي العَشِيرةَ إِذْ أَمْسَوْا مِنَ الأَمْرِ في لَبْسٍ وبَلْبَالِ[5]
لا زَالَ مِسْكٌ ورَيْحَانٌ لَهُ أَرَجٌ على صَدَاكَ بِصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالِ[6]

غَنَّى فيه دَحْمان خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو، وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رَمَلاً بالوسطى عن عمرو، وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رملاً بالبنصر، ولداود بن العباس ثاني ثقيل، ولابن جامع خفيف ثقيل.

ومن فاضل مراثيه إياه ونادِرِها قوله: [المنسرح]

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذي تَكْرَهِينَ قد وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَّعَ السَّمَاحَةَ والـ نَّجْدَةَ والحَزْمَ والقُوَى جُمَعَا[7]

---

(١) الضمانة: الداء في الجسد من كبر أو مرض.
(٢) التخرُّد: الحياء والخجل.
(٣) قصرك: قصاراك: غايتك وكفايتك.
(٤) الأشعث: المغبرّ الشعر المتلبّدة. والطِّمر: الثوب البالي. والممحال: المجدب المقفر.
(٥) اللَّبْس: الاختلاط وعدم الوضوح. والبَلبال: الهم والوسواس.
(٦) الصّدى: جثة الميت في قبره. بصافي اللّون سلسال: يدعو لقبره بالسُّقيا.
(٧) القُوَى: العقل.

المُخْلِفَ المُتْلِفَ المُرَزَّأَ لم يُمْتَعْ بِضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعَا[1]
أَوْدَى وهَلْ تَنْفَعُ الإشَاحَةُ مِنْ شَيْءٍ لِمَنْ قَدْ يُحَاوِلُ البِدَعَا[2]

وهي قصيدة أيضاً يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته، وله فيه قصائد غير هذه.

صوت

[الطويل]

رَأَيْتُ زُهَيراً تحتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالعَجُولِ أُبَادِرُ
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِداً وَيَمْنَعُهُ مِنِّي الحَدِيدُ المُظَاهَرُ

عروضه من الطويل، الشعر لوَرْقاء بن زُهَيْر، والغناء لِكَرْدَمٍ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبدٍ، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم، وروى عن أبيه عن سِيَاط عن يونس أنه أخذه من كَرْدَمٍ وأعلمه أنَّ الصَّنعة فيه له.

(١) المتلف: الذي يتلف ماله كَرَماً. والمُرَزَّأ: الذي تناله الرزيّات. والطَّبَع: العيب وسوء الخلق.
(٢) أودى: هلك. والإشاحة: الحَذَر.

خبر وَرْقاء بن زُهَير ونسبُه وقصة شعره هذا

[نسبه ومناسبة الشعر]

هو وَرْقاء بن زُهَيْر بن جَذِيمةَ بن رَواحةَ بن رَبِيعةَ بن مازِن بن الحارث بن قُطَيْعَة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقوله لما قَتل خالد بن جعفر بن كِلاَب بن رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعةَ بن مُعَاويةَ بن بكر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمةَ بن خَصَفَةَ، أباه زُهَيْرَ بن جَذِيمة. وكان السبب في ذلك ـ فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبِيبُ بن نَصْر قالا: حَدَّثنا عمر بن شَبّة، ونسخت بعضَ هذا الخبر عن الأَثْرَم وروايةِ ابن الكلبيّ، وأضفتُ بعضَ الرّوايات إلى بعض إلاّ ما أفردته وجلبته عن راويه. قال أبو عُبَيدة: حَدَّثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عَبْد بن جُلْهُمةَ بن حَدّاق بن يَرْبُوع بن سَعْد بن تَغْلِب بن عَوْف بن جِلاَّن بن غَنْم بن أَعْصُر، قال: حدَّثني أبي عبد الواحد وعَمِّي صفْوانُ ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عَمَّن أدرك شَأْسَ بنَ زُهَيْر. قال: كان مولد عاصم قبل مبعث النّبيّ ﷺ، وكان عاصم جاهليًّا. قال: وقال عبد الحميد: حَدَّثني سيّار بن عمرو أحد بني عُبَيد بن سَعْد بن عَوْف بن جِلاّن بن غَنْم ـ قال أبو عبيدة: وكان أَعْلَمَ غَنِيّ ـ عن شيوخهم .: أن شَأْسَ بن زُهَيْر بن جَذِيمةَ أقبل من عند ملك ـ قال أبو عُبَيْدة: أُراه النعمان ـ وكان بينه وبين زُهَير صِهْر ـ قال أبو عبيدة: ثم حدَّثني مرّة أُخرى قال: كانت ابنةُ زُهَيْر عنده ـ فأقبل شأْس بن زُهَيْر من عنده وقد حَبَاه أفضلَ الحُبْوة مِسْكاً وكُساً وقُطُفاً وطَنَافِسَ! فأناخَ ناقتَه في يوم شَمَالٍ وقُرّ[1] على رَدْهةٍ[2] في جبلٍ ورِيَاحُ بنُ الأَسَكِّ أحدُ بني رباع بن

(١) الشَّمال: الريح تهبّ من جهة الشمال. والقُرّ: البرد.
(٢) الرَّدهة: نقرة في الجبل أو صخرة يتجمع فيها الماء.

عبيد بن سَعْد بن عَوْف بن جِلاّن على الرَّدْهةِ ليس غيرُ بيته بِالجبل، فأنشأ شأس يغتسلُ بين الناقة والبيت؛ فاستدبره[١] رِياحٌ فأَهْوَى له بسهم فبَتَرَ به صُلْبَه. قال أبو عُبَيْدة وحدّثني رجل يُخَيَّل إليّ أنه أبو يحيى الغَنَويّ قال: وردَ شأسٌ وقد حباه الملك بِحُبوةٍ فيها قطيفةٌ حمراء ذات هُدْب وطِيب، فورَد مَنْعِجاً[٢] وعليه خِباءٌ مُلْقًى لِرِيَاح بن الأَسَكّ فيه أَهلُه في الظَّهيرة؛ فأَلْقَى ثيابَه بِفِنائه ثم قعدَ يُهرِيقُ عليه الماء، والمرأة قريبةٌ منه (يعني امرأة رِياح) فإذا هو مثل الثّور الأبيض. فقال رياح لامرأته: أَنْطِيني[٣] قَوْسِي؛ فمدَّتْ إليه قوسه وسهماً، وانتزعت المرأة نَصْلَه لئلا يقتله؛ فأهوى عَجْلانَ إليه. فوضع السهمَ في مُسْتَدَقِّ الصُّلْب بين فَقَارتين ففصلهما، وخَرَّ ساقطاً؛ وحفَرَ له حَفَراً فهدَمَه عليه، ونحر جمله وأكله. قال: وقال عبد الحميد: أكل رَكُوبَتَهُ وأولجَ متاعَه بيتَهُ. وقال عبد الحميد: وفُقِدَ شَأْسٌ وقُصَّ أَثَرُهُ[٤] ونُشِدَ، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله. فقال لهم الملك: حبوته وسَرَّحْتُه. فقالوا: وما متّعته به؟ قال: مِسْكٌ وكُساً ونُطُوع وقُطُفٌ[٥]. فأقبلوا يقصُّون أثره فلم تتَّضِحْ لهم سبيلُه. فمكثوا كذلك ما شاء الله، لا أدري كم، حتى رأوا امرأة رِيَاح باعت بِعُكَاظَ قطيفةً حمراء أو بعض ما كان من حبَاء الملك، فعُرِفَتْ وتيقَّنوا أنَّ رياحاً ثَأرُهم. قال أبو عُبَيْدة: وزعم الآخر قال: نَشَدَ زُهَيْر بن جَذِيمةَ النَّاسَ، فانقطعَ ذِكْرُه على مَنْعج وَسْطَ غَنِيّ[٦]، ثم أصابت النَّاسَ جائحةٌ[٧] وجوعٌ، فنحر زُهَيرٌ ناقةً، فأعطى امرأةً شَطَّيْها[٨] فقال: اشتري لي الهُدْبَ والطِّيبَ. فخرجتْ بذلك الشَّحم والسَّنام تبيعه حتى دَفَعت[٩] إلى امرأة رِياح، فقالت: إنَّ معي شَحْماً أبيعه في الهُدْبِ والطِّيب؛ فاشترت المرأة منها. فأتت المرأةُ زهيراً بذلك، فعرف الهُدْبَ. فأتى زهير غَنِيًّا، فقالوا: نعم! قتله رياح بن الأَسَكّ، ونحن بُرَءَاءَ منه.

---

(١) استدبره: جاءه من الخلف.

(٢) منعج: وادٍ بين حفر أبي موسى والنباج (معجم البلدان ٥: ٢١٣).

(٣) أنطيني: أعطيني.

(٤) قُصَّ أثره: بُحِث عنه.

(٥) النطوع: جمع النطع: بساط من الجلد. والقُطُف: جمع القطيفة: ثوب يلقيه الرجل على نفسه.

(٦) غَنِيّ: حَيّ من غطفان.

(٧) الجائحة من السنين: الجدبة.

(٨) شَطّيها: جانبي سنامها.

(٩) دفعت: انتهت.

وقد لَحِقَ بخاله من بني الطَّمَّاح وبني أسد بن خُزَيْمَة، فكان يكون اللَّيلَ عنده ويظهر في أَبَانَ[١] إذا أحسَّ الصّبحَ، يرمي الأَرْوَى[٢]؛ إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده وعَبْسٌ تُرِيغُه[٣]. فركب خالُه جملاً وجعله على كِفْلٍ[٤] وراءه. فبينا هو كذلك إذ دَنَتْ، فقالوا: هذه خيل عَبْسٍ تطلبك. فطَمَر[٥] في قاع شجر فحفر في أصل سُوقه. ولقيت الخيلُ خالَه فقالوا: هل كان معك أحدٌ؟ قال: لا. فقالوا: ما هذا المَرْكَبُ وراءَكَ؟ لَتُخْبِرَنَّا أو لَنقتلنَّكَ! قال: لا كَذِبَ، هو رياح في ذلك القاع. فلمّا دَنَوْا منه قال الحُصَيْنان[٦]: يا بني عَبْسٍ دَعُونا وثأْرَنا، فَخَنسوا[٧] عنهما. فأخذ رياح نَعْلَين من سِبْتٍ[٨] فصيّرهما على صدره حِيالَ كبده، ونادَى: هذا غزالُكما الذي تبغِيان. فحمل عليه أحدهما فطعنه، فأزالت النعلُ الرمحَ إلى حيث شاكلته، ورماه رياحٌ مُوَلِّياً فجذمَ[٩] صُلْبَه. قال: ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شيئاً، ورماه مُوَلِّياً فصرَعه. فقالت عَبْسٌ: أين تذهبون إلى هذا! والله ليقتلنّ منكم عَدَدَ مَرَامِيه، وقد جرحاه فسيموت. قال: وأخذ رياح رُمْحَيْهما وسَلَبَيْهما وخرج حتى سَنَدَ إلى أَبَانَ. فأتته عجوزٌ وهو يَسْتَدْمِي على الحوض ليشربَ منه وقالت: استأْسِرْ تَحْيَ؛ فقال: جَنِّبِيني[١٠] حتى أشربَ. قال: فأبتْ ولم تَنْتهِ. فلمّا غلبته أخذ مِشْقصاً[١١] وكَنَع به كُرْسُوعَيْ[١٢] يَدَيْها. قال فقال عبد الحميد: فلمّا استبان لزهير بن جَذِيمةَ أنّ رِياحاً ثَأَرُه قال يرثي شأساً: [الطويل]

بَكيتُ لِشَأْسٍ حينَ خُبِّرْتُ أَنَّهُ ... بِمَاءِ غَنِيٍّ آخِرَ اللَّيْلِ يُسْلَبُ

---

(١) أبان: جبل وهو اثنان: أبان الأبيض وهو العلم لبني فزارة وعبس، والأسود وهو لبني فزارة خاصة (معجم البلدان ١: ٦٢).
(٢) الأروى: جمع الأروية: أنثى الوعول.
(٣) تُريغه: تطلبه.
(٤) الكِفْل: شيء مستدير يُتَّخَذ من قطع الثوب ويوضع على الحدبة التي في ظهر الجمل.
(٥) طمر: استخفى.
(٦) الحصينان: هما الحُصين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة ابن أخي زهير.
(٧) خنسوا: تأخروا.
(٨) السِّبْت: كل جلد مدبوغ.
(٩) جذم: قطع.
(١٠) جنّبيني: ابتعدي عني.
(١١) المِشقص: نصل عريض.
(١٢) كنع: ضرب. والكرسوع: طرف الزَّنْد الذي يلي الخنصر.

لـقـد كَـانَ مَـأْتَـاهُ الـرِّدَاهَ لِـحَـتْـفِـهِ ... ومـا كـانَ لـولا غِـرَّةُ الـلَّـيْـلِ يُـغْـلَـبُ
قَـتِـيـلُ غَـنِـيٍّ لَـيـسَ شَـكْـلٌ كَـشَـكْـلِـهِ ... كَذَاكَ لَعَمْرِي الحَيْنُ لِلْمَرْءِ يُجْلَبُ[١]
سـأبـكـي عـلـيـهِ إنْ بـكـيـتُ بِـعَـبْـرَةٍ ... وحُـقَّ لِـشَـأْسٍ عَـبْـرَةٌ حـيـن تُـسـكَـبُ
وحُـزْنٌ عـلـيـهِ مـا حَـيِـيـتُ وعـولـةٌ ... على مِثْلِ ضَوْءِ البَدْرِ أو هو أَعْجَبُ
إذا سِـيـمَ ضَـيْـماً كـانَ لِـلـضَّـيْـمِ مُـنْـكِـراً ... وكانَ لَدَى الهَيْجَاءِ يُخْشَى ويُرْهَبُ[٢]
وإنْ صَـوَّتَ الـدَّاعِـي إلـى الـخَـيْـرِ مَـرَّةً ... أَجَابَ لِـمَـا يَـدْعُـو لـه حِـيـنَ يُـكْـرَبُ
فـفَـرَّجَ عـنـهُ ثُـمَّ كَـانَ وَلِـيَّـهُ ... فقَلْبِي عَلَيْهِ لو بَدَا القَلْبُ مُلْهَبُ

وقال زُهَيْر بن جَذِيمةَ حين قُتِلَ شَأْس: شأْسٌ وما شأس! والبأس وما البأس! لولا مقتلُ شأس، لم يكن بيننا بأس. قال: ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يَقْدِرُ على غَنَوِيٍّ إلاّ قتله.

قال عبد الحميد: فغزتْ بنو عَبْسٍ غَنِيًّا قبل أن يطلبوا قَوَداً[٣] أو دِيَةً مع أخي شأس الحُصَيْنِ بن زُهَيْر بن جَذِيمة والحُصَيْن بن أَسِيدِ بن جَذِيمةَ ابن أخي زُهَير. فقيل ذلك لِغَنِيّ، فقالت لِرياحٍ: انْجُ، لعلّنا نُصالحُ على شيء أو نُرضيهم بِديةٍ وفِدَاء. فخرج رياح رَدِيفاً[٤] لِرجلٍ من بني كِلاَب ـ وزعم أبو حيّة النُّمَيْريّ أنه من بني جَعْد ـ وكان معهما صُحَيْفَةٌ فيها آرابُ لَحْم[٥]، لا يَرَيان إلا أنهما قد خالفا وجهةَ القوم، فأوجفا أيديَهما في الصُّحَيْفةِ فأخذ كلٌّ واحد منهما وَذْرةً[٦] لِيأكلها، مترادِفَيْنِ لا يَقْدِرَانِ على النُّزول. قال: فمرَّ فوق رُؤوسهما صُرَدٌ[٧] فصَرْصَرَ، فألقيا اللَّحمَ وأمسكا بأيديهما وقالا: ما هذا! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً، ومَرَّ الصُّرَدُ فوق رُؤوسهما فصرصَر؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا: ما هذا! ثم عادا الثالثةَ فأخذ كلُّ واحد منهما قطعة، فمرّ الصُّرَدُ فوق رؤوسهما

---

(١) الحَيْن: الهلاك والموت.
(٢) الضَّيم: الظلم. والهيجاء: الحرب.
(٣) القَوَد: قتل القاتل بالقتيل.
(٤) الرّديف: الراكب خلف الراكب.
(٥) آراب لحم: قطع لحم.
(٦) الوذرة: القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها.
(٧) الصُّرَد: طائر أكبر من العصفورة أبيض البطن أخضر الظهر، ضخم الرأس والمنقار، يصيد صغار الحشرات والعصافير.

فصرصر، فألقيا القطعتين؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات، فإذا هما بالقوم أَدْنى ظَلَم (وأدنى ظَلَم أي أدنى شيء) وقد كانا يظنّان أنهما قد خالفا وجهة القوم. فقالَ صاحبه لرياح: اِذْهَبْ فإنّي آتي القوم أُشاغِلُهم عنكَ وأُحَدِّثهم حتى تُعْجِزَهم ثم مَاضٍ إن تركوني. فانحدَر رِياحٌ عن عَجُزِ الجَمل فأخذ أدراجَه وعدا أثر الرّاحلة حتى أتى ضِفَّةَ فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولجَ فيه، ثم أخذ نَعْلَيْه فجعل إحداهما على سُرّته والأُخرى على صَفْنِه[١] ثم شدَّ عليهما العِمامة، ومضى صاحبه حتى لَقِيَ القوم، فسألوه فحدّثهم وقال: هذه غَنِيٌّ كاملة وقد دنوت منهم، فصدّقوه وخَلَّوْا سَرْبَه[٢]. فلمّا وَلَّى رأوا مركبَ الرجل خلفه، فقالوا: مَن الذي كان خلفك؟ فقال: لا مَكْذُبَةَ! ذلك رياح في الأولِ من السَّمُرات[٣]. فقال الحُصَيْنان لمن معهما: قِفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَه فقد أمكننا الله من ثأرنا، ولم يُريدا أن يَشْرَكَهما فيه أحدٌ، فمضيا ووقف القوم عنهما. قالوا: قال رياح: فإذا هما ينقُلان فرسيهما، فما زالا يُريغَانِي، فابتدراني فرَمَيْتُ الأوّل فبترتُ صُلْبَه، وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد السُّرَّة فأصاب الرَّبَلَة[٤] ومرَّ الفرسُ يَهْوِي به، فاستدبرتُه بسهم فرشقت به صلبَه فانفقَر مُنْحَنَى الأوصال، وقد بترتُ صُلْبَيْهما. قال أبو عبيدةَ: قال أبو حيّة: بل قال رياح: استدبرتُه بسهم وقد خرجَتْ قدمه فقطعتُها، فكأنما نُشِرَتْ بِمنشارٍ. قال عبد الحميد: ونَدَّ فرساهما[٥] فلحِقا بالقوم. قال رياح: فأخذتُ رمحيهما فخرجتُ بهما حتى أتيتُ رملةً فسَنَدتُ فغرزتُ الرّمحين فيها ثم انحدرتُ. قال: وطلبه القوم، حتى إذا رُفِعَ لهم الرّمحان لم يَقْرَبوهما عَلِمَ الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات. وانطلقَ رياحٌ خارجاً حتى ورد رَدْهةً عليها بيت أنمار بن بَغِيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها وجملٌ لها راتعٌ في الجبل، وقد مات رياح عطشاً. فلمّا رأته يستدمي طَمِعَتْ فيه ورَجَتْ أن يأتيها ابناها، فقالت له: استأسِرْ. فقال لها: دَعِيني ويحكِ أشرب، فأبت. فأخذ حديدةً إمّا سِكّيناً وإمّا مِشْقَصاً فجذم به رَوَاهِشها[٦] فماتت، وعَبَّ

(١) الصَّفن: وعاء الخصية.
(٢) السّرب: الطريق، وخَلّوا سربه: أفرجوا عنه.
(٣) السَّمُرات: جمع السمرة: ضرب من شجر الطلح.
(٤) الرَّبَلة: باطن الفخذ.
(٥) نَدَّ الفرس: هام على وجهه.
(٦) الرَّواهش: جمع الراهشة: عصب في ظاهر الذراع.

في الماء حتى نَهِلَ ثم توجَّهَ إلى قومه. فقال رياح فيها وفي الحُصَيْنين: [الكامل]

قَالت لِيَ اسْتأسِرْ لِتَكْتِفَنِي ... حِيناً ويَغْلُو قَوْلُها قَوْلِي
ولأنْتَ أجْرأُ مِنْ أُسَامَةَ أو ... مِنِّي غَدَاةَ وَقَفْتُ لِلخَيْلِ[١]
إذِ الحُصَيْنُ لَدَى الحُصَيْنِ كَمَا ... عَدَلَ الرِّجَازَةُ جَانِبَ المَيْلِ

قال الأثرم: الرِّجازة شيءٌ يكون مع المرأة في هودجها، فإذا مال أحدُ الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل. قال أبو عُبَيْدَةَ: يعني حُصيْنَ بنَ زُهَيرِ بن جَذِيمةَ، وحُصَيْن بن أَسِيدِ بن جَذِيمةَ وهو ابن عمّه. قال أبو عبيدة: قال عبد الحميد: والله لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدّثتك به منذ ستّين سنة. قال عبد الحميد: وما سَمِعتُ أنّ بني عبْسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أنذروا، ولا سمعتُ فيه من الشّعر لنا ولا لِغيرنا في الجاهلية بأكثر مما أنشدتُك. وإلى هذا انتهى حديثُنا وحديثُه، ولا والله ما قتَل خالدُ بنُ جعفرٍ زُهَيْرَ بن جَذِيمةَ في حربنا، غيرَ أنّ الكُمَيْتَ بن زَيدٍ الأسديَّ، وكانت له أُمَّانِ من غَنِيٍّ، ذكر من مقتل أخوالِه من غَنِيٍّ في بني عَبْسٍ ومَنْ قَتَلُوا من بني نُمَيْرِ بنِ عامر في كلمةٍ له واحدة؛ فلعلّه لهذا الحديث قالها وذكر إدراكاتِهم وذكَر قَتْلَ شَبِيبِ بن سالم النُّمَيْرِيِّ، فقال في ذلك: [الطويل]

أَنَا ابنُ غَنِيٍّ وَالِدَايَ كِلاَهُمَا ... لأُمَّيْنِ فيهم في الفُروعِ وفي الأَصْلِ
هُمُ اسْتَوْدَعُوا هَوَى شَبِيبَ بن سَالم ... وهُمْ عَدَلُوا بينَ الحُصَيْنَيْنِ بِالنَّبْلِ
وهُمْ قَتَلُوا شَأسَ المُلوكِ ورَغَّمُوا ... أَبَاهُ زُهَيْراً بِالمَذَلَّةِ والثُّكْلِ
فَمَا أَدْرَكَتْ فيهم جَذِيمةُ وَتْرَها ... بِمَا قَوَدٍ يوماً لَدَيْها ولا عَقْلِ[٢]

قال أبو عبيدة: فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هُنَيئةٌ من الدهر لا أدري كم وقتُ ذلك بعد انصرام أمر شَأس. قال: فما زادوا على هذا فهو باطل. قال الأثرم: هُنيئةٌ من الدهر وهُنَيْهةٌ وَبُرْهةٌ وحِقْبةٌ بمعنى الدهر.

---

(١) أسامة: اسم الأسد.

(٢) الوتر: الثأر. والعقل: الدّيَة.

مقتَل زُهَير بنِ جَذيمةَ العَبسيّ

[توفي نحو ٥٠ ق.هـ/ ٥٧٤ م]

[خبر مقتله]

قتله خالدُ بن جعفر بن كِلاَب. قال أبو عُبَيْدةَ: قال أبو حَيّةَ النُّمَيْريّ: كان بين انصراف حديثِ شأس وحديثِ قَتْلِ خالدِ بن جعفرٍ زُهَيْرَ بنَ جَذِيمةَ ما بين العشرين سنةً إلى الثلاثين سنةً. قال أبو عُبَيْدةَ: وهَوَازِنُ بنُ منصور لا تَرَى زُهَيْرَ بن جَذِيمةَ إلاّ رَبّاً[١]. قال: وهَوَازِنُ يومئذ لا خيرَ فيها؛ ولم تَكْثُرْ عامرُ بنُ صَعْصَعَةَ بَعدُ، فهم أذَلُّ من يَدٍ في رَحِمٍ[٢]، وإنّما هم رِعاءُ الشَّاءِ في الجبال. قال: وكان زُهَيْرٌ يَعْشُرُهم[٣]، وكان إذا كانَ أيّام عُكَاظَ أتاها زهيرٌ ويأتيها النّاسُ من كُلِّ وجه، فتأتيه هوازنُ بِالإِتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بِالسَّمْن والأَقِطِ[٤] والغنم؛ وذلك بعد ما خلَعَ ذلك من أبي الجَنّاد أخي بني أُسَيِّدِ بن عمرو بن تميم. ثم إذا تفرّق النّاسُ عن عُكَاظ نزل زُهيرٌ بالنفرات[٥].

قال أبو عُبَيدةَ عن عبد الحميد وأبي حَيَّة النُّميريّ قالا: فأتته عجوزٌ رَهِيشٌ[٦] من بني نَصْر بن معاوية بن بكر بن هوازن ـ وقال أبو حيّة: بل أتته عجوز من

---

(١) الرّبّ: السيّد.

(٢) مَثَل يضرب في الضعف والهوان انظر: تمثال الأمثال ص ٥١٥، والدرة الفاخرة ١:٢٠٣، ومجمع الأمثال ١:٣٩٤.

(٣) يعشرهم: يأخذ العشر من أموالهم.

(٤) الأقط: الجبن.

(٥) النفرات: اسم موضع.

(٦) رهيش: مهزولة.

هوازن - بسمن في نِحْيٍ[١]، واعتذرتْ إليه وشَكَتِ السنين التي تتابعن على الناس. فذاقه فلم يرضَ طَعْمَهُ، فدعّها[٢] بقَوْسٍ في يده عُطُلٍ[٣] في صدرها، فاستلقتْ لِحَلاَوة القفا[٤] فبدتْ عورتُها؛ فغضبت من ذلك هَوَازِنُ وحَقَدتْ عليه إلى ما كان في صَدْرها من الغيظ والدِّمَنِ وأَوْحَرَها من الحَسَك[٥]. قال: وقد أَمِرتْ[٦] عامرُ بن صعصعةَ يومئذ؛ فآلَى خالدُ بن جعفر فقال: والله لأجعلنّ ذِراعي وراء عُنقه حتى أُقْتَلَ أو يُقْتَلَ. قال: وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كِلاَب: [الوافر]

أَدِيـرونـي إِدَارَتَـكُـمْ فـإِنِّـي ... وحَـذْفَـةَ كَـالـشَّـجَـا تـحـت الـوَرِيـدِ[٧]
مُـقَـرَّبَـةً أُسَـوِّيـهـا بِـجَـزْءٍ ... وأُلْـحِـفُـهـا رِدَائِـي فـي الـجَـلِـيـدِ[٨]
وأُوصِـي الـرَّاعِـيَـيْـن لِـيُـؤْثِـرَاهـا ... لـهـا لَـبَـنُ الـخَـلِـيَّـةِ والـصَّـعُـودِ[٩]
تَـرَاهَـا فـي الـغـزاةِ وهُـنَّ شُـعْـثٌ ... كَقُلْبِ العَاجِ في الرُّسْغِ الجديدِ[١٠]
يَـبِـيـتُ رِبـاطُـهـا بـالـلَّـيْـلِ كَـفِّـي ... عـلـى عُـودِ الـحَـشِـيـشِ وغـيـرِ عُـودِ
لَـعَـلَّ الـلَّـهَ يُـمْـكِـنُـنِـي عَـلَـيْـهـا ... جِـهَـاراً مـن زُهَـيْـرٍ أو أَسِـيـدِ
فـإِمَّـا تَـثْـقَـفُـونِـي فَـاقْـتُـلـونـي ... فَـمَـنْ أَثْـقَـفْ فـلـيـسَ إلـى خُـلُـودِ[١١]
وقَـيْـسٌ فـي الـمَـعَـارِك غَـادَرَتْـهُ ... قَـنَـاتِـي فـي فـوارسَ كَـالأُسُـودِ
وَيَـرْبُـوعُ بـنُ غَـيْـظٍ يَـوْمَ سَـاقٍ ... تَـرَكْـنَـاهُـمْ كَـجَـارِيَـةٍ وبـيـدِ[١٢]
تَـرَكْـتُ بـهـا نِـسَـاءَ بَـنِـي عُـصَـيْـمٍ ... أَرَامِـلَ مـا تَـحِـنُّ إلـى وَلِـيـدِ
يَـلُـذْنَ بِـحَـارِثٍ جَـزَعـاً عَـلَـيْـهِ ... يَـقُـلْـنَ لِـحَـارِثٍ لـولا تَـسُـودُ

(١) النِّحْي: الزِّقّ الذي يوضع فيه السمن.
(٢) دَعَّها: دفعها بعنف.
(٣) قوس عُطُل: لا وَتَرَ عليها.
(٤) حلاوة القفا: وسطه.
(٥) الدِّمَن: جمع دمنة: الحقد القديم الدائم. وأوحرها: جعلها تُوحِرُ أي تغضب وتحقد. والحسك: الحقد والعداوة، وفي تمثال الأمثال «الحسد» بدل «الحسك».
(٦) أَمِرَتْ: تكاثرت، وفي تمثال الأمثال: «تذامرت».
(٧) الشجا: الغصّة، وحذفة: اسم فرسه.
(٨) جَزْء: اسم ابنه.
(٩) الخليّة: الناقة التي خُلِّيَتْ للحلب. والصَّعود: الناقة التي تسقط ولدها لغير تمام فتعطف على ولد غيرها.
(١٠) القُلب: السّوار.
(١١) ثقفه: غلبه في الحذق والمهارة.
(١٢) الوبيد: مَنْ ساءت حاله واشتدّ عيشه وعَسُرَ.

ومِنِّي بِالظُّوَيْلِمِ قارِعَاتٌ تَبِيدُ المُخْزِياتُ ولا تَبِيدُ[١]
وحَكَّتْ بَرْكَها بِبَنِي جِحَاشٍ وقد أَجْرَوْا إليها مِنْ بَعِيدِ[٢]
تَرَكْتُ ابْنَيْ جَذِيمَةَ في مَكَرٍّ ونَصْراً قد تَرَكْتُ لها شُهُودِي

[خالد بن جعفر يقتل زهير وورقاء بن زهير يرثيه بشعر]

قال أبو عُبَيْدَة: وحدّثني أبو سرّار الغنويّ قال: كان زهيرٌ رجلاً عَدُوساً[٣]، فانتقل من قومه ببنيه وبني أخويه زِنْباعٍ وأَسِيدٍ بِرَكْبةٍ يُرِيغ[٤] الغيثَ في عُشَرَاواتٍ له وشَوْلٍ[٥]. قال: وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يُشْعَرُ بهم. قال عبد الحميد وأبو حَيَّةَ: بل بنو عامر بِدَمْخٍ[٦] وزُهَيْرٌ بالنّفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث. قال: فقال أبو سرّار: فأتى الحارثُ بنيَ عامر، والله ما تغيّر طعمُ اللّبن الذي زُوِّدَهُ الحارثُ بن عمرو بن الشَّرِيدِ السُّلَمِيّ حتى أتى بني عامر فأخبرهم. قال أبو عُبَيدَةَ: أخبرني سليمان بن المُزَاحِم المازنيّ عن أبيه قال: بل كانت بنو عامر بالجريثة وزهير بالنّفرات، وكانت تُمَاضِرُ بنت عَمْرو بن الشَّرِيدِ بن رِيَاح بن يَقَظَةَ بن عُصَيَّةَ بن خُفَافٍ السُّلَميّ امرأةَ زُهَير بن جَذِيمةَ وهي أُمُّ ولده. فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو. فقال زُهَيْرٌ لبنيه: إنَّ هذا الحمار لطليعةٌ عليكم فأَوْثِقوه. فقالت أُخته لبنيها: أيزوركم خالكم فتُوثِقوه وتحرموه! فخَلَّوْه. فقالت تُمَاضِرُ لأخيها الحارث: إنه لَيَرِيبني اكْبِئْنانُك[٧] وقُرُوبُك[٨]، فلا يأخذنّ فيك ما قال زهير؛ فإنه رجل بَيْذارةٌ غَيْذَارةٌ شَنوءةٌ[٩]. قال: ثم حَلبوا له وَطْباً[١٠] وأخذوا منه يميناً ألاّ يُخْبِرَ عنهم ولا يُنْذِر بهم أحداً. قال أبو عبيدة: وزعم أبو حَيَّةَ النّميريّ أنه لمّا أتوه بِقِرَاهم أراهم أنه يشرَبه في الظُّلمة وجعل

---

(١) في هذا البيت والذي قبله (إقواء).
(٢) حَكَّت: حَلَّتْ. والبرك: الصدر.
(٣) العدوس: القويّ على سير الليل.
(٤) يريغ: يطلب.
(٥) العشراوات: جمع العَشْراء: التي مضى على حملها عشرة أشهر ويُطلق عليها هذا الاسم بعد الوضع أيضاً. والشول: جمع الشائلة وهي الناقة التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها.
(٦) دمخ: اسم جبل كان لأهل الرس أو هو جبل لبني نفيل (معجم البلدان ٢: ٤٦٢).
(٧) الاكبئنان: الهمّ والغم.
(٨) القروب: السكوت.
(٩) البيذارة: الكثير الكلام. والغيذارة: السّيئ الخلق. وشنوءة: مبغض.
(١٠) الوطب: سقاء اللبن.

يَهْوِي به إلى جيبه فَيَصُبُّه بين سِرْباله وصَدْره أسفاً وغيظاً. قال: وكان الذي حلَبَ له الوَطْبَ وقَرَاه الحارثَ بنَ زُهَير، وبه سُمّي. قال: فخرج يطير حتّى أتى عامراً عند ناديهم[١]، فأتى حَاذَةً[٢] أو شجرةً غيرَها فألقى الوطبَ تحتها والقومُ ينظرون، ثم قال: أيّتها الشجرةُ الذّليلةُ اشْرَبِي من هذا اللّبن فانظُري ما طَعْمُه. فقال أهلُ المجلس: هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه عَهْدٌ وهو يُخبركم خبراً. فأَتَوْه فإذا هو الحارثُ بن عمرو، وذاقوا اللّبن فإذا هو حُلْوٌ لم يقرُصْ بعدُ، فقالوا: إنه لَيُخْبِرُنا أنّ طلبنا قريبٌ. فركب معه ستّة فوارسَ لينظروا ما الخبرُ، وهُمْ خالدُ بن جعفر بن كِلاَبِ على حَذفة، وحُنْدُج بن البَكّاء، ومعاويةُ بن عُبَادةَ بن عُقَيْل فارس الهَرّار وهو الأخيل جَدّ ليلى الأخيلية ـ قال: والأَخْيَلُ هو معاوية، قال: وهو يومئذ غلامٌ له ذؤابتان، وكان أصغرَ مَنْ ركب ـ وثلاثةُ فوارسَ من سائر بني عامر؛ فاقتصُّوا أثرَ السير، حتى إذا رأوا إبلَ بني جَذِيمةَ نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: إنا لَنَرَى حَرَجةً من عِضَاهٍ[٣] أو غابةَ رِماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء. قال: وأخبرت راعيةُ أَسِيدِ بنِ جَذِيمةَ أَسِيداً بمثل ذلك؛ فأتى أَسِيدٌ أخاه زهيراً فأخبره بما أخبرته به الرّاعية وقال: إنما رأتْ خيلَ بني عامر ورِماحَها. فقال زُهير: «كلُّ أَزَبَّ نَفورٌ»[٤] ـ فذهبتْ مثلاً؛ وكان أَسِيدٌ كثيرَ الشَّعر خناسياً[٥] ـ وأينَ بنو عامر! أمّا بنو كِلاَب فكالحيّة إن تركتَها تركَتْكَ، وإن وَطِئتَها عَضَّتكَ. وأمّا بنو كَعْبٍ يَصِيدون اللأى (يريد الثور الوحشيّ). وأمّا بنو نُمَيْر فإنهم يَرْعَوْن إبلَهم في رُؤوس الجبال. وأمّا بنو هِلاَلٍ فيبيعون العِطْر. قال: فتحمّل عامّة بني رواحةَ، وآلى زُهير لا يبرَحُ مكانَه حتى يُصبحَ. وتحمّل مَنْ كان معه غير ابنيه وَرْقاء والحارث. قال: وكان لزهير رَبِيئةٌ[٦] من الجِنّ فحدّثه ببعض أمرهم حتى

---

(١) النادي: مكان الاجتماع.

(٢) الحاذة: شجر من الحمض يعظُم، منابته السهل والرمل.

(٣) الحرجة: الشجر الكثير الملتفّ. والعِضاه: شجر له شوك.

(٤) المثل في تمثال الأمثال ص ٥١٥ والمستقصى ٢: ٢٢٣، ومجمع الأمثال ٢: ١٠٦، والدرة الفاخرة ٢: ٣٩٨. والأزبّ: الكثير الشعر، والبعير الأزبّ: الذي يكثر شعر حاجبيه فهو ينفر إذا ضربت الريح شعرات حاجبيه.

(٥) في تمثال الأمثال (حاسياً) وقال في الحاشية: «وأرجح أن تقرأ جاسياً، والشيخ الجاسي هو الذي بلغ غاية السنّ».

(٦) الربيئة: الطليعة الذي يستطلع الأخبار.

أصبح، وكانت له مِظَلّةُ دَوْح يربِطُ فيها أفراسَه لا تَرِيمهُ[١] حَذَراً من الحوادث. قال: فلمّا أصبح صهَلَتْ فرسٌ منها حين أحسّت بالخيل وهي القعساء. فقال زُهَيْر: ما لها؟! فقال رَبِيئتُه: أحسّت الخيل فصهَلَتْ إليهنَّ. فلم تُؤْذِنْهم بِهم إلاّ والخيلُ دَوَائسُ[٢] مَحَاضِيرُ[٣] بالقوم غَديّةً. فقال زُهير وظنَّ أنهم أهلُ اليمن: يا أسيدُ ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين تُعَمِّي حديثَهم منذ اللّيلة. قال: ورَكِبَ أسِيدٌ فمضى ناجياً. قال: ووثَب زُهير وكان شيخاً نبيلاً[٤] فتدَثّر القَعْساءَ فرسَه، وهو يومئذ شيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذ عَقُوقٌ مُتَّهَمٌ، واعْرَوْرَى[٥] ورقاءُ والحارثُ ابناه فَرَسَيْهما، ثم خالفوا جهةَ مالِهم لِيُعَمُّوا على بني عامر مكانَ مالِهم فلا يأخذوه. فهتَف هاتفٌ من بني عامر: يالَيَحَامِرِ - يريد يحامر وهو شِعارٌ لأهل اليمن - لأنْ يُعَمِّيَ على الجَذَمِيِّين من القوم. فقال زُهَيْر: هذه اليمن، قد علمتُ أنها أهلُ اليمن! وقال لابنه ورقاء: انْظُرْ يا ورقاء ما تَرَى؟ قال ورقاء: أَرَى فارساً على شقراء يَجْهَدُهَا ويَكُدُّها بالسَّوْط قد ألحَّ عليها (يعني خالداً). فقال زهير: «شَيْئاً ما يُريد السَّوْطُ إلى الشَّقْراء» فذهبتْ مثلاً، وقال في المرة الثانية: «شيئاً ما يطلبُ السَّوْطُ إلى الشقراء» وهي حَذْفَةُ فرسُ خالد بن جعفر، والفارس خالدُ بن جعفر. قال: وكانت الشقراء من خيل غَنِيٍّ. قال: وتمرَّدت القَعْساء بزُهير؛ وجعل خالدٌ يقول: لا نجوتُ إن نجا مُجَدِّعٌ (يعني زهيراً). فلمّا تَمَعّطت[٦] القعساءُ بزهير ولم تتعلَّق بها حَذْفَةُ، قال خالد لمعاوية الأخْيَلِ بن عُبَادةَ وكان على الهرّار (حِصَان أعْوَج)[٧]: أدْرِكْ مُعَاوِيَ، فأدرك معاويةُ زهيراً، وجعل ابناه ورقاءُ والحارثُ يُوَطِّشَان[٨] عنه (أي عن أبيهما). قال: فقال خالد: اطْعَنْ يا معاوية في نَسَاها[٩]، فطعَنَ في إحدى رِجْلَيها فانخذلَت القعساءُ بعضَ الانخذالِ وهي في ذلك تَمَعَّطُ. فقال زُهَيْر: اطْعَن الأُخرى، يَكِيدُه بذلك لكي

---

(١) لا تريمه: لا تبرحه.
(٢) دوائس: يتبع بعضها بعضاً.
(٣) المحاضير: جمع محضير أو محضار: هو الشديد العدو.
(٤) النبيل: الجسيم.
(٥) اعروري الفرسَ: ركبه عرياناً أي ليس عليه سرج.
(٦) التمعّط: نوع من العدو وهو أن يمدّ الفرس ضبعيه حتى لا يجد مزيداً ويحبس رجليه حتى لا يجد مزيداً للّحاق.
(٧) الحصان الأعوج: أي الأعوج القوائم وهذه صفة مستحبّة في الخيل.
(٨) يوطّشان: يدفعان.
(٩) النّسا: عِرق من الورك إلى الكعب.

تستوي رجلاها فَتَحَامل[١] فناداه خالد: يا مُعاوية أَفِذَّ طَعْنَتك (أي اطْعنْ مكاناً واحداً)، فشَعْشَع الرُّمْح في رجلها فانخذلتْ. قال: ولَحِقَه خالدٌ على حَذْفَةَ فجعل يدَه وراءَ عُنق زُهَيْر، فاستخفَّ به عن الفرس حتى قلَبه، وخَرَّ خالدٌ فوقع فوقه، ورفع المِغْفَرَ[٢] عن رأس زهير وقال: يا لَعَامرٍ اقتلونا معاً! فعرَفوا أنهم بنو عامر. فقال ورقاء: وَا انقِطاعَ ظَهْراهْ! إنها لبنو عامر، سائرَ اليوم. وقال غيره: فقال بعضُ بني جَذِيمةَ: وَا انْقطاع ظَهْرِي!. قال: ولَحِقَ حُنْدُج بن البَكّاء وقد حسَر خالدٌ المِغْفَرَ عن رأس زُهَيْر فقال: نَحِّ رأسَك يا أبا جَزْءٍ، لم يَجِنْ يومُك. قال: فنحّى خالدٌ رأسَه وضرب حُنْدُجٌ رأسَ زهير، وضربَ ورقاءُ بنُ زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه دِرْعَانِ، وكان أَسْجَر[٣] العينين، أَزَبَّ أقمر[٤]، مثلَ الفالج[٥]، فلم يُغْنِ شيئاً. قال: وأَجْهَض ابنا زُهَيرٍ القومَ عن زُهير فانتزعاه مُرْتَثّاً[٦]. فقال خالدٌ حين استنقذ زهيراً ابناه: والهفتاهْ! قد كنتُ أظنّ أن هذا المَخْرَجَ سَيَسَعُكُم! ولام حُنْدُجاً. فقال حُندج وكان لجلالته غصّة إذا تكلم: السيفُ حديد، والساعدُ شديد، وقد ضربْتُه ورِجلايَ متمكّنتان في الركابين وسمعتُ السيفَ قال قَبْ حين وقع برأسه، ورأيتُ على ظُبتِهِ[٧] مثلَ ثَمر المُرَار، وذقتُه فكان حُلْواً. فقال خالد: قتلتَه بأبي أنت!. ونظَر بنو زُهير فإذا الضّربةُ قد بلغت الدِّماغَ. ونُهِيَ بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء، فاستسقاهم فمنعوه حتى نُهِكَ عَطَشاً. قال: وذلك أنّ المأموم[٨] يُخاف عليه الماء، حتى بلغ منه العطشُ، فجعل يَهْتِفُ: أَمَيِّتٌ أنا عَطَشاً، وينادي: يا ورقاء ـ قال أبو حيّة: فجعل ينادي يا شَأْس ـ فلمّا رأوا ذلك سَقَوْه فمات لثالثةٍ.

فقال ورقاء بن زُهَيْر: [الطويل]

رَأَيتُ زُهَيراً تَحتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ ... فَأَقبَلتُ أَسعَى كَالعَجُولِ أُبَادِرُ[٩]

---

(١) فتحامل: فتتحامل.

(٢) المِغْفَر: زرد من الدِّرع يُلبس تحت القلنسوة.

(٣) أسجر العينين: يخالط بياضهما حمرة يسيرة.

(٤) الأقمر: الذي خالط بياضه كدرة.

(٥) الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين.

(٦) المرتثّ: المشرف على الموت.

(٧) الظُّبَة: حدّ السيف والسنان.

(٨) المأموم: المُصَاب في دماغه.

(٩) العَجُول: الثّكلى فهي تسرع في ذهابها وجيئتها.

إلـى بَطَـلَـيْـنِ يَنْـهَـضَـانِ كِـلاَهُـمـا يُريغانِ نَصْلَ السَّيفِ والسَّيْفُ نادِرُ[١]
فَشَلَّتْ يَمِينِي إذ ضَرَبْتُ ابنَ جَعْفَرٍ وأَحْـرَزَهُ مِـنِّـي الـحَـدِيـدُ الْـمُـظَـاهَـرُ

قال أبو عبيدة: وسمعتُ أبا عمرو بن العَلاء يُنشد هذا البيت فيها:

وَشَـلَّـتْ يَـمِـيـنِـي يَـومَ أَضْربُ خَـالِـداً وشَـلَّ بَـنَـانَـاهـا وشَـلَّ الـخَـنَـاصِـرُ

قال أبو عبيدة: وأنشدني أبو سرار أيضاً فيها:

فَـيَـا لَـيْـتَـنِـي مِـنْ قَـبْـلِ أَيَّـامِ خَـالِـدٍ ويَـوْمِ زُهَـيْـرٍ لـم تَـلِـدْنِـي تُـمَـاضِـرُ

تماضر بنت عمرو بن الشَّرِيدِ بن رِيَاح بن يَقَظةَ بن عُصَيَّةَ بن خُفَاف السُّلَميّ امرأة زُهير بن جَذِيمةَ. قال أبو عُبيدة: أنشدني أبو سرّار فيها:

لَعَمْرِي لـقـد بُشِّرْتِ بي إذ وَلَـدْتِـنـي فـمـاذا الَّـذي رَدَّتْ عَـلَـيْـكِ الـبَـشَـائِـرُ

وقال خالد بن جعفر يَمُنُّ على هوازنَ بقتله زهيراً ويصدقُ الحديث ـ قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بِشْرِ بن عامر مُلاَعِب الأسِنّة ـ [الكامل]

بـل كـيـف تَـكْـفُـرُنـي هـوازنُ بَـعْـدَمـا أَعْـتَـقْـتُـهُـمْ فَـتَـوَالَـدُوا أَحْـرَارَا
وقَـتَـلْـتُ رَبَّـهُـمُ زُهَـيْـراً بَـعْـدَ مَـا جَـدَعَ الأُنُـوفَ وَأَكْـثَـرَ الأَوْتَـارا[٢]
وجَـعَـلْـتُ حَـزْنَ بِـلاَدِهِـمْ وجِـبَـالَـهـم أَرْضـاً فَـضَـاءً سَـهْـلَـةً وعِـشَـارا[٣]
وجَـعَـلْـتُ مَـهْـرَ بَـنَـاتِـهِـمْ وَدِمَـاءَهُـمْ عَـقْـلَ الـمُـلُـوكِ هَـجَـائِـنـاً أَبْـكَـارا

قال أبو عبيدة: ألاَ ترى أنه ذكر في شعره أنّ زهيراً كان ربَّهم وقد كان جدَعهم، وأنه قتله من أجلهم لا من أجل غَنِيٍّ، وأن غَنِيًّا ليسوا من ذلك في ذكرٍ ولا لهم فيه معنًى.

قال: وقال وَرْقاء بن زُهَيْر: [الرجز]

أَمَّـا كِـلاَبٌ فَـإِنَّـا لا نُـسَـالِـمُـهـا حَـتَّـى يُـسَـالِـمَ ذِئْـبَ الـثَّـلَّـة الـرَّاعِـي[٤]

(١) نادر: ساقط.
(٢) ربُّهم: سيّدهم. والأوتار: جمع الوتر: الثأر.
(٣) الحَزْن: الأرض الغليظة.
(٤) الثَّلّة: الجماعة من الغنم.

بَـنُـو جَـذِيـمـةَ حَـامَـوا حَـوْلَ سَـيِّـدِهِـمْ   إلاَّ أُسَيـداً نَـجَـا إذ ثَـوَّبَ الـدَّاعِـي[١]

قال: ثم نعَى الفَرَزْدَقُ على بني عَبْس ضربةَ ورقاء خالداً، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال: [الطويل]

إنْ يَـكُ سَـيْـفٌ خَـانَ أَوْ قَـدَرٌ أَبَـى   لِتَـأْخِيـرِ نَفْسٍ حَتْفُها غَيْرُ شَاهِدِ

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وقـد ضَرَبُوا بـه   نَـبَـا بِـيَـدَيْ وَرْقَـاءَ عـن رَأْسِ خَـالِـدِ

كـذاكَ سُيُوفُ الـهِـنْـدِ تَـنْـبُـو ظُبَاتُـهـا   وتَـقْـطَـعُ أحـيـانـاً مَـنَـاطَ الـقَـلائِـدِ[٢]

ولـو شِئْتُ قَدَّ السَّيْفُ ما بـين عُنْقِهِ   إلى عَلَقٍ تحتَ الشَّراسِيفِ جَامِدِ[٣]

قال: وكان ضِلَعُ[٤] بني عَبْسٍ مع جرير، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات. هذه رواية أبي عُبَيدة.

[رواية الأصمعي في مقتل زهير وابنه]

وأمّا الأصمعيّ فإنه ذكر، فيما رواه الأثْرَمُ عنه، قال: حَدَّثني غيرُ واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زُهَيْرٍ العبسيّ أنّ ابنه شأسَ بن زهير وفَد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حِباءٌ قد حُبِيَ به، فمرّ بأبياتٍ من بني عامر بن صَعْصَعَةَ وأبياتٍ من بني غَنِيٍّ على ماء لبني عامرٍ أو غيرهم ـ الشكّ من الأصمعيّ ـ. قال: فاغتسلَ، فناداه الغَنَوِيّ: اسْتَتِرْ! فلم يَحْفِلْ بما قال. فقال: استترْ ويحكَ! البيوت بين يديك، فلم يحفِلْ. فرماه الغنويّ رياحُ بن الأسَكّ بسهم أو ضربه فقتله والحَيُّ خُلُوفٌ[٥]، فاتّبعه أصحاب شأس وهم في عِدّة، فركب الفَلاةَ واتّبعوه فَرهقوه[٦]، فقتل حُصَيْناً وأخاه حُصَيْناً[٧]، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطشُ، فلجأ إلى منزل عجوزٍ من بني إنْسانٍ (وبنو إنسان حيٌّ من بني جُشَم). فقالت له العجوز: لا تَبْرَحْ حتى يأتي بَنِيَّ فيأسِروك. قال الأصمعيّ: فأخبرني مُخْبِران اختلفا؛ فقال أحدهما: إنه أخَذ

---

(١) ثَوّب: دعا.

(٢) تنبو: لا تُصيب. والمَنَاط: موضع التعليق.

(٣) قَدّ: قطع. والعَلَق: الدم الجامد الغليظ. والشراسيف: جمع الشرسوف: أطراف الأضلاع.

(٤) ضِلَعه: ميله.

(٥) الحيُّ خلوفٌ: غائبون.

(٦) رهقوه: اقتربوا منه وأتوه.

(٧) هو حصين ابن عمّه كما مَرّ سابقاً.

سِكِّيناً فقطع عَصَبتيْ يديها، وقال الآخر: أخذ حجراً فشدَخ به رأسَها، ثم أنشأ يقول: [الكامل]

وَلأَنْــتَ أَشْــجَــعُ مِــنْ أُسَــامَــةَ أَو ... مِــنِّــي غَــدَاةَ وَقَــفْــتُ لِــلْــخَــيْــلِ
إِذِ الــحُــصَــيْــنُ لَــدَى الــحُــصَــيْــنِ كَــمَــا ... عَــدَلَ الــرِّجَــازَةُ جَــانِــبَ الــمَــيْــلِ
وإذا أُنَــهْــنِــهُــهَــا لأَفْــتِــلَــهــا ... جَاشَــتْ لِــيَــغْــلِــبَ قَــوْلُــهــا قَــوْلــي[1]

قال: فضَرَب الزّمانُ ضَرَبَانَه[2]، فالتقى خالد بن جعفر بن كِلاَب وزُهَيْر بن جَذِيمةَ العَبْسيّ. فقال خالد لزهير: أمَا آن لكَ أن تشتفي وتَكُفَّ؟ - قال الأصمعيّ: يعني مِمّا قتَلَ بشأسٍ - قال: فأغلَظَ له زُهَيْرٌ وحَقَّرَهُ. قال الأصمعيّ: وأخبرني طَلْحةُ بن محمد بن سَعيد بن المُسَيِّب أنّ ذلك الكلام بينهما كان بِعُكَاظَ عند قريش، فلمّا حقَّرَه زهير وسَبَّه قال خالد: عسى إن كان! يتهدّدُه ثم قال: اللّهمَّ أَمْكِنْ يدي هذه الشّقراءَ القصيرةَ من عُنُقِ زهير بن جَذِيمةَ ثم أَعِنِّي عليه. فقال زهير: اللَّهُمَّ أمْكِنْ يَدِيْ هذه البيضاءَ الطويلَة من عُنُقِ خالد ثم خَلِّ بيننا. فقالت قريش: هلكتَ والله يا زُهير! فقال: إنكم والله الذين لا عِلْمَ لكم.

قال الأصمعيُّ: ثم نرجع إلى حديث العَبْسيّين والعامريِّين، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العَلاء. قال: فجاء أخو امرأة زُهَيْرٍ - وكانت امرأتُهُ فاطمةَ بنتَ الشَّرِيدِ السُّلَميّة، وهي أُم قَيْس بن زُهَيْر، وكان زهيرٌ قد أساء إليهم في شيء - فجاء أخوها إلى بني عامرٍ فقال: هل لكم في زُهير بن جَذِيمَةَ يَنْتِجُ إبلَه[3] ليس معه أحدٌ غير أخيه أسِيدِ بن جَذيمةَ وعبدٍ راعٍ لإبله! وجئتُكم من عنده، وهذا لبنٌ حلبوه لي، فذاقوه فإذا هو ليس بحازر[4]، فعلِموا أنّه قريبٌ. فخرج حُنْدُج بن البَكّاء وخالدُ بن جعفر ومعاوية بن عُبَادةَ بن عُقَيْل، ليس على أحدهم دِرْعٌ غيرَ خالد كانت عليه درعٌ أعاره إيّاها عَمْرُو بن يَرْبُوع الغَنَويّ، وكانت دِرْعَ بن الأَجْلَح المُرادِيّ كان قتله فأخذها منه، وكان يقال لها ذات الأَزِمّة، وإنّما سميت بذلك لأنها كانت لها عُرًى تُعَلَّقُ فضولُها بها إذا أراد أن يُشَمِّرها. قال: فطلعوا. فقال أَسِيدُ بن جَذِيمةَ - قال الأصمعيّ: وكان أَسِيدٌ شيخاً كبيراً، وكان كثيرَ شعر الوجه والجسد -: أُتِيتَ وربِّ

(١) أُنهنهها: أزجرها. وأفتلها: أصرفها. وجاشت: هاجت وثارت.

(٢) ضرب الزمان ضربانه: ذهب بعضه.

(٣) نتج ينتِجُ: الحاملَ من البهائم التي دنا وقت ولادتها: اعتنى بها حتى تضع.

(٤) الحازر: الحامض.

الكعبة. فقال زهير: «كلُّ أَزَبَّ نَفُورٌ» فذهبتْ مَثَلاً. فلم يشعُر بهم زهيرٌ إلاّ في سَوَادِ اللَّيل، فركِبَ فرسَه ثم وَجَّهها، فلحِقَهُ قومٌ أحدُهم حُنْدُجٌ أو العُقَيْليّ ـ واختلفوا فيهما ـ فطعن فَخِذَ الفرس طعنةً خفيفةً، ثم أراد أن يَطْعَنَ الرِّجْلَ الصَّحيحةَ، فناداه خالدٌ: يا فلان لا تفعل فيستويا، أَقْبِلْ على السقيمة، قال: فطعَنها فانخذلت الفرسُ فأدركوه. فلمّا أدركوه رمى بنفسه، وعانقه خالدٌ فقال: اقتُلوني ومُجَدِّعاً!. فجاء حُنْدُجٌ ـ وكان أعجم اللِّسانِ ـ فقال لخالد وهو فوق زُهَيْر: نَحِّ رَأْسَكَ يا أبا جَزْءٍ، فنَحَّى رأسَه، فضرب حندجٌ زهيراً ضربةً على دَهَشٍ، ثم ركبوا وتركوه. قال: فقال خالد: وَيْحكَ يا حُنْدُجُ ما صنعتَ؟ فقال: ساعِدِي شديدٌ، وسَيْفي حديد، وضربتُه ضربةً فقال السيف قَبْ، وخرج عليه مثلُ ثمرةِ المُرَارِ، فطَعِمْتُه فوجدتُه حُلْواً (يعني دِماغَه). قال: إنْ كنتَ صَدَقْتَ فقد قتلتَه. قال: فجاء قومُ زُهَيْرٍ فاحتملوه ومنعوه الماءَ كراهةَ أن يبتلّ دماغُه فيموت، فقال: يا آلَ غطفان أأموت عَطَشاً! فسُقِيَ فمات، وذلك بعد أيّام. ففي ذلك يقول وَرْقاء بن زُهَيْرٍ وكان قد ضرب خالداً ضربةً فلم يصنع شيئاً، فقال: [الطويل]

رَأَيْتُ زُهَيْراً تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ ... فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالعَجُولِ أُبَادِرُ
إلى بَطَلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلاَهُما ... يُرِيدَانِ نَصْلَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ نَادِرُ

قال الأصمعيّ: فضربَ الدَّهْرُ من ضَرَبانِه إلى أن التقى خالدُ بن جعفر والحارثُ بن ظالم.

ذكر مَقْتَلِ خالد بن جعفر بن كِلاَب

[توفي نحو ٣٠ ق.هـ/ نحو ٥٩٥ م]

قتله الحارثُ بن ظالم المُرِّيُّ. قال أبو عُبَيدةَ: كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بنُ جعفر أنّ خالدَ بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظالم من بني يَرْبُوع بن غَيْظِ بن مُرَّةَ وهم في وادٍ يقال له خُرَاضٌ[1]، فقتل الرجالَ حتى أسرع[2]، والحارثُ يومئذٍ غلام، وبَقِيت النساء. وزعموا أنّ ظالماً هلَكَ في تلك الوقعة من جِرَاحةٍ أصابته يومئذ. وكانت نساء بني ذُبْيان لا يحلُبنَ النَّعَمَ، فلمّا بَقِين بغير رجال طَفِقْنَ يدعون الحارثَ، فَيشُدّ عِصَابَ[3] الناقةِ ثم يحلُبنها، ويبكين رجالَهنَّ ويبكي الحارثُ معهن، فنشأ على بُغْض خالد، وأَردف ذلك قتلُ خالدٍ زُهَيْرَ بن جَذِيمةَ، فاستحقَّ العدواةَ في غَطَفانَ. فقال خالد بن جعفر في تلك الوَقْعة: [الوافر]

تَـرَكْـتُ نِـسَـاءَ يَـرْبُـوعِ بـنِ غَـيْـظٍ ... أَرَامِـلَ يَـشْـتَـكِـيـنَ إِلَـى وَلِـيـدِ

يَـقُـلْـنَ لِـحَـارِثٍ جَـزَعـاً عَـلَـيْـهِ ... لَـكَ الـخَـيْـرَاتُ مَـا لَـكَ لاَ تَـسُـودُ

تَـرَكْـتُ بَـنِـي جَـذِيـمَـةَ فـي مَـكَـرٍّ ... ونَـصْـراً قـد تَـرَكْـتُ لَـدَى الـشُّـهُـودِ

ومِـنِّـي سَـوْفَ تَـأْتِـي قَـارِعَـاتٌ ... تَـبِـيـدُ الـمُـخْـزِيَـاتُ ولا تَـبِـيـدُ

وقَـيْـسُ ابْـنُ الـمَـعَـارِكِ غَـادَرَتْـهُ ... قَـنَـاتِـي فـي فَـوَارِسَ كَـالأُسُـودِ

وحَـلَّـتْ بَـرْكَـهَـا بِـبَـنِـي جِـحَـاشٍ ... وقـد مَـدُّوا إِلَـيْـهَـا مِـنْ بَـعِـيـدِ

وحَـيّ بَـنِـي سُـبَـيـعٍ يَـوْمَ سَـاقٍ ... تَـرَكْـنَـاهُـمْ كَـجَـارِيَـةٍ وبِـيـدِ

قال أبو عُبَيدةَ: فمكث خالدُ بن جعفر بُرْهةً من دهره، حتى كان من أمره

---

(١) خُرَاض: وادٍ بإزاء الغمير عن يمين المصعد من مكة إلى العراق، (معجم البلدان ٢: ٢٣٤).

(٢) أسرع: ربما أراد أسرف.

(٣) يشدّ عصاب الناقة: يشدّ فخذيها بحبل لتدرّ.

وأمر زُهير بن جَذِيمةَ ما كان، وخالدٌ يومئذ رأسُ هَوَازِنَ، فلمّا استحقّ عداوةَ عَبْسٍ وذُبْيان أتى النُّعمان بن المُنْذِرِ مَلِكَ الحِيرةِ لينظر ما قَدْرُه عنده، وأتاه بفرس؛ فألفَى عنده الحارثَ بن ظالم قد أهدى له فرساً فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، نَعِمَ صباحُكَ، وأهلي فداؤك! هذا فرسٌ منْ خيل بني مُرَّةَ، فلن تُؤْتَى بفرسٍ يَشُقُّ غُبَارَه، إن لم تَنْسُبْه انْتَسب، كنتُ ارتبطته لغزو بني عامر بن صَعْصَعةَ؛ فلمّا أكرمتَ خالداً أهديتُه إليك. وقام الربيع بن زِيَاد العبسيّ فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! نَعِمَ صباحُك، وأهلي فداؤك! هذا فرسٌ من خيلِ بني عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخْفِقْ في غَزْوةٍ ولم يعتلِكْ[1] في سَفَرٍ، وفضلُه على هذين الفرسين كفضلِ بني عامرٍ على غيرهم. قال: فغضِبَ النُّعمانُ عند ذلك وقال: يا مَعْشَرَ قَيْسٍ، أَرَى خيلَكم أشباهاً! أين اللَّواتي كأَنَّ أَذْنابَها شِقَاق أَعْلام[2]، وكأنّ مَنَاخِرَها وِجَارُ[3] الضِّبَاع، وكأنَّ عيونَها بَغَايَا النساء، رِقَاقُ المُسْتَطْعَم[4]، تُعَالِك اللُّجُمَ في أشداقها، تدورُ على مَذَاوِدِها[5] كأنّما يَقْضَمنَ حَصًى. قال خالد: زعَم الحارث ـ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ـ أنّ تلك الخيلَ خيلُه وخيلُ آبائه. فغضِبَ النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم. فلمّا أَمْسَوا اجتمعوا عند قَينةٍ من أهل الحِيرَةِ يقال لها بنت عَفْزَرٍ يشربون، فقال خالدٌ: تَغَنَّيْ:

دَارٌ لِهِنْدٍ والرَّبَابِ وفَرْتَنَى ... وَلِمِيسَ قَبْلَ حَوَادِثِ الأَيَّامِ

وهُنَّ خالات الحارث بن ظالم، فغضِبَ الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً، وقال: ما تَزال تُتْبِعُ أُولَى بِآخرة!. قال أبو عبيدة: ثم إنّ النُّعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقَدَّمَ لهم تمراً؛ فطفِقَ خالدُ بن جعفر يأكل ويُلقي نَوَى ما يأكل من التمر بين يَدَي الحارث، فلمّا فرَغ القوم قال خالد بن جعفر: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! انْظُرْ إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النَّوَى! ما ترك لنا تمراً إلاّ أكله. فقال الحارث: أمّا أنا فأكلتُ التمر وألقيتُ النَّوَى، وأمّا أنت فأكلتَه بنواه، فغضِبَ خالد وكان لا يُنَازَعُ، فقال: أَتُنَازِعني يا حارثُ وقد قتلتُ حاضرتَك[6] وتركتك يتيماً في حُجور

(١) لم يعتلك: لم يعجز أو يتباطأ.
(٢) الشقاق: جمع الشقة: القطعة من الثياب المستطيلة.
(٣) وجار: جمع وجر: جحر الضبع.
(٤) المستطعَم: الفم بالنسبة للفرس.
(٥) المذاود: جمع المذود: معتلف الدابّة.
(٦) الحاضرة: القوم.

النساء!. فقال الحارث: ذلك يومٌ لم أَشْهَدْه، وأنا مُغْنِ اليومَ بمكاني. قال خالد: فهَلاّ تشكُر لي إذ قتلتُ زهيرَ بن جَذِيمةَ وجعلتُك سيِّدَ غَطَفانَ!. قال: بلى أشكُركَ على ذلك. فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عَفْزَرٍ، فشرِبَ عندها وقال لها تَغَنَّيْ:

[الطويل]

تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنّيَ فَاتِكٌ ... مِنَ اليَوْمِ أَوْ مِنْ بَعْدِهِ بِابْنِ جَعْفَرِ
أَخَالِدُ قد نَبَّهْتَنِي غَيْرَ نَائِمٍ ... فلا تَأْمَنَنْ فَتْكِي يَدَ الدَّهْرِ واحْذَرِ
أَعَيَّرْتَنِي أَنْ نِلْتَ مِنّا فَوَارِساً ... غَدَاةَ حُرَاضٍ مِثْلَ جِنَّانِ عَبْقَرِ[1]
أَصَابَهُمُ الدَّهْرُ الخَتُورُ بِخَتْرِهِ ... ومَنْ لا يَقِ اللَّهُ الحَوَادِثَ يَعْثُرِ[2]
فَعَلَّكَ يَوْماً أَنْ تَنُوءَ بِضَرْبَةٍ ... بِكَفِّ فَتًى مِنْ قَوْمِهِ غَيْرِ جَيْدَرِ[3]
يُغِصُّ بها عُلْيَا هَوازِنَ والمُنَى ... لِقَاءُ أَبِي جَزْءٍ بِأَبْيَضَ مِبْتَرِ[4]

قال: فبلغ خالدَ بنَ جعفرٍ قولُه فلم يَحْفِلْ به، فقال عبد الله بن جَعْدَةَ - وهو ابن أُخت خالد، وكان رجلَ قَيْسٍ رأياً - لابنه: يا بُنَيَّ ائتِ أبا جَزْء فأخبِرْه أنّ الحارث بن ظالم سفيهٌ موتورٌ، فأَخْفِ مَبِيتَك اللَّيلةَ؛ فإنَّه قد غلبه الشرابُ. فإنْ أبيتَ فاجعلَ بينك وبينه رجلاً لِيَحْرُسَكَ. فوضعوا رجلاً بإزائه، ونام ابن جَعْدةَ دون الرَّجل، وخالدٌ من خَلْفِ الرجل. وعرف أنّ ابن عُتْبةَ وابنَ جعدةَ يحرُسان خالداً، فأقبلَ الحارثُ فانتهى إلى ابن جَعْدةَ فتعدّاه، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجَنه بكَلْكَلِهِ حتى كسَره وجعل يَكْدُمُه لا يعقِلُ، فخَلَّى عنه والرجل تحته، ومضى إلى خالد وهو نائم، فضربه بالسَّيفِ حتى قتله. فقال لعُروة[5]: أَخْبِرِ الناسَ أنّي قتلتُ خالداً، وقال في ذلك:

[الطويل]

أَلاَ سَائِلِ النُّعْمَانَ إنْ كُنْتَ سَائِلاً ... وَحَيَّ كِلاَبٍ هل فَتَكْتُ بِخَالِدِ
عَشَوْتُ عليه وابْنُ جَعْدَةَ دُونَهُ ... وعُرْوَةُ يَكْلاَ عَمَّهُ غَيْرَ رَاقِدِ[6]

---

(١) عبقر: موضع في البادية كانوا يزعمون أن الجنّ تسكنه (معجم البلدان ٤: ٧٩).
(٢) الختور: الخدّاع.
(٣) غير جيدر: غير قصير.
(٤) أبو جزء: كنية خالد بن جعفر.
(٥) عروة بن عتبة ابن أخي خالد بن جعفر.
(٦) يكلا: يكلأ: يحرس ويحفظ.

وقـد نَـصَبَـا رَجْـلاً فَبَـاشَـرْتُ جَـوْزَهُ ... بِكَـلْـكَـلِ مَـخْشِيِّ الـعَـدَاوةِ حَـارِدِ[١]
فَـأَضْـرِبُـهُ بِـالـسَّـيْـفِ يَـأْفُـوخَ رَأْسِـهِ ... فَـصَـمَّـمَ حَـتَّـى نَـالَ نُـوطَ الـقَـلاَئِـدِ[٢]
وأَفْـلَـتَ عَـبْـدُ الـلَّـهِ مِـنِّـي بِـذُعْـرِهِ ... وعُـرْوةُ مِـنْ بَـعْـدِ ابْـنِ جَـعْـدَةَ شَـاهِـدِي

[قيس بن زهير يشكر الحارث على أخذ ثأرهم ويجيبه الحارث]

فلمّا أبتْ غَطَفانُ أن تُجيرَه غَضِبَتْ لذلك بنو عَبْس، وبعث إليه قيس بن زُهَير بن جَذِيمةَ بهذه الأبيات: [الوافر]

جَـزَاكَ الـلَّـهُ خَـيْـراً مِـنْ خَـلِـيـلِ ... شَـفَـى مِـنْ ذِي تُـبُـولَـتِـهِ الـخَـلِـيـلاَ[٣]
أَزَحْـتَ بِـهَـا جَـوًى ودَخِـيـلَ حُـزْنٍ ... تَـمَـخَّـخَ أَعْـظُـمِـي زَمَـنـاً طَـوِيـلاَ
كَـسَـوْتَ الـجَـعْـفَـرِيَّ أَبَـا جُـزَيْءٍ ... ولـم تَـخْـفِـلْ بـه سَـيْـفـاً صَـقِـيـلا
أَبَـأْتَ بِـهِ زُهَـيْـرَ بَـنِـي بَـغِـيـضٍ ... وكُـنْـتَ لِـمِـثْـلِـهـا ولَـهَـا حَـمُـولاَ
كَـشَـفْـتَ لـه الـقِـنَـاعَ وكُـنْـتَ مِـمَّـنْ ... يُـجَـلِّـي الـعَـارَ والأَمْـرَ الـجَـلِـيـلاَ

فأجابه الحارث بن ظالم: [الوافر]

أَتَـانِـيَ عـن قُـيَـيْـسِ بَـنِـي زُهَـيْـرٍ ... مَـقَـالَـةُ كَـاذِبٍ ذَكَـرَ الـتُّـبُـولاَ
فـلـو كُـنْـتُـمْ كَـمَـا قُـلْـتُـمْ لَـكُـنْـتُـمْ ... لِـقَـاتِـلِ ثَـأْرِكُـمْ جِـزْراً أَصِـيـلاَ
ولَـكِـنْ قُـلْـتُـمُ جَـاوِزْ سِـوَانَـا ... فَـقَـدْ جَـلَّـلْـتَـنَـا حَـدَثـاً جَـلِـيـلا
ولـو كَـانُـوا هُـمُ قَـتَـلُـوا أَخَـاكُـمْ ... لَـمَـا طَـرَدُوا الَّـذِي قَـتَـلَ الـقَـتِـيـلا

قال أبو عُبَيدةَ: فلمَّا منعته غَطَفانُ لَحِقَ بحاجب بن زُرَارةَ، فأجاره ووعده أن يَمنعه من بني عامر، وبلَغ بني عامر مكانُه في بني تميم، فساروا في عُلْيا هوازنَ، فلمّا كانوا قريباً من القوم في أوّل وادٍ من أوديتهم، خَرَجَ رجلٌ مِن بَني غَنِيٍّ ببعض البَوَادِي، فإذا هو بامرأةٍ من بني تميم ثم من بني حَنْظلةَ تجتني الكَمْأةَ، فأخذها فسألها عن الخبر، فأخبرتْهُ بمكان الحارثِ بن ظالم عند حاجب بن زُرارةَ وما وعده من نُصْرته ومَنْعِه. فانطلق بها الغَنَوِيّ إلى رَحْلِه؛ فانسلَّتْ في وسطِ من اللَّيل، فأتى الغنويُّ الأحْوَصَ بن جعفر، فأخبره أنّ المرأة قد ذهبتْ وقال: هي مُنْذِرةٌ عليك. فقال له الأحوصُ: ومتى عَهْدُك بها؟ قال: عَهْدِي بها والمَنِيُّ يقطُرُ من

(١) الرَّجْل: لغة في الرَّجُل. وجوزه: وسطه. وحارد: غاضب.
(٢) النّوط: ما يعلّق به الشيء.
(٣) التّبولة: جمع تبل: الثأر.

فَرْجها. قال: وأبيك إنَّ عهدَك بها لَقريبٌ. وتبع المرأةَ عامرُ بن مالك يَقُصُّ أثرها حتى انتهى إلى بني زُرارةَ والمرأةُ عند حاجب وهو يقول لها: أَخبريني أيُّ قومٍ أخذوكِ؟ قالت: أخذني قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء، قال: أولئك بنو عامر، قال: فحدّثيني مَنْ في القوم؟ قالت: رأيتُهم يَغْدُون على شيخ كبير لا ينظر بمَأْقَيْهِ[1] حتى يرفعوا له من حاجبَيْه. قال: ذلك الأَحْوَصُ بن جعفر. قالت: ورأيت شاباً شديد الخَلْق، كأنّ شعر ساعديه حَلَقُ الدِّرْع يَعْذِم[2] القَوْمَ بلسانه عَذْمَ الفرس العَضُوض. قال: ذلك عُتْبةُ بن بَشِير بن خالد. قالت: ورأيت كهلاً إذا أقبل معه فَتيانِ، يُشْرِفُ القومُ إليه، فإذا نطَقَ أنصتوا. قال: ذلك عَمْرُو بن خُوَيْلدٍ، والفَتَيانِ ابناه زُرْعةُ ويَزيدُ. قالت: ورأيتُ شاباً طويلاً حسناً، إذا تكلّم بكلمةٍ أنصتوا لها ثم يَؤُلّون[3] إليه كما تَؤُلُّ الشَّوْلُ[4] إلى فَحْلها. قال: ذلك عامر بن مالك. قال أبو عبيدة: فدعا حاجبٌ الحارثَ بنَ ظالم فأخبره برأيه وخَبَرِ القوم وقال: يابن ظالم، هؤلاء بنو عامر قد أتَوْك، فما أنتَ صانعٌ؟ قال الحارث: ذلك إليكَ، إنْ شِئْتَ أقمتُ فقاتلتُ القوم، وإن شئتَ تَنَحَّيْتُ. قال حاجب: تَنَحَّ عنِّي غيرَ ملوم، فغضِبَ الحارث من ذلك وقال: [الطويل]

لَعَمْرِي لقد جَاوَرْتُ في حَيِّ وَائِلٍ ... ومَنْ وائلٍ جَاوَرْتُ في حَيِّ تَغْلِبِ
فَأَصْبَحْتُ في حَيِّ الأَرَاقِمِ لم يَقُلْ ... لِيَ القَوْمُ يا حَارِ بنَ ظَالم اذْهَبِ[5]
وقد كَانَ ظَنِّي إذ عَقَلْتُ إليكُمُ ... بَنِي عُدُسٍ ظَنِّي بِأَصْحَابِ يَثْرِبِ
غَدَاةَ أَتَاهُمْ تُبَّعٌ في جُنودِهِ ... فلَمْ يُسْلِمُوا المرّينَ مِنْ حَيٍّ يَحْصُبِ
فإنْ تَكُ في عُلْيَا هَوَازِنَ شَوْكَةٌ ... تُخَافُ فَفِيكُمْ حَدُّ نَابٍ ومِخْلَبِ
وإنْ يَمْنَعِ المَرْءُ الزُّرَارِيُّ جَارَهُ ... فَأَعْجِبْ بها مِنْ حاجبٍ ثمّ أَعْجِبِ

فغضِب حاجب فقال: [الطويل]

لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَيْرِ يا حَارِ إنَّنِي ... لأَمْنَعُ جَاراً مِنْ كُلَيْبِ بنِ وَائِلِ
وقد عَلِمَ الحَيُّ المَعَدِّيُّ أَنَّنَا ... على ذَاكَ كُنَّا في الخُطُوبِ الأَوَائِلِ

---

(١) المأق: لغة في موق العين وهو مؤخّرها أو مقدّمها.
(٢) يعذمهم: يعنّفهم.
(٣) يؤلّون: يسرعون.
(٤) الشّول: جمع الشائلة: الناقة التي خَفَّ لبنها وارتفع ضرعها.
(٥) الأراقم: جمع الأرقم: ذكر الحيّات أو أخبثها.

وَأَنَّـا إذا مـا خَـافَ جَـارٌ ظُـلاَمَـةً ... لَـبِـسْـنَـا لَـهُ ثَـوْبَـيْ وَفَـاءٍ وَنَـائِـلِ
وَأَنَّ تَـمِـيـمـاً لَـمْ تُـحَـارِبْ قَـبِـيـلَـةً ... مِـنَ الـنَّـاسِ إِلاَّ أُولِـعَـتْ بِـالـكَـوَاهِـلِ
ولـو حَـارَبَـتْـنَـا عَـامِـرٌ يَـابْـنَ ظَـالـم ... لَـعَـضَّـتْ عَـلَـيْـنَـا عَـامِـرٌ بِـالأَنَـامِـلِ
وَلاسْتَـيْـقَـنَـتْ عُـلْـيَـا هَـوَازِنَ أَنَّـنَـا ... سَـنُـوطِـئُـهـا فـي دَارِهـا بِـالـقَـنَـابِـلِ[1]
وَلَـكِـنَّـنِـي لا أَبْـعَـثُ الـحَـرْبَ ظَـالِـمـاً ... ولـو هِـجْـتُـهـا لَـمْ أُلْـفَ شَـحْـمَـةَ آكِـلِ

قال: فتنحّى الحارث بن ظالم عن بني زُرارةَ فلحِقَ بِعَرُوض اليمامةِ، ودعا مَعْبَداً ولَقِيطاً ابْنَيْ زُرارةَ فقال: سِيرَا في الظُّعُن، فموعدُكما رَحْرحان[2]؛ فإنّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر. وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر، فقالوا: ما ترى؟ قال: أَنْ نَدَعَهم بمكانهم ونَسْبِقَهم إلى الظُّعُن. قال: فلَقُوها بِرَحْرَحان، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها، وأُسِرَ معبدٌ وجُرِح لَقِيطٌ، فبعثوا بمَعْبَد إلى رجلٍ بالطّائف كان يعذِّبُ الأسرى، فقطَّعه إِرْباً إِرْباً حتى قتله، وقال عامر بن مالك يَرُدُّ على حاجب قوله: [الطويل]

أَلِكْنِي إلى الـمَـرْءِ الـزُّرَارِيِّ حَـاجِـبٍ ... رَئِيسِ تَمِيمٍ في الخُطُوبِ الأَوَائِلِ[3]
وفَـارِسِـهـا فـي كُـلِّ يَـوْم كَـرِيـهَـةٍ ... وخَـيْـرِ تَـمِـيـم بـيـنَ حَـافٍ ونَـاعِـلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ عَنْ حَيِّ مَالِكٍ ... شَآبِيبَ مِنْ حَرْبٍ تَلَقَّحُ حَائِلِ[4]
عـلـى كُـلِّ جَـرْدَاءِ الـسَّـرَاةِ طِـمِـرَّةٍ ... وأَجْـرَدَ خَـوَّارِ الـعِـنَـانِ مُـنَـاقِـلِ[5]
نَـصَـحْـتُ له إذ قُلْتُ إِنْ كُنْتَ لاَحِقاً ... بِـقَـوْم فـلا تَـعْـدِلْ بِـأَبْـنَـاءِ وَائِـلِ
ولَـوَ أَلْـجَـأَتْـهُ عُـصْـبَـةٌ تَـغْـلَـبِـيَّـةٌ ... لَسِـرْنَـا إلـيـهـم بِـالـقَـنَـا والـقَـنَـابِـلِ
ولَـو رُمْـتُـمُ أَنْ تَـمْـنَـعُـوهُ رَأَيْـتُـمُ ... هُـنَـاكَ أُمُـوراً غَـيُّـهَـا غَـيْـرُ طَـائِـلِ
لَـشَـابَ وَلِـيـدُ الـحَـيِّ قَـبْـلَ مَـشِـيـبِـهِ ... وعَـضَّـتْ تَـمِـيـمٌ كُـلُّـهَـا بِـالأَنَـامِـلِ
وقَـامَـتْ رِجَـالٌ مِـنْـكُـمُ خِـنْـدِفِـيَّـةٌ ... يُـنَـادُونَ جَـهْـراً لَـيْـتَـنـا لَـمْ نُـقَـاتِـلِ

---

(١) القنابل: جمع القَنبلة: الجماعة من الخيل والناس.
(٢) رحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ قيل هو لغطفان وفيه يومان للعرب (معجم البلدان ٣:٣٦).
(٣) ألكني إلى فلان: كنْ رسولي إليه.
(٤) الشآبيب: جمع الشؤبوب: حَدُّ كلّ شيء، أو شدة اندفاع كلّ شيء. والحائل: غير الحامل.
(٥) الجرداء: الفرس القصيرة الشعر. والسَّرَاة: الظهر، والطِمِرّة: الفرس الجواد المستفز للوثب والعدو. وخوّار العِنان: سهل المعطف. والمناقل: الذي يحسن نقل يده ورجله على غير الحجارة.

[الحارث يقتل ابن النعمان حين رآه في حجر سلمى بنت ظالم]

قال: فخرج الحارث بن ظالم من فَوْره ذلك حتى أتى سَلْمَى بنتَ ظالم وفي حِجْرها ابن النُّعمان، فقال لها: إنه لن يُجِيرَنِي من النُّعمان إلاَّ تَحَرُّمِي بابنه، فَادْفَعيه إِلَيَّ، وقد كان النَّعمان بعث إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهُنّ؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله. فوثب النُّعمان على عَمِّ الحارث بن ظالم فقال له: لأَقْتلنَّكَ أو لتأتينِّي بابنِ أخيكَ. فاعتذر إليه فخَلَّى عنه، فأقبل ينطلق فقال: [البسيط]

يـا حَـارُ إِنِّـي أَحْـيَـا مِـنْ مُـخَـبَّـأَةٍ ... وأَنْـتَ أَجْـرَأُ مِـنْ ذِي لِـبْـدَةٍ ضَـارِي[1]

قـد كـانَ بَـيـتـيَ فـيـكـم بِـالـعَـلاَءِ فَـقَـدْ ... أَحْـلَـلْـتَ بَـيـتـيَ بَـيْـنَ الـسَّـيْـلِ والـنَّـارِ

مـهـمـا أَخَـفْـكَ عـلـى شَـيءٍ تَـجِـيءُ بِـهِ ... فَـلَـمْ أَخَـفْـكَ عـلـى أَمـثـالِـهَـا حَـارِ

ولـم أَخَـفْـكَ عـلـى لَـيْـثٍ تُـخَـاتِـلُـهُ ... عَـبْـلِ الـذِّراعَـيْـنِ لِـلأَقْـرَانِ هَـصَّـارِ[2]

وقـد عَـلِـمْـتُ بِـأَنِّـي لَـنْ يُـنَـجِّـيَـنِـي ... مِـمَّـا فَـعَـلْـتَ سِـوَى الإِقْـرَارِ بِـالـعَـارِ

فـقـدْ عَـدَوْتَ عـلـى الـنُّـعْـمَـانِ ظَـالِـمَـهُ ... فـي قَـتْـلِ طِـفْـلٍ كَـمِـثْـلِ الـبَـدْرِ مِـعْـطَـارِ

فَـاعْـلَـمْ بِـأَنَّـكَ مِـنْـهُ غَـيْـرُ مُـنْـفَـلِـتٍ ... وقـد عَـدَوْتَ عـلـى ضِـرْغَـامَـةٍ شَـارِي[3]

وقال الحارث بن ظالم في ذلك: [الطويل]

قِـفَـا فَـاسْـمَـعَـا أُخْـبِـرْكُـمـا إِذْ سَـأَلْـتُـمَـا ... مُـحَـارِبُ مَـوْلاهُ، وثَـكْـلاَنُ نَـادِمُ

حَـسِـبْـتَ أَبَـا قَـابُـوسَ أَنَّـكَ سَـابِـقِـي ... وَلَـمَّـا تَـذُقْ ثُـكْـلاً وَأَنْـفُـكَ رَاغِـمُ

أَخُـصْـيَـيْ حِـمَـارٍ بَـاتَ يَـكْـدُمُ نَـجْـمَـةً ... أَتُـؤْكَـلُ جَـارَاتِـي وجَـارُكَ سَـالِـمُ[4]

تَـمَـنَّـيْـتَـهُ جَـهْـراً عـلـى غَـيْـرِ رِيـبَـةٍ ... أَحَـادِيـثُ طَـسْـمٍ، إِنَّـمَـا أَنْـتَ حَـالِـمُ[5]

فَـإِنْ تَـكُ أَذْوَاداً أَصَـبْـتَ ونِـسْـوَةً ... فـهـذَا ابْـنُ سَـلْـمَـى أَمْـرُهُ مُـتَـفَـاقِـمُ[6]

عَـلَـوْتُ بِـذِي الـحَـيَّـاتِ مَـفْـرِقَ رَأْسِـهِ ... وكَـانَ سِـلاَحِـي تَـجْـتَـوِيـهِ الـجَـمَـاجِـمُ[7]

فَـتَـكْـتُ بِـهِ فَـتْـكـاً كَـفَـتْـكِـي بِـخَـالِـدٍ ... وَهَـلْ يَـرْكَـبُ الـمَـكْـرُوهَ إِلاَّ الأَكَـارِمُ

---

(١) ذو اللّبدة: الأسد. والضاري: الذي يضري بالصيد.

(٢) عبل الذراعين: مكتنزهما. وهصّار: الأسد لأنه يهصر فريسته أي يكسرها.

(٣) الشاري: المبالغ في غضبه.

(٤) النجمة: ضرب من النبات لا ساق له.

(٥) أحاديث طسم: أحاديث لا أصل لها.

(٦) الأذواد: جمع الذود: القطيع من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر أو غير ذلك.

(٧) ذو الحيّات: هو سيف الحارث وكان مرسوماً عليه تماثيل حيّات.

بَدَأْتُ بِهَذِي ثُمَّ أَثْنِي بِمِثْلِهَا وثَالِثَةٍ تَبْيَضُّ مِنْهَا المَقَادِمُ
شَفَيْتُ غَلِيلَ الصَّدْرِ منه بِضَرْبَةٍ كَذَلِكَ يَأْبَى المُغْضَبونَ القَمَاقِمُ(١)

فقال النّعمان بن المنذر: ما يعني بالثالثة غيري، قال سِنان بن أبي حارثة المُرِّيُّ ـ وهو يومئذٍ رأسُ غَطَفانَ ـ: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! والله ما ذِمَّةُ الحارث لنا بذمّة، ولا جارُه لنا بجار، ولو أَمَّنته ما أمّناه. فبلغ ابنَ ظالمٍ قولُ سِنانِ بن أبي حارثَةَ، فقال في ذلك: [الطويل]

أَلاَ أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً فكيفَ بِخَطَّابِ الخُطُوبِ الأَعَاظِمِ
وَأَنْتَ طَوِيلُ البَغْيِ أَبْلَخُ مُغْورٌ فَزُوعٌ إذا ما خِيفَ إِحْدَى العَظَائِمِ(٢)
فَمَا غَرَّهُ والمَرْءُ يُدْرِكُ وِتْرَهُ بِأَرْوَعَ مَاضِي الهَمِّ مِنْ آلِ ظَالِمِ
أَخِي ثِقَةٍ مَاضِي الجَنَانِ مُشَيَّعٍ كَمِيشِ التَّوَالِي عِنْدَ صِدْقِ العَزَائِمِ(٣)
فَأُقْسِمُ لَوْلا مَنْ تَعَرَّضَ دُونَهُ لَعُولِي بِهِنْدِيِّ الحَدِيدَةِ صَارِمِ
فَأَقْتُلُ أَقْوَاماً لِئَاماً أَذِلَّةً يَعَضُّون مِنْ غَيْظٍ أُصُولَ الأَبَاهِمِ
تَمَنَّى سِنَانٌ ضَلَّةً أَنْ يُخِيفَنِي ويَأْمَنَ، ما هذا بِفِعْلِ المُسَالِمِ
تَمَنَّيْتَ جَهْداً أَنْ تَضِيعَ ظُلاَمَتِي كَذَبْتَ ورَبِّ الرَّاقِصَاتِ الرَّوَاسِمِ(٤)
يَمِينُ امرئٍ لَمْ يَرْضَعِ اللُّؤْمَ ثَدْيَهُ ولم تَتَكَنَّفْهُ عُروقُ الأَلاَئِمِ

[امرأة من بني مُرّة تستجير به فيجيرها]

قال: فَأَمَّنه النعمان، وأقام حيناً. ثم إنّ مُصَدِّقاً للنُّعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مُرّةَ يقال لها دَيْهَثُ؛ فأتت الحارثَ فعلَّقَتْ دَلْوَها بِدلوه ومعها بُنَيٌّ لها، فقالت: أبا ليلى! إنّي أتيتُك مُضافةً(٥). فقال الحارث: إذا أورد القومُ النَّعَمَ فنادِي بأعلى صَوْتِك: [البسيط]

دَعَوْتِ بِاللَّهِ ولَم تُرَاعِي ذلكَ رَاعِيكِ فَنِعْمَ الرَّاعِي

---

(١) القماقم: جمع القمقام: السيد الخَيِّر الواسع الفضل.
(٢) الأبلخ: المتكبّر الجريء على فِعل الفجور.
(٣) كميش التوالي: أي إنه مُجِدٌّ مُشَمِّرٌ.
(٤) رقص البعير رَقْصاً: إذا أسرع في سيره. والرواسم: جمع الراسم والراسمة: الإبل التي تسير رسيماً والرَّسيم: المشي الشديد.
(٥) مضافة: مستجيرة.

وتِــلْــكَ ذَودُ الــحَــارِثِ الــكَــسَّــاعِ يَــمْــشِــي لــهــا بِــصَــارِمٍ قَــطَّــاعِ[1]
يَــشْــفِــي بــه مَــجَــامِــعَ الــصُّــدَاعِ

وخرج الحارث في أثرها يقول: [الرجز]

أنَا أَبُو لَيْلَى وسَيْفِيَ المَعْلُوبْ كَمْ قَدْ أَجَزْنا مِنْ حَرِيبٍ مَحْرُوبْ[2]
وكَمْ رَدَدْنَا مِنْ سَلِيبٍ مَسْلُوبْ وطَعْنَةٍ طَعَنْتُها بِالمَنْصُوبْ
ذاكَ جَهِيزُ المَوْتِ عِنْدَ المَكْرُوبْ

ثم قال لها: لا تَرِدَنَّ عليكِ ناقةٌ ولا بعيرٌ تَعْرِفينه إلاّ أَخَذْتِيه ففعلتْ؛ فأتت على لَقُوحٍ لها يحلِبُها حَبَشِيٌّ، فقالت: يا أبا ليلى! هذه لي. فقال الحبشيّ: كذبتِ. فقال الحارثُ: أَرْسِلْها لا أُمَّ لكَ! فضرَط الحبشيّ. فقال الحارث: «اِسْتُ الحالبِ أعلم»، فسارتْ مثلاً. قال أبو عُبَيْدَةَ: ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدقُ:

[الطويل]

كَمَا كَانَ أَوْفَى إذْ يُنَادِي ابْنُ دَيْهَثٍ وصِرْمَتُهُ كَالمَغْنَمِ المُتَنَهَّبِ
فقَامَ أَبُو لَيْلَى إِلَيهِ ابْنُ ظَالِمٍ وكَانَ مَتَى ما يَسْلُلِ السَّيْفَ يَضْرِبِ
وما كانَ جَاراً غَيْرَ دَلْوٍ تَعَلَّقَتْ بِحَبْلَيْنِ في مُسْتَحْصِدِ القِدِّ مُكْرَبِ[3]

قال أبو عُبَيدة: حَدَّثني أبو محمد عِصامٌ العِجْليّ قال: فَلَمَّا قتَل الحارثُ بنُ ظالمٍ خالدَ بن جعفر في جِوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كِنْدَةَ يَحُلُّ شُعبَى[4] - قال: شُعَبَى غير ممدود - فلمّا ألحَّ الأَسْوَدُ في طلب الحارث قال له الكِنْدِيُّ: ما أرى لكَ نجاةً إلاّ أنْ أُلْحِقَكَ بِحَضْرَمَوْتَ ببلاد اليمن فلا يُوصَلَ إليكَ. فسار معه يوماً وليلةً، فلمّا غَرَّبَهُ قال: إنّني أنقطعُ ببلاد اليمن فأغترِبُ بها، وقد بَرِئَتْ منك خِفَارتي[5]. فرجع حتّى أتى أرضَ بكر بن وائل، فلجأ إلى بني عِجْلِ بن لُجَيْم، فنزل على زَبَّان فأجاره وضرب عليه قُبّة، وفي ذلك يقول العِجْلِيُّ: [الطويل]

ونَحْنُ مَنَعْنَا بِالرِّمَاحِ ابْنَ ظَالِمٍ فَظَلَّ يُغَنِّي آمِناً في خِبَائِنَا

(١) الكسّاع: الذي يطرد ويضرب بالسيف.
(٢) المعلوب: اسم سيفه.
(٣) المستحصد: المحكم الفتل. والقِدّ: السير يُقَدُّ من جلد. والمُكْرَب: المشدود بالكَرَب وهو الحبل.
(٤) شُعَبَى: موضع في بلاد بني فزارة أو هو جبل بحِمى ضريّة لبني كلاب (معجم البلدان ٣:٣٤٦).
(٥) الخِفارة: الذمّة والعهد.

قال أبو عبيدة: فجاءته بنو ذُهْلِ بن ثَعْلبةَ وبنو عَمْرو بن شَيْبان فقالوا: أَخْرِجْ هذا المشؤومَ من بينِ أَظْهُرِنا، لا يَعُرُّنا بِشَرٍّ؛ فإنّا لا طاقةَ لنا بالمَلْحَاء (والملحاء كَتِيبةُ الأَسْوَدِ) فَأَبَت عِجْلٌ أن تُخْفِرَه، فقاتلوه فامتنعتْ بنو عِجْلٍ، فقال الحارث بن ظالم في الكِنْدِيِّ وفيهم: [الطويل]

يُكَلِّفُنِي الكِنْدِيُّ سَيْرَ تَنُوفَةٍ ... أُكَابِدُ فيها كُلَّ ذِي صُبَّةٍ مُثْرِي[1]

ـ الصُّبّة: قطعةٌ من الغنم أو بقيّة منها ـ

وأَقْبَلَ دُونِي جَمْعُ ذُهْلٍ كَأَنَّنِي ... خَلاَةٌ لِذُهْلٍ والزَّعَانِفِ مِنْ عَمْرِو[2]

ودُونِيَ رَكْبٌ مِنْ لُجَيْمٍ مُصَمِّمٌ ... وزَبَّانُ جَارِي والخَفِيرُ على بَكْرِ

لَعَمْرِيَ لا أَخْشَى ظُلاَمَةَ ظَالِمٍ ... وسَعْدُ بن عِجْلٍ مُجْمِعُونَ على نَصْرِي

قال أبو عبيدة: ثم قال لهم الحارثُ: إِنِّي قد اشتهرَ أمرِي فيكم ومكانِي، وأنا راحلٌ عنكم، فارتحل فلحِقَ بطيّىء، فقال الحارثُ في ذلك: [الطويل]

لَعَمْرِي لقد حَلَّتْ بِيَ اليومَ نَاقَتِي ... إلى نَاصِرٍ من طَيِّئٍ غَيْرِ خَاذِلِ

فَأَصْبَحْتُ جَاراً لِلمَجَرَّةِ مِنْهُمُ ... على بَاذِخٍ يَعْلُو على المُتَطَاوِلِ

قال أبو عبيدة وحَدَّثني أبو حَيَّة أنّ الأَسْوَدَ حِينَ قتلَ الحَارثُ خالداً سأل عن أمرٍ يبلُغُ منه. فقال له عُرْوةُ بن عُتْبةَ: إنّ له جاراتٍ من بَلِيٍّ بن عَمْرو، ولا أراكَ تنالُ منه شيئاً أَغْيَظَ له من أَخْذِهنّ وأَخْذِ أموالِهنّ، فبعث الأَسْوَدُ فَأَخذهنّ واستاق أموالهنّ. فبلَغ ذلك الحارثَ، فخرج من الحينِ فانسابَ في غُمَارِ النَّاس حتى عَرَفَ موضع جاراتِه ومَرْعَى إبلهنّ، فأتى الإِبلَ فوجد حالبين يحلُبان ناقةً لهنّ يقال لها اللِّفَاع، وكانت لبوناً كأَغْزَرِ الإبل، إذا حُلِبَتْ اجترَّتْ، ودمعتْ عيناها، وأصغت برأسها، وتَفَاجَّتْ[3] تَفَاجَّ البائِلِ، وهجمتْ في المِحْلَب هَجْماً حتى تُسَنِّمَه[4]، وتجاوبت أحاليلُها[5] بالشّخْبِ هَتًّا[6] وهثيماً حتى تَصُفَّ بين ثلاثةِ مَحَالِب، فصاح

(١) التنوفة: الصحراء لا ماءَ فيها ولا أنيس.
(٢) الخلاة: الرطب من الحشيش. والزعانف: جمع الزِّعنفة. القطعة من الثوب أو أسفله المتمزّق، أو هو كل ما لا قيمة له.
(٣) تَفَاجّتْ: باعدت ما بين رجليها.
(٤) تسنّمه: تملؤه فيصبح فوقه مثل السنام.
(٥) الأحاليل: مخرج اللبن من الضرع.
(٦) الشّخب: ما يخرج من الضرع من اللبن. والهتّ: اختلاط الصوت.

الحارثُ بهما ورَجز فقال: [الرجز]

إذا سمعتِ حَنَّةَ اللُّفَاعِ فَادْعِي أَبَا لَيْلَى ولا تُرَاعِي
ذلكَ رَاعِيكِ فَنِعْمَ الرَّاعِي يُجِبْكِ رَحْبَ البَاعِ والذِّراعِ
مُنْطَقاً بِصارمٍ قَطَّاعِ

خَلِّيا عنها! فعرَفاه فضرَط البائنُ. فقال الحارثُ: «اِسْتُ الضَّارِطِ أَعْلَمُ» فذهبتْ مثلاً ـ قال الأَثْرَمُ: البائن الحالبُ الأيمنُ، والمستعلي الحالبُ الأَيْسَرُ ـ ثم عَمَدَ إلى أموال جاراته وإلى جاراته فجمعهنّ وردّ أموالَهن وسار معهنّ حتى اشتلاهنّ (أي أنقذهنّ).

[رواية في قتله ابن الملك]

قال أبو عُبَيْدَة: ولَحِقَ الحارثُ ببلاد قومه مختفياً، وكانت أُخته سَلْمَى بنتُ ظالم عند سِنَان بن أبي حارثةَ المُرِّيّ. قال أبو عُبيدة: وكان الأَسْوَدُ بن المُنْذِرِ قد تَبَنَّى سِنانُ بن أبي حارثةَ المُرِّيُّ ابنَه شُرَحْبِيلَ، فكانت سَلْمَى بنتُ كَثِيرِ بن رَبِيعةَ من بني غَنْم بن دُودانَ امرأةُ سِنَانِ بن أبي حارثةَ المُرِّيِّ تُرضعه وهي أُمُّ هَرِمٍ، وكان هَرِمٌ غَنِيًّا يقدِر على ما يُعطي سائليه. فجاء الحارثُ، وقد كان اندسَّ في بلاد غَطَفانَ، فاستعار سَرْجَ سِنانٍ، ولا يعلم سنانٌ، وهم نُزولٌ بالشَّرَبَّةِ[1]، فأتى به سَلْمَى ابنةَ ظالمٍ فقال: يقول لك بَعْلُكِ: ابْعَثِي بابن الملك مع الحارثِ حتى أستأمِنَ له وَيَتَخَفَّرَ به، وهذا سَرْجُهُ آية إليك. فزيّنته ثم دفعتْه إلى الحارث، فأتَى بالغلام ناحيةً من الشَّرَبَّةِ فقتلَه، ثم أنشأ يقول: [الطويل]

قِفَا فَاسْمَعَا أُخْبِرْكُما إذ سَأَلْتُما مُحَارِبُ مَوْلاَه، وثَكْلاَنُ نَادِمُ

ـ ثكلان نادم: يعني الأَسْودَ لأنه قُتِل ابنُه شُرَحْبِيل، مُحَارِبُ مولاه: يعني الحارث نفسَه. ومولاه: سِنَانٌ ـ

أَخُصَيَيْ حِمَارٍ باتَ يَكْدُمُ نجمةً أَتُؤْكَلُ جاراتي وجارُك سالمُ
حَسِبْتَ أَبِيتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ فَائِتٌ وَلَمَّا تَذُقْ ثُكْلاً وأَنفُكَ رَاغِمُ
فَإنْ تَكُ أَذْواداً أَصَبْتَ ونِسْوةً فَهذا ابنُ سَلْمَى رَأْسُهُ مُتَفَاقِمُ

(١) الشَّرَبَّة: موضع بين السليلة والرَّبذة (معجم البلدان ٣: ٣٣٢).

عَلَوْتُ بِذِي الحَيَّاتِ مَفرِقَ رَأْسِهِ ... وكَانَ سِلاَحِي تَجْتَوِيهِ الجَمَاجِمُ
فَتَكْتُ بِهِ كَمَا فَتَكْتُ بِخَالِدِ ... ولا يَرْكَبُ المَكْرُوهَ إلاَّ الأكَارِمُ
بَدَأْتُ بِتِلْكَ وَانْثَنَيْتُ بِهَذِهِ ... وثَالِثَةٍ تَبْيَضُّ مِنْهَا المَقَادِمُ

قال: ففي ذلك يقول عَقِيلُ بن عُلَّفَةَ في الإسلام وهو من بني يَرْبُوع بن غَيْظِ بن مُرَّةَ لمّا هاجى شَبِيبَ بن البَرْصاءِ، وأبوه يزيدُ، وهو من بني نُشْبَةَ بن غَيْظ بن مُرّة ابنُ عَمِّ سِنانِ بن أبي حارثَة، فعيَّرَهُ بقتلِ الحارثِ بن ظالم شُرَحْبِيل لأنّه ربيبُ بني حارثةَ بن مُرّةَ بن نُشْبَةَ بن غَيْظ رَهْط شَبِيب، ففي ذلك يقولُ عَقِيلٌ:

[الطويل]

قَتَلْنَا شُرَحْبِيلاً رَبِيبَ أَبِيكُمُ ... بِنَاصِيةِ المَغْلُوبِ ضَاحِيَة غَضْبَا[١]
فلم تُنْكِرُوا أَنْ يَغْمِزَ القَوْمُ جَارَكُمْ ... بِإِحْدَى الدَّوَاهِي ثُمَّ لم تَطْلُعُوا نَقْبَا[٢]

قال أبو عُبيدة: وهَرِبَ الحارثُ، فغزا الأَسْوَدُ بني ذُبْيان إذ نقضوا العهد وبني أَسَدٍ بِشَطِّ أَرِيكٍ[٣]. قال أبو عبيدة: وسألته عنه فقال: هما أَرِيكانِ الأَسْوَدُ والأبيض، ولا أدري بأيّهما كانت الوَقْعةُ. قال أبو عُبَيدةَ وقال آخرون: إنّ سَلْمَى امرأةَ سِنَانٍ التي أخذ الحارثُ شُرَحْبِيلَ من عندها من بني أَسَدٍ. قال: فإنّما غَزَا الأسودُ بني أَسَدٍ لِيدفع الأَسَدِيَّة سَلْمَى ابنَه إلى الحارث، فقتل فيهم قتلاً ذَرِيعاً وسبَى واستاقَ أموالَهم. وفي ذلك يقول الأعشى ميمون: [الخفيف]

وشُيوخٍ صَرْعَى بِشَطَّيْ أَرِيكٍ ... ونِسَاءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي
مِنْ نَوَاصِي دُودَانَ إذْ نَقَضُوا العَهْـ ... ـدَ وذُبْيانَ والهِجَانِ الغَوَالِي[٤]
رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ اليَوْ ... مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ[٥]
هٰؤلاَءِ ثمَّ هٰؤلاَءِ كُلاً اخْذَيْـ ... ـتَ نِعالاً مَحْذُوَّةً بِمِثَالِ
وَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو ... لاً وكَعْبُ الَّذي يُطِيعُكَ عَالِي

قال: ووُجِدَ نعلُ شُرَحْبِيلَ عند أَضَاخٍ[٦]، وهو من الشَّرَبَّةِ في بني مُحَارِبِ بن

---

(١) ضاحية: جهراً.
(٢) النَّقْب: الطريق الضيّق في الجبل.
(٣) أريك: اسم لعدّة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ١:١٦٥).
(٤) دودان: قبيلة من بني أسد.
(٥) الرَّفد: القدح الضخم. وهريق رَفْدُ فلان: إذا قُتِلَ.
(٦) أضاخ: من قرى اليمامة (معجم البلدان ١:٢١٣).

خَصَفَةَ بن قَيْس عَيْلاَنَ. قال: فأحمى لهم الأسودُ الصَّفَا التي بصحراء أَضَاخٍ وقال لهم: إنِّي أَحذِيكم نِعالاً، فأَمشاهم على الصَّفَا المُحْمَى فتساقط لحمُ أقدامهم، فلمّا كان الإسلام قتل جَوْشَنٌ الكِنْدِيُّ رجلاً من بني مُحارِبٍ فأُقِيدَ به جوشنٌ بالمدينة. وكان الكنديُّ من رهط عبّاس بن يزيد الكنديّ، فهجا بني مُحاربٍ فعيّرهم بتحريق الأسْوَدِ أقدامَهم فقال: [الطويل]

علـى عَـهْـدِ كِـسْـرَى نَـعَّـلَـتْـكُـمْ مُـلُـوكُـنَـا صَـفـاً مِـنْ أَضَـاخٍ حَـامِـيـاً يَـتَـلَـهَّـبُ

قال أبو عُبيدة: وصار ذلك مثلاً يتوعَّدُ به الشعراءُ مَنْ هَجَوْه ويحذِّرونهم مثلَ ذلك. ومن ذلك أن ابن عَتّابٍ الكلبي ورَد على بني النَّوس من جَدِيلةِ طيّىء، فسرَقوا سهاماً له؛ فقال يحذِّرهم: [الطويل]

بَنِي النَّوسِ رُدُّوا أَسْهُمي إنَّ أَسْهُمِي كَنَعْلِ شُرَحْبِيلَ الَّتِي في مُحَارِبِ

وقال في الجاهليّة ابنُ أُمِّ كَهْف الطّائِيُّ في مَدْحِه لمالكِ بن حِمَارٍ الشَّمْخيّ، فذكر نعل شُرَحْبِيلَ فقال: [الوافر]

ومـولاكَ الَّـذي قَـتَـلَ ابـنَ سَـلْـمَـى عَـلانِـيَـةً شُـرَحْـبِـيـلَ ابـنِ نَـعْـلِ

لأنه لولا النعل لم يُعْرَفْ، وإنّما عُرِفَ بما صنع أبوه ببني مُحارِبٍ من أجل نعله التي وُجِدت في بني مُحَارِبٍ.

قال أبو عُبَيدَةَ: وأخذ الأسودُ سِنَانَ بنَ أبي حارثةَ، فأتاه الحارثُ بن سُفْيانَ أحدُ بني الصّارِد، وهو الحارثُ بنُ سُفْيانَ بنِ مُرّةَ بن عَوْفِ بن الحارثِ بن سفيان أخو سَيّارِ بن عمرو بن جابر الفَزاريِّ لأمّه، فاعتذر إلى الأسْوَدِ أن يكون سِنانُ بن أبي حارثةَ علِم أو اطّلع، ولقد كان أطْرَدَ الحارثَ من بلاد غَطَفانَ، وقال: عليَّ دِيَةُ ابنِك ألف بعِيرٍ دِيَةُ الملوك؛ فحمَّلها إيّاه وخلَّى عن سِنَانٍ؛ فأدّى إلى الأسْوَدِ منها ثمانَمائةِ بعيرٍ ثم مات. فقال سيّار بن عمرو أخوه لأمّه: أنا أقوم فيما بَقِيَ مقام الحارثِ بن سُفْيان، فلم يرضَ به الأسودُ. فرهَنه سَيَّارٌ قَوْسَه، فأدّى البقيّة. فلمّا مدح قُرَادُ بن حَنَشٍ الصارِديُّ بني فَزارةَ جَعَلَ الحَمالةَ كلَّها لسَيَّار بن عمرو فقال:

[الطويل]

ونَـحْـنُ رَهَـنَّـا الـقَـوْسَ ثُـمَّـتَ فُـودِيَـتْ بِـأَلْـفٍ عـلـى ظَـهْـرِ الـفَـزَارِيِّ أَقْـرَعَـا
بِـعَـشْـرِ مِـئِـيـنٍ لِـلـمُـلُـوكِ سَـعَـى بِـهَـا لِـيُـوفِـيَ سَـيَّـارُ بـنُ عَـمْـرٍو فَـأَسْـرَعَـا

رَمَيْنَا صَفَاهُ بِالمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ ثَنَايَاه لِلسَّاعِينَ في المَجْدِ مَهْيَعَا[١]

قال: ويقال: بل قالها رَبِيعُ بن قَعْنَبٍ، فردَّ عليه قُرَادٌ فقال: [البسيط]

ما كَانَ تَغْلَبُ ذِي عَاجٍ لِيَحْمِلَها ولا الفَزَارِيُّ جُوفَانُ بنِ جُوفَانِ[٢]

لَكِنْ تَضَمَّنَها أَلْفاً فَأَخْرَجَها على تَكَالِيفِها حَارُ بنُ سُفْيَانِ

وقال عُوَيْفُ القَوَافِي بن عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ في الإسلام يفخر على أبي منظور الوَبْرِيّ حين هاجاه أحد بني وَبْرِ بنِ كِلاَبٍ: [الرجز]

فَهَلْ وَجَدْتُمْ حَامِلاً كَحَامِلِي إذ رَهَنَ القَوْسَ بِأَلْفٍ كَامِلِ

بِدِيَةِ ابْنِ المَلِكِ الحُلاَحِلِ فَافْتَكَّها مِنْ قَبْلِ عَامٍ قَابِلِ[٣]

سَيَّارٌ المُوفِي بِها ذُو السَّائِلِ

[لحوقه ببني دارم]

قال أبو عُبيدة: فلمّا قَتَلَ الحارثُ شُرَحْبِيلَ لَحِقَ ببني دَارِمٍ فلجأ إلى بني ضَمْرةَ. قال: وبنو عبد الله بن دارمٍ يقولون: بل جاور مَعْبَدَ بن زُرَارَة فأجاره، فجرَّ جُوارُه يوم رَحْرَحانَ، وجَرَّ يومُ رحرحان يومَ جَبَلَة، وطلبه الأسودُ بن المُنْذِرِ بِخُفْرته. فلمَّا بَلَغه نزولُه ببني دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسْلِموه فأَبَوْا. فقال يَمُنُّ على بني قَطَنِ بن نَهْشَلِ بن دَارم بما كان من النُّعمان بن المُنْذِرِ في أمر بني رشيّة وهي رُمَيْلةُ حين طلبهم من لَقِيطٍ بن زُرَارةَ حتى استنقذهم، ورشيّة أَمَةٌ كانت لِزُرارة بن عُدُسٍ بن زيدٍ المُجَاشِعِيّ، فَوطِئَها رجلٌ من بني نَهْشَلٍ فأولدها؛ وكان زُرَارةُ يأتي بني نَهْشَلٍ يطلبُ الغِلْمةَ التي وَلَدَتْ، وولدتِ الأَشْهَبَ بن رُمَيْلَةَ والرَّبابَ بن رُمَيْلَةَ وغيرَهما، وكانوا يُسْمِعُونه ما يكره، فيرجِعَ إلى ولده فيقول: أَسْمَعني بنو عَمّي خيراً وقالوا: سنبعَث بهم إليك عاجلاً، حتى مات زُرَارةُ، فقام لَقِيطٌ ابنُه بأمرهم؛ فلمّا أتاهم أسمعوه ما كَرِهَ، ووقع بينهم شرٌّ. فذهب النّهشليّ إلى الملك فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! لا تَصِلُني وتَصِلُ قومي بأفضلَ من طِلْبَتِكَ إلى لَقِيطِ الغِلْمَةَ لِيَكُفَّ عنّي.

(١) الثنايا: جمع الثنية: الطريق في الجبل. والمهيع: الطريق الواسع الواضح.

(٢) ذو عاج: وادٍ في بلاد قيس (معجم البلدان ٤ : ٦٤). والجُوفان: أير الحمار.

(٣) الحلاحل: السيّد في عشيرته، الشجاع.

فدعاه فشرِبَ معه، ثم استوهبهم منه فوهبهم له، فقال الأسْوَدُ بن المُنْذِر في ذلك:

[الطويل]

كَأَيِّنْ لنا مِنْ نِعْمَةٍ في رِقَابِكُمْ ... بَنِي قَطَنٍ فَضْلاً عليكم وأَنْعُمَا
وَكَمْ مِنَّةٍ كَانَتْ لَنَا في بُيُوتِكُمْ ... وقَتْلِ كَرِيم لم تَعُدُّوهُ مَغْرَمَا
فإنَّكُمُ لا تَمْنَعُونَ ابْنَ ظَالِمٍ ... ولم يمسِ بِالأَيْدِي الوَشِيجَ المُقَوَّما[1]

فأجابه ضَمْرةُ بن ضَمْرةَ فقال:

[الطويل]

سَنَمْنَعُ جَاراً عَائِذاً في بيوتِكُمْ ... بِأَسْيَافِنا حَتَّى يَؤُوبَ مُسَلَّمَا
إذا ما دَعَوْنَا دَارِماً حَالَ دُونَهُ ... عوَابِسُ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُعَجَّمَا[2]
ولو كُنْتَ حَرْباً ما وَرَدْتَ طُوَيْلِعاً ... ولا حَوْفَهُ إلاَّ خَمِيساً عَرَمْرَما[3]
تَرَكْتَ بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ وفِعْلَهُمْ ... وأَشْبَهْتَ تَيْساً بالحِجازِ مُزَنَّما[4]
ولن أَذْكُرَ النُّعْمَانَ إلاَّ بِصَالِحٍ ... فَإنَّ له فَضْلاً عَلَيْنا وأَنْعُمَا

قال: وبلَغ ذلك بني عامر، فخرج الأحوصُ غازياً لبني دَارم طالباً بدم أخيه خالدِ بن جعفر حينِ انطوَوْا على الحارث وقاموا دونه، فغزاهم فالْتَقوْا بِرَحْرَحانَ، فهُزِمَتْ بنو دَارِم، وأُسِرَ مَعْبَدُ بن زُرَارةَ، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم، وحديثُه في يوم رحرحانَ يأتي بعدُ.

ثم أَسَرَ بنو هِزَّانَ الحارثَ بنَ ظالم، وقال أبو عُبَيْدَةَ: خرج الحارثُ من عندهم، فجعل يطوف في البلاد حتى سقَط في ناحيةٍ من بلاد ربيعة، ووضَع سِلاَحَه وهو في فَلاةٍ ليس فيها أثرٌ ونام، فمرّ به نَفَرٌ من بني قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ ومعهم قومٌ من بني هِزَّانَ من عَنَزةَ وهو نائمٌ، فأخذوا فرسَه وسلاحَه ثم أوثقوه، فانتبه وقد شدّوه فلا يَملِك من نفسه شيئاً. فسألوه مَنْ أنت؟ فلم يخبرهم وطوَى عنهم الخبر، فضربوه ليقتلوه على أن يُخبرهم مَنْ هو فلم يفعل. فاشتراه القيسيّون مِنَ الهِزّانيّين بِزِقِّ خمرٍ وشاة ـ ويقال: اشتراه رجلٌ من بني سعد بإغلاق[5] بَكْرةٍ وعشرين من

---

(١) الوشيج: شجر الرماح، وتُستعمل للرماح ذاتها.
(٢) الشّكيم: جمع الشكيمة: الحديدة المعترضة في الفم. والمعجّم: المعضوض.
(٣) طويلع: ماء لبني تميم (معجم البلدان ٤: ٥٠). وحوف الوادي: ناحيته وحرفه. والخميس: الجيش الكبير. والعرمرم: الكثير العدد.
(٤) المُزَنّم: الذي تُقطع أذنه فيترك معلّقاً.
(٥) إغلاق: إعطاء.

الشّاء - ثم انطلقوا به إلى بلادهم. فقالوا له: مَنْ أنتَ وما حالُكَ؟ فلم يُخبرهم، فضربوه ليموت فأَبَى. قال: وهو قريبٌ من اليمامة. قال: فبينما هُمْ على تلك الحال وهم يُرِيغونه ضَرْباً مَرَّةً وتَهَدُّداً أُخرى ولِيناً مَرَّةً ليخبرهم بحاله. وهو يأبى، حتى مَلُّوه، فتركوه في قَيْده حتى انفلت ليلاً، فتوجّه نحو اليمامة وهي قريبٌ منه، فلقِيَ غِلْمَةً يلعبون، فنظر إلى غلامٍ منهم أَخْلَقُهم لِلخير عنده فقال: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا بُجَيْرُ بن أبْجَرَ العِجْلِيّ، وله ذُؤابةٌ يومئذٍ وأمّه امرأةُ قَتَادةَ بن مَسْلَمةَ الحنفيّ. فأتاه وأخذ بِحَقْوَيْه[1] والتزمه وقال: أنا لكَ جارٌ. فيقال: إنّ عِجْلاً أجارَتْه في هذا اليوم لا في اليوم الأوّل الذي ذكرناه في أوّل الحديث، فأتى الغلام أباه فأخبره وأجاره وقال: ائتِ عمَّكَ قَتَادة بن مَسْلَمةَ الحنفيَّ فأَخْبِرْه؛ فأتى قتادةَ فأخبره فأجاره.

قال أبو عُبَيدةَ: وأمّا فِرَاسٌ فزعم أنه أَفلت من بني قَيْسٍ فأقبل شَدًّا حتى أتى اليمامةَ، واتّبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حَنيفةَ وفيه قَتادةُ بن مَسْلَمةَ. فلمّا رأوه يَهْوِي نحوَهم قال: إنّ هذا لَخائفٌ، وبَصُرَ بالقوم خَلْفَه فصاح به: الحِصْنَ الحِصن! فأقبل حتى ولَج الحِصْنَ. وجاءت بنو قيسٍ، فحال دونه وقال: لو أخذتموه قبل دخوله الحِصْنَ لأَسلمتُه إليكم، فأمّا إذْ تحرَّمَ بي فلا سبيلَ إليه. قال: فقالوا: أسيرُنا اشتريناه بأموالنا، وما هو لك بجارٍ ولا تعرِفه، وإنّما أتاك هارباً من أيدينا، ونحن قومُك وجِيرتُك. قال: أمّا أن أُسلمه أبداً فلا يكون ذلك، ولكن اختاروا مِنّي: إن شئتم فانظُروا ما اشتريتموه به فخذوه منّي، وإن شئتم أعطيتُه سلاحاً كاملاً وحملتُه على فرسٍ ودَعُوه حتى يقطعَ الواديَ بيني وبينه ثم دُونكُمود. فقالوا: رَضِينا. فقال ذلك للحارث فقال نعم. فألبسه سلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له: إنْ أفلتَّهم فرُدَّ إليّ الفرسَ والسلاحُ لك. قال: فخرج، وتركوه حتى جاز الواديَ، ثم اتّبعوه ليأخذوه، فلم يزل يُقاتلهم ويُطاردهم حتى ورد بلادَ بني قُشَيْرٍ، وهو قريبٌ من اليمامة أيضاً بينهما أقلُّ من يوم. فلمّا صار إلى بلاد بني قُشَيْر يئسوا منه فرجعوا عنه، وعرَفه بنو قُشَيْرٍ فانْطَوَوْا عليه وأكرموه. ورَدَّ إلى قَتادةَ بن مَسْلَمةَ فرسَه وأرسل إليه بمائة من الإبل، لا أدري أأعطاه إيّاها بنو قُشَيْرٍ من أموالهم ليكافىءَ بها قَتادةَ أم كانت له، لم يُفَسِّرْ أبو عُبَيدة أمرَها ولا سألتُه عنها. فقال الحارثُ بن ظالم في ابنَيْ

---

(١) الحقو: الخصر.

حُلاَكَةَ وهما من الذين باعوه من القَيْسِيِّين وفيما كان من أمره ـ قال أبو عُبيدة: ويقال أسره راعيانِ من بني هِزّانَ يقال لهما ابنا حُلاَكَةَ ـ: [البسيط]

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي قَيْسٍ مُغَلْغَلَةً ... أَنِّي أُقَسَّمُ فِي هِزَّانَ أَرْبَاعَا

إِبْنَا حُلاَكَةَ بَاعَانِي بِلاَ ثَمَنٍ ... وبَاعَ ذُو آلِ هِزانٍ بِمَا بَاعَا

يَابْنَيْ حُلاَكَةَ لَمَّا تَأْخُذَا ثَمَنِي ... حَتَّى أُقَسَّمَ أَفْرَاساً وأدراعا

قَتَادَةُ الخَيْرُ نَالَتْنِي حَذِيَّتُهُ ... وكانَ قِدْماً إلى الخَيْرَاتِ طَلاَّعا[1]

وقال في ذلك أيضاً: [الكامل]

هَمَّتْ عُكَابَةُ أَنْ تَضِيمَ لجيما ... فَأَبَتْ لُجَيْمُ ما تَقُولُ عُكَابَهْ

فَاسْقِي بُجَيْراً مِنْ رَحِيقٍ مُدَامَةٍ ... واسْقِي الخَفِيرَ وطَهِّرِي أَثْوَابَهْ

جَاءَتْ حَنِيفَةُ قَبْلَ جَيْئَةِ يَشْكُرٍ ... كُلاً وَجَدْنا أَوْفِيَاءَ ذُؤَابَهْ[2]

وزعم أبو عُبَيْدَةَ أنّ الحارثَ لمّا هُزِمَتْ بنو تميم يوم رَحْرَحانَ مَرَّ برجلٍ من بني أَسَد بن خُزَيْمةَ: فقال؛ يا حارِ إنّكَ مشؤومٌ وقد فعلتَ، فانظُرْ إذا كنتَ بمكان كذا وكذا من بُرْقةِ رَحْرَحانَ فإنّ لي به جملاً أحمرَ فلا تَعْرِضْ له، وإنما يعرِّض له ويكرَه أن يصرِّحَ فيبلُغَ الأسْوَدَ فيأخذَه. فلمّا كان الحارثُ بذلك المكانِ أخذ الجملَ فنجا عليه، وإذا هو لا يُسَايَرُ مِنْ أمامِه ولا يُسْبَقُ مِنْ ورائه. فبلغ ذلك الأسودَ، فأخذ الأسودُ الأَسَدِيَّ وناساً من قومه، وبلغ ذلك الحارثَ بنَ ظالمٍ فقال كأنه يهجوهم لئلا يتّهمهم الأسودُ: [الوافر]

أَرَانِي اللَّهُ بِالنَّعَمِ المُنَدَّى ... بِبُرْقَةِ رَحْرَحانَ وقد أَرَانِي[3]

لِحَيِّ الأَنْكَدِينَ وحَيِّ عَبْسٍ ... وحَيِّ نَعَامَةٍ وبَنِي غُدَانِ

قال: فلمّا بلغ قولُه الأسودَ خَلَّى عنهم، ولَحِقَ الحارثُ بمكة وانتمى إلى قريش وذلك قولُه: [الوافر]

ومـا قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ ... ولا بِفَزَارةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا[4]

---

(١) الحَذِيّة: العطيّة.

(٢) يقال: فلان ذؤابة قومه أي السيّد والشريف فيهم.

(٣) تندية الإبل: أن تورَدَ الماء لتشرب قليلاً ثم تؤخذ لترعى ساعة ثم تُرَدُّ إلى الماء ثانية.

(٤) الشُّعْر: جمع الأشعر: الكثير الشّعر الطويله.

وقَـوْمِـي إنْ سَـأَلْـتِ بَـنُـو لُـؤَيٍّ ... بِـمَـكَّـةَ عَـلَّـمُـوا مُـضَـرَ الـضِّـرَابَا

قال: فزوّده وحمله رَوَاحةُ الجُمَحِيُّ على ناقة؛ فذلك قولُه: [الوافر]

وهَـشَّ رَوَاحَـةُ الـجُـمَـحِـيُّ رَحْـلِـي ... بِـنَـاجِـيَـةٍ ولـم يَـطْـلُـبْ ثَـوَابَـا[1]

كَـأَنَّ الـرَّحْـلَ والأَنْـسَـاعَ مـنـهـا ... ومِـيـثَـرَتِـي كُـسِـيـنَ أَقَـبَّ جَـابَـا[2]

[خبر مقتله]

ـ يُروى «حَشَّ» و «هَشَّ» وهما لغتان، وحَشَّ: سَوَّى ـ قال: فلحِقَ الحارثُ بالشّام بملك من ملوك غَسَّان ـ يقال هو النُّعْمان، ويقال بل هو يزيد بن عَمْرو الغَسّانيّ ـ فأجاره. وكانت للملك ناقةٌ مُحْماةٌ[3] في عُنقها مُدْيةٌ وزِنَادٌ وصُرَّةُ مِلْح، وإنّما يختبر بذلك رعيّته هل يجترىء عليه أحدٌ منهم. ومع الحارث امرأتان، فوَحِمَتْ إحدى امرأتيه ـ قال أبو عبيدة: وأصابت النّاسَ سَنَةٌ شديدةٌ ـ فطلبتِ الشَّحْمَ إليه. قال: وَيْحَكِ! وَأَنَّى لي بِالشَّحم والوَدَكِ[4]! فألحَّتْ عليه، فعمدَ إلى النّاقةِ فأدخلها بطنَ وادٍ فَلَبَّ في سَبَلتها[5] (أي طعن). فأكلتِ امرأتهُ ورفعتْ ما بقي من الشحم في عُكَّتها[6]. قال: وفُقِدَتِ النّاقةُ فوُجِدَتْ نَحِيراً لم يُؤْخَذْ منها إلاّ السَّنَامُ، فأعلموا ذلك الملكَ، وخفِيَ عليهم مَنْ فعله. فأرسلَ إلى الخِمْسِ التَّغْلَبِيّ ـ وكان كاهناً ـ فقال: مَنْ نحر الناقة؟ فذكر أنّ الحارثَ نحرها. فتذمَّم[7] الملكُ وكَذَّبَ عنه. فقال: إن أردتَ أن تعلم عِلْمَ ذلك فَدُسَّ امرأةً تطلبُ إلى امرأته شحماً، ففعل. فدخل الحارثُ وقد أخرجتِ امرأتهُ إليها شحماً، فعرَف الدّاء فقتلها ودفنها في بيته. فلمّا فُقِدَتِ المرأةُ قال الخمْسُ: غالَها ما غالَ الناقة، فإنْ كَرِهَ الملكُ أن يفتِّشه عن ذلك فليأمُرْ بالرحيل، فإذا ارتحل بُحِثَ بيتُه، ففعل. واستثار الخمْسُ مكانَ بيته؛ فوثب عليه الحارثُ فقتله؛ فأُخِذَ الحارثُ فحُبِسَ، فاستسقى ماءً

(١) الناجية: الناقة السريعة.
(٢) الأنساع: جمع النِّسْع: سير مضفور تُشَدُّ به الرّحال. والمِيثرة: ما يوضع على ظهر البعير تحت الراكب. والأقبّ: الضامر. والجاب: القويّ الغليظ.
(٣) الحامي من الإبل: الذي طال مكثه فيترك.
(٤) الوَدَك: الدهن الذي يستخرج من اللحم.
(٥) السَّبَلة: ثغرة النحر.
(٦) العُكَّة: زقّ صغير للسمن.
(٧) تذمَّمَ: استنكف.

فأتاه رجلٌ بماء فقال: أتشرَبُ؟ فأنشأ الحارث يقول: [الطويل]

لقد قالَ لي عِنْدَ المَجَاهِدِ صَاحِبي ... وقد حِيلَ دُونَ العَيْشِ هل أنتَ شَارِبُ[١]
وَدِدْتُ بِأَطْرَافِ البَنَانِ لَوَ انَّنِي ... بِذِي أَرْوَنَى تَرْمِي وَرَائِي الثَّعَالِبُ

ـ الثعالب: من مُرَّةَ وهم رُماةٌ. أَرْوَنَى: مكانٌ. وقال مَرَّةً أُخرى: الثعالب بنو تَغْلبة. يقول: كانوا يرمون عنِّي ويقومون بأمري ـ قال: فأمر الملك بقتله. فقال: إنك قد أجرتني فلا تَغْدِرْني، فقال: لا ضيرَ! إن غَدَرْتُ بكَ مرَّةً فقد غدرت بي مِراراً. فأمَر مالِكَ بنَ الخِمْسِ التغلبيَّ أن يقتلَه بأبيه. فقال: يابنَ شَرِّ الأظماء أنت تقتلني! فقتله. وقال ابن الكلبيّ: لمّا قام ابن الخمس إلى الحارث ليقتلَه قال: مَنْ أنت؟ قال: ابنُ الخِمْس، قال: أنت ابنُ شَرِّ الأظماء. قال: وأنت ابنُ شرِّ الأسماء؛ فقتله. فقال رجلٌ من ضريّ ـ وهم حَيٌّ من جُرْهُم ـ يرثي الحارثَ بن ظالم: [مجزوء الرجز]

يا حَارِ حِنِّيَّا ... حُرّاً قُطَامِيَّا
ما كُنْتَ تَرْعِيَّا ... في البيتِ ضِجْعِيَّا[٢]
أدْعَى لُباخِيَّا ... مُمَلأً عِيَّا[٣]

وأخذ ابنُ الخِمْس سيفَ الحارثِ بنِ ظالم المعلوبَ، فأتى به سُوقَ عُكَاظَ في الحَرَم، فجعل يَعْرِضه على البيع ويقول: هذا سيفُ الحارث بن ظالم، فاسْتَرْآه[٤] إيّاه قيسُ بن زُهَيْر بن جَذِيمةَ فأراه إيّاه، فعلاه به حتى قتله في الحَرَم، فقال قيس بن زُهَيرٍ يَرثِي الحارثَ بن ظالم: [الطويل]

ما قَصَرَتْ مِنْ حَاضِنٍ سِتْرَ بَيْتِهَا ... أَبَرَّ وأَوْفَى مِنكَ حَارِ بنَ ظالمِ
أَعَزَّ وأَحْمَى عِنْدَ جَارٍ وذِمَّةٍ ... وأَضْرَبَ في كَابٍ مِنَ النَّقْعِ قَاتِمِ

هذه رواية أبي عُبَيدةَ والبَصْريّين، وأمّا الكوفيون فإنهم يذكرون أنّ النُّعمان بن المنذر هو الذي قتله. أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدَّثنا أبو

---

(١) المجاهد: جمع المجهد: الشدّة.
(٢) الترعيّ: الترعيّة: الذي يجيد رعيَ الإبل، وهذا من عمل الأصاغر لا الأشراف. والضِجعيّ: الذي لا يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة.
(٣) اللّباخي: الكثير اللحم. والمعنى يقتضي «تدعى لباخيّا» لأن الخطاب للحارث.
(٤) استرآه: طلب منه أن يريه إيّاه.

سَعِيد عن محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل قال: لمّا هرب الحارثُ إلى مكة أسِف النُّعمانُ بنُ المُنْذِرِ على فَوْته إيّاه، فلَطُفَ له وراسَله وأعطاه الأمانَ، وأشهد على نفسه وجوهَ العرب من رَبِيعةَ ومُضَرَ واليمن أنه لا يطلبه بِذَحْلٍ ولا يسوؤه في حال، وأرسل به مع جماعةٍ لِيَسْكُنَ الحارثُ إليهم، وأمرهم أن يتكفّلوا له بالوفاء ويَضْمَنوا له عنه أنه لا يَهِيجه، ففعلوا ذلك. وسكَنَ إليه الحارث، فأتى النعمانَ وهو في قصر بني مُقَاتِل، فقال للحاجب: استأذِنْ لي، والناسُ يومئذ عند النعمان متوافرون، فاستأذن له، فقال النعمان: ائذَنْ له وخُذْ سيفَهُ. فقال له: ضَعْ سيفَك وادخُلْ. فقال الحارث: ولِمَ أضَعُه؟ قال: ضَعْه، فلا بأسَ عليك. فلمّا ألحّ عليه وضعه ودخل ومعه الأمانُ، فلمّا دخل قال: انْعَمْ صباحاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ. قال: لا أنعمَ اللَّهُ صباحَكَ! فقال الحارث: هذا كتابك! قال النُّعمان: كتابي والله ما أُنكره، أنا كتبتُه لك، وقد غَدَرْتَ وفتكتَ مِراراً، فلا ضَيْرَ أن غَدَرتُ بك مرّةً. ثم نادى: منْ يقتل هذا؟ فقام ابن الخِمْسِ التغلبيّ ـ وكان الحارثُ فتَكَ بأبيه ـ فقال: أنا أقتله. وذكر باقيَ الخبر في قصّته مع ابن الخِمْسِ مثلَ ما ذكر أبو عُبَيدةَ.

خبر الحارث وعمرو بن الإِطْنابةِ

وإنما ذُكر ها هنا لاتصاله بمَقْتَل خالدِ بن جعفر، ولأنَّ فيما تَنَاقَضَاه من الأشعار أغَانيَ صالحٌ ذِكرُها في هذا الموضع.

قال أبو عُبَيدةَ: كان عَمْرُو بن الإِطْنَابةِ الخزرجيُّ مَلِكَ الحجاز، ولمّا بلغه قتلُ الحارثِ بنِ ظالم خالدَ بنَ جعفرٍ، وكان خالدٌ مصافياً له، غَضِبَ لذلك غضباً شديداً، وقال: واللهِ لو لَقِيَ الحارثُ خالداً وهو يَقْظَانُ لَمَا نظر إليه، ولكنه قتلَه نائماً، ولو أتاني لعرَفَ قَدْرَه، ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بِقِيَانِهِ، فَتَغَنّيْنَ له: [الخفيف]

عَلِّلانِي وعَلِّلاَ صَاحِبَيَّا ... واسْقِيَانِي مِنَ المُرَوَّقِ رِيَّا[1]

إنَّ فينا القِيَانَ يَعْزِفْنَ بالدُّفِّ ... لِفِتْيَانِنَا وعَيْشاً رَخِيَّا

يَتَبَارَيْنَ في النَّعِيم ويَصْبُبْـ ... ـنَ خِلالَ القُرونِ مِسْكاً ذَكِيَّا

إنَّما هَمُّهُنَّ أنْ يَتَحَلَّيْـ ... ـنَ سُمُوطاً وسُنْبلاً فَارِسيَّا[2]

من سُموطِ المَرْجانِ فُصِّلَ بالشَّذْ ... رِ فَأَحْسِنْ بِحَلْيِهِنَّ حُلِيَّا[3]

وفَتًى يَضْرِبُ الكَتِيبَةَ بالسَّيْـ ... ـفِ إذا كَانَتِ السُّيوفُ عِصِيَّا

إنَّنا لا نُسَرُّ في غَيْرِ نَجْدٍ ... إنَّ فِينَا بِهَا فَتًى خَزْرَجِيَّا

يَدْفَعُ الضَّيْمَ والظُّلاَمَةَ عَنْهَا ... فَتَجَافَيْ عنه لَنَا يامَنِيَّا

أَبْلِغِ الحَارِثَ بنَ ظَالِمِ الرِّعـ ... ـدِيدَ والنَّاذِرَ النُّذُورِ عَلَيَّا[4]

---

(١) المُرَوَّق: المُصَفَّى.

(٢) السّموط: جمع السِّمط: القلادة أو الخيط الذي يكون الخرز أو اللؤلؤ منتظماً فيه.

(٣) الشَّذر: قطع من الذهب تُلتقط من معدنه أو هو اللؤلؤ الصغار.

(٤) الرِّعديد: الجبان.

أَنَّـمـا يَـقْـتُـلُ الـنِّـيَـامَ ولا يَـقْـ ـتُـلُ يَـقْـظَـانَ ذا سِـلاحٍ كَـمِـيَّـا[١]
ومَـعِـي شِـكَّـتِـي مَـعَـابِـلُ كَـالـجَـمْـ ـرِ وأَعْـدَدْتُ صَـارِمـاً مَـشْـرَفِـيَّـا[٢]
لـو هَـبَـطْـتَ الـبِـلادَ أَنْـسَـيْـتُـكَ الـقَـتْـ ـلَ كـمـا يُـنْـسِـىءُ الـنَّـسِـيءُ الـنسيَّـا

[شعر الحارث بعد أن انخذل عمرو عنه]

قال: فلمّا بلغ الحارثَ شعرهُ هذا ازداد حَنَقاً وغيظاً، فسار حتى أتى ديارَ بني الخَزْرَج، ثم دنا من قُبَّة عَمْرو بن الإِطْنَابةِ، ثم نادى: أيُّها الملك أغِثْنِي فإني جارٌ مكثورٌ[٣] وخُذْ سلاحك، فأجابه وخرج معه. حتى إذا برزَ له عطَفَ عليه الحارثُ وقال: أنا أبو لَيْلَى! فاعتركا مَلِيًّا من اللَّيل. وخَشِيَ عمروٌ أن يقتلَه الحارثُ فقال له: يا حارِ، إنّي شيخٌ كبيرٌ وإنِّي تعتريني سِنَةٌ، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غدٍ؟ فقال: هيهاتَ! ومَنْ لي به في غدٍ! فتجاولاَ ساعةً، ثم ألقى عمرٌو الرُّمْحَ من يده وقال: يا حارِ ألم أُخْبِرْكَ أنَّ النُّعَاسَ قد يغلِبُني! قد سقَطَ رمحي فَاكْفُفْ، فكفَّ. قال: أنظِرْنِي إلى غدٍ. قال: لا أفعل. قال: فدَعْنِي آخُذْ رُمْحِي. قال: خُذْه. قال: أخشَى أن تُعجِلَني عنه أو تفتِكَ بي إذا أردتُ أخْذَه. قال: وذِمَّة ظالم لا أعجلتُك ولا قاتلتُك ولا فتكتُ بك حتى تأخذَه. قال: وذِمَّةِ الإِطْنابةِ لا آخذُه ولا أُقاتلك، فانصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجيباً له: [الخفيف]

اِعْـزِفَـا لـي بِـلَـذَّةٍ قَـيْـنَـتَـيَّـا قَـبْـلَ أَنْ يُـبْـكِـرَ الـمَـنُـونُ عَـلَـيَّـا
قَـبْـلَ أَنْ يُـبْـكِـرَ الـعَـوَاذِلُ إِنِّـي كُـنْـتُ قِـدْمـاً لأَمْـرِهِـنَّ عَـصِـيَّـا
مَـا أُبَـالِـي أَرَاشِـداً فَـاصْـبَـحَـانِـي حَـسِـبَـتْـنِـي عَـوَاذِلِـي أَمْ غَـوِيَّـا
بَـعْـدَ أَلاَّ أُصِـرَّ لِـلَّـهِ إِثْـمـاً فـي حَـيَـاتـي ولا أَخُـونَ صَـفِـيَّـا
مِـنْ سُـلاَفٍ كَـأَنَّـهَـا دَمُ ظَـبْـيٍ فـي زُجَـاجٍ تَـخَـالُـهُ رَازِقِـيَّـا[٤]
بَـلَـغَـتْـنـا مَـقَـالَـةُ الـمَـرْءِ عَـمْـرٍو فَـأَنِـفْـنَـا وكَـانَ ذَاكَ بَـدِيَّـا
قـد هَـمَـمْـنَـا بِـقَـتْـلِـهِ إذ بَـرَزْنَـا وَلَـقِـيـنَـاهُ ذا سِـلاَحٍ كَـمِـيَّـا

---

(١) الكَمِيّ: الشجاع المتكَمّي في سلاحه.

(٢) الشِّكَّة: ما يُحمل أو يُلبَس من السلاح. والمعابل: جمع المِعبلة: نصل عريض طويل. والمشرفيّ: السيف المنسوب إلى المشارف.

(٣) المكثور: أي أعداؤه كثر وهو عاجز عن ردِّهم.

(٤) السلاف: من أسماء الخمر. والرازقيّ: ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحبّ.

غَيْرَ ما نائِم تَعَلَّلَ بِالحُلْـ ـم مُعِدًّا بِكَفِّه مَشْرَفِيَّا
فَمَنَنَّا عَلَيْهِ بَعْدَ عُلُوٍّ بِوَفَاءٍ وكُنْتُ قِدْماً وَفِيَّا
ورَجَعْنَا بِالصَّفْحِ عَنْهُ وَكَانَ الـ ـمَنُّ مِنَّا عَلَيْهِ بَعْدُ تَلِيَّا

[نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني من شعر عمرو بن الإِطنابة]

صوت

[الخفيف]

عَلِّلانِي وعَلِّلاَ صَاحِبَيَّا واسْقِيَانِي مِنَ المُرَوَّقِ رِيَّا
إنَّ فِينَا القِيَانَ يَعْزِفْنَ بِالدّفِّ لِفِتْيَانِنَا وعَيْشاً رَخِيَّا

غَنَّته عَزَّةُ المَيْلاءُ من رواية حَمّاد عن أبيه خفيفَ رملٍ بالوسطى، قال حمّاد أخبرني أبي قال: بلغني أنّ معبداً قال: دخلتُ على جَمِيلَةَ وعندها عَزَّةُ الميلاءُ تغنّيها لحنَها في شِعْر عمرو بن الإِطنابةِ الخزرجيّ:

عَلِّلانِي وعَلِّلا صَاحِبَيَّا

على مِعْزَفةٍ لها وقد أَسَنَّتْ، فما سمعتُ قطُّ مثلَها وذهبتْ بعقلي وفتنتني، فقلت: هذا وهي كبيرة مُسِنَّةٌ! فكيف بها لو أدركتُها وهي شابّة! وجعلتُ أعجَب منها.

ومنها في شعر الحارث بن ظالم:

صوت

[الخفيف]

مَا أُبَالِي إذا اصْطَبَحْتُ ثَلاثاً أَرَشِيداً حَسِبْتَنِي أَمْ غَوِيَّا
مِنْ سُلاَفٍ كَأَنَّهَا دَمُ ظَبْيٍ فِي زُجَاجٍ تَخَالُهُ رَازِقِيَّا

غَنّاه فُلَيْحُ بن أبي العَوْراء رملاً بالبنصر عن عمرو بن بانة، وغنّاه ابن مَحْرِزٍ خفيفَ ثَقِيلٍ أوّل بالخنصر من رواية حَبَشٍ، ومنها:

صوت

[الخفيف]

بَلَغَتْنا مَقَالَةُ المَرْءِ عَمْرٍو فَأَنِفْنَا وَكَانَ ذَاكَ بَدِيَّا
قد هَمَمْنا بِقَتْلِهِ إذ بَرَزْنا ولَقِينَاه ذَا سِلاَحٍ كَمِيَّا

غَنَّاه مالكٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر من رواية حبش، وذكر إسحاق في مُجَرَّده أنّ الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب، ولم يَنْسُب الطريقة ولا جَنَّسها.

ونذكر ها هنا خبر رَحْرَحَانَ ويومَ قتله إذ كان مقتلُ الحارث وخبرُه خبرَهما

[يوم رحرحان الثاني]

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن العبّاس اليَزيديّ في كتاب النقائض قالا: قال أبو سَعِيدٍ الحسنُ بن الحسين السُّكّريّ عن محمد بن حَبِيبَ عن أبي عُبَيْدَة قال: كان من خبر رَحْرَحانَ الثاني أنّ الحارثَ بن ظالم المُرِّيَّ لمّا قتل خالدَ بن جعفر بن كِلابٍ غَدْراً عند النُّعمان بن المُنْذِرِ بالحِيرَةِ هرَبَ فأتى زُرارةَ بن عُدُس فكان عنده، وكان قوم الحارثِ قد تشاءموا به فلاموه، وكَرِهَ أن يكون لقومه زَعْمٌ عليه ـ والزّعم المِنّة ـ فلم يَزَلْ في بني تميم عند زُرَارةَ حتى لحِقَ بقُرَيْش. وكان يقال: إنّ مُرَّةَ بن عَوْفٍ من لُؤَيّ بن غالبٍ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي إلى قريش:

رَفَعْتُ السَّيْفَ إذْ قَالُوا قُرَيْشٌ ... وبَيَّنْتُ الشَّمَائِلَ والقِبَابَا[1]

فَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ ... ولا بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا[2]

وأتاهم لذلك النَّسَب، فكان عند عبد الله بن جُدْعانَ، فخرجتْ بنو عامر إلى الحارِث بن ظالمٍ حيث لجأ إلى زُرَارةَ وعليهم الأحْوَصُ بنُ جعفر، فأصابوا امرأةً من بني تميم وجدوها تَحْتَطِبُ، وكان في رأس الخيل التي خرجتْ في طلب الحارث بن ظَالم شُرَيْحُ بنُ الأحْوَصِ، وأصابوا غِلْماناً يجتنُون الكَمْأة. وكان الذي أصاب تلك المرأةَ رجلاً من غَنِيٍّ، فأرادتْ بنو عامر أخْذَها منه، فقال الأحوصُ: لا تأخذوا أَخِيذةَ خالِي. وكانت أُمّ جعفر (يعني أبا الأحوص) خَبيّةَ بنتَ رِيَاح

---

(١) في المفضليات (ص ٣١٥ طبعة دار المعارف ١٩٦٤): «رفعتُ الرُّمْحَ» و «بيّنتُ الشمائل والقِبابا».
يقول: أظهرت له ما تجنّ صدورنا وتشتمل عليه أحشاؤنا من الودّ المكنون ومعنى «رفعت الرمح»: أريت الناس زوال الخلاف بيننا، وأن آلة الحرب موضوعة فينا مستغنى عنها.

(٢) في المفضليات «الشُّعْرَى»: أفعل تفضيل للمؤنث، أي أكثر من غيرها شعراً في رقابها.

الغَنَوِيّ وهي إحدى المُنْجِبات. ويقال: أَتَى شُرَيْحُ بن الأحْوَصِ بتلك المرأةِ إليه، فسألها عن بني تميم، فأخبرتْهم أنهم لَحِقوا بقومهم حين بَلَغهم مجيئكم، فدفَعها الأحوصُ إلى الغنويّ فقال: اعْفِجْها[١] اللّيلةَ واحْذَرْ أن تنفلتَ، فوَطِئَها الغنويُّ ثم نامَ، فذهبتْ على وجهها. فلمّا أصبحَ دَعَوْا بها فوجدوها قد ذهبتْ. فسألوه عنها فقال: هذا حِرِي رَطْباً من زُبِّها. وكانت المرأة يقال لها حنظلة، وهي بنت أخي زُرارةَ بن عُدُسٍ. فأتتْ قومَها، فسألها عمُّها زُرارةُ عمّا رأتْ، فلم تستطع أن تَنْطِق. فقال بعضهم: اسقُوها ماءً حارًّا فإنَّ قلبها قد بَرَد من الفَرَق، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنّت. فقالت: يا عَمِّ! أخذني القومُ أَمْسِ وهم فيما أرَى يُريدونكم، فاحْذَرْ أنت وقومُك. فقال: لا بأسَ عليكِ يا بنتَ أخي، فلا تَذْعَرِي قومَكِ ولا تَرُوعِيهم، وأَخْبِرِيني ما هيئةُ القوم وما نَعْتُهم. قالت: أخذني قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء. قال زُرارة: أولئك بنو عامرٍ، فمَنْ رأيتِ فيهم؟ قالت: رأيتُ رجلاً قد سقَطَ حاجباه على عينيه فهو يرفَع حاجبيه، صغيرَ العينين، عن أمره يَصْدُرون، قال: ذاك الأَحْوَصُ بن جعفر. قالت: ورأيتُ رجلاً قليل المَنْطِق، إذا تكلَّمَ اجتمع القومُ لِمَنْطِقِه كما تجتمع الإِبلُ لِفَحْلها وهو من أحسن الناس وجهاً، ومعه ابنانِ له لا يُدْبِر أبداً إلاّ وهما يَتْبَعانه، ولا يُقْبِلُ إلاّ وهما بين يديه. قال: ذلك مالكُ بن جعفر، وابناه عامرٌ وطُفَيْلٌ. قالت: ورأيتُ رجلاً أبيضَ هِلْقامةً جَسِيماً ـ والهلقامة الأفوه[٢] ـ وقال: ذلك رَبِيعةُ بن عبد الله بن أبي بكر بن كِلاَبٍ. قالت: ورأيتُ رجلاً أَسْوَدَ أَخْنَسَ[٣] قصيراً، إذا تكلَّم عَذَمَ[٤] القوم عَذْمَ المنخوسِ. قال: ذلك رَبِيعة بن قُرْطِ بن عَبْدِ بن أبي بكر بنِ كلاَبٍ. قالت: ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين، أقرنَ الحاجبين، كثير شَعَرِ السَّبَلةِ[٥]، يسيل لُعَابُه على لِحْيته إذا تكلَّم. قال: ذلك حُنْدُجُ بن البَكّاء. قالت: ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين، ضيِّق الجَبْهةِ طويلاً، يقود فرساً له، معه جَفيرٌ[٦] لا يُجاوزُ يدَه. قال: ذلك ربيعةُ بن عقيل.

---

(١) العفج: الجماع.
(٢) الأفوه: الكبير الفم.
(٣) خَنِسَ: تأخّر أنفُه عن الوجه مع ارتفاع في الأرنبة.
(٤) عذم: عضّ، وهنا لام.
(٥) السَّبَلة: مقدّم اللحية.
(٦) الجفير: جعبة من خشب لا جلود لها أو من جلود لا خشب فيها.

قالت: ورأيتُ رجلاً آدَمَ[1]، معه ابنانِ له حَسَنَا الوجهِ أصهبانِ، إذا أقبلا نظر القومُ إليهما حتى ينتهيا، وإذا أدبرا نظروا إليهما. قال: ذلك عمرو بن خُوَيْلِد بنِ نُفَيْلِ بن عمرو بن كِلاَب، وابناه يزيدُ وزُرْعةُ. ويقال قالت: ورأيتُ فيهم رَجُلَيْنِ أحمَرَيْنِ جَسِيمَيْنِ ذَوَيْ غدائر[2] لا يَفْتَرِقانِ في مَمْشًى ولا مَجْلس، فإذا أدبرا اتّبعهما القوم بأبصارهم، وإذا أقبلا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلِسا. قال: ذانك خُوَيلِدٌ وخالد ابنا نُفَيْلٍ. قالت: ورأيتُ آدَمَ جسيماً كأنّ رأسَه مَجَزُّ غَضْوَرةٍ - والغضورةُ: حشيشٌ دُقَاقٌ خَشِنٌ قائم يكون بمكة. تريد أنّ شعرَه قائم خَشِنٌ كأنه حشيشٌ قد جُزَّ -. قال: ذلك عَوْفُ بنِ الأحْوَصِ. قالت: ورأيتُ رجلاً كأنّ شعرَ فَخذَيْهِ حَلَقُ الدُّروع. قال: ذلك شُرَيْحُ بن الأحْوَصِ. قالت: ورأيتُ رجلاً أسمرَ طويلاً يجول في القومِ كأنه غريبٌ. قال: ذلك عبد الله بن جَعْدَةَ. ويقال قالت: ورأيتُ رجلاً كثيرَ شعرِ الرأسِ، صَخَّاباً لا يَدَعُ طائفةً من القوم إلاّ أصخبها. قال: ذلك عبد الله بن جعدة بن كَعْب بن رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعة.

فسارتْ بنو عامر نحوَهم، والتقوا برَحْرَحانَ، وأُسِرَ يومئذ مَعْبَدُ بن زُرَارةَ، أَسَره عامرُ بن مالكٍ، واشترك في أَسْره طُفَيْلُ بن مالك ورجلٌ من غَنِيٍّ يقال له أبو عُمَيْلَةَ وهو عِصْمةُ بن وَهْبٍ وكان أخا طُفَيْلِ بن مالك من الرَّضاعة. وكان مَعْبَدُ بن زُرَارةَ رجلاً كثيرَ المال. فوفَد لَقِيطُ بن زُرَارةَ على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رَجَبٌ، وكانت مُضَرُ تدعوه الأصَمَّ؛ لأنهم كانوا لا يَتَنَادَوْنَ فيه يا لَفُلاَنٍ ويا لفلانٍ، ولا يَتَغازَوْنَ ولا يَتنادَوْنَ فيه بالشِّعاراتِ، وهو أيضاً مُنْصِل الألِّ. والألُّ: الأسِنَّةُ؛ كانوا إذا دخل رَجَبٌ أنصلوا الأسِنَّةَ من الرِّماح حتى يخرجَ الشهر. وسأل لقيطٌ عامراً أن يُطْلِقَ أخاه. فقال: أمّا حِصَّتي فقد وهبتُها لك، ولكن أرْضِ أخي وحَلِيفي اللّذَيْنِ اشتركا فيه. فجعل لَقِيطٌ لكلّ واحدٍ مائةً من الإبلِ، فَرضِيا وأتيا عامراً فأخبراه. فقال عامرٌ لِلَقيطٍ: دُونَك أخاك، فأطْلَقَ عنه. فلمّا أُطْلِقَ فكّر لَقِيطٌ في نفسه فقال: أُعطِيهم مائتي بعيرٍ ثم تكون لهم النعمةُ عليّ بعد ذلك! لا والله لا أفعل ذلك! ورجع إلى عامر فقال: إنّ أبي زُرَارةَ نهاني أن أَزيد على مائةٍ دِيَةِ مُضَرَ، فإنْ أنتم رَضِيتم أعطيتُكم مائةً من الإبل. فقالوا: لا حاجةَ لنا في ذلك؛ فانصرف لقيطٌ. فقال له مَعْبَدٌ: مالي يُخرجني من أيديهم. فأبى ذلك عليه فقال: إذاً يقتسم

---

(١) آدم: شديد السُّمرة.

(٢) الغدائر: جمع الغديرة: الذؤابة المضفورة من الشعر.

العربُ بني زُرَارةَ، فقال معبدٌ لعامر بن مالك: يا عامر! أنشُدُك اللَّهَ لمّا خَلَّيْتَ سبيلي، فإنما يريد ابنُ الحمراء أن يأكلَ كلَّ مالي - ولم تكن أُمُّه أُمَّ لقيط -. فقال له عامر: أبعَدكَ اللهُ! إنْ لم يُشْفِقْ عليك أخوك فأنا أَحَقُّ أَلاَّ أُشْفِقَ عليك. فعمَدوا إلى مَعْبَدٍ فشَدُّوا عليه القِدَّ وبعثوا به إلى الطائف، فلم يَزَلْ به حتى مات، فذلك قولُ شُرَيح بن الأحوَصِ: [المتقارب]

لَقِيطُ وأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ ... ولَكِنَّ حِلْمَكَ لا يَهْتَدِي
ولَمَّا أَمِنْتَ وسَاغَ الشَّرَا ... بُ واخْتَلَّ بَيْتُكَ فِي ثَهْمَدِ[1]
رَفَعْتَ بِرِجْلَيْكَ فَوْقَ الفِرَا ... شِ تُهْدِي القَصَائِدَ فِي مَعْبَدِ
وَأَسْلَمْتَهُ عِنْدَ جِدِّ القِتَالِ ... وتَبْخَلُ بِالمَالِ أَنْ تَفْتَدِي

وقال في ذلك عَوْفُ بن عَطِيّة بن الخَرِعِ التَّيْميُّ يُعَيِّرُ لقيطَ بنَ زُرَارةَ: [الكامل]

هَلاَّ فَوَارِسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتَهُمْ ... عُشَراً تَنَاوَحُ فِي سَرَارَةِ وَادِ[2]
لاَ تَأْكُلُ الإِبِلُ الغِرَاثُ نَبَاتَهُ ... مَا إِنْ يَقُومُ عِمَادُهُ بِعِمَادِ[3]
هَلاَّ كَرَرْتَ عَلَى أُخَيِّكَ مَعْبَدٍ ... والعَامِرِيُّ يَقُودُهُ بِصِفَادِ[4]
وذَكَرْتَ مِنْ لَبَنِ المُحَلَّقِ شَرْبَةً ... والخَيْلُ تَعْدُو بِالصِّفَاحِ بَدَادِ

- بَدَادِ: متفرّقة. والصِّفَاحُ: موضع. والمُحَلَّق: موسومة بحَلَقٍ على وجوهها. يقول ذكرتَ لبنها، يعني إبلَه -

لَوْ كُنْتَ إِذْ لا تَسْتَطِيعُ فَدَيْتَهُ ... بِهِجَانِ أُدْمٍ طَارِفٍ وتِلاَدِ
لٰكِنْ تَرَكْتَهُ فِي عَمِيقٍ قَعْرُهَا ... جَزَراً لِخَامِعَةٍ وطَيْرٍ عَوَادِ[5]
لو كُنْتَ مُسْتَحِياً لِعِرْضِكَ مَرَّةً ... قَاتَلْتَ أو لَفَدَيْتَ بِالأَذْوَادِ

وفيها يقول نابغةُ بني جَعْدَةَ: [الوافر]

هَلاَ سَأَلْتَ بِيَوْمَيْ رَحْرَحَانَ وقد ... ظَنَّتْ هَوَازِنُ أَنَّ العِزَّ قَدْ زَالاَ

---

(١) ثهمد: جبل أحمر بديار غنيّ، أو هو موضع في ديار بني عامر (معجم البلدان ٢ : ٨٩).
(٢) العُشَر: من كبار الشجر عريض الورق وله صمغ حلو. وتناوح: تتناوح: تتقابل. وسرارة الوادي: وسطه.
(٣) الغِراث: الجياع.
(٤) الصِّفاد: ما يوثّق به الأسير من قِدّ أو قيد.
(٥) الجَزَر: جمع الجَزَرة: كل شيء مباح للذبح. والخامعة: الضبع لأنها تخمع أي تعرج إذا مشت.

[ما قاله الشعراء في يوم رحرحان]

وفيها يقول مِقْدامٌ أخو بني عُدُسٍ بن زَيْدٍ في الإسلام، وقتلتْ بنو طُهَيَّةَ ابناً للقَعْقَاعِ بن مَعْبَدٍ، فَتَوادَوْا فأخذتْ بنو طُهَيَّةَ منهم الفَضْلَ: [الطويل]

وأَنْـتُـم بَـنُـو مَـاءِ الـسَّـمَـاءِ زَعَـمْـتُـمُ ... ومَـاتَ أَبُـوكُـمْ يَـا بَـنِـي مَـعْـبَـدٍ هُـزْلاَ

وقال المُخَبَّلُ السَّعْدِيُّ يذكر مَعْبداً: [الطويل]

فَـإِنْ تَـكُ نَـالَـتْـنـا كُـلَـيْـبٌ بِـقُـرَّةٍ ... فـيَـوْمُـكَ فـيـهـم بِـالـمـصـيـفَـةِ أَبْـرَدُ

هُـمُ قَـتَـلُـوا يَـوْمَ الـمـصـيـفـةِ مَـالِـكـاً ... وشَـاطَ بِـأَيْـدِيـهـم لَـقِـيـطٌ ومَـعْـبَـدُ[1]

وفيها يقول عِيَاضُ بن مَرْثَدِ بن أُسَيْدِ بن قُرَيْطِ بن لَبِيدٍ في الإسلام: [الطويل]

نَـحْـنُ أَسَـرْنَـا مَـعْـبَـداً يَـوْمَ مَـعْـبَـدٍ ... فَمَـا افْتُكَّ حَتَّى ماتَ مِنْ شِدَّةِ الأَسْرِ

ونـحـنُ قَـتَـلْـنَـا بِـالـصَّـفَـا بَـعْـدَ مَـعْـبَـدٍ ... أَخَـاهُ بِـأَطْـرَافِ الـرُّدَيْـنِـيَّـةِ الـسُّـمْـرِ[2]

وهذا يوم شِعْبِ جَبَلَة:

[السبب في يوم جبلة]

قال أبو عُبَيدة: وأمّا يوم جبلةَ، وكان من عِظَامِ أيّامِ العرب؛ وكان عِظَامُ أيّامِ العرب ثلاثةً: يومَ كُلاَبِ رَبِيعةَ، ويومَ جَبَلَةَ، ويومَ ذِي قارٍ. وكان الّذي هاج يوم جَبَلَةَ أنّ بني عَبْسِ بن بَغِيضٍ حين خرجوا هاربين من بني ذُبْيَانَ بن بَغِيضٍ وحاربوا قومهم خرجوا مُتَلَدِّدين[3]. فقال الربيع بن زِيَادٍ العَبْسِيُّ: أمَا والله لأرمِيَنَّ العربَ بِحَجَرِها، اقْصِدوا لبَنِي عامر؛ فخرج حتى نزل مَضيقاً من وادي بني عامر ثم قال: امكُثوا. فخرج ربيعٌ وعامر ابنا زيادٍ والحارثُ بن خُلَيْفٍ حتى نزلوا على ربيعةَ بن شَكَلِ بن كَعْبِ بن الحَرِيش، وكان العَقْدُ من بني عامر إلى بني كعب بن ربيعة وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة. فقال ربيعةُ بن شَكَلٍ: يا بني عَبْسٍ، شَأْنُكم جليلٌ، وذَحْلُكم الذي يُطْلَبُ منكم عظيمٌ، وأنا أعلم والله أنّ هذه الحربَ أعزُّ حربٍ حاربَتْها العربُ قطُّ. ولا والله ما بُدٌّ من بني كلاَبٍ، فَأَمْهِلُوني حتى

---

(١) شاط: هلك.

(٢) الردينيّة: الرماح المنسوبة إلى ردينة وهي امرأة كانت تثقف الرّماح.

(٣) تلدّدَ: تلفّتَ يميناً وشمالاً تحيّراً.

أستطلعَ طِلْعَ قومي. فخرج في قَوْم من بني كَعْبٍ حتى جاءوا بني كِلاَبٍ، فلقيهم عَوْفُ بن الأَحْوَصِ فقال: يا قوم، أَطِيعُوني في هذا الطَّرَفِ من غَطَفانَ، فاقتُلوهم واغْنَمُوهم لا تُفْلِحْ غَطَفانُ بعده أبداً، وواللَّهِ إنْ تَزِيدون عَلَى أن تُسَمِّنوهم وتمنعوهم ثم يَصِيروا لقومكم أعداء. فأبَوْا عليه، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم. فقال لربيعةَ بن شَكَلٍ: أَظَلَّلْتَهُم ظِلَّك وأطعمتَهم طعامَك؟ قال: نعم. قال: قد والله أجرتَ القومَ!. فأَنْزَلُوا القومَ وَسْطَهم بُحبوحةَ دارِهم.

وذكر بِشْرُ بن عبد الله بن حَيّان الكِلاَبيُّ أنّ عَبْساً لمّا حاربتْ قومها أتَوْا بني عامر وأرادوا عبدَ الله بن جَعْدةَ وابنَ الحَرِيشِ ليصيروا حلفاءَهم دون كِلاَبٍ؛ فأتى قيسُ بن زهيرٍ وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زياد حتى انتهيا إلى الأحوص جالساً قدّامَ بيتِه. فقال قَيْسٌ للربيع: إنه لا حِلْفَ ولا ثِقَةَ دون أن أنتهِيَ إلى هذا الشيخ. فتقدَّم إليه قيسٌ فأخذ بمجامع ثوبه من وَرَاءُ فقال: هذا مقامُ العائِذ بك! قتلتم أبي فما أخذتُ له عَقْلاً ولا قتلتُ به أحداً، وقد أتيتُك لِتُجِيرَنا. فقال الأَحْوَص: نعم! أنا لك جارٌ مما أُجير منه نفسي. وعَوْفُ بنُ الأحوص عن ذلك غائبٌ. فلما سمِعَ عوفٌ بذلك أتى الأحوصَ وعنده بنو جعفرٍ فقال: يا مَعْشَرَ بني جعفر، أَطِيعُونِي اليومَ واعْصُوني أبداً، وإنْ كنتُ واللَّهِ فيكم مَعْصِيّاً. إنّهم والله لو لَقُوا بني ذُبيان لَوَلَّوكم أطرافَ الأسِنّةِ إذا نَكَهُوا[1] في أفواههم بكلام!. فابْدَأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثلَ البُرْغوثِ دِماغُه في دَمِه. فأَبَوْا عليه وحالَفوهم، فقال: واللَّهِ لا أدخل في هذا الحِلْفِ!. قال: وسَمِعَتْ بهم حيث قرّ قَرارُهم بنو ذُبيانَ، فحشَدوا واستعدُّوا وخرجوا وعليهم حِصْنُ بن حُذَيْفةَ بن بَدْرٍ ومعه الحَلِيفانِ أَسَدٌ وذُبيان يطلبون بدم حُذَيْفةَ، وأقبل معهم شُرَحْبِيل بن أخضر بن الجَوْنِ ـ والجَوْنُ هو معاوية؛ سُمِّيَ بذلك لشدّة سواده ـ ابن آكِلِ المُرَار الكِنْديّ في جَمْع من كِنْدَةَ، وأقبلت بنو حَنْظَلةَ بن مالكٍ والرِّبَابُ عليهم لَقيطُ بن زُرَارةَ يطلبون بدم مَعْبَدِ بن زُرَارة ويَثْرِبيّ بن عُدُسٍ، وأقبل معهم حسّان بن عمرو بن الجَوْنِ في جَمْع عظيم من كِنْدةَ وغيرهم، فأقبلوا إليهم بوَضائع[2] كانت تكون بالحِيرةِ مع المُلوك وهم الرّابطةُ. وكان في الرِّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النُّعْمان بن قَهْوَسٍ التَّيْمِيُّ، وكان معه لِواء مَنْ سار إلى جَبَلةَ، وكان من فُرسان العرب، وله تقول دَخْتَنُوسُ بنت

---

(١) نكهوا: نطقوا.

(٢) الوضائع: قوم من الجند يوضعون في كورة لا يغزون منها.

لَقِيط بن زُرَارةَ يومئذ: [مجزوء الكامل]

فَـرَّ ابْـنُ قَـهْـوَسٍ الـشُّـجَـا ... عُ بِـكَـفِّـه رُمْـحٌ مِـتَـلُّ
يَـغْـدُو بِـهِ خَـاظِـي الـبَـضِـيـ ... ـعِ كَـأَنَّـهُ سِـمْـعٌ أَزَلُّ[1]
إنَّـكَ مِـنْ تَـيْـمٍ فَـدَعْ ... غَـطَـفَـانَ إنْ سَـاروا وحَـلُّـوا

ـ مِتَلٌّ: مستقيم، يُتَلُّ به كلُّ شيء. الخاظِي: الشيءُ المُكْتَنِز. والسِّمْعُ: ولدُ الضَّبُعِ من الذِّئب. والعِسْبارُ: ولدُ الذِّئب من الكلبة ـ [مجزوء الكامل]

لا مِـنْـكَ عَـدُّهُـمُ ولا ... آبَـاكَ إنْ هَـلَـكُـوا وذَلُّـوا
فَـخْـرَ الـبَـغِـيِّ بِـحِـدْجِ رَبَّـ ... ـتِـهـا إذا الـنَّـاسُ اسْـتَـقَـلُّـوا
لا حِـدْجُـهـا رَكِـبَـتْ ولا ... لِـرَغَـالِ فـيـه مُـسْـتَـظَـلُّ[2]
ولَـقَـدْ رَأَيْـتُ أَبَـاكَ وَسْـ ... ـطَ الـقَـوْمِ يَـرْبُـقُ أو يَـجُـلُّ[3]
مُـتَـقَـلِّـداً رِبْـقَ الـفُـرَا ... رِ كَـأَنَّـهُ فِـي الـجِـيـدِ غُـلُّ

ـ يَجُلُّ: يلقُط البَعَرَ. والفُرَار: أولادُ الغنم، واحدُها فُرَارة ـ. قال: وكان معهم رؤساء بني تميم: حاجِبُ بن زُرَارةَ ولَقِيطُ بن زرارة وعمرُو بن عمرو وعُتَيْبةُ بن الحارثِ بن شِهَابٍ، وتبِعهم غُثَاءٌ من غُثاء الناس يُريدون الغنيمةَ، فجمعُوا جمعاً لم يكن في الجاهليّة قطُّ مثلهُ أكثر كثرةً، فلم تَشُكَّ العربُ في هلاك بني عامر. فجاءوا حتى مرّوا ببني سَعْدِ بن زيدِ مَنَاةَ، فقالوا لهم: سِيرُوا معنا إلى بني عامر. فقالت لهم بنو سَعْدٍ: ما كنّا لنسيرَ معكم ونحن نزعم أنّ عامر بنَ صعصعة بنُ سَعْدِ بن زيدِ مَناةَ. فقالوا: أمّا إذ أبيتم أن تسيروا معنا فاكتُموا علينا. فقالوا: أمّا هذا فنَعَمْ. فلمّا سمِعتْ بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأَحْوَصِ بن جعفرٍ، وهو يومئذ شيخٌ كبيرٌ قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغَزْوَ غيرَ أنهُ يُدَبِّر أمرَ النّاس، وكان مُجَرَّباً حازماً ميمونَ النَّقِيبةِ[4]، فأخبروه الخبر. فقال لهم الأحوصُ: قد كَبِرْتُ، فما أستطيع أن أجيءَ بالحَزْم وقد ذهب الرأي منّي، ولكنّي إذا سمعتُ عرفتُ، فأَجْمِعُوا آراءكم ثم بيتُوا ليلَتكم هذه ثم اغْدُوا عليّ فاعْرِضوا

(١) البضيع: اللحم. وأزلّ: قليل لحم الفخذين.
(٢) الرَّغال: الأَمَة.
(٣) ربق: شدَّ البهيمة بالربقة، وهي عروة في حبل أو حلقة لربط الدابّة.
(٤) النقيبة: الطبيعة، ونفاذ الرأي والمشورة.

عليّ آراءكم، ففعلوا. فلمّا أصبحوا غَدَوْا عليه، فوُضِعَتْ له عَباءةٌ بِفنائه فجلس عليها، ورفع حاجبيه عن عينيه بعِصَابةٍ ثم قال: هاتُوا ما عندكم. فقال قَيْسُ بن زُهَيْرِ العَبْسيُّ: باتَ في كِنانتي اللَّيلةَ مائةُ رأي. فقال له الأحوصُ: يكفينا منها رأيٌ واحدٌ حازمٌ صَلِيبٌ مُصِيبٌ، هاتِ فانْثُر كِنانَتَك. فجعل يَعْرِض كلّ رأيٍ رآه حتى أنْفَدَ. فقال له الأحوصُ: ما أرى باتَ في كِنانتك الليلةَ رأيٌ واحدٌ!. وعرَضَ الناسُ آراءهم حتى أنفدوا. فقال: ما أسمع شيئاً وقد صِرْتم إليّ، احْمِلوا أثقالَكم وضُعفاءكم ففعلوا، ثم قال: احْمِلوا ظُعُنَكم فحملوها، ثم قال: اركَبوا فركبوا، وجعلوه في مِحَفَّةٍ، وقال: انطلِقوا حتى تُعْلُوا في اليمين، فإنْ أدرككم أحدٌ كَرَرْتم عليه، وإنْ أعجزتموهم مضيتم. فسار الناسُ حتى أتَوْا وادي بِحَارٍ[1] ضَحْوةً، فإذا النَّاسُ يرجِع بعضُهم على بعض. فقال الأحْوَصُ: ما هذا؟ قيل: هذا عمرُو بن عبد الله بن جَعْدةَ في فِتْيانٍ من بني عامرٍ يَعْقِرون بمن أجاز بهم ويقطَعون بالنِّساء حَوَاياهنّ[2]. فقال الأحوص: قَدِّموني، فقدَّموه حتى وقف عليهم فقال: ما هذا الذي تصنَعون؟! قال عمرٌو: أردتَ أن تَفْضَحنا وتُخرِجَنا هارِبين من بِلاَدِنا ونحن أعزُّ العرب، وأكثرُهم عدداً وجَلَداً وأَحَدُّهم شوكةً! تُريد أن تجعلنا مَوَاليَ في العرب إذ خرجتَ بنا هارباً!. قال: فكيف أفعلُ وقد جاءنا ما لا طاقةَ لنا به! فما الرأي؟ قال: نَرْجِعُ إلى شِعْبِ جَبَلَةَ فنُحْرِزُ النساءَ والضَّعَفَةَ والذَّراريَّ[3] والأموالَ في رأسه ونكونُ في وَسَطه ففيه ثَمْلٌ (أيْ خِصْبٌ وماء). فإنْ أقام مَنْ جاءك أسفلَ أقاموا على غير ماء ولا مُقَامَ لهم، وإن صَعِدوا عليك قاتلتَهم من فوق رؤوسهم بالحجارة، فكنتَ في حِرْزٍ وكانوا في غير حِرْزٍ، وكنتَ على قِتالهم أقْوَى منهم على قتالك. قال: هذا والله الرأي، فأين كان هذا عنك حين استشرتُ الناسَ؟ قال: إنما جاءني الآن. قال الأحوص للناس: ارْجِعوا فرَجعوا، ففي ذلك يقول نابغةُ بني جَعْدَة: [الطويل]

وَنَحْنُ حَبَسْنا الحَيَّ عَبْساً وعَامِراً ... لِحَسَّانَ وابْنِ الجَوْنِ إذْ قِيلَ أَقْبِلاَ
وقَد صَعِدَتْ وَادِي بِحَارٍ نِسَاؤُهُمْ ... كَإِصْعَادِ نَسْرٍ لاَ يَرُومُونَ مَنْزِلاَ
عَطَفْنَا لهم عَطْفَ الضَّرُوسِ فَصَادَفوا ... مِنَ الهَضْبَةِ الحَمْراءِ عِزًّا ومَعْقِلا

(١) وادي بحار: وادٍ لعمرو بن كلاب، بأعلى التسرير (معجم البلدان ١: ٣٤١).
(٢) الحوايا: جمع الحويّة: من مراكب النساء.
(٣) الذّراري: جمع الذُّرِّيّة: نسل الإنسان.

ـ الضَّروس: الناقة العَضُوضُ ـ فدخلوا شِعْب جَبَلة. وجبلة: هَضْبةٌ حمراء بين الشُّرَيْف والشَّرَفِ. والشُّرَيْفُ: ماءٌ لبني نُمَيْرٍ. والشَّرفُ: ماءٌ لبني كلاَبٍ. وجبلةُ: جبلٌ عظيم له شعبٌ عظيمٌ واسعٌ، لا يُؤْتَى الجبلُ إلا من قبل الشِّعْب، والشِّعب مُتَقاربُ المَدْخَلِ وداخلُه مُتَّسِعٌ، وبه اليومَ عُرَيْنَةُ من بَجِيلةَ. فدخلتْ بنو عامرٍ شِعْباً منه يقال له مُسَلِّحٌ، فحصّنوا النساء والذراريّ والأموالَ في رأس الجبل، وحَلَّأُوا الإبل عن الماء، واقتسموا الشِّعْبَ بالقِدَاح فأُقْرِعَ بين القبائل في شَظَاياه، فخرجت بنو تميمٍ ومعهم بارِقٌ (حيٌّ من الأَزْدِ حُلَفاءُ يومئذ لبني نُمَيْرٍ. وبارقٌ هو سَعْدُ بن عَدِيّ بنِ حارِثةَ بن عَمْرو مُزَيْقياء بنِ عامرٍ ماءِ السماء، وسُمِّي مُزَيْقياء لأنه كان يمزِّق عليه كلَّ يوم حُلَّةً) فولَجوا الخَلِيفَ (والخَلِيفُ: الطريق بين الشِّعْبَينِ شِبْه الزُّقَاق) لأنّ سَهْمَهم تخلَّف، وفيه يقول مُعَقِّرُ بن أَوْسِ بن حِمَارٍ البارقيُّ: [الوافر]

ونَحْنُ الأَيْمَنُونَ بَنُو نُمَيْرٍ يَسِيلُ بنا أَمَامَهُمُ الخَلِيفُ

قال: وكان مُعَقِّرٌ يومئذٍ شيخاً كبيراً أعمَى ومعه ابنةٌ له تقود به جملَه. فجعل يقول لها: مَنْ أَسْهَلَ من النَّاس؟ فتُخبره وتقول هؤلاء بنو فلان، وهؤلاء بنو فلان، حتى إذا تناهى الناسُ قال: اهْبِطي، لا يزال هذا الشِّعْبُ مَنِيعاً سائرَ هذا اليوم، وهبَط. وكانت كَبْشةُ بنتُ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بن عُتْبةَ بن جعفرِ بنِ كلاَبٍ يومئذ حاملاً بعامر بن الطُّفَيْل، فقالت: وَيْلَكم يا بني عامرٍ ارْفَعُوني! فوالله إنّ في بطني لَعِزَّ بني عامر.

[القبائل التي شهدت وقعة جبلة]

فصَفُّوا القِسِيَّ على عَوَاتِقِهم ثم حملوها حتى أَثْوَوْها بِالقُنَّة[1] (يقال قُنَّةٌ وقِنَانٌ)، فزعموا أنها ولدتْ عامراً يوم فَرغ الناسُ من القتال. فشَهِدَتْ بنو عامر كلُّها جَبَلَةَ إلاّ هِلالَ بن عامرٍ وعامرَ بن رَبِيعةَ بن عامرٍ، وشهدها مع بني عامرٍ من العرب بنو عَبْسٍ بن رِفَاعةَ بنِ الحارثِ بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم وكان لهم بأسٌ وحَزْمٌ وعليهم مِرْداسُ بن أبي عامرٍ، وهو أبو العبّاس بنِ مِرْداسٍ. وكانت بنو عَبْسٍ بن رِفاعة حلفاء بني عمرو بنِ كلاَبٍ. وزعم بعضُ بني عامرٍ أنّ مِرداساً كان مع أخواله غَنِيٍّ، وكانتْ أُمُّه فاطمةَ بنتَ جَلْهَمة الغَنَوِيّةَ. وشَهِدَتْها غَنِيٌّ وباهلةُ وناسٌ من بني

(١) القُنَّة: الجبل الصغير، وقُنَّة كلّ شيء: أعلاه.

سَعْدِ بن بكرٍ وقبائلُ بَجِيلةَ كلُّها إلاّ قَسْراً لحربٍ كانت بين قَسْرٍ وقَوْمِها، فارتحلت بَجِيلَةُ فتفرّقت في بُطون بني عامرٍ، فكانت عَادِيَةُ بنُ عامرِ بن قُدَادٍ من بَجِيلةَ في بني عامرِ بن رَبِيعةَ، وكانت سُحْمَةُ من بَجِيلةَ في بني جعفرِ بن كلاَبٍ ـ ويقال: عمرو بن كلاب ـ وكانت عُرَيْنَةُ من بَجِيلةَ في عمرو بنِ كلاَبٍ، وكانت بنو قَيْسِ كُبَّة (لفَرَسٍ يقال لها كُبَّةُ) من بَجِيلةَ في بني عامر بن ربيعة، وكانت فِتْيانُ في بني عامر بن ربيعةَ، وبنو قُطَيْعَةَ من بَجِيلةَ في بني أبي بكر بن كلاَبٍ، ونَصِيبُ بن عبد الله من بَجِيلةَ في بني نُمَيْرٍ، وكانت ثعلبةُ والخِطَامُ من بَجِيلةَ في بني عامر بن ربيعة، وبنو عمرو بن مُعاويةَ بن زيد من بَجِيلةَ في بني أبي بكر بن كلاَبٍ معهم يومئذ نُفَيْرٌ من عُكْلٍ، فبلغ جَمْعُهم ثلاثين ألفاً. وعَمِيَ على بني عامر الخَبَرُ، فجعلوا لا يدرون ما قُرْبُ القَوْمِ من بُعْدِهم. وأقبلت تميمٌ وأَسَدٌ وذُبْيان ولفُّهم نحو جَبَلة، فلقُوا كَرِبَ ابنَ صَفْوان بن شِجْنةَ بن عُطَارِد بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زيدِ مَنَاةَ، فقالوا له: أين تذهبُ؟ أتريد أن تُنْذِرَ بنا بني عامر؟ قال: لا. قالوا: فأَعْطِنا عهداً ومَوْثِقاً ألاّ تفعلَ؛ فأعطاهم فخلَّوْا سبيلَه. فمضى مُسْرعاً على فَرَسٍ له عُرْيٍ، حتى إذا نظر إلى مَجْلِس بني عامر وفيهم الأحْوَصُ نزل تحتَ شجرةٍ حيثُ يَرَوْنه؛ فأرسلوا إليه يدعُونه، قال: لستُ فاعلاً، ولكن إذا رحلتُ فأْتُوا منزلي فإنَّ الخبر فيه. فلمّا جاءوا منزلَه إذا فيه تُرابٌ في صُرَّةٍ وشَوْكٌ قد كسرَ رؤوسه وفرّق جِهَتَه، وإذا حَنْظَلةٌ موضوعةٌ، وإذا وَطْبٌ[1] مُعَلَّقٌ فيه لَبَنٌ. فقال الأحوصُ: هذا رجلٌ قد أُخِذَ عليه المواثيقُ ألاّ يتكلَّم، وهو يُخبركم أنّ القومَ مثلُ التُّراب كثرةً، وأنّ شوكتَهم كليلةٌ[2] وهم متفرِّقون، وجاءتكم بنو حَنْظلةَ. أُنْظُروا ما في الوَطْبِ، فاصْطَبُّوه فإذا فيه لبنٌ حَزَرَ[3] (قَرِصَ). فقال: القومُ منكم على قَدْرِ حِلاَبِ اللَّبنِ إلى أن يَحْزُرَ. فقال رجلٌ من بني يَرْبُوعٍ ـ ويقال قالته دَخْتَنُوسُ بنتُ لَقِيطِ بن زُرَارةَ ـ: [الكامل]

كَرِبُ بن صَفْوانَ بنِ شِجْنةَ لم يَدَعْ ... مِنْ دَارِمٍ أَحَداً ولا مِنْ نَهْشَلِ
أَجَعَلْتَ يَرْبوعاً كَقَوْرةِ دَائِرٍ ... ولَتَحْلِفَنْ بِاللَّهِ أَنْ لم تَفْعَلِ

وذلك قولُ عامر بن الطُّفَيْلِ بعد جَبَلَةَ بحينٍ: [الوافر]

ألاَ أَبْلِغْ جُمُوعَ سَعْدٍ ... فَبِيتُوا لن نَهِيجَكُم نِيَامَا

---

(١) الوطب: سقاء اللّبن.
(٢) كليلة: متعَبَة.
(٣) حزر: صار حامضاً.

نَصَحْتُمْ بِالمَغِيبِ ولم تُعِينُوا عَلَيْنَا إنَّكُمْ كُنْتُمْ كِرَامَا
ولَوْ كُنْتُمْ مَعَ ابْنِ الجَوْنِ كُنْتُمْ كَمَنْ أَوْدَى وأَصْبَحَ قَدْ ألامَا

فلمّا استيقنتْ بنو عامرٍ بإقبالهم صَعِدوا الشِّعْبَ، وأمر الأحْوَصُ بالإبلِ التي ظُمِّئتْ قبل ذلك فقال: اعْقِلوها كلَّ بَعِيرٍ بعقَالَيْنِ في يديه جميعاً. وأصبح لَقِيطٌ والناسُ نزولٌ به، وكانت مَشُورتُهم إلى لَقِيطٍ؛ فاستقبلهم جملٌ عَوْدٌ أَجْرَبُ أَحَذُّ أَعْصَلُ[1] كاشرٌ عن أنيابه؛ فقال الحُزَاةُ من بني أَسَدٍ ـ والحَازِي العائف ـ: اعْقِرُوه. فقال لَقِيطٌ: والله لا يُعْقَرُ حتّى يكون فحلَ إبلي غداً. ـ وكان البعير من عَصَافِيرِ المُنْذِرِ التي أخذها قُرّةُ بنُ هُبَيْرةَ بن عامر بن سَلَمةَ بن قُشَيْرٍ. والعصافير: إبل كانت للملوك نجائب ـ ثم استقبلهم معاويةُ بن عُبَادةَ بنِ عُقَيْلٍ وكان أَعْسَرَ فقال:

[مجزوء الرجز]

أَنَا الغُلامُ الأَعْسَرْ الخَيْرُ فِيَّ والشَّرّ
والشَّرُّ فِيَّ أَكْثَر

فتشاءمت بنو أَسَدٍ وقالوا: ارْجِعوا عنهم وأطيعونا. فرجعتْ بنو أسدٍ فلم تَشْهَدْ جَبَلَةَ مع لَقِيطٍ إلا نُفَيْراً يسيراً، منهم شَأْسُ بنُ أبي بُلَيٍّ أبو عمرو بنِ شاسٍ الشاعِر، ومَعْقِلُ بن عامرِ بنِ مَوْءَلَةَ المالكيُّ. وقال الناس للَقِيطٍ: ما ترى؟ فقال: أرى أن تَصْعَدُوا إليهم. فقال شَأْس: لا تدخُلوا على بني عامرٍ؛ فإني أعلمُ النّاسِ بهم، قد قاتلتُهم وقاتلوني وهزمتُهم وهزموني، فما رأيتُ قوماً قَطُّ أَقْلَقَ بمنزلٍ من بني عامر! والله ما وجدتُ لهم مَثَلاً إلاّ الشُّجَاعَ؛ فإنه لا يَقِرّ في جُحْره قَلَقاً، وسيخرجُون إليكم. والله لئن بِتُّمْ هذه الليلةَ لا تشعُرون بهم إلاّ وهم مُنْحَدِرون عليكم. فقال لَقِيطٌ: والله لَنَدْخُلَنّ عليهم. فأَتَوْهم وقد أخذوا حِذْرَهم، وجعل الأحْوَصُ ابنَه شُرَيْحاً على تَعْبِئَةِ النَّاس. فأقبل لقيطٌ وأصحابُهُ مُدِلِّين فأسندوا[2] إلى الجبل حتى ذَرَّتِ الشَّمس[3]، فصعِدَ لَقِيطٌ في الناس وأخذ بِحافَتَيِ الشَّجْنِ[4]. فقالت بنو عامر للأحوص: قد أَتَوْك. فقال: دَعُوهم. حتى إذا نَصَفُوا الجبلَ

(١) العَوْد: الهَرِم. والأحَذّ: خفيف شعر الذَّنَب. والأعصل: المعوجّ الذنب.
(٢) أسندوا إلى الجبل: اعتمدوا عليه.
(٣) ذرّتْ الشمسُ: ظهرت أوّل طلوعها.
(٤) الشَّجْن: الوادي الكثير الشجر أو هو الطريق في الوادي.

وانتشروا فيه، قال الأحْوَصُ: حُلُّوا عُقُلَ الإبل ثم احدِروها واتبَعُوا آثارَها، ولْيُتْبِعْ كَلُّ رجلٍ منكم بعيرَه حجرين أو ثلاثةً، ففعلوا ثم صاحوا بها، فلم يَفْجَأ الناسَ إلاّ الإبلُ تُريد الماءَ والمَرْعَى، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبْل؛ وَأَقْبَلَتِ الإبلُ تَحْطِمُ كلَّ شيء مَرَّتْ به، وجعل البعيرُ يُدَهْدِي[1] بيديه كذا وكذا حجراً، وقد كان لقيطٌ وأصحابه سَخِروا منهم حين صَنعوا بالإبل ما صنعوا، فقال رجلٌ من بني أَسَدٍ: [الرجز]

زَعَمْتَ أَنَّ العِيرَ لا تُقاتِلُ ... بَلَى إذا تَقَعْقَعَ الرَّحائلُ[2]
واخْتَلَفَ الهِنْدِيُّ والذَّوابِلُ ... وقالَتِ الأَبْطالُ مَنْ يُنازِلُ[3]
بَلَى وفيها حَسَبٌ ونائلُ

فانحطَّ الناس مُنهزمين من الجبل حتى السَّهْلِ، فلمَّا بلغ الناسُ السَّهْلَ لم يكن لأحدٍ منهم هِمَّةٌ إلاّ أن يذهب على وجهه، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرَعونهم بالسيوف في آثارهم، فانهزموا شرَّ الهزيمةِ، فجعل رجلٌ من بني عامرٍ يومئذ يرتجز ويقول: [الرجز]

لَمْ أَرَ يَوماً مِثْلَ يَومِ جَبَلَهْ ... يَوْمَ أَتَتْنا أَسَدٌ وحَنْظَلَهْ
وَغَطَفانُ والمُلُوكُ أزفَلَهْ ... نَضْرِبُهُمْ بِقُضُبٍ مُنْتَخَلَهْ[4]
لم تَعْدُ أَنْ أَفرشَ عنها الصَّقَلَهْ ... حتى حَدَوْناهُمْ حُداءَ الزَّوْمَلَهْ[5]

وجعل مَعْقِل بن عامر يرتجز ويقول: [الرجز]

نحن حُماةُ الشِّعْبِ يومَ جَبَلَهْ ... بِكُلِّ عَضْبٍ صَارِمٍ ومِعْبَلَهْ[6]
وهَيْكَلٍ نَهْدٍ معاً وهَيْكَلَهْ[7]

المِعْبَلةُ: السهمُ إذا كان نصلُه عريضاً فهو مِعْبلةٌ، والرقيقُ: القُطْبَةُ.

وخرجت بنو تميمٍ من الخَلِيفِ على الخَيْلِ فكَرْكَرُوا الناسَ (يعني ردّوهم)

---

(١) يُدهدي الحجر: يدحرجه.
(٢) تقعقع: اهتزّ واضطرب. والرّحائل: جمع.
(٣) الهندي: السيف المصنوع في الهند. والذّوابل: جمع الذّابل: من الرماح: الدقيق.
(٤) الأزفلة: الجماعات. ومُنتخَلَة: منتقاة.
(٥) الصَّقَلة: جمع الصّاقل، الذي يصقل السيف. والزّوملة: الإبل.
(٦) العَضْب: السيف القاطع.
(٧) هيكل: ضخم. والنّهد من الخيل: الحسن الجسم مع ضخامة وارتفاع.

وانقطع شُرَيْح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجُرْفَ فقاتل الناسَ قتالاً شديداً هناك، وجعل لقيطٌ يومئذ وهو على بِرْذَوْنٍ له مُجَفَّفٍ(١) بديباج أعطاه إيّاه كسْرَى - وكان أوّلَ عربيٍّ جَفَّفَ - يقول: [الرجز]

عَرَفْتُكُمْ والدَّمْعُ م الْعَيْنِ يَكِفْ ... لِفَارِسٍ أَتْلَفْتُمُوهُ ما خُلِفْ
إنّ النَّشِيلَ والشِّوَاءَ والرُّغُفْ ... والقَيْنَةَ الحَسناءَ وَالكَأْسَ الأُنُفْ(٢)
وصَفْوَةَ القِدْرِ وتَعْجِيلَ اللَّقَفْ ... لِلطَّاعِنِينَ الخَيْلَ والخَيلُ قُطُفْ(٣)

وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلاّ قال له: أنت والله قتلتَنا وشَتَمْتَنا، فجعل يقولُ: [الرجز]

يا قَوْمِ قد أَحْرَقْتُمُونِي بِاللَّوْمْ ... ولم أُقَاتِلْ عَامِراً قبلَ اليَوْمْ
فاليومَ إذ قَاتَلْتُهُمْ فَلاَ لَوْمْ ... تَقَدَّمُوا وقَدِّمُونِي لِلقَوْمْ
شَتَّانَ هَذَا والعِنَاقُ والنَّوْمْ ... والمَضْجَعُ البَارِدُ في ظِلِّ الدَّوْمْ(٤)

وقال شأس بن أبي بُلَيٍّ يُجيبه: [الرجز]

لَكِنْ أَنَا قَاتَلْتُهَا قبلَ اليَوْمْ ... إذ كُنْتُ لا تُعْصَى أُمُورِي في القَوْمْ

وجعل لقيطٌ يقول: مَنْ كَرَّ فله خمسون ناقةً، وجعل يقول: [الرجز]

أَكُلُّكُمْ يَزْجُرُكُمْ أَرْحِبْ هَلاَ ... ولَنْ تَرَوْهُ الدَّهْرَ إلاَّ مُقْبِلاَ(٥)
يَحْمِلُ زَغْفاً ورَئِيساً جَحْفَلاَ ... وسَائِلاً في أَهْلِهِ ما فَعَلاَ(٦)

وجعل يقول أيضاً: [الرجز]

أَشْقَرُ إنْ لم تَتَقَدَّمْ تُنْحَرِ ... وإنْ تَأَخَّرْ عَنْ هِيَاجٍ تُعْقَرِ(٧)

---

(١) المجفّف: عليه تَجفاف وهو جلال من الحديد يوضع على ظهر الفرس ليقيه.
(٢) النشيل: اللحم الذي يُنشَل من القدر قبل أن ينضج. والكأس الأُنف: التي لم يُشرَب بها قبلاً.
(٣) اللّقَف: الأخذ بسرعة. والقُطُف: جمع القطوف: الدابّة التي تسيء السير وتبطىء، ويستعمل في الإنسان أيضاً.
(٤) الدّوْم: شجر له ثمر في حجم التفاح ذو قشر صلب أحمر ونواة ضخمة ذات لبّ.
(٥) أرحب هلا: عبارة تقال لزجر الخيل. وأرحب يعني: أوسع، وهلا: أي اسكنْ واهدأ.
(٦) الزّغف: جمع الزّغفة: الدرع المحكمة أو الليّنة. والجحفل: السيّد الكريم، وفي الأصل «ورئيساً حجفلاً» ولم نجد لهذه الكلمة أي أصل في اللغة.
(٧) أشقر: هو اسم فرسه وهو يناديه.

ثم عاد يقول: [الرجز]

إنّ الشّواء والنّشيلَ والرُّغُف

فأجابه شُرَيْحُ بن الأحوص: [الرجز]

إنْ كنتَ ذا صِدْقٍ فَأَقْحِمْهُ الجُرُفْ وقَرِّبِ الأَشْقَرَ حَتَّى تَعْتَرِفْ[1]

وجوهَنا إنَّا بَنُو البِيضِ العُطُفْ[2]

وبينه وبينه جُرْفٌ مُنْكَرٌ، فضرب لَقيطٌ فرسَه وأقحمه عليه الجُرْفَ؛ فطعنه شُرَيْح فسقَطَ. وقد اختلفوا في ذلك، فذكروا أنّ الذي طعنه جَزْءُ بن خالد بن جعفرٍ، وبنو عُقَيْلٍ تزعم أنّ عَوْفَ بنَ المُنْتَفِق العُقَيْليّ قتله يومئذ وأنشأ يقول: [الكامل]

ظَلَّتْ تَلُومُ لِمَا بِها عِرْسِي جَهْلاً وأَنْتِ حَلِيمةٌ أَمْسِ

إنْ تَقْتلوا بَكْرِي وصَاحِبَهُ فلَقَدْ شَفَيْتُ بِسَيْفِهِ نَفْسِي

فَقَتَلْتُهُ في الشِّعْبِ أَوَّلَ فَارِسٍ في الشَّرْقِ قبلَ تَرَحُّلِ الشَّمْسِ

فزعموا أن عَوْفاً هذا قَتَلَ يومئذٍ ستَّةَ نَفَرٍ، وقُتِلَ ابنٌ له وابنُ أخ له. وأمّا العلماء فلا يَشُكّون أن شُرَيْحاً قتَله، وارتُثَّ وبه طَعَناتٌ ـ والارتثاث أن يُحْمَل وهو مجروح، فإنْ حُمِلَ مَيِّتاً فليس بِمرتثّ ـ فبقي يوماً ثم مات. فجعل لقيطٌ يقول عند موته: [الرجز]

يا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكِ دَخْتَنُوسُ إذا أَتَاكِ الخَبَرُ المَرْسُوسُ[3]

أَتَحْلِقُ القُرُونَ أَمْ تَمِيسُ لا بَلْ تَمِيسُ إِنَّها عَرُوسُ

دَخْتَنُوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرارة، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ. وجعلت بنو عَبْسٍ يضربونه وهو ميِّت، فقالت دَخْتنوسُ: [الطويل]

أَلاَ يَا لَهَا الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكَى لِضَرْبِ بَنِي عَبْسٍ لَقِيطاً وقد قَضَى

لقد ضَرَبُوا وَجْهاً عليه مَهابَةٌ وما تَحفِلُ الصُّمُّ الجَنَادلُ مَنْ رَدَى[4]

فلو أَنَّكُمْ كُنْتُمْ غَدَاةَ لَقِيتُمُ لَقِيطاً صَبَرْتُمْ لِلأَسِنَّةِ والقَنَا

---

(١) الجُرُف: الشقّ الذي يحفره النهر أو السيل في أسفل الوادي.

(٢) العُطُف: جمع العطوف: الشفوق، والمحسن.

(٣) المرسوس: المدسوس، أو المذكور.

(٤) الصّمّ: جمع الصَّمَّاء والأصمّ: الأرض الخليظة. والجنادل: جمع الجُنَادل: القويّ الشديد.

غَـدَرْتُـمْ ولَـكِـنْ كُـنْـتُـمْ مِـثْـلَ خُـضَّـبٍ ... أَصَابَ لها القَنَّاصُ مِنْ جَانِبِ الشَّرَى[١]
فَـمَـا ثَـأْرُهُ فِـيـكُـمْ وَلَـكِـنَّ ثَـأْرَهُ ... شُـرَيْـحٌ وأَرْدَتْـهُ الأَسِـنَّـةُ إذ هَـوَى
فَـإِنْ تُـعْـقِـبِ الأَيَّامُ مِـنْ عَـامِـرٍ يَـكُـنْ ... عَـلـيـهـم حَـرِيـقـاً لا يُـرَامُ إذا سَـمَـا
لِـيَـجْـزِيـهـم بِـالـقَـتْـلِ قَـتْـلاً مُـضَـعَّـفـاً ... وما فِي دِمَاءِ الحُمْسِ يا مَالُ مِنْ بَوَا[٢]
ولـو قَـتَـلَـتْـنَـا غَـالِـبٌ كَـانَ قَـتْـلُـهـا ... عَـلَـيْـنَـا مِـنَ الـعَـارِ الـمُـجَـدِّعِ لِـلـعُـلاَ
لقد صَبَرَتْ لِلمَوتِ كَعْبٌ وحَافَظَتْ ... كِـلابٌ وَمَـا أَنْـتُـمْ هُـنَـاكَ لِـمَـنْ رَأَى

وقالت دَخْتَنُوس أيضاً: [الطويل]

لَـعَـمْـرِي لَـئِـنْ لاقَـتْ مِـنَ الـشَّـرِّ دَارِمٌ ... عَـنَـاءً لـقـد آبَـتْ حَـمِـيـداً ضِـرَابُـهـا
فَمَا جَبُنُـوا بِالـشِّـعْـبِ إذ صَبَرَتْ لـهـم ... رَبِـيـعَـةُ يُـدْعَـى كَـعْـبُـهـا وكِـلابُـهـا
عَصُوا بِسُيوفِ الهِنْدِ وَاعْتَكَرَتْ لـهـم ... بَـرَاكَـاءُ مَـوْتٍ لا يَـطِـيـرُ غُـرَابُـهـا[٣]

براكاءُ: مُباركَةُ القتال وهو الجِدُّ في القتال، يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابُه. وقالت دختنوس: [مجزوء الكامل]

بَـكَـرَ الـنَّـعِـيُّ بِـخَـيْـرِ خِـنْـ ... ـدِفَ كَـهْـلِـهـا وشَـبَـابِـهـا
وبِـخَـيْـرِهـا نَـسَـبـاً إذا ... عُـدَّتْ إلـى أَنْـسَـابِـهـا
فَـرَّتْ بَـنُـو أَسَـدٍ حُـرُو ... دَ الـطَّـيْـرِ عَـنْ أَرْبَـابِـهـا[٤]
لـم يَـحْـفِـلُـوا نَـسَـبـاً ولـم ... يَـلْـوُوا لِـفَـيْءِ عُـقَـابِـهـا[٥]

[القتلى والناجون في الموقعة]

وقُتِلَ يومئذ قُرَيْطُ بن مَعْبَدِ بن زُرَارةَ، وزيدُ بن عمرو بن عُدُس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عُقَيْل، وقُتل الفَلَتانُ بن المنذر بن سَلْمَى بن جَنْدَلِ بن نَهْشَلٍ، وقُتل أبو إيَاس بن حَرْمَلةَ بن جَعْدةَ بن العَجْلانِ بن حَشْوَرَةَ بن عَجَبِ بن ثَعْلَبَةَ بن سَعْدِ بن ذُبيان وهو يقول: [الرجز]

(١) الخُضَّب: جمع الخاضب: النعام. والشَّرَى: جبل بنجد في ديار طيّىء موصوف بكثرة السباع (معجم البلدان ٣: ٣٣٠).
(٢) الحُمس: جمع الأحمس: الصلب الشديد. والبوا: البواء: السواء والتكافؤ.
(٣) عصوا بالسيف: ضربوا به ضربهم بالعصا.
(٤) حرود الطير: تَنَحِّيها.
(٥) العُقاب: الراية.

أَقْدِمْ قَطِينُ إنَّهُمْ بَنُو عَبْسْ ... المَعْشَرُ الحِلَّةُ في القَوْمِ الحُمُسْ

الحِلّة: لم يكونوا يتشدّدون في دينهم. قال: واستُلحم عمرُو بن حَسْحَاسِ بن وَهْبِ بن أعياء بن طَرِيفٍ الأَسَدِيُّ، فاستنقذه مَعْقِلُ بن عامرِ بن مَوْءَلَة فداواه وكساه، فقال معقل في ذلك: [الوافر]

يَدَيْتُ على ابْنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهْبِ ... بِأَسْفَلِ ذِي الجِذَاةِ يَدَ الكَرِيمِ(١)

قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الدَّهْمَاءِ لَمَّا ... شَهِدْتُ وَغَابَ مَنْ لَهُ مِنْ حَمِيمِ

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ ... مَكَانَ الفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجومِ

أُخَبِّرُهُ بِأَنَّ الجُرْحَ يُشْوِي ... وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلِزَةٍ جَمُومِ(٢)

يقول: إن الجرح الذي بك شَوًى لم يُصبْ منك مقتلاً ـ

ذَكَرْتُ تَعِلَّةَ الفِتْيانِ يَوْماً ... وَإِلْحَاقَ المَلامَةِ بِالمُلِيمِ

قال: وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كَبْشَةَ بنت الحجّاج بن معاوية بن قُشَيْر، وكانت عند مالك بن خَفَاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالكٍ على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة، وقال: يا بني عامر، إنهم يموتون، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون. ونزل حسّان بن عامر بن الجَوْن وصاح: يا آلَ كِنْدةَ! فحمل عليه شُرَيْح بن الأَحْوَصِ؛ فاعترض دون ابن الجَوْن رجلٌ من كنْدةَ يقال له حَوْشَبٌ، فضربه شُريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنِصْف السيف وكان مما رغّب الناسَ مكانُه. وشَدَّ طُفَيْلُ بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون، وشدَّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فَأَسَره وجزَّ ناصيته وأعتقه على الثواب. فلقِيَتْهُ بنو عَبْس، فأخذه قيس بن زُهَيْر فقتله، فأتاهم عوف فقال: قتلتم طليقي فأَحْيُوه أوِ ائتوني بمِلْكٍ مثلِه. فتخوّفت بنو عبس شرَّه وكان مَهِيباً، فقالوا: أَمْهِلْنا. فانطلقوا حتى أَتَوْا أبا بَرَاء عامرَ بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دُونَكم سَلْمَى بنَ مالك فإنه نديمه وصديقُه ـ وكانا مشتبهين أحمَرين أشقرين ضخمةً أنوفهما، وكان في سَلْمَى حياء ـ فأتَوْه فقال: سأُكَلِّمُ لكم طُفَيْلاً حتى يأخذ أخاه فإنه لا يُنجيكم من عوف إلاّ ذلك،

(١) يديتُ: اتّخذتُ عنده يداً. ذو الجذاة: موضع في بلاد غطفان (معجم البلدان ٢: ١١٢).

(٢) يقال رمى وأشوى: إذا لم يُصِبْ المقتل. والعجلزة: الخيل أو الناقة الشديدة الخلق القوية. والجموم: الذي إذا ذهب منه إحضارٌ جاءه إحضارٌ. والإحضار: ارتفاع الفرس في عدوه.

وايمُ الله لَيأتينّ شَحِيحاً، فانطلقوا إليه، فقال طفيلٌ: قد أتَوْنِي بك، ما أعرَفَنِي بما جئتُم له! أتيتموني تُريدون منِّي ابنَ الجَوْن تُقِيدون به من عَوْف، خُذوه، فأعطاهم إيّاه؛ فأتَوْا به عوفاً فجزّ ناصيته وأعتقه؛ فسُمِّيَ الجَزَّازَ، فذلك قول نافع بن الخَنْجَر بن الحَكَم بن عُقَيْل بن طُفَيلِ بن مالك في الإسلام: [الوافر]

قَضَيْنا الْجَوْنَ عَنْ عَبْسٍ وكَانَتْ ... مَنِيَّةُ مَعْبَدٍ فِينا هُزَالاَ

قال: وشهِدها لَبِيدُ بن رَبِيعةَ بن مالك بن جعفر وهو ابنُ تسع سنين، ويقال: كان ابن بِضْعَ عَشْرَة سنة، وعامرُ بن مالك يقول له: اليومَ يَتَمْتَ من أبيك إن قُتِلَ أعمامك. وقُتِلَ يومئذ زُهَيْر بن عمرو بن معاوية، وُجِدَ مقتولاً بين ظَهْرانَيْ صفوف بني عامر حيث لم يبلُغ القِتَالَ؛ وهو معاوية الضُّباب بنُ كِلاَبٍ، فقال أخوه حُصَيْنٌ للذي قتله: [الرجز]

يَا ضَبُعاً عَشْوَاءَ لا تَسْتَأْنِسِي ... تلتقم الهَبْرَ من السَّقْبِ الرَّذِي[1]
أُقْسِمُ بِاللَّهِ وَمَا حَجَّتْ بَلِي ... وما عَلَى العُزَّى تُعِزُّهُ غَنِي[2]
وقد حَلَفْتُ عِندَ مَنْحَرِ الهَدِي ... أُعْطِيكُمْ غَيْرَ صُدُورِ المَشْرَفِي
فليسَ مِثْلِي عَنْ زُهَيْرٍ بِغَنِي ... هو الشُّجَاعُ والخَطِيبُ اللَّوْذَعِي[3]
والفَارِسُ الحَازِمُ والشَّهْمُ الأَبِي ... والحَامِلُ الثِّقْلِ إذا يَنْزِلُ بِي

وذكروا أنّ طُفَيْل بن مالك لمّا رأى القتال يوم جَبَلَةَ قال: وَيْلَكم! وأين نَعَمُ هؤلاء! فأغار على نَعَمِ عمرٍو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غَطَفان ثمّ من بني الثَّرْمَاء، فاستاق ألفَ بعير. فلقيه عُبَيْدةُ بن مالك فاستجداه، فأعطاه مائة بعير، وقال: كأنّي بك قد لَقِيتَ ظَبْيَانَ بن مُرَّةَ بن خالد فقال لك: أعطاك من ألْفِه مائةً! فجئتَ مُغْضَباً. فلقي عُبَيْدةُ ظَبْيانَ؛ فقال له: كم أعطاك؟ قال: مائة. فقال: أمِائةً من ألفٍ! فغضِب عُبَيدةُ. قال: وذُكِرَ أن عُبَيدةَ تَسرَّعَ يومئذ إلى القتال، فنهاه أخواه عامر وطُفَيْل أن يفعل حتى يرى مُقاتلاً، فعصاهما وتقدّم، فطعنه رجلٌ في كتفه حتى خرج السِّنانُ من فوق ثَدْيه فاستمسك فيه السنان، فأتى طُفَيلاً فقال له: دُونَك السِّنانَ فانْزِعهْ، فأبى أن يفعل ذلك غضباً، فأتى عامراً فلم يَنْزِعْه منه غضباً، فأتى

(١) الضبع العثواء: الكثيرة الشّر. والهبر: اللحم. والسَّقْب: ولد الناقة ساعة يولَد. والرّذي: الضعيف.
(٢) بلي: قبيلة من العرب. والعُزّى: شجرة كانت غطفان يعبدونها. وغني: قبيلة من غطفان.
(٣) اللَّوذعيّ: الذكيّ والمتوقّد الخاطر والفصيح اللسان.

سَلْمَى بنَ مالك فانتزعه منه؛ وأُلقي جريحاً مع النساء حتى فرَغ القومُ من القتال. وقتلت بنو عامرٍ يومئذ من تميم ثلاثين غلاماً أغْرَل[1]. وخرج حاجبُ بن زُرَارة منهزماً، وتبِعه الزَّهْدَمانِ زَهْدَمٌ وقَيْسٌ ابنا حَزْن بن وهْب بن عُوَيْمر بن رَوَاحةَ العَبْسيّان، فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان له: استأسرْ وقد قَدَرا عليه، فيقول: مَنْ أنتما؟ فيقولان: الزَّهْدَمَانِ، فيقول: لا أَستأسِرُ اليومَ لمولَيَيْنِ. فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكُ ذُو الرُّقَيْبة بن سَلَمةَ بن قُشَيْر، فقال لحاجب: استأْسِرْ. قال: ومَنْ أنت؟ قال: أنا مالكُ ذو الرُّقيبة. فقال: أفعَلُ، فلَعَمْرِي ما أدركتَني حتى كدتُ أن أكونَ عبداً. فألقَى إليه رمحَه؛ واعتنقه زهدمٌ فألقاه عن فرسه. فصاح حاجبٌ: يا غَوْثاهْ. وندر السيف، وجعل زَهْدَمٌ يُريغ[2] قائم السيف، فنزل مالكٌ فاقتلع زهدماً عن حاجب. فمضى زهدمٌ وأخوه حتى أَتيا قَيْسَ بن زُهَيْرٍ بن جَذِيمةَ فقالا: أخَذَ مالكٌ أسيرَنا من أيدينا. قال: ومَنْ أسيركُما؟ قالا: حاجبُ بن زُرَارةَ. فخرج قيس يتمثّل قولَ حَنْظَلةَ بن الشَّرْقيِّ القَيْنيِّ أبي الطَّمَحَانِ رافعاً صوتَه يقول: [الطويل]

أَجَدُّ بَنِي الشَّرْقِيِّ أُولِعَ أَنَّني ... مَتَى أَسْتَجِرْ جَاراً وإِنْ عَزَّ يَغْدِرِ
إذا قُلْتُ أَوفَى أَدْرَكَتْهُ دَرُوكَةٌ ... فَيَا مُوزِعَ الجِيرَانِ بِالغَيِّ أَقْصِرِ

حتى وقف على بني عامر فقال: إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا. قالوا: مَنْ صاحبُنا؟ قال: مالك ذو الرُّقيبة أخذ حاجباً من الزَّهْدَمَيْنِ. فجاءهم مالك فقال: لم آخذه منهما، ولكنه استأسَرَ لي وتركهما. فلم يبرَحوا حتى حكّموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرُّقَيبة، فقالوا: مَنْ أَسَركَ يا حاجب؟ فقال: أمّا مَنْ رَدَّني عن قَصْدي ومنعني أن أنجو ورأى منِّي عورةً فتركها فالزّهدمان. وأمّا الذي استأسرتُ له فمالِكٌ؛ فحكِّموني في نفسي. قال له القوم: قد جعلنا إليك الحُكْمَ في نفسك. يقال: أمّا مالكٌ فله ألْفُ ناقةٍ، ولِلزَّهْدَمَيْن مائةٌ. فكان بين قَيْس بن زهير وبين الزهدمَيْن مُغَاضبةٌ بعد ذلك؛ فقال قَيْسٌ: [الوافر]

جَزَانِي الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سَوْءٍ ... وَكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بِالكَرَامَهْ
وقد دَاقَعْتُ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... بَنِي قُرْطٍ وَعَمُّهُمُ قُدَامَهْ
رَكِبْتُ بِهِمْ طَرِيقَ الحَقِّ حَتَّى ... أَتَيْتُهُمُ بِهَا مائَةً ظُلاَمَهْ

(١) الأغرل: الصبيّ الذي لم يُختَن.
(٢) يريغ: يطلب.

وقال جرير في ذلك: [الوافر]

ويومَ الشِّعْبِ قد تَرَكُوا لَقِيطاً كَأَنَّ عَلَيْهِ حُلَّةَ أُرْجُوَانِ
وكُبِّلَ حَاجِبٌ بِشَمَامِ حَوْلاً فَحَكَّمَ ذا الرُّقَيْبَةِ وهو عَانِي[1]

وأمّا عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ فأفلتَ يومئذ. فزعمتْ بنو سُلَيْم أنَّ الخيل عُرِضَتْ على مِرْدَاس بن أبي عامرٍ يوم جَبَلَة، وكان أبْصَرَ النّاس بالخيل. فعُرِضَتْ عليه فرسٌ لغلامٍ من بني كِلاَبٍ، فقال: والله لا أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أنثى، فهذا رِدَائي بها وخَمْسٌ وعشرون ناقةً. فلمّا انهزم الناس يوم جَبَلَةَ خرج الكِلابيّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو. قال الكِلاَبيّ: فراكضتُه نهاراً على السَّوَاء، واللَّهِ ما علمتُ أنه سبَقني بمقدارٍ أعْرِفه، ثم زاد مكانُه ونَقَصْتُ. فقلت: قُمِرَ[2] والله مِرْداسٌ. وهَوَى عمرو إلى فرسه فضرَبها بالسَّوْط فانكشفتْ، فإذا هي خُنْثَى، لا ذَكَرٌ ولا أنثى، فأخبرتُهم أنّي سُبِقْتُ. فقالوا: قُمِرَ السُّلَمِيُّ. فقلت: لا. ثم أخبرتُهم الخبرَ، فقال مِرداس: [الطويل]

تَمَطَّتْ كُمَيْتٌ كَالهِرَاوةِ ضَامِرٌ لِعَمْرِو بْنِ عَمْرٍو بَعْدَ مَا مُسَّ بِاليَدِ
فلولا مَدَى الخُنْثَى وبُعْدُ جِرائِها لَقَاظَ ضَعِيفَ النَّهْضِ حَقَّ مُقَيَّدِ[3]
تَذَكَّرَ رُبْطاً بِالعِرَاقِ ورَاحَةً وقد خَفَقَ الأَسْيَافُ فَوْقَ المُقَلَّدِ[4]

وزعم علماء بني عامر أنه لمّا انهزم الناس خرجت بنو عامر وحُلفاؤهم في آثارهم يقتُلون ويأسِرون ويسلُبون، فلحِق قَيْسُ بن المُنتَفِق بن عامر بن طُفَيْل بن عُقَيْلٍ عمرَو بن عمرو فأسَره. فأقبل الحارثُ بن الأبْرَص بن رَبيعةَ بن عُقَيْلٍ في سَرَعان الخيلِ، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس: إن أدركني الحارثُ قتلني وفاتك ما تلتمس عندي، فهل أنت محسن إليّ وإلى نفسك! تَجزّ ناصيتي فتجعلها في كِنَانتك، ولك العهدُ لأفيَنَّ لك، ففعل. وأدركهما الحارثُ وهو ينادي قيساً ويقول: أَقْتُلْ أُقتلْ. فلحِقَ عمرو بقومه، فلمّا كان الشهر الحرام خرج قَيْسٌ إلى عمرو يستثيبه، وتبِعَهُ الحارث بن الأبرص حتّى قدِما على عمرو بن عمرو؛ فأمر عمرو بن عمرو

---

(١) شَمام: موضع.
(٢) قُمِرَ: غُلِبَ.
(٣) قاظ: أقام مدّة القيظ.
(٤) الرُّبط: جمع الرّبيط جماعات الخيل. والمقلَّد: موضع القلادة من العنق، وموضع نجاد السيف على المنكبين.

ابنةَ أخيه آمِنة بنت زيد بن عمرو فقال: اضربي على قيس الذي أنعم على عمِّك هذه القُبَّة. وقد كان الحارث قتَل أباها زيداً يوم جبلة. فجاءت بِالقُبّة فرأتِ الحارثَ أهْيَأهما وأجملَهما، فظنّته قَيْساً فضربت القُبّة على رأسه وهي تقول: هذا والله رجلٌ لم يُطَّلَع الدَّهْرَ عليه بما اطَّلَعَ به عليّ. فلمّا رجعت إلى عمّها عمرو قال: يابنةَ أخي، عَلَى مَنْ ضربتِ القُبّة؟ فنعتتْ له نَعْتَ الحارثِ. فقال: ضربتِها والله على رجلٍ قتلَ أباك وأمَر بقتل عمّك، فجزِعَتْ مما قال لها عمُّها، فقال الحارث بن الأبرص: [الوافر]

أَمَــا تَــدْرِيــنَ يــابْــنَــةَ آلِ زَيْــدِ ... أُمَــيْــنُ بِــمَــا أَجَــنَّ الــيــومَ صَــدْرِي[1]

فــكَــمْ مِــنْ فَــارسٍ لــم تُــرْزَئِــيــهِ ... فَتَى الفِتْيَانِ في عِيصٍ وقَصْرِ[2]

رَأَيْــتُ مَــكَــانَــهُ فَــصَــدَدْتُ عَــنْــهُ ... فَــأَغْــيَــا أَمْــره وشَــدَدْتُ أَزْرِي

لَــقَــدْ آمَــرْتُــهُ فَــعَــصَــى إِمَــارِي ... بِــأَمْ عَــزِيــمــةٍ فــي جَــنْــبِ عَــمْــرِو

أَمَــرْتُ بِــهِ لِــتَــخْــمُــشَ حَــنَّــتَــاهُ ... فــضَــيَّــعَ أَمْــرَهُ قَــيْــسٌ وَأَمْــرِي

ـ الحنّة: الزوجة. يقال حَنَّتُه، وطَلَّتُه ـ. ثم إن عمراً قال: يا حار، ما الذي جاء بك! فوالله ما لكَ عندي نِعمةٌ، ولقد كنتَ سَيِّىءَ الرَّأي فِيَّ، قتلتَ أخي وأمرت بقتلي. فقال: بل كففتُ عنك، ولو شئتُ إذ أدركتُك لقتلتك. قال: ما لكَ عندي من يَدٍ، ثم تذمّمَ منه فأعطاه مائةً من الإبل، ثم انطلق فذهب الحارث، فلمّا جاء عمراً قيسٌ أعطاه إبلاً كثيرةً، فخرج قيسٌ بها، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارثُ بنُ الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عَرَض لقيس فأخذ ما كان معه. فلمّا أتى قيسٌ بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج، فقال: مَهْلاً! لا تقاتلوا إخوتكم، فإنه يُوشِكُ أن يرجع وأن يؤول إلى الحقّ فإنه رجل حَسُودٌ. فلمّا رأى الحارثُ أن قيساً قد كفّ عنه ردّ إليه ما أخذ منه.

وأمّا عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهَابٍ فإنّه أُسِرَ يومئذ فقُيِّد في القِدِّ، وكان يبول على قِدّه حتى عَفِنَ، فلمّا دخل الشهر الحرام هرَب فأفلتَ منهم بغير فِداء.

وغَنِمَ مرداس بن أبي عامر غنائمَ وأخذ رجلاً فأخذ منه مائةَ ناقة، فانتزعها منه بنو أبي بكر بن كِلاب، فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعِقِ، وكان له خليلاً،

---

(١) أُمَيْن: تصغير آمنة.

(٢) العيص: الأصل. والقَصْر: الغاية.

فانتهى إليه مرداس وهو يقول: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما تَرْجُو مَعَدٌّ رَبِيعَها ... رَجَائِي يَزِيداً بَلْ رَجَائِيَ أَكْثَرُ
يَزِيدُ بن عَمْرٍو خَيْرُ مَنْ شَدَّ نَاقَةً ... بِأَقْتَادِها إذا الرِّيَاحُ تُصَرْصِرُ[1]
تَدَاعَتْ بَنُو بَكْرٍ عَلَيَّ كَأَنَّما ... تَدَاعَتْ عَلَيَّ بِالأَجِزَّةِ بَرْبَرُ[2]
تَدَاعَوْا عَلَيَّ أَنْ رَأَوْنِي بِخَلْوةٍ ... وأَنْتُمْ بِأُحْدَانِ الفَوَارِسِ أَبْصَرُ[3]

ويُروى «بوُحْدان». فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردّها إليه، فطرَقه البكريون فسقَوْه الخمر حتى سكِرَ، ثم سألوه الإبلَ فأعطاهم إيّاها. فلمّا أصبح نَدِمَ، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه. فقال له يزيد: أصاحٍ أنت أم سكران؟! فانصرف فاطّرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول: [الطويل]

أَجُنَّ بِلَيْلَى قَلْبُهُ أَمْ تَذَكَّرَا ... مَنَازِلَ مِنْهَا حَوْلَ قُرًّى وَمَحْضَرَا[4]
تَخِرُّ الهَدَالُ فَوْقَ خَيْمَاتِ أَهْلِها ... وَيُرْسُونَ حِسًّا بِالعِقَالِ مُؤَطَّرَا[5]

ـ الحِسُّ: الفرس الخفيفة. والمؤطَّر: المعطوف ـ

سَأَبَى وَأَسْتَغْنِي كَمَا قد أَمَرْتَنِي ... وَأَصْرِفُ عَنْكَ العُسْرَ لَسْتُ بِأَفْقَرا
وَإِنَّ سُلَيْماً والحِجَازُ مَكَانُها ... مَتَى آتِهِمْ أَجِدْ لِبَيْتِيَ مَهْجَرا

ـ المَهْجَرُ: الموضع الصالح؛ يقال: هذا أهجر من هذا إذا كان أجْوَد منه وأصلح ـ

يُفَرِّجُ عَنِّي حَدُّهُمْ وعَدِيدُهُمْ ... وَأُسْرِجُ لِبَبْدِي خَارِجِيًّا مُصَدَّرَا[6]
قَصَرْتُ عَلَيْهِ الحَالِبَيْنِ فَجَوْدُهُ ... إذا مَا عَدَا بَلَّ الحِزَامَ وأَمْطَرَا[7]

---

(١) الأقتاد: جمع القَتَد: خشب الرّحْل.

(٢) الأجِزّة: جمع الحزيز: الموضع الغليظ الكثير الحجارة. والبربر: جماعة من سكّان شمالي غربي أفريقيا.

(٣) أحدان: جمع واحد.

(٤) قُرّى: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب (معجم البلدان ٤: ٣٤٠). ومحضر: قرية بأجا (معجم البلدان ٥: ٦٢).

(٥) الهَدَال: ما تهدّل من الأغصان، أو هو شجر بالحجاز له ورق عراض. ويرسون: يشدون الرسن. والعقال: الحبل الذي يُعَقّل به الفرسُ.

(٦) الحَدّ: الشوكة والقوّة. والمُصَدَّر: السابق.

(٧) الجود: المطر، وهنا العَرَق.

ـ الحالبين: الراعيين. يقول احتبستهما ـ

فَخُذْ إِبِلاً إِنَّ العِتَابَ كَمَا تَرَى ... على خَذَمٍ ثُمَّ أرْمِ لِلنَّصْرِ جَعْفَرا[1]

فَإِنَّ بِأَكْنَافِ البِحَارِ إلى المَلاَ ... وذِي النَّخْلِ مَضْحَى إنْ صَحَوْتَ ومَسْكَرا[2]

وَأَرْعَى مِنَ الأَظْلاَفِ أثْلاً وحَمْضَةً ... وتَرْعَى مِنَ الأَطْوَاءِ أثْلاً وعَرْعَرَا[3]

وانصرف يومئذ سِنانُ بن أبي حارثة المرّي في بني ذُبيان على حاميته، فلحِقَ بهم معاويةُ بن الصَّمُوت بن الكامل الكلابيّ، وكان يسمَّى الأَسَدَ المجدَّعَ، ومعه حَرْملةُ العُكْليّ ونفرٌ من النَّاسِ، فلحِق بسِنَانِ بن أبي حارثة ومالكِ بن حمار الفَزَاريّ في سبعين فارساً من بني ذُبْيان. فقال سنانٌ: يا مالكُ كُرَّ واحْمِنا ولك خَوْلَةُ بنت سنانٍ ابنتي أُزَوِّجُكها. فَكَرَّ مالكٌ فقتل معاوية، ثم اتّبعه حرملة العُكْليّ وهو يقول: [الرجز]

لأَيِّ يَوْمٍ يَخْبَأُ المَرْءُ السَّعَهْ ... مُوَدَّعٌ ولا تَرَى فيه الدَّعَهْ[4]

فكرَّ عليه مالكٌ فقتله، ثم اتّبعه رجلٌ من بني كِلاب، فكرّ عليه مالك فقتله، ثم اتّبعه رجلان من قَيْسِ كُبَّةَ من بَجِيلةَ، فكرّ عليهما فقتلهما، ومضى مالكٌ وأصحابُه. فقال مالك في ذلك: [الكامل]

ولقد صَدَدْتُ عَنِ الغَنِيمَةِ حَرْمَلاً ... ولَقِيتُهُ لَدَداً وخَيْلِي تَطْرُدُ[5]

أَقْبَلْتُهُ صَدْرَ الأَغَرِّ وصَارِماً ... ذَكَراً فَخَرَّ على اليَدَيْنِ الأَبْعَدُ[6]

وَابْنَ الصَّمُوتِ تَرَكْتُ حِينَ لَقِيتُهُ ... في صَدْرِ مَارِنَةٍ يقومُ ويَقْعُدُ

وَابْنَا ربيعةَ في الغُبَارِ كِلاَهُمَا ... وَابْنَا غَنِيٍّ عَامِرٌ والأَسْوَدُ

حَتَّى تَنَفَّسَ بَعْدَ نَكْظٍ مُجْحَراً ... أَذْهَبْتُ عَنْهُ وَالفَرَائِصُ تُرْعَدُ[7]

---

(١) الخَذَم: السرعة.

(٢) البحار: جمع البحرة: الفجوة المتّسعة من الأرض أو الفلاة أو الروضة العظيمة.

(٣) الأظلاف: جمع الظّلف: ما غلظ من الأرض. والأثل: جمع الأَثْلَة: شجر من فصيلة الطّرفائيات أوراقه دقيقة وأزهاره عنقوديّة خشبه صلب تصنع منه القصاع والجفان. والحمضة: الحمض: هو كلّ نبات حامض أو مالح له ساق ولا أصل له، وهو للماشية كالفاكهة للإنسان. والعرعر: شجر السّرو.

(٤) المودَّع: الذي يعيش في دَعَةٍ وسعة عيش.

(٥) واللدد: المخاصمة والمجادلة.

(٦) أقبلتُه: جعلتُه قُبالته.

(٧) المُجحَر: المُلْجَأ.

ـ النكظ الجهد. قال: ـ

يَـغْـدُو بِـبَـزِّي سَـابِـحٌ ذُو مَـيْـعَـةٍ نَـهْـدُ الـمَـرَاكِـلِ ذُو تَـلِـيـلٍ أَقْـوَدُ[1]

فخطب إليه مالكٌ خَوْلَةَ فأبى أن يزوّجه.

وأمّا بنو جعفر فيزعمون أن عُرْوَةَ الرَّحَّال بن عُتْبَةَ بن جعفر وجد سِنَانَ بنَ أبي حارثةَ وابْنَيْه هَرِماً ويزيدَ على غَديرٍ قد كاد العطش أن يُهْلِكَهم، فجزَّ نَوَاصيَهم وأعتقهم، ثم إن عُرْوَةَ أتى سناناً بعد ذلك يستثيبه ثواباً يرضاه فلم يثبه شيئاً، فقال عروة في ذلك: [الوافر]

أَلاَ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي سِـنَـانـاً أَلُـوكـاً لا أُرِيـدُ بِـهـا عِـتَـابَـا[2]

أَفِي الـخَـضْـرَاءِ تَـقْـسِـمُ هَـجْـمَـتَـيْـكُـمْ وعُـرْوَةُ لـم يُـثَـبْ إِلاَّ الـتُّـرَابَـا[3]

فـلـو كـان الـجَـعَـافِـرُ طَـاوَعُـونِـي غَـدَاةَ الـشُّـعْـبِ لـم نَـذُقِ الـشَّـرَابـا

أَتَـجْـزِي الـقَـيْـنَ نِـعْـمَـتَـهـا عَـلَـيْـكُـمْ ولا تَـجْـزِي بِـنِـعْـمَـتِـهـا كِـلاَبَـا

وأمّا بنو عامر فيزعمون أن سِنَاناً انصرف ذاتَ يوم هو وناسٌ من طيِّىء وغيرهم قبل الوَقْعة، فبلَغه أنّ بني عامر يقولون: مَنَنَّا عليه؛ فأنشأ يقول: [الكامل]

والـلَّـهِ مَـا مَـنُّـوا ولَـكِـنْ شِـكَّـتِـي مَـنَّـتْ وحَـادِرَةُ الـمَـنَـاكِـبِ صِـلْـدِمُ[4]

بِـخَـرِيـرِ شَـوْلٍ يَـوْمَ يُـدْعَـى عَـامِـرٌ لا عَـاجِـزٌ وَرَعٌ ولا مُـسْـتَـسْـلِـمُ[5]

وأمّا بارقٌ فتدَّعي أسْرَ سِنَانٍ يومئذ على الثَّواب، ثم أتَوْه فلم يصنَع بهم خيراً. فقال معقِّر بن أوْس بن حِمَار البارقيّ: [الطويل]

مَـتَـى تَـكُ فـي ذُبْـيَـانَ مِـنْـكَ صَـنِـيـعَـةٌ فـلا تَـحْـمَـدَنْـهـا الـدَّهْـرَ بـعـد سِـنَـانِ

يَـظَـلُّ يُـمَـنِّـيـنَـا بِـحُـسْـنِ ثَـوَابِـهِ لَـكُـمْ مِـائَـةٌ يَـحْـدُو بِـهـا فَـرَسَـانِ

مَـخَـاضٌ أُوَدِّيـهـا وجـلّ لَـقَـائِـحٍ وَأُكْـرِمُ مَـثْـوَى مِـنْـكُـمُ مَـنَ أَتَـانِـي

---

(١) البَزّ: السلاح. والسابح: الفرس إذا مَدَّ يديه في الجري. وذو ميعة: في قمّة النشاط. والمراكل: جمع المركل: الموضع حيث يُرَكِّلُ الفرس ليَحُثَّ على السير. والتليل: العنق. والأقود: الطويل.

(٢) الألوك: الرسالة.

(٣) الخضراء من الناس: معظمهم وسوادهم. والهجمة من الإبل: القطعة الضخمة من الإبل.

(٤) الشِّكَّة: السلاح المحمول أو الملبوس. وحادرة المناكب: غليظتها. والصِّلدم: الشديد الصلب.

(٥) الوَرَع: الجبان.

فَجِئْنَاهُ لِلنُّعْمَى فَكَانَ ثَوَابَهُ رَغُوثٌ وَوَطْبَا حَازِرٍ مَذِقَانِ[1]
وظَلَّ ثَلاثاً يَسْأَلُ الحَيَّ مَا يَرى يُؤَامِرُهُمْ فِينَا له أَمَلاَنِ
فَإِنْ كُنْتَ هذا الدَّهْرَ لا بُدَّ شَاكِراً فلا تَثِقَنْ بِالشُّكْرِ في غَطَفَانِ

قال: وكان جَبَلَةُ قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مَوْلِد النبيّ ﷺ بتسع عشرة سنة، ووُلد النبيّ ﷺ عامَ الفيل، ثم أوحى الله إليه بعد أربعين سنة، وقُبِضَ وهو ابن ثلاث وستِّين سنة، وقدِم عامرُ بن الطُّفَيل في السنة التي قُبض فيها ﷺ، وقال: وهو ابنِ ثمانين سنة، وقال المعقِّر بن أوس بن حِمارٍ البارقيّ حليفُ بني نُمَيْرِ بن عامر: [الطويل]

أَمِنْ آلِ شَعْثَاءَ الحُمُولُ البَوَاكِرُ مَعَ اللَّيْلِ أَمْ زَالَتْ قُبَيْلُ الأَبَاعِرُ[2]
وحَلَّتْ سُلَيْمَى في هِضَابٍ وَأَيْكَةٍ فَلَيْسَ عَلَيهَا يَوْمَ ذلكَ قَادِرُ
وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بها النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالإِيَابِ المُسَافِرُ
وَصَبَّحَهَا أَمْلاَكُهَا بِكَتِيبَةٍ عليها إذا أَمْسَتْ مِنَ اللَّهِ نَاظِرُ
مُعَاوِيَةُ بنُ الجَوْنِ ذُبْيَانُ حَوْلَهُ وحَسَّانُ في جَمْعِ الرِّبَابِ مُكَاثِرُ
فَمَرّوا بِأَطْنَابِ البُيُوتِ فَرَدَّهُمْ رِجالٌ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ مَسَاعِرُ[3]
وقد جَمَعُوا جَمْعاً كَأَنَّ زُهَاءَهُ جَرَادٌ هَوَى في هَبْوَةٍ مُتَطَايِرُ[4]
فَبَاتُوا لنا ضَيْفاً وبِتْنَا بِنَعْمَةٍ لنا مُسْمِعَاتٌ بِالدُّفوف وَسامِرُ
ولم نَقْرِهِمْ شَيْئاً وَلَكِنَّ قَصْدَهُمْ صَبُوحٌ لَدَيْنَا مَطْلَعَ الشَّمْسِ حَازِرُ[5]
صَبَحْنَاهُمُ عِنْدَ الشُّرُوقِ كَتَائِباً كَأَركانِ سَلْمَى شَبْرُها مُتَوَاتِرُ[6]
كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمُ وَأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الحَبِيكِ جَوَاحِرُ[7]

ـ الحَبِيكُ في البَيْض إحكام عملها وطرائقها ـ

مِنَ الضَّارِبِينَ الكَبْشَ يَمْشُونَ مَقْدَماً إذا غَصَّ بِالرِّيقِ القَلِيلِ الحَنَاجِرُ[8]

---

(١) الرغوث: ذات اللّبَن. والوطب: سقاء اللبن، والمَذِق: المخلوط بالماء.
(٢) الأباعر: جمع البعير.
(٣) أطناب البيوت: أطرافها ونواحيها. والمساعر: جمع المِسْعَر: الموقد الحرب.
(٤) زهاءه: مقداره. والهبوة: الغبار.
(٥) الحازر: الحامض.
(٦) الكتائب: جمع الكتيبة: فرقة الجيش. وسلمى: أحد جبلي طيّء. والشّبْرُ: الإعطاء.
(٧) الدّوّ: الفلاة الواسعة. وجواحر: جمع جاحرة: غائرة.
(٨) كبش القوم: سيّدهم والمقدّم فيهم.

وَظَـنَّ سَـرَاةُ الـقَـوْمِ أَلاَّ يُـقَـتَّـلُـوا ... إذا دُعِيَـتْ بِـالـسَّـفْـحِ عَبْسٌ وعَـامِـرُ
ضَرَبْنَا حَبِيكَ البَيْضِ في غَمْرِ لُجَّةٍ ... فلم يَبْقَ في النَّاجِينَ مِنْهُمْ مُفَاخِرُ
ولـم يَـنْـجُ إلاَّ مَـنْ يَـكُـونُ طِـمِـرُّهُ ... يُـوَائِـلُ أَوْ نَـهْـدٌ مُـلِـحٌّ مُـثَـابِـرُ[١]
هَـوَى زَهْـدَمٌ تَـحْـتَ الـغُـبَـارِ لِـحَـاجِـبٍ ... كَمَا انْقَضَّ أَقْنَى ذو جَنَاحَيْنِ مَاهِرُ[٢]
هُـمَـا بَـطَـلانِ يَـعْـثُـرَانِ كِـلاَهُـمَـا ... أَرَادَ رِئَاسَ السَّيْفِ، وَالسَّيْفُ نَادِرُ[٣]
ولا فَـضْـلَ إلاَّ أَنْ يـكُـونَ جَـرَاءَةٌ ... وذُبْـيَـانُ تَـسْـمُـو وَالـرُّؤُوسُ حَـوَاسِـرُ
يَـنُـوءُ وَكَـفَّـا زَهْـدَم مِـنْ وَرَائِـهِ ... وقـد عَـلِـقَـتْ مـا بـيـنـهـنَّ الأَظَـافِـرُ
يُـفَـرِّجُ عَـنَّـا كُـلَّ ثَـغْـرٍ نَـخَـافُـهُ ... مِسَحٌّ كَسِرْحَانِ القَصِيمَةِ ضَامِرُ[٤]

ـ القصيمة من الرمل: ما أنبتت الغَضَى والرِّمْث ـ

وكُـلُّ طَـمُـوحٍ فـي الـعِـنَـانِ كَـأَنَّـهَـا ... إذا اغْتَمَسَتْ في المَاءِ فَتْخَاءُ كَاسِرُ[٥]
لـهـا نَاهِضٌ في المَهْدِ قَدْ مَهَدَتْ لـهـا ... كَمَا مَهَدَتْ لِلبَعْلِ حَسْنَاءُ عَاقِرُ[٦]

ـ وبهذا البيت سُمِّيَ مُعَقِّراً واسمه سُفْيان بن أَوْس، وإنما خَصَّ العاقرَ لأنها أقلُّ دَلاًّ على الزوج من الوَلُودِ فهي تصنع له وتُدَاريه ـ **[الطويل]**

تَـخَـافُ نِـسَـاءً يَـبْـتَـدِزنَ حَـلِـيـلَـهـا ... مُـحَـرَّدَةٌ قـد حَـرَّدَتْـهـا الـضَّـرَاءُ[٧]

وقال عامر بن الطُّفَيْلِ بعد ذلك بدَهْرٍ: **[الوافر]**

ويَـوْمَ الـجَـمْـعِ لاَقَـيْـنَـا لَـقِـيـطـاً ... كَـسَـوْنَـا رَأْسَـهُ عَـضْـبـاً حُـسَـامَـا
أَسَـرْنَـا حَـاجِـبـاً فَـثَـوَى بِـقِـدٍّ ... ولـم نَـتْـرُكْ لِـنِـسْـوَتِـهِ سَـوَامَـا[٨]
وجَـمْـعُ الـجَـوْنِ إذ دَلَـفُـوا إلـيـنـا ... صَـبَـحْـنَـا جَـمْـعَـهـم جَـيْـشـاً لُـهَـامَـا[٩]

---

(١) الطِّمِرّ: الجواد الشديد العدو. ويوائل: يطلب النجاة ويبادر إليها. والنهد: الفرس الحسن الجميل الجسيم.
(٢) الأقنى من الأنوف: ما ارتفع وسط قصبته وضاق منخره، وهو في الصقر والبازي.
(٣) رئاس السيف: مقبضه. ونادر: ساقط.
(٤) المِسَحّ: الفرس المسرع وكأنه يصبّ الجري سحًّا. والسّرحان: الذئب.
(٥) الفتخاء: العُقاب الليّنة الجناح.
(٦) النّاهض: فرخ الطائر الذي وفرَ جناحُه وقَدِرَ على الطيران.
(٧) المحرّدة: الغاضبة المغتاظة. والضّراء: الضرائر.
(٨) السّوَام: الإبل التي ترسَل لترعى.
(٩) الجيش اللّهام: الكثير العدد.

وقال لَبِيدُ بن رَبِيعةَ في ذلك: [الكامل]

وهُمُ حُمَاةُ الشُّعْبِ يَوْمَ تَوَاكَلَتْ أَسَدٌ وذُبْيَانُ الصَّفَا وتَمِيمُ
فَارْتَثَّ كَلْمَاهُمْ عَشِيَّةَ هَزْمِهِمْ حَيٌّ بِمُنْعَرَجِ المَسِيلِ مُقِيمُ

تم اليومُ والحمد لله.

صوت

[الطويل]

أَيَجْمُلُ مَا يُؤْتَى إلى فَتَيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِيكُمْ عَدَدُ النَّمْلِ
فَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا رِجَالاً وكُنْتُمُ نِسَاءَ حِجَالٍ لم نُقِرَّ بِذَا الفِعْلِ

الشعر لعَفِيرةَ بنت عِفَارٍ - وقيل بنت عبّاد - الجَدِيسيّة التي يقال لها الشَّمُوس، والغناء لغَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر، وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل قديم.

أخبرني بهذا الشعر، والسبب الذي من أجله قِيل، عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابي عن المُفضّل أن عِمْليقاً مَلِكَ طَسْمِ بن لاَوَذَ بنِ إرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ عليه السلام، وجَدِيسِ بن لاَوَذَ بن إرَم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت منازلهم في موضع اليَمَامة! كان في أوّل مملكته قد تمادَى في الظّلم والغَشْمِ والسِّيرة بغير الحقّ، وأنّ امرأةً من جَدِيسٍ كان يقال لها هُزَيْلَةُ، وكان لها زوج يقالَ له قرقس، فطلّقها وأراد أخذَ ولدها منها، فخاصمته إلى عِمْليقٍ، فقالت: «يا أيُّها الملك إنِّي حملته تسعاً، ووضعته دَفْعاً، وأرضعته شَفْعاً، حتى إذا تَمَّتْ أوصالُه، ودنا فِصالُه[1]، أراد أن يأخذَه مِنِّي كَرْهاً، ويترُكني من بعده وَرْهاً[2]». فقال لزوجها: ما حُجَّتُك؟ قال: «حُجَّتِي أيها الملك أنِّي قد أعطيتُها المَهْرَ كاملاً، ولم أُصِبْ منها طائلاً، إلاّ وليداً خاملاً، فافعَلْ ما كنتَ فاعلاً». فأمَر بالغلام أن يُنْزَع منهما جميعاً ويُجْعَلَ في غِلْمانه، وقال لهُزَيلة: «ابْغِيه ولداً، ولا تَنْكِحي أحداً، واجْزِيه صَفَداً[3]». فقالت هزيلة: «أمّا النكاح فإنّما يكون بالْمَهْر، وأمّا السِّفَاح فإنما يكون بِالقَهْر، وما لي فيهما من أمر». فلما سمع ذلك عِمْليقٌ أمر

(١) الفصال: الفطام.
(٢) الوره: الحمق.
(٣) الصَّفَد: العطاء.

بأن تباعَ هي وزوجها، فيُعْطَى زوجُها خُمْسَ ثمنها، وتُعْطَى هُزَيلةُ عُشْرَ ثمن زوجها، فأنشأتْ تقول: [الطويل]

أَتَيْنَا أَخَا طسم لِيَحْكُمَ بَينَنا ... فأنفذَ حُكْماً في هُزَيْلَةَ ظَالِما
لَعَمْرِي لقد حُكِّمْتَ لا مُتَوَرِّعاً ... ولا كُنْتَ فيما تُبْرِمُ الحُكْمَ عَالِما
نَدِمْتُ ولم أَنْدَمْ وَأنَّى بِعَثْرَتي ... وَأصبحَ بَعْلِي في الحكومةِ نَادِما

فلمّا سمع عمليقٌ قولها أمر ألاّ تزوّج بِكْرٌ من جَدِيسٍ وتُهْدَى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها، فلقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذُلاًّ. فلم يزل يفعل هذا حتى زُوِّجَت الشَّمُوس وهي عَفِيرةُ بنت عَبّاد أخت الأسْوَد الذي وَقَع إلى جبل طيّىء فقتلته طيّىء وسكنوا الجبل مِن بعده. فلمّا أرادوا حَمْلَها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِمْلِيقٍ لينالَها قبله، ومعها القِيانُ يتغنَّين: [الرجز]

إِبْدَيْ بِعِمْلِيقٍ وقُومِي فَارْكَبِي ... وبَادِري الصُّبْحَ لأَمْرٍ مُعْجِبِ
فَسَوْفَ تَلقَيْنَ الَّذِي لم تَطْلُبِي ... ومَا لِبِكْرٍ عِنْدَهُ مِنْ مَهْرَبِ

فلمّا أنْ دخلتْ عليه افترعها وخَلَّى سبيلَها، فخرجتْ إلى قومها في دِمائها شاقَّةً درْعَها[1] من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدّمُ يسيل وهي في أقبح مَنْظَرٍ، وهي تقول:

[الرجز مزدوج]

لا أَحَدٌ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسِ ... أَهَكَذا يُفْعَلُ بِالعَرُوسِ
يَرْضَى بِهَذا يَا لَقَوْمِي حُرُّ ... أَهْدَى وقد أَعْطَى وَسِيقَ المَهْرُ
لأَخْذَةُ المَوْتِ كَذَا لِنَفْسِهِ ... خَيْرٌ مِنَ أنْ يُفْعَلَ ذا بِعِرْسِهِ

وقالت تحرِّض قومها فيما أُتِيَ إليها: [الطويل]

أَيَجْمُلُ مَا يُؤْتَى إلى فَتَيَاتِكُم ... وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِيكُمُ عَدَدُ النَّمْلِ
وتُصْبِحُ تَمْشِي في الدِّمَاءِ عَفِيرةٌ ... جِهَاراً وزُفَّتْ في النِّسَاءِ إلى بَعْلِ
ولَوْ أَنَّنَا كُنَّا رجالاً وكُنْتُمُ ... نِسَاءً لَكُنَّا لا نُقِرُّ بِذَا الفِعْلِ
فَمُوتُوا كِرَاماً أَو أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ ... ودِبُّوا لِنَارِ الحَرْبِ بِالحَطَبِ الجَزْلِ[2]
وَإِلاَّ فَخَلُّوا بَطْنَهَا وتَحَمَّلُوا ... إلى بَلَدٍ قَفْرٍ ومُوتُوا مِنَ الهُزْلِ[3]

---

(١) الدِّرع: القميص.
(٢) الحطب الجزل: ما عظم من الحطب ويبس.
(٣) تحمّلوا: ارحلوا.

فَلَلْبَيْنُ خَيْرٌ مِنْ مُقَام عَلَى أَذًى وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ مُقَام على الذُّلّ
وَإِنْ أَنْتُمُ لم تَغْضَبوا بَعْدَ هَذِهِ فَكُونوا نِسَاءً لا تُعَابُ مِنَ الكُحْلِ
ودُونَكُمُ طِيبَ العَرُوسِ فَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لأثْوَابِ العَرُوسِ ولِلغِسْلِ(١)
فَبُعْداً وسُحْقاً لِلَّذِي لَيسَ دَافِعاً ويَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةَ الفَحْلِ

فلمّا سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيِّداً مُطاعاً قال لقومه: يا معشر جَديس! إن هؤلاء القوم ليسوا بِأعزَّ منكم في داركم إلاّ بما كان من مُلْك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزُنا وإدهانُنا(٢) ما كان له فضلٌ علينا، ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَفُ(٣)، فأطيعوني فيما آمُركم به، فإنّه عِزُّ الدهر، وذهابُ ذلّ العمر، واقْبَلوا رأيي. قال: وقد أَحْمَى(٤) جَدِيساً ما سمعوا من قولها فقالوا: نُطِيعكَ، ولكنّ القومَ أكثر وأحمى وأقوى. قال: فإنّي أصنَع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً، فإذا جاءوا يرفُلونَ في الحُلَلِ ثُرْنا إلى سيوفنا وهم غَارُّونَ(٥) فأهمدناهم بها. قالوا: نفعل. فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدّى عنده هو وأهل بيته، فأجابه إلى ذلك وخرج إليه مع أهله يرفُلون في الحلي والحُلَل، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم إلى الطعام، أخذوا سيوفَهم من تحت أقدامهم، فشدّ الأسود على عمليق فقتله، وكلُّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم. فلمّا فرغوا من الأشراف شَدُّوا على السِّفْلةِ فلم يَدَعوا منهم أحداً، فقال الأسود في ذلك: [البسيط]

ذُوقِي بِبَغْيِكِ يَا طَسْمُ مُجَلَّلَةً فَقَدْ أَتَيْتِ لَعَمْرِي أَعْجَبَ العَجَبِ
إِنَّا أَبَيْنَا فَلَمْ نَنْفَكَّ نَقْتُلُهُمْ والبَغْيُ هَيَّجَ مِنَّا سَوْرَةَ الغَضَبِ
وَلَنْ يَعُودَ عَلَينا بَغْيُهُمْ أَبَداً ولَنْ يَكُونوا كَذِي أَنْفٍ ولا ذَنَبِ
وإنْ رَعَيْتُمْ لَنَا قُرْبَى مُؤَكَّدَةً كُنَّا الأَقَارِبَ فِي الأَرْحامِ وَالنَّسَبِ

ثم إن بقيّة طسم لجأُوا إلى حسّان بن تُبَّع، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها، فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبلي طيّىء قبل نزول طيّىء إيّاهما.

(١) الغِسْل: ما يُغتَسل به.
(٢) الإدهان: المداهنة والملاينة.
(٣) النَّصف: العدل.
(٤) أحمى: أهاج وأثار.
(٥) غارّون: غافلون.

وكانت طيّىء تسكن الجُرْفَ من أرض اليمن، وهو اليومَ مَحَلَّة مُرَاد وهَمدان، وكان سيِّدُهم يومئذ أمامة بن لؤيّ بن الغَوْث بن طيّىء، وكان الوادي مَسْبَعَةً، وهم قليلٌ عَدَدُهم، وقد كان ينتابهم بعيرٌ في أزمان الخريف ولم يُدْرَ أين يذهب ولم يَرَوْه إلى قابلٍ، وكانت الأَزْدُ قد خرجتْ من اليمن أيام العَرِم[١]، فاستوحشت طيّىءٌ لذلك وقالت: قد ظَعَنَ إخواننا فصاروا إلى الأرياف، فلما همّوا بالظَّعْنِ قالوا لأسامة: إنّ هذا البعير يأتينا من بلدٍ رِيفٍ وخِصْبٍ، وإنّا لنرى في بَعَره النَّوَى، فلو أننا نتعهّده عند انصرافه فشخَصنا معه لَكُنّا نُصِيبُ مكاناً خيراً من مكاننا هذا. فأجمَعُوا أمرَهم على ذلك، فلمّا كان الخريف جاء البعيرُ فضرب في إبلهم، فلمّا انصرف احتملوا واتّبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هَبط على الجبلين، فقال أُسامة بن لؤيّ: [الرجز]

اِجْعَلْ ظَرِيباً كَحبيبٍ يُنْسَى لِكُلِّ قَوْمٍ مُصْبَحٌ ومُمْسَى

قال: وظَرِيبٌ اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به، فهجمت طيّىء على النَّخل في الشِّعاب وعلى مواشٍ كثيرة، وإذا هم برجلٍ في شِعْبٍ من تلك الشِّعاب وهو الأسود بن عَبّاد، فهالَهم ما رأوْا من عِظَم خَلْقه وتخوّفوه، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستَبروها[٢] هل يرون بها أحداً غيرَه فلم يَرَوْا. فقال أُسامة بن لؤيّ لابن له يقال له الغَوْث: أيْ بُنَيّ! إنَّ قومَكَ قد عَرِفوا فضلَك عليهم في الجَلَد والبأس والرّمي، فإنْ كَفَيْتَنا هذا الرجل سُدْتَ قومَك آخِرَ الدهر، وكنت الذي أنزلتَنا هذا البلد. فانطلق الغوث حتى أتى الرجلَ فكلّمه وساءله، فعجِبَ الأسود من صِغَرِ خَلْق الغوث فقال له: من أين أقبلتم؟ قال: من اليمن، وأخبره خبرَ البعير ومجيئهم معه، وأنهم رهبوا ما رأوا من عِظَم خَلْقه وصِغَرهم عنه، وشغلوه بالكلام، فرماه الغَوْثُ بسهمٍ فقتله، وأقامت طيّىء بالجبلين بعده، فهم هنالك إلى اليوم.

صوت

[الطويل]

إذا قَبَّلَ الإنْسَانُ آخَرَ يَشْتَهِي ثَنَايَاهُ لم يَحْرَجْ وَكَانَ لَهُ أَجْرَا
فَإنْ زَادَ زَادَ اللّهُ في حَسَنَاتِهِ مَثَاقِيلَ يَمْحُو اللّهُ عَنْهُ بِهَا وِزْرَا

الشّعر لرجل من عُذْرة، والغناء لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

---

(١) أيام سيل العرم.
(٢) استبروها: استكشفوها.

عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري وسعيه لتزويجه

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمّاد قال: ذكر الرِّياشي قال: قال حَمّاد الراوية: أتيتُ مكّةَ فجلستُ في حَلْقةٍ فيها عمرُ بن أبي رَبيعةَ، فتذاكروا من العُذْرِيِّين، فقال عمر بن أبي ربيعة: كان لي صديقٌ من عُذْرةَ يقال له الجَعْدُ بن مِهْجَعٍ، وكان أحدَ بني سَلاَمَانَ، وكان يَلْقَى مثل الذي ألقى من الصَّبابة بالنساء والوجد بهن، على أنه كان لا عاهرَ الخَلْوة ولا سَرِيعَ السَّلْوةِ، وكان يُوافي الموسمَ في كلِّ سنة فإذا راث[١] عن وقته تَرَجَّمْتُ[٢] عنه الأخبارَ، وتوكَّفتُ له الأسفار[٣] حتى يقدَمَ. فغمّني ذاتَ سنةٍ إبطاؤه حتى قدِمَ حُجَّاج عُذْرةَ، فأتيتُ القومَ أَنْشُدُ صاحبي، وإذا غلامٌ قد تنفَّسَ الصُّعَداء ثم قال: أَعَنْ أبي المُسْهِرِ تسأل؟ قلت: عنه أسأل وإيّاه أردتُ. قال: هيهاتَ هيهات! أصبح والله أبو المُسْهِرِ لا مُؤْيساً[٤] فيُهْمَل ولا مَرْجُوّاً فيُعَلَّل، أصبح والله كما قال القائل: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما حُبِّي لأَسْمَاءَ تَارِكِي ... أَعِيشُ ولا أَقْضِي بِهِ فَأَمُوتُ

قال: قلت: وما الَّذي به؟ قال: مثل الذي بكَ من تَهَوُّرِكُما في الضَّلال، وجَرِّكما أذيالَ الخَسَار، فكأنكما لم تسمَعا بِجَنّة ولا نار. قلت: مَنْ أنتَ منه يابنَ أخي؟ قال: أخوه. قلت: أمَا واللَّهِ يابن أخي ما يمنَعُكَ أن تسلُكَ مَسْلَكَ أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلا أنّك وأخاك كالبُرْدِ والبِجَادِ[٥] لا تَرْقَعُه ولا يَرْقَعُك، ثم صرَفتُ وجهَ ناقتي وأنا أقول: [الطويل]

أَرَائِحَةٌ حُجَّاجُ عُذْرَةَ وِجْهَةً ... وَلَمَّا يَرُحْ في القومِ جَعْدُ بنُ مِهْجَعِ
خَلِيلاَنِ نَشْكُو ما نُلاَقِي مِنَ الهَوَى ... مَتَى مَا يَقُلْ أَسْمَعْ وَإِنْ قُلْتُ يَسْمَعِ
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيءٍ أَصَابَهُ ... فَلِي زَفَراتٌ هِجْنَ ما بَيْنَ أَضْلُعي
فَلاَ يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ خِلاًّ فَإِنَّنِي ... سَأَلْقَى كما لاَقَيْتَ في كُلِّ مَصْرَعِ

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عَرَفات، فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد

(١) راث: تأخّر وأبطأ.
(٢) ترجّمْتُ: تظنّنتُ.
(٣) توكّفْتُ: توقعت وانتظرتُ. والأسفار: القوم المسافرون.
(٤) المؤيس: المقطوع الرجاء منه.
(٥) البُرْد: الثوب المخطّط. والبجاد: الكساء المخطّط.

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عَرَفات، فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيّر لونُه وساءت هيئته، فأدنى ناقتَه من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما، ثم عانقني وبكى حتى اشتدّ بكاؤه. فقلت: ما وراءك؟ قال: بَرْحُ العَذْل[1]، وطُولُ المَطْلِ[2]، ثم أنشأ يقول: [الوافر]

لَـئِـنْ كَـانَـتْ عُـدَيَّـةُ ذَاتَ لُـبٍّ ... لَـقَـدْ عَـلِـمَـتْ بِـأَنَّ الـحُـبَّ دَاءُ
أَلَـمْ تَـنْـظُـرْ إلى تَـغْـيِـيـرِ جِـسْـمِي ... وَأَنِّـي لا يُـفَـارِقُـنِـي الـبُـكَـاءُ
ولَـوْ أَنِّـي تَـكَـلَّـفْـتُ الَّـذِي بِـي ... لَقَفَّ الكَلْمُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ[3]
فَـإِنَّ مَـعَـاشِـري ورِجَـالَ قَـوْمِـي ... حُـتُـوفُـهُـمُ الـصَّـبَـابَـةُ والـلِّـقَـاءُ
إذا الـعُـذْرِيُّ مَـاتَ خَـلِـيَّ ذَرْعٍ ... فَـذَاكَ الـعَـبْـدُ يَـبْـكِـيـهِ الـرِّشَـاءُ[4]

فقلت: يا أبا المُسْهِرِ إنها ساعةٌ تُضْرَبُ إليها أكبادُ الإبل من شَرْقِ الأرض وغَرْبِها، فلو دعوتَ الله كنتَ قَمِناً[5] أن تظفَرَ بحاجتك وأن تُنْصَرَ على عَدُوِّك. قال: فتركني وأقبل على الدعاء، فلمّا نَزَلَتِ الشَّمْسُ للغروب وهَمَّ الناسُ أن يُفِيضوا سَمِعْتُه يتكلّم بشيء، فأصغيتُ إليه، فإذا هو يقول: [الرجز]

يَـا رَبَّ كُـلِّ غَـدْوَةٍ ورَوْحَـةْ ... مِنْ مُحْرِمٍ يَشْكُو الضُّحَى ولَوْحَةْ
أَنْـتَ حَـسِـيـبُ الـخَـلْـقِ يَـوْمَ الـدَّوْحَـةْ

فقلت له: وما يوم الدوحة؟ قال: والله لأُخبرنَّكَ ولو لم تسألني. فيمّمنا نحو مُزْدَلِفَةَ، فأقبل عَلَيَّ وقال: إنّي رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَم وشَاءٍ، وذو المال لا يُصْدِرُه ولا يُرْوِيه الثِّمَادُ[6]. وقَطَرَ الغيثُ أرضَ كَلْبٍ، فانتجعتُ أخوالي منهم، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسَقَوْني جُمَّةَ الماء، وكنتُ فيهم في خير أخوال. ثمّ إنّي عزمتُ على موافقة إبلي بماء لهم يقال له الحَوْذانُ، فركبتُ فرسي وسَمَطتُ[7] خَلْفي شراباً كان أهداه إليّ بعضهم ثم مضيت، حتى إذا كنت بين الحيّ

---

(١) بَرْحُ العذل: شدّة اللوم.
(٢) طول المَطْلِ: تأجيل الوفاء بالوعد والمماطلة.
(٣) قفّ: جَفّ ويبِسَ. والكَلْم: الجرح.
(٤) خالي الذَّرْع: أي قلبه خالٍ من الهموم. والرِّشاء: حبل الدلو.
(٥) القَمِن: الكفؤ والجدير.
(٦) الثِّماد: جمع الثَّمَد: الماء القليل.
(٧) سمطت: علّقتُ.

ومَرْعَى النَّعَم رُفِعَتْ لي دَوْحةٌ عظيمةٌ، فنزلتُ عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلستُ في ظِلِّها. فبينا أنا كذلك إذ سطع غبارٌ من ناحية الحيّ ورُفِعَتْ لي شخوصٌ ثلاثة، ثم تبيّنتُ فإذا فارس يطرُدُ مِسْحَلاً وأتاناً[١]، فتأمّلته فإذا عليه دِرعٌ أصفرُ وعمامةُ خزٍّ سوداءُ، وإذا فُروع شعره تضرب خَصْرَيه، فقلت: غُلامٌ حديثُ عهدٍ بِعُرْسٍ أَعْجَلَتْهُ لَذَّةُ الصَّيْد فترك ثوبَه ولبس ثوب امرأته. فما جازَ عليّ إلاّ يسيراً حتى طعَنَ المِسْحَلَ وثَنّى طعنةً للأتان فصرَعهما، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول:

[السريع]

نَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كَرَّكَ لأَمَيْنِ على نَابِلِ[٢]

فقلت: إنك قد تَعِبتَ وأتعبتَ، فلو نزلتَ! فثنَى رجلَه فنزل فشدّ فَرَسَه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس، فجعل يحدِّثني حديثاً ذكرتُ به قولَ أبي ذُؤَيب:

[الطويل]

وإنَّ حَدِيثاً مِنْكِ لَوْ تَبْذُلِينَهُ جَنَى النَّحْلِ في أَلبانِ عُوذٍ مَطَافِلِ[٣]

فقمتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ، وقد حسَرَ العمامةَ عن رأسه، فإذا غلامٌ كأنّ وجهه الدينارُ المنقوش. فقلت: سبحانَك اللَّهُمَّ! ما أعظمَ قُدْرَتَكَ وأحسنَ صَنْعَتَكَ! . فقال: مِمَّ ذاك؟ قلت: مِمّا راعني من جمالك وبَهرني من نُورِكَ. قال: وما الّذي يروعُك من حبيس التُّراب، وأكيل الدوابّ، ثم لا يدري أينعَمُ بعد ذلك أم يبأس. قلت: لا يصنَع اللّهُ بك إلاّ خيراً. ثم تحدَّثْنا ساعة، فأقبل عَلَيَّ وقال: ما هذا الذي أرى قد سَمَطْتَ في سَرْجِكَ؟ قلتُ: شرابٌ أهداه إليّ بعضُ أهلك، فهل لك فيه من أَرَب؟ قال: أنت وذاك. فأتيتُه به، فشرِبَ منه وجعل ينكُتُ أحياناً بِالسَّوْط على ثناياه[٤]، فجعل والله يتبيّن لي ظِلُّ السَّوط فيهن.

(١) المِسْحَل: الحمار الوحشي. والأتان: أنثاه.

(٢) البيت لامرىء القيس، والسُّلكى: الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه. والمخلوجة: الطعنة المعوجّة عن يمين وشمال. ولأمتُ السّيفَ: جعلتُ له لُؤاماً، ولأم السهم لأماً: جعل عليه ريشاً لؤاماً.
وسئل امرؤ القيس عن قوله (كرّك لأمين). فقال: مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاماً وظهاراً، فما رأيت أسرع منه فشبّهت به. والقصد (كَرّ كَلأَمَيْنِ).

(٣) العوذ: جمع العائذ: الحديثة النتاج. والمطافل: جمع المُطْفِل: ذات الطّفل من الإنس والوحش.

(٤) الثنايا: جمع الثَّنِيَّة: إحدى الأسنان الأربعة التي في مقدَّم الفم.

فقلت: مهلاً فإني خائفٌ أن تكسِرَهُنَّ. فقال: ولِمَ؟ قلت: لأنهنَّ رِقَاقٌ وهنّ عِذَابٌ. قال: ثم رفع عَقِيرتَه[1] يَتَغَنَّى: [الطويل]

إذا قَبَّلَ الإنسانُ آخَرَ يَشْتَهِي ثَنَايَاهُ لَمْ يَأْثَمْ وَكَانَ لَه أَجْرا
فَإِنْ زَادَ زَادَ اللَّهُ فِي حَسَنَاتِهِ مَثَاقِيلَ يَمْحُو اللَّهُ عَنْهُ بِهَا الوِزْرَا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع. قال: فبرَقَتْ لي بارقةٌ تحت الدِّرع، فإذا ثَدْيٌ كأنه حُقٌّ[2] عاج. فقلت: نَشَدْتُك الله أَمْرَأَةٌ؟ قالت: إي والله إلاَّ أنِّي أكره العشيرَ وأُحِبُّ الغَزَلَ. ثُم جلستْ فجعلَتْ تشرَبُ معي ما أفقد من أُنْسِها شيئاً حتى نظرتُ إلى عينيها كأنّهما عينا مَهاةٍ مذعورة، فوالله ما راعَني إلاّ مَيْلُها على الدَّوحة سَكْرَى. فَزُيِّنَ لي والله الغَدْرُ وحَسُنَ في عيني، ثم إنّ الله عصَمني منه، فجلستُ حَجْرةً[3] منها، فما لَبِثَتْ إلاّ يسيراً حتى انتبهتْ فَزِعةً، فلاثت[4] عِمامَتها برأسها، وجالت في مَتْن فرسِها، وقالت: جزاكَ الله عن الصُّحْبة خيراً. قلت: أَوَما تُزَوِّدينني منك زاداً؟ فناولتني يدَها، فقبَّلْتها فَشَمِمْتُ والله منها ريحَ المسك المفتوت، فذكرتُ قول الشاعر: [البسيط]

كَأَنَّهَا إذْ تَقَضَّى النَّوْمُ وَانْتَبَهَتْ . سَحَابَةٌ مَا لَهَا عَيْنٌ ولا أَثَرُ

قلت: وأين الموعدُ؟ قالت: إنَّ لي إخوةً شُرساً وأباً غَيُوراً. ووالله لأَنْ أَسُرَّكَ أحبّ إليّ من أن أَضُرَّكَ، ثم انصرفت. فجعلتُ أُتْبِعُها بصَري حتى غابت. فهي والله يابنَ أبي ربيعة أَحَلَّتني هذا المَحَلَّ وأبلغتني. فقلت له: يا أبا المُسْهِر إنّ الغَدْر بك مع ما تذكر لَمَلِيحٌ. فبكى واشتدّ بكاؤه، فقلت: لا تَبْكِ؛ فما قلتُ لكَ ما قلتُ إلاّ مازحاً، ولو لم أَبلُغْ في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى أقدرَ عليه، فقال لي خيراً، فلمّا انقضى الموسمُ شَدَدْتُ على ناقتي وشَدَّ على ناقته، ودعوتُ غلامي فشدَّ على بعير له، وحملتُ عليه قبّة حمراء من أَدَم كانت لأبي ربيعة المخزوميّ، وحملتُ معي ألفَ دينار ومِطْرَفَ خَزٍّ، وانطلقنا حتّى أتينا بلادَ كَلْب، فَنَشَدْنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه، وإذا هو سَيِّدُ الحيِّ وإذا الناس حَوْلَه، فوقفتُ

---

(١) عقيرته: صوته.
(٢) الحُقّ: وعاء صغير يوضع فيه الطِّيب وغيره.
(٣) الحجرة: الناحية.
(٤) لاثت العمامة: لَفّتْها وعصبتها.

على القوم فسلّمت، فردّ الشيخ السّلام، ثم قال: مَنِ الرَّجل؟ قلت: عمر بن أبي ربيعة بن المُغيرة. فقال: المعروف غيرُ المنكر، فما الذي جاء بك؟ قلت: خاطباً. قال: الكُفْء والرَّغْبَةُ. قلت: إنّي لم آتِ ذلك لِنفسي عن غير زَهَادةٍ فيك ولا جهالةٍ بِشَرَفِكَ، ولكنّي أتيتُ في حاجة ابن أُختكم العُذْرِيّ، وها هو ذاك. فقال: والله إنّه لَكَفِيءُ الحَسَبِ رفيعُ البيت، غيرَ أنّ بناتي لم يَقَعْنَ إلاّ في هذا الحيّ من قُرَيش. فوَجَمْتُ لذلك، وعَرفَ التغيُّرَ في وجهي فقال: أَمَا إِنِّي صانعٌ بك ما لم أصنعه بغيرك. قلت: وما ذاك فمثلي مَنْ شَكَر؟ قال: أُخَيِّرُهَا فهي وما اختارت. قلت: ما أنصفتَني إذ تختار لغيري وتُولي الخِيارَ غيرَك. فأشار إليّ العُذْريُّ أن دَعْه يخيّرها، فأرسل إليها: إنّ من الأمر كذا وكذا. فأرسلتْ إليه: ما كنتُ لأَستبدّ برأي دون القرشِيِّ، فالخيار في قوله، حَكِّمْهُ. فقال لي: إنها قد وَلَّتْكَ أمرَها فَاقْضِ ما أنتَ قاضٍ. فَحمِدْتُ الله عَزَّ وجلَّ وأثنيتُ عليه وقلت: اشهَدوا أَنِّي قد زَوَّجْتُها من الجَعْدِ بن مِهْجَع وأصدقتها هذا الألفَ الدِّينارِ، وجعلت تَكْرِمَتها العبدَ والبعيرَ والقبّة، وكسوتُ الشَّيخ المِطْرَفَ، وسألته أن يبني بها عليه في ليلته. فأرسلَ إلى أُمّها، فقالت: أتخرُجُ ابنتي كما تخرج الأَمَةُ!. فقال الشيخ: هَجِّري[1] في جهازها، فما برحتُ حتى ضربتُ القبَّةَ في وسط الحريم ثم أُهْدِيَتْ إليه ليلاً، وبِتُّ أنا عند الشيخ. فلمّا أصبحتُ أتيتُ القُبّة فصِحْتُ بِصاحبي، فخرج إليَّ وقد أثّر السرور فيه، فقلت: كيف كنتَ بعدي وكيف هي بعدك؟ فقال لي: أبدَتْ لي والله كثيراً مما كانت أخفته عنّي يوم لَقِيتُها. فسألتُها عن ذلك فأنشأتْ تقول: [الطويل]

كَتَمْتُ الهَوَى لَمَّا رَأَيْتُكَ جَازِعاً ... وقُلْتُ فَتًى بَعْضَ الصَّديقِ يُرِيدُ
وَأَنْ تَطْرَحَنِّي أو تَقُولَ فُتَيَّةٌ ... يَضُرُّ بها بَرْحُ الهَوَى فتعودُ
فَوَرَّيْتُ عَمَّا بي وفي دَاخِلِ الحَشَى ... مِنَ الوَجْدِ بَرْحٌ فَاعْلَمَنَّ شَدِيدُ

فقلت: أَقِمْ على أهلك، باركَ اللّهُ لك فيهم، وانطلقت وأنا أقول: [الطويل]

كَفَيْتُ أَخِي العُذْرِيَّ مَا كَانَ نَابَهُ ... وَإِنِّي لأَعْبَاءِ النَّوائِبِ حَمَّالُ
أَمَا اسْتُحْسِنَتْ مِنِّي المَكَارِمُ والعُلاَ ... إذا طُرِحَتْ! إِنِّي لِمَالِيَ بَذَّالُ

وقال العذريّ: [الطويل]

إذا ما أبو الخَطَّابِ خَلَّى مَكَانَهُ ... فَأُفٍّ لِدُنْيَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا عُمَرْ

---

(١) هَجِّري: أسرعي.

فَـلاَ حَـيَّ فِـتْـيـانُ الـحِـجَـازَيْـنِ بَـعْـدَهُ ولا سُقِيَتْ أَرْضُ الحِجَازَيْنِ بِالـمَطَرْ

صوت

[الكامل]

إِنَّ الـخَـلِـيـطَ قَـدَ ٱزْمَـعـوا تَـرْكِـي فَـوَقَـفْـتُ فِـي عَـرَصَـاتِـهِـمْ أَبْـكِـي[1]
جِـنِّـيَّـةٌ بَـرَزَتْ لِـتَـقْـتُـلَـنِـي مَـطْـلِـيَّـةُ الأَصْـدَاغِ بِـالـمِـسْـكِ
عَـجَـبـاً لِـمِـثْـلِـكِ لا يَـكُـونُ لَـهُ خَـرْجُ الـعِـرَاقِ وَمِـنْـبَـرُ الـمُـلْـكِ

الشعر لابن قَيْسِ الرُّقَيّات يقوله في عائشة بنت طلحة والغناء لمعبد، ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر، والسبب في قول ابن قيس هذا الشعرَ فيها يُذْكَر في أخبارها إن شاء الله تعالى.

(١) العرصات: جمع العرصة: ساحة الدار.

أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

[توفيت ١٠١ هـ/ ٧١٩ م]

[نسبها وبعض أخبارها]

عائشةُ بنت طَلْحَة بن عُبَيْد اللَّه بن عُثْمان بن عامر بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم، وأُمّها أُمْ كُلْثُوم بنت أبي بكر الصِّدِّيق. أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حَمّاد قال أبي قال مُصْعَبٌ: كانت عائشةُ بنت طلحةَ لا تستُر وجهَها من أحد، فعاتبها مُصْعَبٌ في ذلك، فقالت: إنَّ الله تبارك وتعالى وَسَمني بِميسم جمالٍ أحببتُ أن يراه الناسُ ويعرفوا فضلي عليهم، فما كنتُ لأَستُرَه، ووالله ما فيّ وَصْمةٌ يقدِرُ أن يذكُرَني بها أحدٌ. وطالت مُرَادَّةُ مصعب إيّاها في ذلك، وكانت شَرِسةَ الخلق. قال: وكذلك نساء بني تيم هنّ أشْرَسُ خَلْقِ الله وأحظاهُ عند أزواجهن. وكانت عند الحُسَين بن عليٍّ صلوات الله عليهما أُم إسحاق بنتُ طَلْحَة، فكان يقول: والله لَرُبَّما حَمَلتْ ووضعتْ وهي مُصَارِمةٌ[١] لي لا تكلِّمني.

قال: نالت عائشةُ من مُصْعَبٍ وقالت: عَلَيَّ كَظَهْر أُمّي، وقعدتْ في غُرفة وهيّأتْ فيها ما يُصلحها، فجَهد مصعبٌ أن تكلِّمه فأبتْ. فبعَث إليها ابنَ قَيْس الرقيّات، فسألها كلامَه، فقالت: كيف بيميني؟ فقال: ها هنا الشَّعْبِيُّ فقيهُ أهل العِراق فاستفتيه. فدخل عليها فأخبرتْه، فقال: ليس هذا بشيء. فقالت: أتُحِلُّني

---

(١) مُصارمة: مقاطعة.

وتخرج خائباً! فأمرَتْ له بأربعة آلاف درهم. وقال ابن قَيْس الرُّقَيّات لمّا رآها:

[الكامل]

جِـنِّـيَّـةٌ بَـرَزَتْ لِـتَـقْـتُـلَـنـا ... مَـطْـلِـيَّـةُ الأَقْـرَابِ بِـالـمِـسْـكِ[1]

وذكر باقيَ الأبيات.

[تآمرها مع أشعب على مصعب]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حَدَّثنا محمد بن إسحاق اليعقوبيّ قال: حَدَّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحَكَم قال: كان أَشْعَبُ يأْلَفُ مصعباً، فغضِبَتْ عليه عائشة بنت طَلْحةَ يوماً، وكانت من أحبِّ النَّاس إليه، فشكا ذلك إلى أَشْعَب. فقال: ما لي إن رَضِيَتْ؟ قال: حُكْمُكَ. قال: عشرة آلاف درهم. قال: هي لك. فانطَلَقَ حتى أتى عائشةَ فقال: جُعِلْتُ فِدَاءكِ! قد علمتِ حُبِّي لك ومَيلي قديماً وحديثاً إليكِ من غير مَنالةٍ ولا فائدة، وهذه حاجةٌ قد عَرَضتْ تقضِينَ بها حَقِّي وترتهنين بها شُكْرِي. قالت: وما عَنَاكَ؟ قال: قد جعل لي الأميرُ عشرةَ آلاف درهم إنْ رَضِيتِ عنه. قالت: ويحكَ! لا يمكنُني ذلك. قال: بأبي أنتِ فارْضَيْ عنه حتى يُعْطِيَني ثم عُودِي إلى ما عَوَّدَكِ الله من سُوء الخُلق. فضَحِكَتْ منه ورَضِيتْ عن مصعب. وقد ذكر المدائنيُّ أنَّ هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد الله بن معمر، وأنّ الرّسول إليها والمخاطِب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عَتيق.

[عَزَّة الميلاء تصف النساء لمن يريد خطبتهن]

وأخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قال أبي حُدِّثْتُ عن صالح بن حسّان قال: كان بالمدينة امرأة حسناء تُسَمَّى عَزَّةَ المَيْلاَء يأْلَفها الأشراف وغيرُهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف النَّاس وأعلمهم بأمور النساء. فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص، فقالوا: إنّا خطَبنا فانظري لنا، فقالت لمصعب: يابن أبي عبد الله ومَنْ خطبتَ؟ فقال: عائشة بنت طلحة. فقالت: فأنت يابن أبي أُحَيْحَةَ؟ قال: عائشةَ بنت عثمان.

(١) الأقراب: جمع قُرُب: الخاصرة.

قالت: فأنت يابن الصِّدِّيق؟ قال: أُمّ القاسم بنت زكريّا بن طلحة. قالت: يا جارية هاتي مَنْقَليّ (تعني خُفَّيْها) فلَبِسَتْهما وخرجت ومعها خادمٌ لها، فإذا هي بجماعة يزحَم بعضُهم بعضاً، فقالت: يا جارية أنظري ما هذا. فنظرتْ ثم رجعت فقالت: امرأةٌ أُخِذَتْ مع رجل. فقالت: داءٌ قديم، إمض ويلَكِ. فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت: فديتُكِ! كُنّا في مَأْدُبة أو مأتم لقريش، فتذاكروا جمال النساء وخَلْقَهنَّ فذكروك، فلم أدرِ كيف أَصِفُكِ فديتُكِ، فألقي ثيابَكِ؛ ففعلتْ فأقبلَتْ وأدبرَتْ فارتجَّ كلُّ شيء منها. فقالت لها عَزّة: خُذِي ثوبَكِ فديتكِ. فقالت عائشة: قد قضيتُ حاجتَكِ وبَقِيتْ حاجتي. قالت عَزَّة: وما هي بنفسي أنت؟ قالت: تُغَنِّيني صوتاً. فاندفعت تُغَنِّي لحنَها:

صوت

[الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجَا بِالمَحَلَّةِ مِنْ جُمْلِ ... وَأَتْرَابِهِا بينَ الأُصَيْفِرِ والخَبْلِ[١]

نَقِفْ بِمَغَانٍ قد مَحَا رَسْمَها البِلَى ... تَعَاقَبُها الأَيَّامُ بِالرِّيحِ والوَبْلِ[٢]

فلو دَرَجَ النَّمْلُ الصِّغَارُ بِجِلْدِها ... لأَنْدَبَ أَعلَى جِلْدِها مَدْرَجُ النَّمْلِ

وَأَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ جِيداً ومُقْلَةً ... تُشَبَّهُ في النّسوانِ بِالشَّادِنِ الطِّفْلِ[٣]

ـ الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ العُذْرِيّ، والغناء لعزّة الميلاء ثقيلٌ أوّل بالوسطى ـ. فقامت عائشة فقبَّلَتْ ما بين عينيها ودَعَتْ لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفِضّة وغير ذلك، فدفعَتْهُ إلى مولاتها فحملتْه. وأتت النسوةَ على مثل ذلك تقول ذلك لهن، حتى أتتِ القومَ في السقيفةِ. فقالوا: ما صنعتِ؟ فقالت: يابن أبي عبد الله، أمّا عائشة فلا والله إنْ رأيتُ مثلَها مقبلةً ومدبرةً، محطوطةُ المتنين[٤]، عظيمة العجيزة[٥]، ممتلئة الترائب[٦]، نقيّة

---

(١) الأصيفر والخبل: موضعان.

(٢) مغانٍ: جمع المغنى: المنزل. والوَبْل: المطر.

(٣) الجِيد: العنق. والشّادن: ولد الظّبية. والطِّفل: الناعم اللّيّن.

(٤) المتنان: جنبتا الظهر، ومحطوطة المتنين: ممدودتهما.

(٥) العجيزة: المؤخّرة.

(٦) الترائب: عظام الصدر.

الثّغر وصَفْحةِ الوجه، فرعاءُ[١] الشعر، لفّاء[٢] الفَخِذين، ممتلئة الصدر، خميصة البطن، ذات عُكَنٍ[٣]، ضخمة السُّرَّة، مُسَرْوَلَة الساق، يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها، وفيها عيبان، أمّا أحدهما فيواريه الخِمار، وأمّا الآخر فيواريه الخُفّ: عِظَمُ القَدَم والأُذُن، وكانت عائشة كذلك، ثم قالت عزّة: وأمّا أنت يابنَ أبي أُحيحة فإني والله ما رأيتُ مثلَ خَلْقِ عائشةَ بنت عثمان لامرأة قطّ، ليس فيها عيب. والله لَكَأنَّما أُفرِغَتْ إفراغاً، ولكن في الوجه رَدّة[٤]، وإن استشرتني أشرتُ عليك بوجه تستأنِسُ به. وأمّا أنت يابن الصِّدّيق فوالله ما رأيت مثل أمِّ القاسم، كأنها خُوط[٥] بانة تنثني، وكأنها جَدْلُ عِنَان، أو كأنها جَانٌّ[٦] يتثنّى على رمل، لو شئتَ أن تعقِدَ أطرافها لفعلتَ. ولكنها شَخْتَةُ[٧] الصدر وأنت عريضُ الصدر؛ فإذا كان ذلك كان قبيحاً، لا والله حتى يملأَ كلُّ شيء مثلَه. قال: فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهنّ.

أخبرني الطُّوسِيّ وحَرَميٌّ عن الزُّبَير عن عمّه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الزبيريّ والمدائني، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائني وجمعت ذلك، قالوا جميعاً: إنّ أُمّ عائشةَ بنتِ طَلْحةَ أُمُّ كلثوم بنتُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وأمّها حبيبة بنت خارجةَ بن زيد بن أبي زُهَيْر من بني الخَزْرَج بن الحارث. قالوا: وكانت عائشة بنتُ طلحة تُشَبَّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها، فزوّجتها عائشةُ عبدَ الله بنَ عبد الرحمن بن أبي بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عُذْرِها[٨]، فلم تَلِدْ من أحد من أزواجها سواه ولدتْ له عِمران وبه كانت تُكْنى، وعبدَ الرحمن، وأبا بكر، وطلحةَ، ونفيسةَ وتزوّجها الوليد بن عبد الملك، ولكلّ هؤلاء عَقِبٌ، وكان ابنها طلحةُ من

(١) فرعاء الشعر: شعرها طويل.
(٢) لفّاء الفخذين: مكتنزة الفخذين.
(٣) العُكَن: جمع العُكنة: الطيّات في البطن من السّمنة.
(٤) الرَّدّة: القبح مع شيء من الجمال.
(٥) الخوط: الغصن الناعم.
(٦) الجان: حيّة كحلاء العينين لا تؤذي.
(٧) شختة الصدر: دقيقة الصدر.
(٨) أبو عُذرها: الذي افتضها.

أجواد قريش، وله يقول الحَزين الدِّيليُّ: [المتقارب]

فَـإنْ تَـكُ يَـا طَـلْـحُ أَعْـطَـيْـتَـنِـي عُـذَافِـرَةً تَـسْـتَـخِـفُ الـضِّـفَـارا[1]
فـمـا كـانَ نَـفْـعُـكَ لِـي مَـرَّةً ولا مَـرَّتَـيْـنِ ولَـكِـنْ مِـرَارَا
أَبُـوكَ الَّـذي صَـدَّقَ الـمُـصْـطَـفَـى وَسَـارَ مَـعَ الـمُـصْـطَـفَـى حَـيْـثُ سَـارَا
وَأُمُّـكَ بَـيْـضَـاءُ تَـيْـمِـيَّـةٌ إذا نُـسِـبَ الـنَّـاسُ كَـانُـوا نُـضَـارَا[2]

قال: فصارمَتْ عائشةُ بنتُ طلحةَ زوجَها، وخرجت من دارها غَضْبَى، فمرّت في المسجد وعليها مِلْحَفةٌ تُريد عائشةَ أُمَّ المؤمنين، فرآها أبو هُرَيرةَ فقال: سبحانَ الله! كأنّها من الحُور العِينِ. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر. وكان زوجُها قد آلى منها، فأرسلتْ عائشة: إني أخاف عليك الإيلاءَ[3]، فضَمّها إليه. وكان مُولِياً منها فقيل له: طَلِّقْها، فقال: [الطويل]

يـقـولـون طَـلِّـقْـهـا لأُصْـبِـحَ ثَـاوِيـاً مُـقِـيـماً عَـلَـيَّ الـهَـمُّ، أَحْـلامُ نَـائِـم
وَإِنَّ فِـرَاقِـي أَهْـلَ بَـيْـتٍ أُحِـبُّـهُـمْ لَـهُـمْ زُلْـفَـةٌ عِـنْـدِي لإِحْدَى الـعَـظَائِـمِ[4]

[زواجها من مصعب بن الزبير وبعض أخبارها معه]

فتوفّي عبد الله بعد ذلك وهي عنده، فما فتحَتْ فاها عليه، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا في ذُنوبها التي تعدّدها. ثم تزوّجها بعده مُصْعَبُ بن الزبير، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثلَ ذلك. وبلغ ذلك أخاه فقال: إنَّ مصعباً قَدَّم أَيْرَهُ، وأَخَّرَ خَيْرَه. فبلغ ذلك من قوله عبدَ الملك بن مَرْوانَ فقال: لكنّه أَخَّرَ أَيْرَه وخَيْرَهُ. وكتب ابن الزبير إلى مصعب يُؤَنِّبُه على ذلك ويُقْسِمُ عليه أن يلحَقَ به بمكّة ولا ينزلَ المدينة ولا ينزلَ إلاّ بِالبيداء، وقال له: إنّي لأَرجو أن تكون الذي يُخْسَفُ به بالبيداء، فما أمرتُك بنزولها إلاّ لهذا، وصار إليه وأرضاه من نفسه، فأمسكَ عنه.

قال وحدّثني المدائنيّ عن سُحَيْم بن حَفْص قال: كان مصعب بن الزبير لا

(١) العذافرة: الناقة العظيمة الشديدة. والضِّفار: ما يُشَدُّ به البعير من الشعر المضفور.
(٢) النُّضَار: الخالص من كلّ شيء.
(٣) الإيلاء: اليمين: وفي الشرع أن يقسم الزوج ألا يقرب زوجته، وحكمه أن يُتربّص به أربعة أشهر ثم يوقف فإما أن يطلّق بعد ذلك أو يرجع.
(٤) الزُّلفة: المنزلة أو القُربى.

يقدِرُ عليها إلاَّ بِتَلاحٍ ينالُها منه وبِضَرْبِها. فشكا ذلك إلى ابن أبي فَرْوةَ كاتبه. فقال له: أنا أكفِيكَ هذا إن أَذِنتَ لي. قال: نَعَمْ! اِفْعَلْ ما شئتَ فإنَّها أفضلُ شيء نِلْتُه من الدنيا. فأتاها ليلاً ومعه أسْوَدان فاستأذَن عليها. فقالت له: أفي مثل هذه السّاعة! قال: نعم. فأدخلَتْه. فقال للأسودين: احفِرا ها هنا بئراً. فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شُؤم مولاتِك، أمرني هذا الفاجرُ أَنْ أَدْفِنَها حَيَّةً وهو أسفكُ خلقِ الله لدَم حرام. فقالت عائشة: فأَنْظِرْني أَذْهَبْ إليه. قال: هيهات! لا سبيلَ إلى ذلك، وقال للأَسْوَدَيْن: احفِرا. فلمّا رأتِ الجَدَّ منه بكتْ ثم قالت: يابن أبي فَرْوة إنك لَقَاتلي ما منه بُدٌّ؟ قال: نعم، وإنّي لأعلمُ أنَّ الله سيجزيه بعدك، ولكنه قد غضِبَ وهو كافر الغَضَبِ. قالت: وفي أيِّ شيء غَضَبُه. قال: في امتناعك عنه، وقد ظَنَّ أنك تُبْغِضينه وتتطلّعين إلى غيره فقد جُنَّ. فقالت: أَنشُدُكَ الله إلاَّ عاودتَه. قال: إنّي أخافُ أن يقتلَني. فبكتْ وبكى جوارِيها. فقال: قد رَقَقْتُ لكِ، وحلف أنه يغرِّرُ بنفسه، ثم قال لها: فما أقول؟ قالت: تَضْمَنُ عنّي أَلاّ أعودَ أبداً. قال: فما لي عندكِ؟ قالت: قيامٌ بِحَقِّكَ ما عشتُ. قال: فأعطيني المَوَاثيقَ، فأعطتْه. فقال للأسودين: مَكَانَكما، وأتى مصعباً فأخبره. فقال له: استوثِقْ منها بالأيمان، ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب.

قال: ودخل عليها مصعبٌ يوماً وهي نائمة مُتَصَبِّحَة ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللّؤلؤَ في حِجرها. فقالت له: نومتي كانت أحبّ إليّ من هذا اللؤلؤ.

قال: وصارمت مصعباً مرّةً، فطالت مصارمتها له وشقّ ذلك عليها وعليه، وكانت لمصعب حربٌ فخرج إليها ثم عاد وقد ظفِرَ، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها. فقالت: الآن يصلحُ أن تخرجي إليه. فخرجَتْ فهنّأَتْهُ بالفتح وجعلت تمسَحُ الترابَ عن وجهه. فقال لها مصعب: إنّي أُشفقُ عليك من رائحة الحديد. فقالت: لَهُوَ والله عندي أطيب من رِيح المسك الأذفر[1].

أخبرني ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المِسْعَر قال: كان مصعب من أشدّ الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة، ولم يكنْ لها شبه في زمانها حسناً ودَماثةً وجمالاً وهيئة ومتانةً وعِفّةً، وإنّها دَعَتْ يوماً نسوةً من قريش فلمّا جِئْنَهَا أجلستهنَّ في

(١) التلاحي: التنازع والشتام.

مجلس قد نُضِدَ فيه الريّحان والفواكه والطِّيب والمِجْمَرُ[١]، وخلعت على كلّ امرأةٍ منهن، خِلعةً تامّة من الوَشْي والخَزّ ونحوهما، ودعت عَزّةَ الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت، ثم قالت لعزّة: هاتي يا عَزّةُ فغنِّينا، فغنّتهن في شعر امرىء القيس:

[المتقارب]

وثَـغْـرٍ أَغَـرَّ شَـتِـيـتِ الـنَّـبَـاتِ ... لَـذِيـذِ الـمُـقَـبَّـلِ والـمُـبْـتَـسَـمْ[٢]

ومَـا ذُقْـتُـهُ غَـيْـرَ ظَـنٍّ بِـهِ ... وبِـالـظَّـنِّ يَـقْـضِـي عَـلَـيـكَ الـحَـكَـمْ

وكان مصعبٌ قريباً منهن ومعه إخوانٌ له، فقام فانتقلَ حتى دنا منهن والستورُ مُسْبَلةٌ، فصاح: يا هذه إنّا قد ذُقناه فوجدناه على ما وصفتِ، فبارك الله فيك يا عَزّة! ثم أرسل إلى عائشة: أَمّا أنتِ فلا سبيلَ لنا إليك مع مَنْ عندك، وأمّا عزّة فتأذَنين لها أن تُغَنِّينا هذا الصّوت ثم تعود إليك، ففعلتْ. وخرجت عزّة إليه فغنّته هذا الصّوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عَقْلُهُ فرحاً. ثم قال لها: يا عَزّة إنَّكِ لَتُحْسِنينَ القولَ والوَصْفَ، وأَمَرها بالعَوْد إلى مجلسها، وتحدّث ساعةً مع القوم ثم تَفَرَّقوا.

[زواجها من عمر بن عبيد الله التيمي]

وقال المدائني، وذكره القَحْذَميّ أيضاً في خبره: فلمّا قُتِلَ مصعبٌ عن عائشة خطبها بِشْرُ بن مروان، وقدِمَ عُمَرُ بن عُبَيدِ الله بن مَعْمَرٍ التيميُّ من الشام فنزل الكوفةَ، فبلغه أن بِشْرَ بن مروان خطَبها، فأرسل إليها جاريةً لها وقال: قُولي لابنة عَمِّي يقرئك السَّلامَ ابنُ عمِّكِ ويقول لكِ أنا خيرٌ من هذا المبسور المطحول، وأنا ابن عمّك وأحقُّ بك، وإن تزوّجتُ بكِ ملأتُ بيتَك خيراً، وحِرَكِ أَيْراً. فتزوّجته فبنى بها بِالحِيرة ومهّدت له سبعةَ أَفْرِشةٍ عَرْضُها أربعُ أذرُع، فأصبح ليلةَ بنى بها عن تِسْعٍ. قال: فلقيته مولاةٌ لها فقالت: أبا حفص فديتُكَ! قد كَمُلْتَ في كلّ شيء حتى في هذا.

وقال مصعب في خبره: إنَّ بشراً بعث إليها عُمَرَ بن عُبَيد اللّه بن معمر

---

(١) الأذفر: القويّ الرائحة.
(٢) المِجمر: العود الذي يُتَبَخّر به.
(٣) فمٌ شتيت: تباعد ما بين أسنانه.

يخطبها عليه، فقالت له: يا مصارع قلة! أمَا وجد بشرٌ رسولاً إلى ابنة عمِّكَ غيركَ! فأين بكَ عن نفسك؟! قال: أوَ تفعلين؟ قالت: نعم، فتزوّجها. وقال مصعب الزبيريّ في خبره: لمّا بنى بها عمرُ قال لها: لأَقتلنَّكِ اللَّيلةَ، فلم يصنعَ إلاّ واحدةً. فقالت له لمّا أصبح: قُمْ يا قَتَّالُ. قال: وقالت له حينئذ: [الرمل]

قــد رأيـنــاكَ فَـلَـمْ تَـحْـلُ لَـنَـا ويَـلَـوْنَـاكَ فـلـم نَـرْضَ الـخَـبَـرْ

وهذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزبيريّ وعصبيّة، والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غيرُ ما حكاه وهو ما سبق.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القَحْذَميّ أنّ عمر بن عبيد الله لمّا قَدِمَ الكوفةَ تزوّج عائشة بنتَ طلحة، فحمل إليها ألفَ ألفِ درهم: خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هديّة، وقال لمولاتها: لكِ عَلَيَّ ألفُ دينارٍ إن دخلتُ بها اللّيلةَ. وأمر بالمال فحُمِلَ فأُلْقِيَ في الدّار وغُطِّيَ بالثِّياب. وخرجَتْ عائشة فقالت لمولاتها: أهذا فرشٌ أم ثياب؟ قالت: انظُري إليه، فنظرتْ فإذا مالٌ، فتبسّمَتْ. فقالت: أجزاءُ مَنْ حمل هذا أن يبيت عَزَباً! قالت: لا والله، ولكن لا يجوز دخولُه إلاّ بعد أن أتزيّنَ له وأستعدَّ. قالت: فيم ذا! فوجهُكِ والله أحسنُ من كلِّ زينة، وما تَمُدِّينَ يدَكِ إلى طِيبٍ أو ثوب أو مال أو فرش إلاّ وهو عندك. وقد عزمتُ عليك أن تأذني له. قالت: افعلي. فذهبتْ إليه فقالت له: بِتْ بِنا اللّيلةَ. فجاءهم عند العشاء الآخرة، فَأُدْنِيَ إليه طعامٌ فأكل الطّعامَ كلّه حتى أَعْرَى الْخِوَان[1]، وغسَل يده، وسأل عن المتوضَّأ فأخبرته فتوضّأ، وقام يصلّي حتى ضاق صدري[2] ونِمْتُ، ثم قال: أعليكم إذنٌ؟ قلت: نعم. فادخُلْ، فأدخلتُه وأسبلتُ السِّتْرَ عليهما. فعددتُ له في بقيَّة اللّيل على قِلّتها سَبْعَ عشرة مرة دخل المتوضّأ فيها. فلمّا أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال: أتقولين شيئاً؟ قلت: نعم! والله ما رأيتُ مثلَك، أكلتَ أكْلَ سبعة، وصَلَّيْتَ صلاةَ سبعةٍ، ونِكْتَ نَيْكَ سبعة. فضحكَ وضرب بيده على مَنْكِبِ عائشة، فضحِكَتْ وغطَّتْ وجهها وقالت:

[الرمل]

قــد رأيــنــاكَ فــلــم تَــحْــلُ لــنــا ويَـلَـوْنَـاكَ فـلـم نَـرْضَ الـخَـبَـرْ

(١) الخوان: ما يؤكَل عليه.
(٢) الملاحظ هنا أن الكلام انتقل من صيغة الغائب إلى صيغة المتكلّم.

ويدلّ أيضاً على بطلان خبره أنه لمّا مات ندَبته قائمةً، ولم تندُبْ أحداً من أزواجها إلاّ جالسةً. فقيل لها في ذلك، فقالت: إنه كان أكرمَهم عليّ وأمسّهم رَحِماً بي، وأردتُ ألاّ أتزوّج بعده. وكانت نُدْبةُ المرأة زوجَها قائمةً ممّا تفعله مَنْ لا تريد أن تتزوّج بعد زوجها. أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَيْر بن حرب عن محمد بن سلاّم، وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب.

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها:

قال المدائنيّ في خبره: قالت امرأة: كنت عند عائشة بنت طلحةَ، فقيل لها: قد جاء الأمير، فتنحّيت، ودخل عمرُ بن عُبَيد اللّه، وكنتُ بحيث أسمع كلامَهما، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج، فقلت لها: أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا! فقالت: إنا نَتَشَهَّى لهذه الفحول بكلّ ما حَرَّكها وكلّ ما قدَرنا عليه.

قال المدائنيّ: وحدّثني مَسْلَمةُ بن مُحَارِبٍ قال: قالت رَمْلةُ بنت عبد الله بن خَلَفٍ - وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر، وقد ولدت منه ابنَه طلحةَ الجُود - لمولاة لعائشة بنت طلحة: أَرِيني عائشةَ متجرِّدَةً ولكِ ألفَا درهم. فأخبرتْ عائشة بذلك. قالت: فإني أتجرَّدُ، فأَعلميها ولا تُعَرِّفيها أنّي أعلم. فقامت عائشة كأنها تغتسل، وأعلمتها فأشرفَتْ عليها مقبلةً ومدبرةً، فأعطَتْ رملةُ مولاتَها ألفَيْ درهم، وقالت: لَوَدِدْتُ أني أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرَها. قال: وكانت رملة قد أَسَنَّتْ، وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف، وفيها وفي عائشة يقول الشاعر: **[البسيط]**

إنْعَمْ بِعَائِشَ عَيْشاً غَيْرَ ذِي رَنَقٍ ... وَانْبِذْ بِرَمْلَةَ نَبْذَ الجَوْرَبِ الخَلَقِ[1]

ويقال: إنَّ رملة قد أَسَنَّتْ عند عمر بن عُبَيْد اللّه، فكانت تجتنبه في أيّام أقرائها[2] ثم تغتسل، تُريه أنها تحيضُ، وذلك بعد انقطاع حَيْضها. فقال في ذلك بعضُ الشعراء: **[الخفيف]**

جَعَلَ اللّهُ كُلَّ قَطْرَةِ حَيْضٍ ... قَطَرَتْ مِنْكِ فِي حَمَالِيقِ عَيْنِي[3]

(١) الرَّنَق والرَّنِق: الكَدِر. والخَلَق: البالي
(٢) الأقراء: جمع القُرْء: الحَيْض.
(٣) الحماليق: جمع الحِملاق: باطن جفن العين.

أخبرنا بذلك الجوهريّ عن عمر بن شبةَ.

وذكر هارون بن الزيّات عن أبي مُحَلِّم عن أبي بكر بن عيّاش قال: قال عمر بن عبيد اللَّه لعائشة بنتِ طلحةَ وقد أصابَ منها طِيبَ نَفْسٍ: ما مرّ بي مثلُ يومِ أبي فُدَيْكٍ[١]. فقالت له: اعْدُدْ أيَّامَكَ واذْكُرْ أفضلَها، فعدَّ يومَ سِجِسْتَانَ ويومَ قَطَرِيٍّ بفارس ونحو ذلك. فقالت عائشة: قد تركتَ يوماً لم تكن في أيَّامك أشجعَ منك فيه. قال: وأيّ يوم؟ قالت: يوم أرْخَتْ عليها وعليك رملةُ السِّتْرَ. تُريد قُبْحَ وجهها.

قال: فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد اللَّه بن معمر ثمانيَ سنين، ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين، فتأيّمتْ بعده، فخطبها جماعةٌ فردّتهم، ولم تتزوّج بعده أحداً.

قال المدائنيّ: كان عمر بنُ عُبيد الله من أشدّ النّاس غَيْرةً، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حَرٌّ شديد وغبارٌ، فقال لها: انْفُضِي التُّرابَ عنِّي. فأخذتْ مِنْديلاً تنفُض به عنه التراب، ثم قالت له: ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كانَ أحسنَ منه على وجه مُصْعَبٍ، قال: فكاد عمر يموت غيظاً.

وقال أحمد بن حمّاد بن جميل: حَدَّثني القَحْذَميّ قال: كانت عائشة بنت طلحة من أشدِّ الناس مغايظةً لأزواجها، وكانت تكون لمن يجيء يُحَدِّثها في رقيق الثياب، فإذا قالوا: قد جاء الأمير ضَمَّتْ عليها مِطْرَفَها وَقَطَّبَتْ. وكانت كثيراً ما تَصِفُ لعمر بن عُبَيد الله مصعباً وجمالَه، تَغِيظه بذلك فيكاد يموت.

[عائشة تطلب من الوليد بن عبد الملك أعواناً لها في الحج]

وقال المدائنيّ: حَدَّثني مسْلَمةُ بن مُحَارِب وعُبيد اللَّه بن فائد، وأخبرنا به حرميّ عن الزّبير عن عمه ومحمد بن الضحّاك، قالوا: دخلتْ عائشة بنتُ طلحةَ على الوليد بن عبد الملك وهو بمكّةَ، فقالت: يا أميرَ المؤمنين، مُرْ لي بِأعوانٍ،

(١) أبو فديك: هو عبد الله بن ثور من الخوارج، وجّهَ إليه عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله وأمره أن ينتدب معه من يريد. فسار بعشرة آلاف من أهل الكوفة وعشرة آلاف من أهل البصرة حتى انتهوا إلى البحرين، والتقوا هناك بأبي فديك، وكانت معركة قُتِلَ فيها أبو فديك وكثير من أصحابه.

فضمّ إليها قوماً يكونون معها، فحجَّتْ ومعها ستّون بغلاً عليها الهوادجُ والرّحائلُ. فعرّض لها عُرْوةُ بن الزُّبَير فقال: [الرجز]

عَائِشُ يا ذَاتَ البِغَالِ السِّتِّينْ أَكُلَّ عَامٍ هَكَذا تَحُجِّينْ

فأرسلت إليه: نَعَمْ يا عُرَيَّة، فتَقَدَّمْ إن شئتَ؛ فكفّ عنها، ولم تتزوج حتى ماتت.

وقال غير المدائنيّ: إنّ عائشة بنتَ طلحة حجّت وسُكَيْنَةَ بنت الحسين عليهما السلام معاً، وكانت عائشةُ أحسن آلةً وثَقَلاً[1]. فقال حاديها:

عَائِشُ يا ذاتَ البِغَالِ السِّتِّينْ لا زِلْتِ مَا عِشْتِ كذا تَحُجِّينْ

فشقَّ ذلك على سُكَيْنَةَ، ونزل حاديها فقال: [الرجز]

عَائِشُ هَذِي ضَرَّةٌ تَشْكُوكِ لَوْلاَ أَبُوهَا ما اهْتَدَى أبوك

فأمرتْ عائشةُ حَادِيَها أن يَكُفَّ فَكَفَّ.

وقال إسحاق بن إبراهيم في خبره: حَدَّثني محمد بن سَلاّم عن يزيد بن عِيَاض قال: استأذنتْ عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبدَ الملك في الحجّ، فأذِنَ لها وقال: ارفعي حوائجك واستظهري؛ فإنّ عائشةَ بنتَ طلحة تَحُجُّ، ففعلتْ فجاءت بهيئة جَهَدتْ فيها. فلمّا كانت بين مكّة والمدينة إذا مَوْكِبٌ قد جاء فضغَطها وفرّقَ جماعتها. فقالت: أرى هذه عائشةَ بنتَ طلحة، فسألتْ عنها فقالوا: هذا خازنتُها[2]. ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك فقالوا: عائشةُ عائشةُ، فضغَطهم، فسألتْ عنه، فقالوا: هذه ماشطتها، ثم جاءت مواكب على هذا إلى سننها. ثم أقبلت كوكبةٌ فيها ثلاثمائة راحلةٍ عليها القِبَابُ والهوادجُ. فقالت عاتكة: ما عند الله خيرٌ وأبقى.

وقال هارون بن الزيّات: حَدَّثني قَبِيصةُ عن ابن عائشة عن أُمّه عن سلاّمة مولاة جَدَّته أُثَيْلَة بنت المُغِيرةِ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ قالت: زُرْتُ مع مولاتي خالتَها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذ وصيفةٌ، فرأيتُ عجيزتَها من خلفها وهي جالسةٌ كأنها غيرُها، فوضعتُ أصبعي عليها لأعلمَ ما هي، فلمّا وجدتْ مَسَّ أصبعي قالت: ما

(١) الثَّقَل: المتاع.

(٢) الخازن: الذي يتولى حفظ المال والإنفاق.

هذا؟ قلت: جُعِلْتُ فداءك! لم أدرِ ما هو، فجئت لأنظرَ. فضحكت وقالت: ما أكثَرَ مَنْ يَعْجَبُ مما عَجِبْتِ منه.

وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عُرَيْنَةَ عن أبيه عن جَدِّه: أنّ عائشة نازعتْ زوجَها إلى أبي هُرَيْرَةَ، فوقع خمارُها عن وجهها، فقال أبو هريرة: سُبْحانَ اللهِ! ما أحسنَ ما غَذَّاكِ أَهْلُكِ! لَكأنما خرجتِ من الجَنَّة.

[وفودها على هشام بن عبد الملك]

قال ابن عائشة وحدّثني أبي أنّ عائشة بنتَ طلحةَ وَفَدَتْ على هشام، فقال لها: ما أَوفَدَكِ؟ قالت: حَبَسَتِ السَّماءُ المَطرَ، وَمَنعِ السّلطانُ الحقَّ. قال: فإنّي أَبُلُّ رَحِمَكِ وأعرفُ حَقَّكِ، ثم بعث إلى مشايخ بني أُمَيَّةَ فقال: إن عائشة عندي، فاسْمُروا عندي اللَّيلةَ فحضروا، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيّامها إلاّ أفاضتْ معهم فيه، وما طلعَ نجمٌ ولا غارَ إلا سَمَّتْهُ. فقال لها هشام: أمَّا الأوّل فلا أُنكره، وأمّا النجوم فمِنْ أينَ لك؟ قالت: أخذتُها عن خالتي عائشة. فأمَر لها بمائة ألف درهم وردَّها إلى المدينة.

[استنشادها للشاعر النميري ومكافأتها له]

أخبرني عمِّي عن الكُرَانيّ عن المُغِيرةِ بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال: حَدَّثني ابن عمران البزَّازيّ قال:

لمَّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكّة سنةً، وبالمدينة سنةً، تخرج إلى مالٍ لها بالطّائف عظيم وقصر لها فتتنزَّهُ وتجلس فيه بالعشيّات، فتُنَاضِلُ بين الرُّماة، فمرّ بها النُّمَيْريّ الشّاعرُ، فسألتْ عنه فنُسِبَ لها، فقالت: ائتُوني به. فقالت له لمّا أتَوْها به: أَنشِدْني ممّا قلتَ في زينب، فامتنع وقال: ابنةُ عَمِّي وقد صارتْ عِظاماً بالية. قالت: أقسمتُ لَمّا فعلتَ. فأنشدها قولَه: [الطويل]

نَـزَلْـنَ بِـفَـخٍّ ثـمَّ رُحْـنَ عَـشِـيَّـةً ... يُـلَـبِّـيـنَ لِـلـرَّحْـمَـنِ مُـعْـتَـمِـرَاتِ[1]

---

(١) فخ: وادٍ بمكة، وفيه يوم مشهور (معجم البلدان ٤: ٢٣٧). والاعتمار: القصد والزيارة، وله في الشرع مناسك خاصّة.

يُخَبِّئْنَ أَطْرَافَ الأَكُفِّ مِنَ التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ[1]
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ
تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ في نِسْوَةٍ خَفِرَاتِ[2]

فقالت: والله ما قلتَ إلاّ جميلاً، ولا وصفتَ إلاّ كرماً وطِيباً وتُقًى وديناً، أَعْطُوه ألفَ درهم. فلمّا كانت الجمعةُ الأُخرى تعرّض لها، فقالت: عليّ به فجاء. فقالت: أنْشِدْني من شعرك في زينب. فقال: أَوَ أُنْشِدُكِ من قول الحارث[3] فيك؟ فوثب مَوَاليها، فقالت: دَعُوه؛ فإنه أراد أن يَسْتَقِيدَ لابنة عمِّه، هاتِ. فأنشدها:

[الكامل]

ظَعَنَ الأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الخَلْقِ ... وغَدَوْا بِلُبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ
وَتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجِيزَتُها ... نَهْضَ الضَّعِيفِ يَنُوءُ بِالوَسْقِ[4]
مَا صَبَّحَتْ زَوْجاً بِطَلْعَتِها ... إلاّ غَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلْقِ[5]
قُرَشِيَّةٌ عَبِقَ العَبِيرُ بِها ... عَبَقَ الدِّهَانِ بِجَانِبِ الحُقِّ[6]
بَيْضَاءُ مِنْ تَيْمٍ كَلِفْتُ بِهَا ... هَذَا الجُنُونُ ولَيْسَ بِالعِشْقِ

قالت: والله ما ذكر إلاّ جميلاً، ذكر أنّي إذا صَبَّحْتُ زوجاً بِوجهي غَدَا بكواكب الطَّلْق، وأنّي غدوتُ مع أمير تزوّجني إلى الشّرق. أَعْطُوه ألفَ درهم واكسُوه حُلَّتَين، ولا تَعُدْ لإتياننا يا نُمَيْرِيُّ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ عن محمد بن سَلاّم، أن عبد الملك وَلّى الحارثَ بن خالد على مكّة، فَأَذَّنَ المؤذّن، وخرج للصّلاة، فأرسلت إليه عائشةُ بنتُ طلحة: قد بَقِيَ من طَوَافِي شيءٌ لم آتِه، وكان يتعشّقها، فأمَر المؤذّنَ فَكَفَّ عن الإقامة، ففرَغَتْ من طَوَافها، وبلغ ذلك عبدَ الملك فعَزَله. فقال: ما أَهْوَنَ والله غَضَبَه وعَزْلَهُ إيَّايَ عَلَيّ عِنْدَ رِضَاها عنّي.

(١) الاعتجار: لفّ العمامة على الرأس من غير أن تلفّ تحت الحنك.
(٢) نَعمان: وادٍ ينبت الأراك ويصبّ إلى وَدّان، وهو بين مكة والطائف (معجم البلدان ٥: ٢٩٣).
(٣) هو الحارث بن خالد المخزومي.
(٤) الوَسْق: هو ستون صاعاً.
(٥) كوكب الطَّلْق: الأرض.
(٦) الحُقّ: وعاء صغير يوضع فيه الطِّيب وغيره.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثني عمر بن شَبَّةَ قال: قال سَلْمُ بن قُتَيْبَة: رأيتُ عائشةَ بنتَ طلحة بمِنًى أو مَسْجِد الخَيْفِ، فسألتني مَنْ أنت؟ قات: سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ. فقالت: رَحِمَ الله مصعباً! ثم ذهبتْ تقوم ومعها امرأتان تُنْهِضَانها، فأعجزَتْها أليتاها من عظمهما، فقالت: إنِّي بكما لَمُعَنَّاةٌ، فذكرتُ قولَ الحارثِ:

[الكامل]

وتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجِيزَتُها ... نَهْضَ الضَّعِيفِ ينوءُ بِالوَسْقِ

وروى هذا الخبرَ هارون بن الزَّيَّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدَّثني أبو عمرو بن خَلاّد عن المدائنيّ قال: قال أبو هُرَيْرَةَ لعائشة بنت طلحة: ما رأيتُ شيئاً أحسنَ منك إلاّ معاوية أوّلَ يوم خطَبَ على مِنْبَرِ رسول اللهﷺ. فقالت: واللّهِ لأنا أحسنُ من النار في اللَّيلة القَرَّةِ[1] في عين المقرور.

[رفضت الزواج من أبان بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حَدَّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوَانةَ قال: كتب أبَانُ بن سَعِيدٍ إلى أخيه يحيى يخطُب عليه عائشةَ بنتَ طلحة، ففعل. فقالت ليحيى: ما أنزل أخاك أَيْلَةَ[2]؟ قال: أراد العُزْلَة. قالت: اكْتُبْ إلى أخيك: [الطويل]

حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لا أنتَ ضَائِرٌ ... عَدُوّاً ولا مُسْتَنْفَعٌ بِكَ نَافِعُ

صوت

[الطويل]

إذا المَالُ لم يُوجِبْ عليكَ عَطَاءَهُ ... صَنِيعةُ تَقْوَى أو صَدِيقٌ تُوَامِقُهْ
مَنَعْتَ وبَعْضُ المَنْعِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ ... فلَمْ يَفْتَلِتْكَ المَالَ إلاّ حَقَائِقُهْ

عَرُوضه من الطويل. توامقه: تفاعله من الموامقة، أي تَوَدّه ويودّك، يقال: وَمَقْتُه أمِقُه أي أحببتهُ. ويفتلتك أي يُخْرِجه من يدك وقَبْضَتِك. الشعر لكُثَيِّر، والغناء

(١) اللّيلة القرّة: الباردة.
(٢) أيلة: مدينة بين الفسطاط ومكة تُعَدُّ في بلاد الشام، أو هو جبل بين مكة والمدينة (معجم البلدان ١:٢٩٢).

لمالك بن أبي السَّمْحِ، ويقال إنه للهُذَلِيّ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر.

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال: حَدَّثنا طلحة بن عبد الله قال: حَدَّثني أبو مَعْمَرٍ عافيةُ بن شَيْبَةَ قال: حَدَّثني العُتْبِيُّ قال: أفلس صَيْرَفيّ بالمدينة، فخرج قومٌ يسألون له، فمرُّوا بابن عِمْرانَ الطَّلْحِي وفتح بابَه واجتمع له أصحابُه، فسألوه فقرَعَ بِمِخْصَرته[1] ثم رفع رأسَه إليهم فقال: [الطويل]

إذا المالُ لم يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَه صَنِيعَةُ تَقْوَى أو صَدِيقٌ تُوَامِقُهْ
بَخِلتَ وبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ فلَمْ يفتَلِتْكَ المالَ إلاَّ حَقَائِقُهْ

إنّا والله ما نَحِيدُ عن الحَقّ، ولا نتدفّق في الباطل، وإنّ لنا لحقوقاً تشغَل فضولَ أموالِنا، وما كلُّ مَنْ أَفْلَس من صَيَارِفةِ المدينةِ قَدَرنا أن نَجْبُرَه، قُومُوا، قال: فقُمْنا نستبق الباب.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّةَ قال: حَدَّثنا أبو مَسْلَمةَ المَدينيّ قال: أخبرني أبي قال: كان رجلٌ من الأنصار من بني حارثةَ مُمْلِقاً ليس في ديوانٍ ولا عَطَاء، وكان صديقاً لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل، فقال له يوماً: إنّ أمير المؤمنين مسابقٌ غداً بين الخيل، وقد أمرتُ الحَرَسَ ألاّ يَعْرِضوا لك حتى تكلِّمه. قال: فسبَق هشاماً يومئذ ابنٌ له، وكان السّبق يشتدّ عليه، فعرَض له الأنصاريّ، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا امرؤ من الأنصار، وقد بلغتُ هذه السنَّ ولستُ في ديوانٍ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَفْرِضَ لي فَعَلَ. قال: فأقبل عليه هشامٌ فقال: والله لا أفرِضُ لكَ حتّى مثل هذه اللّيلة من السنة المُقْبِلة، ثم أقبل على الأبرش فقال: يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألةَ. فقال: يا أمير المؤمنين، ابن أبي جُمعة[2] يقول: [الطويل]

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عَطَاءَه صَنيعةُ تَقْوَى أو خَليلٌ تُوَامِقُهْ
مَنَعْتَ وبَعْضُ المَنْعِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ فلم يَفْتَلِتْكَ المَالَ إلاَّ حَقَائِقُهْ

---

(١) المِخصَرة: العصا أو القضيب.

(٢) ابن أبي جمعة: هو كثيّر.

من شِعر عمرو بن شأس

صوت

[الطويل]

فَـوَانَـدَمِـي عـلـى الـشَّـبَـابِ وَوَانَـدَمْ نَـدِمْـتُ وبَـانَ الـيَـوْمَ مِـنِّـي بِـغَـيْـرِ ذَمْ
وإذ إِخْـوَتِـي حَـوْلِـي وإذْ أَنَـا شَـامِـخٌ وإذْ لا أُجِـيـبُ الـعَـاذِلاتِ مِـنَ الـصَّـمَـمْ
أَرَادَتْ عِـرَاراً بِـالـهَـوَانِ ومَـنْ يُـرِدْ عِـراراً لَـعَـمْـرِي بِـالـهَـوَانِ فَـقَـدْ ظَـلَـمْ
فَـإِنْ كُـنْـتِ مِـنِّـي أو تـريـديـنَ صُـحْـبَـتِـي فَـكُـونِـي لـه كَـالـسَّـمْـنِ رُبَّـتْ لَـهُ الأَدَمْ
وَإلاَّ فَـبِـيـنِـي مِـثْـلَ مَـا بَـانَ رَاكِـبٌ تَـيَـمَّـمَ خِـمْـسـاً لَـيْـسَ فِـي وِرْدِهِ يَـتَـمْ
فَـإِنَّ عِـرَاراً إنْ يَـكُـنْ ذَا شَـكِـيـمَـةٍ تَـعَـافِـيـنَـهـا مـنـه فَـمَـا أَمْـلِـكُ الـشِّـيَـمْ
وَإنَّ عِـرَاراً إنْ يَـكُـنْ غَـيْـرَ وَاضِـحٍ فَـإنِّـي أُحِـبُّ الـجَـوْنَ ذَا الـمَـنْـكِـبِ الـعَـمَـمْ
وَإِنِّـي لأُعْـطِـي غَـثَّـهـا وسَـمِـيـنَـهـا وَأَسْـرِي إذا مـا الـلَّـيْـلُ ذو الـظُّـلَـم ادْلَـهَـمْ
حِـذَاراً عـلـى مـا كَـانَ قَـدَّمَ وَالِـدِي إذا رَوَّحَـتْـهُـمْ حَـرْجَـفٌ تَـطْـرُدُ الـصِّـرَمْ

عروضه من الطويل، الشعر لعمرو بن شأس الأسديّ، والغناء في الأوّل والثاني من الأبيات لمعبد، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق، وذكر عمرو أن فيهما لمالك خفيفَ رملٍ بالبنصر، وفي الثامن والتاسع لابن جامع هَزَجٌ بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى، وفيهما لإبراهيم ماخوريٌّ بالبنصر من نسخة عمرو الثانية، ولابن سُرَيْج ثاني ثقيل بالبنصِر عن حَبَش، وفيهما رملٌ مجهولٌ، وقيل: إنه لِسُلَيْم. الشَّامخ: الذي يشمَخ بأنفه زَهْواً وكِبْراً. وأصل الظّلم وضع الشيء في غير موضعه. والشّيمةُ: الطبيعة. رُبّت له: يعني للسَّمْن فلا تُفسده. والأَدمُ جَمْعٌ واحدُها أديمٌ وجمعها أَدَمٌ، كما يقال أَفِيقٌ وأَفَقٌ. واليَتَمُ: الغفلة والضَّيْعة؛ واليتيم مأخوذ من هذا. واليتيم من البهائم: ما اختُلِج عن أُمِّه. والعرب تقول: «لا تَخْلِجِ الفَصِيلَ عن أُمِّه، فإنّ الذّئبَ عالمٌ بمكان الفصيلِ اليتيم». ويقال: فلانٌ شديدُ الشَّكِيمةِ أي شديد اللِّسان كثير البيان؛ ومنه شكيمة اللِّجام، وجَمْعُها شكائم. قال عُوَيْفُ القَوَافِي[1]:

[الطويل]

أَقُـولُ لِـفِـتْـيـانٍ كِـرَامٍ تَـرَوَّحُـوا عـلى الجُرْدِ في أفواهِهِنَّ الشَّكَائِمُ

---

(١) عويف القوافي: هو عوف أو عويف بن معاوية بن عقبة، شاعر من أشراف قومه في الكوفة (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م) ترجمته في (سمط اللآلي ٨١٤، والمرزباني ٢٧٧ وخزانة البغدادي ٣: ٨٧).

والواضح: الأبيض. والجَوْن: الأسود والأبيض أيضاً، وهو من الأضداد. والعَمَمُ: الطويل؛ يقال رَجُلٌ عَمَمٌ، وامرأةٌ عَمَمٌ، ورجلٌ عَميمٌ، وامرأةٌ عميمةٌ، ونخلٌ عميمٌ، ونبتٌ عميمٌ. والسُّرَى: السيرُ ليلاً. وادلهمّ: اشتَدّ سواده. والحَرْجَفُ: الريح الشديدة الباردة. والصِّرَمُ: جمع صِرْمةٍ وهي القِطْعَةُ من الإبل. يعني أن هذه الريح إذا هَبّت طَرَدَ الرعاءُ الإبلَ إلى مُرَاحِها وأعطانِها فتسكُن فيها.

نسب عمرو بن شَأْسٍ وأخباره في هذا الشعر وغيره

[نسبه ومناسبة الشعر]

هو عمرو بن شأس بن عُبَيْدِ بن ثَعْلبة بن ذُؤَيْبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أَسدِ بن خُزَيمةَ. وهذا الشعر يقوله في امرأته أُمّ حَسّان وابنه عِرَارِ بن عمرو، وكانت تُؤْذيه وتُعَيِّرُه بِسواده.

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثنا محمد بن الحسن الأحْوَل قال: قال ابن الأعرابيّ: كانت امرأة عمرو بن شَأْس من رَهْطِهِ، ويقال لها أُمُّ حَسّان، واسمها حيّة بنت الحارث بن سعد، وكان له ابن يقال له عِرَارٌ من أَمَةٍ له سوداء، وكانت تُعَيِّره وتُؤْذِي عِراراً وتشتُمه ويشتمها، فلمّا أعيتْ عمراً قال فيها:

[الطويل]

دِيَارَ ابْنَةِ السَّعْدِيِّ هِيهِ تَكَلَّمِي ... بِدَافِقةِ الحَوْمانِ فَالسَّفْحِ مِنْ رَمَمْ[1]

لَعَمْرُ ابْنَةِ السَّعْدِيِّ إِنِّي لأَتَّقِي ... خَلائِقَ تُؤْبَى في الثَّرَاءِ وفي العَدَمْ

وَقَفْتُ بِهَا ولم أَكُنْ قَبْلُ أَرْتَجِي ... إذا الحَبْلُ مِنْ إِحْدَى حَبَائِبِي انْصَرَمْ

وإِنِّي لَمُزْرٍ بِالمَطِيِّ تَنَقُّلِي ... عَلَيْهِ وَإِيقَاعِي المُهَنَّدَ بِالعِصَمْ[2]

وإِنِّي لأُعْطِي غَثَّهَا وَسَمِينَهَا ... وأَسْرِي إذا ما اللَّيْلُ ذُو الظُّلَمِ ادْلَهَمْ

إذا الثَّلْجُ أَضْحَى في الدِّيَارِ كَأَنَّهُ ... مَنَاثِرُ مِلْحٍ في السُّهولِ وفي الأَكَمْ

حِذَاراً على ما كَانَ قَدَّمَ وَالِدِي ... إذا رَوَّحَتْهُمْ حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ

وَأَتْرُكُ نَدْمَانِي يَجُرُّ ثِيَابَهُ ... وَأَوْصَالَهُ مِنْ غَيْرِ جُرْحٍ ولا سَقَمْ

---

(١) الحومان: موضع في بلاد بني عامر بن صعصعة (معجم البلدان ٢: ٣٢٥). ورَمَمْ: اسم وادٍ (معجم البلدان ٣: ٧٠).

(٢) مُزْرٍ: مستخفّ ومتهاون. والعِصَم: جمع العِصمة: السُّوار أو موضع السوار من اليد.

وَلَـكِـنَّـهـا مِـنْ رَيَّـةٍ بَـعْـدَ رَيَّـةٍ مُـعَـتَّـقَـةٍ صَـهْـبَـاءَ رَاوُوقُـهـا رَذَمْ[1]
مِـنَ الـعَـانِـيَـاتِ مِـنْ مُـدَام كَـأَنَّـهَـا مَـذَابِحُ غِـزْلانٍ يَطِيبُ بِهَا الشَّـمَـمْ[2]
وإذْ إِخْـوَتِـي حَـوْلـي وإذْ أَنَـا شَـامِـخٌ وإذْ لا أُجِيبُ الـعَـاذِلاَتِ مِـنَ الـصَّـمَـمْ
أَلَـمْ يَـأْتِـهَـا أَنِّـي صَـحَـوْتُ وَأَنَّـنـي تَـحَـالَـمْتُ حَتَّـى ما أُعَارِمُ مَنْ عَـرَمْ[3]
وَأَطْرَقْتُ إِطْـرَاقَ الـشُّـجَـاعِ ولَـوْ يَـرَى مَـسَـاغاً لِـنَـابَيْـهِ الـشُّـجَـاعُ لَـقَـدْ أَزَمْ[4]
وقـد عَـلِـمَـتْ سَـعْـدٌ بِـأَنِّـي عَـمِـيـدُهـا قَـدِيـماً وَأَنِّـي لَـسْـتُ أَهْـضِـمُ مَـنْ هَـضَـمْ

- يقول: لا أظلمُ أحداً من قومي وأتَهضَّمُه فيطلبني بمثل ذلك، أي أرفع نفسي عن هذا -

خُـزَيْـمَـةُ رَدَّانـي الـفَـعَـالَ ومَـعْـشَـرٌ قَـدِيماً بَنَوْا لي سُورَةَ المَجْدِ والكَرَمْ[5]
إذا مَـا وَرَدْنَـا الـمَـاءَ كـانَـتْ حُـمَـاتَـهُ بَـنُـو أَسَـدٍ يَـوْمـاً عـلـى رَغْـمِ مَـنْ رَغَـمْ
أَرَادَتْ عِـرَاراً بِـالـهَـوَانِ ومَـنْ يُـرِدْ عِـرَاراً لَـعَـمْـرِي بِـالـهَـوَانِ فَـقَـدْ ظَـلَـمْ

وذكر باقيَ الأبيات، قال ابن الأعرابيّ وأبو بكر الشَّيْبانيّ: فجَهِدَ عمرو بن شَأسٍ أن يُصلح بين ابنه وامرأته أمِّ حَسّان فلم يُمكنه ذلك، وجعل الشرُّ يزيد بينهما، فلمّا رأى ذلك طلّقها، ثم ندِمَ ولام نفسه؛ فقال في ذلك: [الطويل]

تَـذَكَّـرَ ذِكْـرَى أُمِّ حَـسَّـانَ فَـاقْـشَـعَـرّ عـلـى دُبُـرٍ لَـمَّـا تَـبَـيَّـنَ مـا ائْـتَـمَـرْ[6]
فـكِـدْتُ أَذُوقُ الـمَـوْتَ لَـو أَنَّ عَـاشِـقـاً أَمَـرَّ بِـمُـوسَـاهُ الـشَّـوارِبَ فَـانْـتَـحَـرْ
تَـذَكَّـرْتُـهـا وَهْـنـاً وقـد حَـالَ دُونَـهـا رِعَـانٌ وقِـيعـانٌ بـهـا الزَّهْـرُ والشَّـجَـرْ[7]
فـكُـنْـتُ كَـذَاتِ الـبَـوِّ لَـمَّـا تَـذَكَّـرَتْ لَـهَـا رُبَـعـاً حَـنَّـتْ لِـمَـعْـهَـدِهِ سَـحَـرْ[8]
حِـفَـاظـاً ولـم تَـنـزِعْ هَـوَايَ أَثِـيـمَـةٌ كَـذَلِـكَ شَـأْوُ الـمَـرْءِ يَـخْـلِـجُـهُ الـقَـدَرْ

قال ابن الأعرابيّ: الأثيمة الفعيلة من الإثم، وهي مرفوعة بفعلها، كأنه قال:

---

(١) الرّاووق: إناء يُرَوَّق فيه الشراب. والرَّذَم من الآنية: الممتلىء السائل.
(٢) العانيات: جمع العانية: الأسيرة، وهنا يصف الخمر بأنها محبوسة بالدّنان.
(٣) أعَارم: أخاصم.
(٤) الشُّجَاع: الحيّة. وأزم: عَضّ.
(٥) رَدّاني: ألبسني. والفَعال: الخير.
(٦) الدُّبُر: آخر الشيء. وائتمر: عمل برأيه.
(٧) الوَهْن: نحو نصف الليل أو بعده بساعة. والرِّعان: جمع الرِّعْن: الجبل الطويل. والقيعان: جمع القاع: أرض سهلة مطمئنّة منخفضة عن المرتفعات المحيطة بها.
(٨) البوّ: ولد الناقة. والرُّبَع: الفصيل يُنتج في الربيع.

لم تنزِعِ الأثيمةُ هَوَايَ. تَخْلِجه: تَصْرِفه. شأْوُه: هَمُّه ونِيَّتُه. قال وقال فيها أيضاً:

[الطويل]

أَلَـمْ تَـعْـلَـمِـي يَـا أُمَّ حَـسَّـانَ أَنَّـنِـي إذا عَـبْـرَةٌ نَـهْـنَـهْـتُـهَـا فَـتَـخَـلَّـتِ
رَجَـعْـتُ إِلـى صَـدْرٍ كَـجَـرَّةِ حَـنْـتَـمٍ إذا قُـرِعَـتْ صِـفْـراً مِـنَ الـمَـاءِ صَـلَّـتِ(١)

[خبر عبد الملك مع ابنه عرار]

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال: حَدَّثنا عُمَر بن شَبَّةَ عن إسحاق بن محمد بن سَلاَّم؛ وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتَيْبَةَ قال: قال ابن سلاّم: لمّا قتل الحجّاجُ عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشْعَثِ بعث برأسه مع عِرَار بن عمرو بن شأس الأَسَديِّ، فلمّا ورد به وأوصل كتابَ الحجّاج، جعل عبدُ الملك يعجَبُ من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال مُتَمثّلاً:

وإنَّ عِـرَاراً إنْ يَـكُـنْ غَـيْـرَ وَاضِـحٍ فَإِنّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذَا المَنْكِبِ العَمَمْ

فضحِكَ عِرارٌ من قوله ضحكاً غاظ عبدَ الملك؛ فقال له: مِمَّ ضَحِكتَ ويحكَ؟ قال: أتعرفُ عِراراً يا أمير المؤمنين الذي قِيلَ فيه هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أنا والله هو. فضحِكَ عبد الملك ثم قال: حَظٌّ وافقَ كلمةً، وأحسنَ جائزتَه وسَرَّحَه.

وقال الطّوسيّ: أغار ملكٌ من ملوك غَسَّان يقال له عَدِيٌّ وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِرٍ الغَسَّانِيِّ على بني أَسَدٍ، فلَقِيَتْهُ بنو سَعْدِ بن ثعلبةَ بن دُودَانَ بالفُرات ورئيسهم ربيعةُ بن حُذَار، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو سعدٍ عَدِيًّا، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حُذَار أخوا ربيعة، وأُمُّهما امرأة من كنانةَ يقال لها تُمَاضِرُ إحدى بني فَرّاس بن غَنْم وهي التي يقال لها مقيّدة الحمار. فقالت فاختة بنت عديٍّ:

[الوافر]

لَـعَـمْـرُكَ مَـا خَـشِـيـتُ عـلـى عَـدِيٍّ رِمـاحَ بَـنِـي مُـقَـيِّـدَةِ الـحِـمَـارِ
ولَـكِـنِّـي خَـشِـيـتُ عـلـى عَـدِيٍّ رِمَـاحَ الـجِـنِّ أَوْ إِيَّـاكَ حَـارِ

تعني الحارثَ بن أبي شمر خالَه ـ

(١) الحنتم: جرة خضراء تضرب إلى الحمرة. وصِفراً: خالية. وَصَلَّتْ: صوَّتَتْ.

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ ابْنَيْ حُذَارٍ بَعِيدُ الهَمِّ طَلاَّعُ النِّجارِ[١]

ويروى: «جَوَّاب الصّحاري». فقال عمرو بن شأس في ذلك:

صوت

[الطويل]

مَتَى تَعْرِفِ العَيْنَانِ أَطْلالَ دِمْنَةٍ لِلَيْلَى بِأَعْلَى ذِي مَعَارِكَ تَدْمَعَا[٢]
على النَّحْرِ والسِّرْبَالِ حَتَّى تَبُلَّهُ سَجُومٌ ولم تَجْزَعْ على الدَّارِ مَجْزَعَا[٣]
خَلِيلَيَّ عُوجَا اليَوْمَ نَقْضِ لُبَانَةً وَإِلاَّ تَعُوجَا اليَوْمَ لا نَنْطَلِقْ مَعَا
وإن تَنْظُرَانِي اليَوْمَ أَتْبَعْكُمَا غَداً قِيَادَ الجَنِيبِ أَو أَذَلَّ وأَطْوَعَا

وهي قصيدة، غَنَّى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أوّلَ بالوسطى عن الهشاميّ. والدمنة في هذا الموضع: آثار النّاس وما سوّدوا، وهي في غير هذا الموضع الحِقْدُ؛ يُقال: في صدره عَلَيَّ إِحْنةٌ، وترَةٌ، وضَبٌّ، وحَسِيكةٌ، ودِمْنةٌ. وعُوجَا: احبِسا وتَلَبَّثا، عاجَ يَعُوج عِيَاجاً. وما أعيجُ بكلامِكَ أي ما ألتفتُ إليه. واللُّبانة: الحاجةُ؛ يقال: لي في كذا لُبَانةٌ ولبونة ولُمَاسةٌ، ووَطَرٌ، وحَوْجَاء ممدودةً. وقوله «لا ننطلق معاً»، يقول إن لم تَقِفَا تأخّرْتُ عنكما فتفرّقنا. وتنظُراني تُنظِراني؛ يقال نظرته أنظُره، وأنظرته أُنْظِره إنظاراً ونَظِرَةً أيضاً إذا أخّرته؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾[٤]. والجَنِيبُ: المجنوبُ من فرس وغيره، والجنيب أيضاً الّذي يشتكي رئته من شدّة العَطَش.

وقال الطوسيّ: قال الأصمعيّ: جاور رجل من بني عامر بن صَعْصَعَةَ عمرَو بن شأس ومعه بنت له من أجمل النّاس وأظرفهم، فخطَبها عمرو إلى أبيها. فقال أبوها: أمّا ما دمتُ جاراً لكم فلا، لأنّي أكره أن يقول الناس غصَبه أمرَه، ولكن إذا أتيتُ قومي فَاخْطُبْها إليَّ أُزَوِّجْكَها. فوجَد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألاّ يتزوَّجها أبداً إلاّ أن يُصِيبها مَسْبِيَّة. فلمّا ارتحل أبوها هَمَّ عمرٌو بغزو قومها، فسار في أثر أبيها. فلمّا وقعت عينه عليه وظَفِرَ به استحيا من جُواره وما كان بينهما

(١) النِّجار: الأصل والحَسَب.
(٢) ذو معارك: موضع في ديار بني تميم (معجم ما استعجم: معارك).
(٣) السِّربال: القميص. والسُّجوم: الغزيرة.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

من العهد والميثاق، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجَتْ رأسها من الهَوْدَج تنظُر إليه، فلمّا رآها رجع مُسْتَحْيِياً مُتَذَمِّماً منها. وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير؛ فقال في ذلك:

صوت

[الطويل]

إذا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وأَنْتِ أَمَامَنَا ... كَفَى لِمَطَايَانَا بِوَجْهِكِ هَادِيا[١]

أليس يَزِيدُ العِيسَ خِفَّةَ أَذْرُعٍ ... وإنْ كُنَّ حَسْرَى أَنْ تَكُونِي أَمَامِيا[٢]

ولَوْلاَ اتِّقَاءُ اللَّهِ والعَهْدُ قَدْ رَأَى ... مَنِيَّتَهُ مِنِّي أَبُوكِ اللَّيَالِيَا

ونَحْنُ بَنُو خَيْرِ السِّبَاعِ أَكِيلَةً ... وأَحْرَبِهِ إذا تَنَفَّسَ عَادِيا[٣]

بَنُو أَسَدٍ وَرْدٍ يَشُقُّ بِنَابِهِ ... عِظَامَ الرِّجَالِ لا يُجِيبُ الرَّوَاقِيا[٤]

متى تَدْعُ قَيْساً أَدْعُ خِنْدِفَ إنَّهُمْ ... إذا مَا دُعُوا أَسْمَعْتَ ثَمَّ الدَّوَاعِيا

لَنَا حَاضِرٌ لم يَحْضُرِ النَّاسُ مِثْلَهُ ... وَبَادٍ إذا عَدُّوا علينا البَوَادِيا

الغناء لإسحاق الموصليّ ثاني ثقيل في الأوّل والثاني من الأبيات، وفيه لحنٌ قديم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن مَهْرويْهِ قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حَدَّثنا الحِزاميّ قال: حَدَّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أبي رُهْم قال: قلت لابن سِيرين: ما تقولُ في الشّعرِ؟ قال: هو كلامٌ، حَسَنُه حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ. قلتُ: فما تقول في النَّسيبِ؟ قال: لَعَلّكَ تُريد مثل فول الشاعر:

[الطويل]

إذا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتِ أَمَامَنَا ... كَفَى لِمَطَايانا بِوَجْهِكِ هَادِيا

أَلَيْسَ يَزِيدُ العِيسَ خِفَّةَ أَذْرُعٍ ... وإنْ كُنَّ حَسْرَى أن تكوني أماميا

قال: وأراد بإنشاده إيّاهما أنك قد رأيتَني أحفَظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إيّاه، فلو كان به بأسٌ ما أنشدتُه.

---

(١) أدلجنا: سرنا ليلاً.

(٢) الحَسْرى: جمع الحسير: الدّابّة المُتْعَبَة من كثرة السّير.

(٣) الأحرب: الأشد في الحرب. والعادي من السباع: الذي يفترس ظُلماً.

(٤) الورد: الأسد. والرّواقي: جمع الرّاقي: الذي يضع الرُّقْيَة.

صوت

[الطويل]

فَإنْ تَكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فَإنَّكُمْ فَتًى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرِ
فَتَى كَانَ أحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ وأشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانَ خَادرِ

عَرُوضُه من الطويل، البَوَاء بالباء: التَّكافؤ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ بِبَوَاء، أي ما هو له بكفء أن يُقْتَلَ به. و «ما» في قولها «فتى ما قتلتم» صلة. وآل عوف: نداء. وخَفّان[1]: موضع مشهور. وخادر: مقيم في مَكْمَنه وغِيله[2]، وهو مأخوذ من الخِدْر.

الشّعر لليلَى الأَخْيَليّة تَرْثِي تَوْبَةَ بنَ الحُمَيِّر، والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ، وفي هذه القصيدة عدّةُ أغانٍ تُذْكَرُ مع سائر ما قاله توبةُ في ليلَى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مَقْتَله إن شاء الله تعالى.

(١) خَفّان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً، قيل هو فوق القادسية (معجم البلدان ٢: ٣٧٩).
(٢) الغِيل: موضع الأسد.

ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحُمَيِّر معها وخبر مقتله

[قصتها مع توبة وبعض أخبارهما]

هي ليلى بنت عبد اللّه بن الرّحّال ـ وقيل ابن الرحّالة ـ بن شَدَّاد بن كَعْبِ بن مُعاويةَ، وهو الأخْيَلُ وهو فارسُ الهَرّار، ابن عُبَادةَ بن عُقَيْلِ بن كَعْب بن رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعةَ. وهي من النساء المُتَقَدِّمات في الشعر في شعراء الإسلام. وكان تَوْبةُ بن الحُمَيِّر يهواها. وهو توْبَةُ بن الحُمَيِّرِ بن حَزْمِ بن كَعْبِ بن خَفَاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل.

أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمد بن حَبِيبِ بن نصر المُهَلَّبيّ قالا: حدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد الورّاق قال: حَدَّثنا محمد بن عليّ أبو المُغيرة قال: حَدَّثنا أبي عن أبي عُبَيْدةَ قال: حَدَّثني أُنَيْس بن عمرو العامريّ قال: كان توبةُ بن الحميِّر أحدَ بني الأَسَديّة، وهي عامرة بنت والبةَ بن الحارث، وكان يتعشّقُ ليلى بنتَ عبد اللّه بن الرّحّالة ويقول فيها الشعر، فخطَبها إلى أبيها فأبى أن يزوِّجَهُ إيّاها وزوّجها في بني الأدْلَع. فجاء يوماً كما كان يَجِيءُ لزيارتها، فإذا هي سافرة ولم يَرَ منها إليه بشاشةً، فعلم أن ذلك لأمرٍ مَّا كان، فرجع إلى راحلته فركِبها ومضى، وبلَغ بني الأدْلَع أنّه أتاها فتبِعوه ففاتهم. فقال توبة في ذلك:

[الطويل]

نَـأَتْـكَ بِـلَـيْـلَـى دَارُهـا لا تَـزُورُهـا ... وشَـطَّـتْ نَـوَاهـا واسْـتَـمَـرَّ مَـرِيـرُهـا[1]

---

(١) النَّوَى: الوجه الذي ينويه المسافر. والمرير: العزيمة.

وهي طويلة، يقول فيها: [الطويل]

وكُنْتُ إذا ما جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ فَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا الغَدَاةَ سُفُورُها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شبّة قال: كان توبةُ بن الحميّر إذا أتى ليلَى الأخْيَليّة خرجتْ إليه في بُرْقُع، فلمّا شُهِر أمرُه شَكَوْه[1] إلى السُّلْطان، فأباحهم دَمَه إن أتاهم. فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه، فلمّا عَلِمَتْ به خرجتْ سافرةً حتى جلستْ في طريقه، فلمّا رآها سافرةً فَطَنَ لِمَا أرادتْ وعلِمَ أنه قد رُصِدَ، وأنها سَفَرتْ لذلك تحذِّره، فركض فرسَه فنجا. وذلك قوله:

[الطويل]

وكُنْتُ إذا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ فَقَدْ رَابَنِي مِنهَا الغَدَاةَ سُفُورُها

قال أبو عُبَيدةَ وحدَّثني غير أُنَيْس أنه كان يُكْثِر زيارتَها، فعاتبه أخوها وقومُها فلم يُعْتِبْ، وشَكَوْه إلى قومه فلم يُقْلِعْ، فتظلّموا منه إلى السُّلْطان فأهدرَ دمَه إن أتاهم. وعَلِمَتْ ليلى بذلك، وجاءها زوجُها وكان غيوراً فحلف لئن لم تُعْلِمْه بمجيئه لَيقتلنَّها، ولَئِنْ أنذرَتْه بذلك لَيقتلنّها. قالت ليلى: وكنت أعرفُ الوجهَ الذي يجيئني منه، فرصَدوه بِموضع ورصدته بآخر، فلمّا أقبل لم أقدِرْ على كلامه لِليمين، فسفرْتُ وألقيْتُ البُرْقُعَ عن رأسي. فلمّا رأى ذلك أنكره فركِبَ راحلتَه ومضى ففاتهم.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حَدَّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال: حَدَّثني أبو زِيادٍ الكِلاَبيُّ قال: خرجَ رجلٌ من بني كِلاَبٍ ثم من بني الضّحمة يبتغي إبلاً له حتى أَوْحَشَ وأَرْمَلَ[2]، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بِوَادٍ، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيفُ، فأبصر امرأة وصِبْياناً يدورون بالخِباء فلم يكلِّمْه أحدٌ. فلمّا كان بعد هَدْأةٍ[3] من اللّيل سمِع جَرْجَرةَ[4] إبلٍ رائحةٍ، وسمِعَ فيها صوتَ رجل حتى جاء بها فأناخَها على البيت، ثم تقدّمَ فسمِعَ الرجلَ يُناجي المرأةَ ويقول: ما هذا السَّوَادُ حِذَاءَكِ؟ قالتْ: راكبٌ أناخَ بنا حين غابتِ الشمسُ ولم أُكلِّمه. فقال لها: كذبتِ، ما هو إلاّ بعضُ خُلاَّنِكِ، ونَهضَ

(١) شكوه: أي أهلُها.
(٢) أوحش: نفد زاده وجاع. وأرمل: نفد زاده وافتقر.
(٣) الهدأة: الطّائفة من الليل.
(٤) جرجرة البعير: ترديد صوته في حنجرته.

يضربها وهي تناشده. قال الرجل: فسمعتُه يقول: والله لا أتركُ ضَرْبَكِ حتى يأتيَ ضيفُكِ هذا فيُغيثكِ. فلمّا عِيلَ صَبْرُها قالت: يا صَاحبَ البعير يا رَجُلُ! وأخذ الصّحميّ هِرَاوتَه ثم أقبل يُحْضِرُ[1] حتى أتاها وهو يضربها، فضربه ثلاث ضَرَبات أو أربعاً، ثم أدركتْه المرأة فقالت: يا عبد اللّه، ما لكَ ولنا! نَحِّ عنا نفسَكَ، فانصرفَ فجلس على راحلته وأدلجَ ليلتَه كلَّها وقد ظنّ أنه قتل الرجل وهو لا يدري مَنِ الحيُّ بعدُ، حتى أصبح في أَخْبيةٍ من الناس، ورأى غنماً فيها أَمَةٌ مُوَلَّدة، فسألها عن أشياء حتى بلَغ به الذّكرُ، فقال: أخبريني عن أُناس وجدتُهم بِشِعْبِ كذا. فضحِكَتْ وقالت: إنَّكَ لَتسألني عن شيء وأنت به عالم. فقال: وما ذاك لله بلادُكِ؟ فوالله ما أنا به عالم. قالت: ذاك خِباء ليلَى الأَخْيَلِيّةِ، وهي أحسنُ النّاس وجهاً، وزوجُها رجلٌ غَيُورٌ فهو يعزُبُ بها عن الناس فلا يَحُلّ بها معهم، والله ما يَقْرَبُها أحدٌ ولا يَضِيفُها، فكيف نزلتَ أنت بها؟ قال: إنّما مررتُ فنظرتُ إلى الخباء ولم أَقْرَبْه، وكتَمها الأمرَ. وتحدَّثَ الناسُ عن رجل نزل بها فضربها زوجُها فضربه الرجلُ ولم يُدْرَ مَنْ هو. فلمَّا أخبر باسم المرأة وأقرّ على نفسه تَغَنَّى بشِعر دَلّ فيه على نفسه وقال: [الوافر]

أَلاَ يَا لَيْلَ أُخْتَ بَنِي عُقَيْلٍ ... أَنَا الصَّحْمِيُّ إِنْ لَمْ تَعْرِفِينِي
دَعَتْنِي دَعْوَةً فَحَجَزْتُ عَنْهَا ... بِصَكَّاتٍ رَفَعْتُ بِهَا يَمِينِي[2]
فَإِنْ تَكُ غَيْرَةٌ أُبْرِئْكَ مِنْهَا ... وَإِنْ تَكُ قَدْ جُنِنْتَ فَذَا جُنُونِي

[الحجّاج يسألها عن قصّتها مع توبة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا رشد بن حَنْتَم الهِلاليّ قال: حَدَّثني أَيُّوب بن عمرو عن رجل يقال له وَرْقاء قال: سَمِعتُ الحَجَّاجَ يقول لليلى الأَخْيَلِيّة: إنَّ شبابَكِ قد ذهب، واضمحلّ أمرُكِ وأمر توبة؛ فأُقسم عليك إلاَّ صَدَقْتِني، هل كانت بينكما رِيبة قَطُّ أو خاطبكِ في ذلك قطّ؟ فقالت: لا والله أيّها الأمير إلاّ أنّه قال لي ليلةً وقد خَلَوْنا كلمةً ظننتُ أنه قد خضَع فيها لِبعض الأمرِ، فقلتُ له:

[الطويل]

وذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لَه لا تَبُحْ بِهَا ... فَلَيْسَ إِلَيهَا مَا حَيِيتَ سَبِيلُ

(١) يُحضِر: يُسرع.
(٢) حجزتُ: دافعتُ. والصَّكّات: جمع الصَّكّة: الضربة أو اللَّطمة.

لَنَا صَاحِبٌ لا يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ وأنتَ لأُخْرَى فَارِغٌ وحَلِيلُ(١)

فلا والله ما سمعت منه رِيبةً بعدها حتى فرّق بيننا الموتُ. قال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟ قالت: وَجَّهَ صاحباً له إلى حاضرنا فقال: إذا أتيتَ الحاضرَ من بني عُبَادةَ بن عُقَيْل فاعْلُ شَرَفاً ثم اهْتِفْ بهذا البيت: [الطويل]

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً مِنَ الدَّهْرِ لا يَسْرِي إِلَيَّ خَيَالُهَا

فلمّا فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له: [الطويل]

وعَنْهُ عَفَا رَبِّي وأَحْسَنَ حَالَهُ عَزِيزٌ عَلَيْنَا حَاجَةٌ لا يَنَالُهَا

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء، وهو أجمع في قصيدة توبة:

نأتك بليلى دارها لا تزورها

صوت

[الطويل]

حَمَامَةَ بَطْنِ الوَادِيَيْنِ تَرَنَّمِي سَقَاكِ مِنَ الغُرِّ الغَوَادِي مَطِيرَهَا(٢)

أَبِينِي لَنَا لا زَالَ رِيشُكِ نَاعِماً ولا زِلْتِ فِي خَضْرَاءَ دَانٍ بَرِيرُهَا(٣)

وَأُشْرِفُ بِالقَوْزِ اليَفَاعِ لَعَلَّنِي أَرَى نَارَ لَيْلَى أو يَرَانِي بَصِيرُهَا(٤)

وكُنْتُ إذا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ فَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا الغَدَاةَ سُفُورُهَا

عَلَيَّ دِمَاءُ البُدْنِ إنْ كَانَ بَعْلُهَا يَرَى لِيَ ذَنْباً غَيْرَ أَنِّي أَزُورُهَا(٥)

وَإِنِّي إذا مَا زُرْتُهَا قُلْتُ يَا اسْلَمِي وما كانَ في قَوْلِي اسْلَمِي ما يَضِيرُهَا

وغَيَّرَنِي إنْ كُنْتِ لَمَّا تَغَيَّرِي هَوَاجِرُ تَكْتَنِينَهَا وأَسِيرُهَا

وَأَدْمَاءَ مِنْ سِرِّ المَهَارَى كَأَنَّهَا مَهَاةُ صُوَارٍ غَيْرَ مَا مَسَّ كُورُهَا(٦)

(١) الحليل: الزوج.

(٢) الغوادي: جمع الغادية: السحابة تنشأ غدوةً.

(٣) البرير: جمع البريرة: ثمر الأراك.

(٤) القَوْز: الكثيب الصغير. واليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٥) البُدن: جمع البدنة: الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة.

(٦) الأدماء من الإبل: التي أُشرِبَ لونها بياضاً مع سواد المقلتين. والسّرّ: المحض. والمهارى: جمع مَهْرِيّة، وهي إبل منسوبة إلى مهرة بن حَيْدان، وقيل هي منسوبة إلى بلد. وقيل: هي نجائب تسبق الخيل. والمهاة: البقرة الوحشية، والصّوار: قطيع البقر. والكور: الرَّحل.

قَـطَـعْـتُ بـهـا أَجْـوَازَ كُـلِّ تَـنُـوفَـةٍ مَـخُـوفٍ رَدَاهَا كُـلَّـمـا اسْـتَـنَّ مُـورُهـا[١]

تَـرَى ضُـعَـفَـاءَ الـقَـوْمِ فـيـهـا كَـأَنَّـهـم دَعَـامِـيـصُ مَـاءٍ نَـشَّ عـنـهـا غَـدِيـرُهـا[٢]

غَنَّى في الأربعة الأبيات الأُوَل فُلَيْحُ بن أبي العَوْراء ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو، وغَنَّى في الثالث والرابع ابن سُرَيْج رملاً بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى المنجِّم، وذكر غيرُهما أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزِيع، وَغَنَّى فيها الهذليُّ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ، وغَنَّى ابن محرز في «عَليّ دماءُ البُدْن» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو، وعن ابنِ مِسْجَحٍ في:

وَغَـيَّـرنـي إن كـنـتِ لَـمَّـا تَـغَـيَّـرِي

وما بعده لحنٌ ذكَر أنّ عبد اللّه بن جعفر روّاه الأبياتَ وأمره أن يُغَنِّيَ بها، أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ عن عمر بن شبَّة عن إسحاق الموصليّ عن ابن الكلبيّ في خبرٍ قد ذكرته في أخبار ابن مِسجَحٍ، وذكر الهشاميّ أن اللحن ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

حَدَّثنا أحمد بن عُبَيْد اللّه بن عمار قال: حَدَّثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال: حَدَّثني مَنْ أنشد الأصمعيَّ:

عَـلَـيَّ دِمَـاءُ الـبُـدْنِ إنْ كَـانَ زَوْجُـهـا يَـرَى لِـيَ ذَنْـبـاً غَـيْـرَ أَنّـي أَزُورُهـا

وَأَنّـي إذا مـا زُرْتُـهـا قُـلْـتَ يَـا اسْـلَـمـي فَهَلْ كَانَ في قَوْلِي أَسْلَمِي ما يَضِيرُها

فقال الأصمعيّ: شكوى مظلومٍ، وفعلُ ظالم.

[مقتل توبة وسببه]

أخبرني بالسبب في مقتل توبةَ محمدُ بن الحسن بن دُرَيد إجازةً عن أبي حاتم السِّجِسْتانيّ عن أبي عُبَيدةَ، والحسنُ بن عليّ الخَفّاف قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حَدَّثنا محمد بن عليّ بن المُغيرة عن أبيه عن أبي عُبيدةَ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيبَ عن

(١) الأجواز: جمع جوز، وجوز كلّ شيء وسطه. والتنوفة: الفلاة التي لا ماء بها. واستنّ: ثار وهاج. والمور: الغبار تثيره الرياح.

(٢) الدعاميص: جمع الدُّعموص: دُويبة تغوص في الماء. ونَشَّ: جَفَّ.

ابن الأعرابي، وروايةُ أبي عُبَيْدَةَ أتمُّ واللَّفْظُ له، قال أبو عبيدةَ: كان الذي هاجَ مقتلَ توبةَ بنِ الحُمَيِّر بن حَزْم بن كَعْبِ بن خَفَاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعةَ أنّه كان بينه وبين بني عامر بن عوْفِ بن عُقَيْلٍ لِحاءٌ[1]، ثم إنّ توبةَ شَهِدَ بني خَفاجةَ وبني عَوْفٍ وهم يختصمون عند هَمّام بن مُطرف العُقَيْليّ في بعض أمورهم. قال: وكان مَرْوانُ بن الحَكَم يومئذٍ أميراً على المدينة في خلافة مُعاويةَ بن أبي سُفْيان، فاستعمله على صَدَقات بني عامر. قال: فوثَب ثَوْرُ بن أبي سِمْعان بن كعب بن عامر بن عَوْف بن عُقَيل على توبة بن الحميِّر فضربه بِجُرْزٍ[2] وعلى توبة الدِّرعُ والبَيْضةُ، فجَرحَ أنفُ البيضةِ وجهَ توبة. فأمر هَمّام بِثَوْر بن أبي سِمْعانَ فأُقْعِدَ بين يدي توبة، فقال: خُذْ بِحَقِّكَ يا توبة. فقال له توبة: ما كان هذا إلاّ عن أمرك، وما كان لِيَجْتَرِىءَ عَلَيَّ عند غيرك. وأمّ همّام صوبانة بنت جَوْن بن عامر بن عَوْف بن عُقَيل، فاتّهمه توبةُ لذلك، فانصرفَ ولم يقتصَّ منه. فمكثوا غيرَ كثيرٍ، وإنّ توبة بلَغَهُ أَنَّ ثور بن أبي سِمْعانَ خرج في نفرٍ من رَهْطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مالهم بموضع يقال له جُرَيْرٌ بِتَثْلِيثٍ[3] ـ قال: وبينهما فلاةٌ ـ فاتّبعه توبةُ في ناسٍ من أصحابه، فسأل عنه وبحث حتى ذُكِرَ له أنه عند رجلٍ من بني عامر بن عقَيْل يقال له ساريةُ بن عُمَيْر بن أبي عديّ وكان صديقاً لتوبة، فقال توبة: والله لا نَطْرُقُهم عند سارية اللَّيلةَ حتى يخرجوا عنه. فأرادوا أن يخرجوا حين يُصبحون. فقال لهم ساريةُ: ادَّرِعُوا اللَّيْلَ[4]؛ فإنّي لا آمَنُ توبةَ عليكم اللَّيلةَ فإنّه لا ينامُ عن طلبكم. قال: فلمّا تَعَشَّوا ادّرعوا الليلَ في الفلاة. وأقعد له توبةُ رجلين فغفَلَ صاحبا توبة. فلمّا ذهب اللّيلُ فزِعَ توبة وقال: لقد اغترَرْتُ إلى رجلين ما صنَعا شيئاً، وإنّي لأعلمُ أنهم لم يُصبحوا بهذه البلاد، فاقتصَّ آثارهم، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا، فبَعث إلى صاحبيه فأتياه، فقال: دُونَكما هذا الجملَ فَأَوْقِرَاه من الماء في مَزَادتَيْه[5] ثم اتّبِعَا أَثَري، فإنْ خَفِيَ عليكم أن تُدْرِكاني فإنّي سأُنَوِّرُ لكما إن أمسيتما دوني. وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً، حتى إذا انتصفَ النّهارُ

---

(١) اللِّحاء: النزاع.

(٢) الجُرْز: العمود من حديد أو فضة.

(٣) جُرَيْر: موضع قرب مكة (معجم البلدان ٢: ١٣١)، وتثليث: موضع بالحجاز قرب مكة (معجم البلدان ٢: ١٥).

(٤) ادَّرعوا الليل: أي اتخذوه درعاً واستتروا به.

(٥) أوقره: حَمَّلَه. والمزادة: وعاء يُحمل فيه الماء.

جاوز عَلَماً يقال له أُفَيْح[١] في الغائط. فقال لأصحابه: هل تَرَوْنَ سَمُراتٍ[٢] إلى جنب قُرون بَقَر[٣]؟ - وقرون بقر مكان هنالك - فإنَّ ذلك مَقِيلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظِلٌّ. فنظروا فقال قائلٌ: أرى رجلاً يقودُ بعيراً كأنه يقوده لِصَيدٍ. قال توبة: ذلك ابن الحَبْتَرِيّة، وذلك من أَرْمَى مَنْ رَمَى. فمَنْ له يَختلِجُه[٤] دون القوم فلا يَنْذَرون[٥] بنا؟ قال: فقال عبد اللّه أخو توبة: أنا له، قال: فاحْذَرْ لا يَضْرِبنّك، وإنِ استطعتَ أن تحولَ بينه وبين أصحابه فَافْعَلْ. فخَلّى طريقَ فرسِه في غَمْضٍ[٦] من الأرض، ثم دنا منه فحَمل عليه، فرماه ابن الحَبْتَرِيّة - قال: وبنو الحَبْتَرِ ناسٌ من مَذْحِجٍ في بني عُقَيْل - فعقَر فرسَ عبدِ اللّه أخي تَوْبَة واختلّ[٧] السّهمُ ساقَ عبد اللّه، فانحاز الرّجلُ حتى أتى أصحابَه فأنذَرهم، فجمعوا رِكَابَهم وكانت متفرِّقةً. قال: وغَشِيهم توبةُ ومَنْ معه، فلمّا رأوا ذلك صَفُّوا رِحالهم وجعلوا السَّمُرَاتِ في نحوٍ وأخذوا سِلاحَهم ودَرَقَهم[٨]، وزَحفَ إليهم توبةُ، فارتمى القومُ لا يُغْنِي أحدٌ منهم شيئاً في أحد. ثم إنّ توبةَ وكان يُتَرِّسُ[٩] له أخوه عبدُ اللّه، قال: يا أخي لا تُتَرِّسْ لي، فإنّي رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع التُّرْسَ، عسى أن أُوافق منه عند رَفْعه مَرْمًى فأرميَه. قال: ففعل، فرماه توبةُ على حَلَمَةِ ثديه فصرَعه. وجالَ القومُ فغَشِيَهُم توبةُ وأصحابُه فوضعوا فيهم السِّلاَحَ حتى تركوهم صَرْعَى وهم سبعةُ نفرٍ. ثم إنَّ ثوراً قال: انتزِعوا هذا السّهمَ عَنِّي. قال توبةُ: ما وضعناه لِننتزعَه. فقال أصحابُ توبة: انْجُ بنا نأخُذْ آثارَنا ونَلْحَقْ راويتَنا، فقد أَخَذْنَا ثَأْرَنا من هؤلاء وقد مُتْنَا عَطَشاً. قال توبةُ: كيف بهؤلاء القومِ الذين لا يمنَعون ولا يمتنعون! فقالوا: أبعدهم الله. قال توبةُ: ما أنا بفاعلٍ وما هم إلاّ عشيرتُكم، ولكن تجيء

---

(١) أُفَيح: موضع بنجد (معجم البلدان ١: ٢٣٣).

(٢) السَّمُرَات: جمع السَّمُرَة: من شجر الطلح.

(٣) قرون بقر: موضع في ديار بني عامر المجاورة لِبَلحارث بن كعب (معجم البلدان ٤: ٣٣٥).

(٤) يختلجه: ينتزعه.

(٥) لا ينذرون بنا: لا يعلمون بنا.

(٦) الغَمْض: المنخفض من الأرض.

(٧) اختلّ: أصاب ونفذ.

(٨) الدّرَق: جمع الدَّرَقة: الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب.

(٩) يُتَرِّسُ له: يستره بالترس.

الرَّاوية فأَضَعُ لهم ماءً وأَغْسِلُ عنهم دماءهم وأُخَيِّلُ[١] عليهم من السِّباع والطّير لا تأكُلهم حتى أُوذِنَ قومَهم بهم بِعَمْقٍ[٢]. فأقام توبةُ حتّى أتته الرَّاويةُ قبل اللّيل، فسقاهم من الماء وغسَلَ عنهم الدّماء، وجعل في أساقيهم ماءً، ثم خَيَّل لهم بِالثّياب على الشّجر، ثم مضى حتى طَرَقَ من اللّيل ساريةَ بن عُوَيْمر بن أبي عَدِيّ العُقَيْليَّ فقال: إنّا قد تركنا رهطاً من قومكم بِسَمُراتٍ من قُرون بقر، فأدرِكوهم، فَمنْ كان حيّاً فدَاوُوه، ومَنْ كان مَيّتاً فادْفِنوه، ثم انصرف فلحِقَ بقومه. وصبّح ساريةُ القوم فاحتملهم وقد مات ثورُ بن أبي سِمْعانَ ولم يَمُتْ غيرُه، فلم يَزَلْ توبةُ خائفاً. وكان السَّلِيلُ بن ثَوْرٍ المقتول رامياً كثيرَ البَغْي والشّرّ، فأُخبرَ بِغِرَّةٍ[٣] من توبة وهو بقُنّةٍ[٤] من قِنان الشَّرَفِ يقال لها قُنَّةُ بني الحُمَيِّر، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طَرَقَه؛ فترقّى توبةُ ورجلٌ من إخوته في الجبل، فأحاطوا بالبيوت، فناداهم وهو في الجبل: هأنذا مَنْ تَبغُون فاجْتَنِبوا البيوت. فقالوا: إنّكم لن تستطيعوه وهو في الجبل، ولكن خُذوا ما استدفَّ[٥] لكم من ماله، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا. ثم إنّ توبة غزاهم، فمرَّ على أَفْلَتَ بن حَزْن بن مُعاوية بن خَفَاجةَ بِبَطْنِ بِيشة[٦] فقال: يا توبة أين تُريد؟ قال: أريد الصبيان من بني عَوْف بن عُقَيْلٍ. قال: لا تفعَلْ فإنّ القوم قاتِلُوكَ، فَمَهْلاً. قال: لا أُقلعُ عنهم ما عِشْتُ، ثم ضرب بطنَ فرسه فاستمرّ به يُحْضِرُ[٧] وهو يرتجز ويقول: [الرجز]

تَـنْـجُـو إذا قِـيـلَ لَـهَـا يَـعَـاطِ ... تَـنْجُـو بِـهِـمْ مِـنْ خَـلَـلِ الأَمْـشَـاطِ[٨]

حتى انتهى إلى مكانٍ، يقال له حَجْرُ الرَّاشِدةِ، ظَلِيلٍ، أَسْفَلُه كالعمود، وأعلاه منتشر، فاستظلّ فيه هو وأصحابه. حتى إذا كان بالهاجرة مَرَّتْ عليه إبلُ

(١) خَيَّله: وضع قربه خيالاً ليفزع منه الذئب فلا يقربه.
(٢) عَمْق: موضع من بلاد مزينة قرب المدينة، وقيل هو وادٍ من أودية الطائف (معجم البلدان ٤:١٥٩).
(٣) الغِرَّة: الغفلة.
(٤) القُنّة: أعلى الجبل. وفي (معجم البلدان ٤:٤٠٩) تفصيل للمواضع التي يطلق عليها اسم قنّة.
(٥) ما استدفّ: ما تهيأ وأمكنَ.
(٦) بِيشة: اسم قرية غَنّاء في وادٍ كثير الأهل من بلاد اليمن، وهو وادٍ يصبّ سيله من الحجاز حجاز الطائف ثم ينصبُّ في نجد حتى ينتهي في بلاد عقيل (معجم البلدان ١:٥٢٩).
(٧) يُحضر: يعدو بسرعة.
(٨) يَعَاط: زجر للإبل والذئب وغيره. وتنجو: تسرع.

هُبَيرةَ بن السَّمِينِ أخِي بني عَوْفِ بن عُقَيْلٍ واردةً ماءً لهم يقال له طَلُوبٌ، فأخذها وخَلَّى طريقَ راعِيها، وقال له: إذا أتيتَ صُدْغَ البقرة مولاك فأخْبِرْه أنّ توبةَ أخذ الإبلَ، ثم انصرفَ توبةُ يَطْرُدُ الإبلَ. قال: فلمّا ورد العبدُ على مولاه فأخبره نادَى في بني عَوْف وقال: حَتَّامَ هذا! فتعاقدُوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتّبعوه. ونهضت امرأةٌ من بني خَثْعَم مِنْ بني الهِرّةِ كانت في بني عَوْف وكانت تُؤَخِّذُ لهم[١]، فقالت: أَرُوني أَثَرَه، فخرجوا فأَرَوْها أثرَه، فأخذَتْ من تُرابه فسافَتْه[٢] فقالت: اطلُبوه فإنّه سَيُحْبَس عليكم. فطلبوه فسبقهم، فَتَلاَوَمُوا بينهم وقالوا: ما نرى له أثراً، وما نراه إلاّ وقد سبقكم. قال: وخرج توبةُ حتى إذا كان بِالمَضْجَع[٣] من أرض بني كِلاَبٍ جعل نِذَارتَه وحبَسَ أصحابَه. حتى إذا كان بِشِعْبٍ من هَضْبةٍ يقال لها هِنْدٌ من كبِدِ المَضْجع جعل ابنَ عَمٍّ له يقال له قابضُ بن عبد اللّه رَبِيئةً[٤] له على رأس الهَضْبة فقال: انظُرْ فإنْ شخَصَ لكَ شيء فأَعْلِمْنا. فقال عبد اللّه بن الحُمَيِّر: يا توبةُ إنّك حائنٌ[٥]، أُذَكِّرك الله، فواللّهِ ما رأيتُ يوماً أَشْبَهَ بِسَمُراتِ بني عوفٍ يومَ أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه، فَانْجُ إنْ كان بك نجاةٌ. قال: دَعْني، فقد جعلتُ ربيئةً ينظُرُ لنا. قال: يَرْجع بنو عوف بن عُقَيْل حين لم يجدوا أثر توبةَ فيلقَوْنَ رجلاً من غَنِيٍّ، فقالوا له: هل أحسستَ في مجيئك أثرَ خيلٍ أو أثرَ إبلٍ؟ قال: لا والله. قالوا: كذبْتَ وضربوه. فقال: يا قومُ لا تضربوني، فإنّي لم أَجِدْ أثراً، ولقد رأيتُ زُهَاءَ كذا وكذا إبلاً شُخوصاً في هاتِيكَ الهَضْبة، وما أدري ما هو. فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيدُ بن رُوَيْبَةَ لينظرَ ما في الهَضْبة. فأشرف على القوم، فلمّا رآهم أَلْوَى بثوبه لأصحابه حتّى جاءُوا، فحمَل أَوَّلُهم على القوم حتى غَشِيَ توبةَ، وفَزِعَ توبةُ وأخوه إلى خيلهما، فقام توبةُ إلى فرسه فغلبتْه لا يقدرُ على أن يُلْجِمَها ولا وَقَفَتْ له، فخَلَّى طريقها، وغَشِيَهُ الرّجلُ فاعتنقه، فصرَعه توبةُ وهو مدهوشٌ وقد لبِسَ الدِّرْعَ على السّيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رُوَيْبةَ فاتّقاه بيده فقطع منها، وجعل يزيدُ يُناشده رَحِمَ صَفِيّةَ، وصفيّة أُمٌّ له من بني خَفاجة. وغَشِيَ القومُ توبةَ من ورائه فضربوه فقتلوه، وعَلِقَهُم عبدُ اللّه بن الحميِّر يَطْعُنهم بِالرُّمْحِ

(١) تُؤَخِّذ لهم: تعالجهم بالسحر.
(٢) سافته: نثرته.
(٣) المَضجَع: خير بلاد أبي بكر وأكبرها (معجم البلدان ٥:١٤٥).
(٤) الرَّبيئة: الطَّليعة، أي الذي يكون في المقدمة ويراقب العدو ويعطي أخباره لأصحابه.
(٥) الحائن: الهالك.

حتى انكسر. قال: فلمّا فرَغوا من توبة لَوَوْا على عبد اللّه بن الحمِّير فضربوا رجلَه فقطعوها. فلمّا وقعَ بالأرض أشرعَ سيفَه وحدَه ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول: هَلُمُّوا، ولم يشعُرِ القومُ بما أصابه. وانصرف بنو عوف بن عُقَيْل، وولّى قابضٌ منهزماً حتى لَحِقَ بعبد العزيز بن زُرَارةَ الكِلابيِّ فأخبره الخبر. قال: فركِبَ عبدُ العزيز حتى أتى توبةَ فدفَنه وضمَّ أخاه. ثم ترافع القومُ إلى مَرْوان بن الحَكَم، فكافأ بين الدَّمَينِ وحُمِلَتِ الجِرَاحاتُ. ونزل بنو عَوْفِ بن عُقَيْلٍ الباديةَ ولَحِقوا بالجزيرة والشام.

[رواية أبي عبيدة لمقتل توبة]

قال أبو عُبَيدة: وقد كان توبةُ أيضاً يُغِيرُ زَمَنَ مُعَاويةَ بن أبي سُفْيَانَ على قُضَاعةَ وخَثْعَم ومَهْرَة وبني الحارث بن كَعْبٍ. وكانت بينهم وبين بني عُقَيْلٍ مُغَاوراتٌ، فكان توبةُ إذا أراد الغارةَ عليهم حمل الماءَ معه في الرَّوَايا ثم دفنه في بعض المفازة على مَسِيرةِ يومٍ منها؛ فيُصِيبُ ما قَدَر عليه من إبلهم فيُدخلها المفازةَ فيطلبه القوم، فإذا دخل المفازةَ أعجزهم فلم يقدِروا عليه فانصرفوا عنه، قال: فمكث كذلك حيناً، ثمّ إنه أغار في المرّة الأولى التي قُتِلَ فيها هو وأخوه عبد اللّه بن الحميِّر ورجلٌ يقال له قابض بن أبي عُقَيْل، فوجد القومَ قد حَذِروا فانصرف توبةُ مُخْفِقاً لم يُصِبْ شيئاً. فمرّ برجل من بني عَوْفِ بن عامر بن عُقَيْلٍ مُتَنَحّياً عن قومه، فقتله توبةُ وقتل رجلاً كان معه من رَهْطِه واطّرَد إبلَهما، ثم خرج عامداً يريد عبدَ العزيز بن زُرارةَ بن جَزْء بن سُفْيان بن عَوْفِ بن كِلاَبٍ، وخرج ابنُ عمٍّ لثور بن أبي سِمْعَانَ المقتول، فقال له خُزَيْمةُ: صِرْ إلى بني عَوْف بن عامر بن عُقَيْلٍ فأخْبِرْهم الخبرَ. فركِبوا في طلب توبةَ فأدركوه في أرض بني خَفَاجةَ، وقد أَمِنَ في نفسه فنزَل، وقد كان أَسْرَى[1] يومَه وليلتَه، فاستظلّ بِبُرْدَيْه وألقى عنه دِرْعَه وخَلَّى عن فرسه الخَوْصاءِ تتردّد قريباً منه، وجعل قابضاً ربيئةً له ونام، فأقبلتْ بنو عوف بن عامر مُتقاطرين[2] لئلاّ يَفْطَنَ لهم أحدٌ، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم فأقبل إلى توبة فأنبهه. فقال توبةُ: ما رأيتَ؟ قال: رأيتُ شخصَ رجلٍ واحد، فنام ولم يكترثْ له، وعاد قابضٌ إلى مكانه فغلبَتْهُ عيناه فنام. قال: فأقبلَ القومُ على

(١) أسرى: سار ليلاً.

(٢) تقاطر القوم: جاءوا أرسالاً.

تلك الحال فلم يَشْعُرْ بهم قابضٌ حتى غَشوه، فلمّا رآهم طار على فرسه. وأقبل القومُ إلى توبة، وكان أوّلَ من تقدَّمَ غلامٌ أمردُ على فرس عُرْيٍ[١] يقال له يزيد بن رُوَيْبَةَ بن سالم بن كَعْبِ بن عَوْفِ بن عامر بن عُقَيْلٍ؛ ثم تلاه ابن عمِّه عبدُ اللّه بن سالم ثم تتابعوا. فلمّا سمِعَ توبةُ وَقْعَ الخيلِ نهَضَ وهو وَسْنَانُ[٢] فلبِسَ دِرْعَه على سيفه ثم صَوَّتَ بِفرسه الخَوْصاء فأتته، فلمّا أراد أن يركَبَها أهْوَتْ تَرْمَحُه، ثلاثَ مرّاتٍ، فلمّا رأى ذلك لطَمَ وجهَها فأدبرت، وحال القومُ بينه وبينها، فأخذ رُمْحَه وشَدَّ على يَزيدَ بن رُوَيْبَةَ فطعَنه فأنفذ فخذيه جميعاً، وشدّ على توبة ابن عمّ الغلام عبد اللّه بن سالم فطعنه فقتله، وقطعوا رِجلَ عبد اللّه. فَلمّا رجع عبد اللّه بعد ذلك إلى قومه لاموه وقالوا له: فَرَرْتَ عن أخيك، فقال عبد اللّه بن الحميِّر في ذلك ـ قال أبو عُبيدة وحَدَّثني أيضاً مُزَرّع بن عبد اللّه بن هَمّام بن مُطَرِّف بن الأعلم قال: كان أهلُ دارٍ من بني جُشَم بن بكر بن هَوَازِنَ يقال لهم بنو الشَّرِيدِ حلفاء لبني عداد بن خَفاجةَ في الإسلام، فكان بينهم وبين خَمِيسِ بن رَبيعةَ رَهْط قَوْمِهِ قتالٌ على ماءةٍ تُدْعَى الحُلَيْفَةَ وعامّتها لجَدِّ بن هَمّام. قال وشَهِدَ عبدُ اللّه بن الحميّر ذلك وهو أعْرَج، عَرَجَ يوم قُتِلَ توبةُ فلم يُغْن كثيرَ غَناءٍ، فقالت بنو عُقَيْل: لو توبةُ تلقّاهم لبُلُوا منه بغير أفوقَ ناصلٍ[٣] ـ فقال عبد اللّه بن الحُمَيِّر يعتذر إليهم: [الوافر]

تَأَوَّبَنِي بِعَارِمَةَ الهُمُومُ ... كما يَعْتَادُ ذَا الدَّيْنِ الغَرِيمُ[٤]
كَأَنَّ الهَمَّ لَيْسَ يُرِيدُ غَيْرِي ... ولو أمْسَى لَهُ نَبَطٌ ورُومُ
عَلامَ تَقُومُ عَاذِلَتِي تَلُومُ ... تُؤَرِّقُنِي وما انْجَابَ الصَّرِيمُ[٥]
فَقُلْتُ لَهَا رُوَيْداً كَيْ تَجَلَّى ... غَوَاشِيَ النَّوم واللَّيْلُ البَهِيمُ
أَلَمَّا تَعْلَمِي أَنِّي قَدِيماً ... إذا مَا شِئْتُ أَعْصِي مَنْ يَلُومُ
وَأَنَّ المَرْءَ لا يَدْرِي إذا مَا ... يَهُمُّ عَلامَ تَحْمِلُهُ الهُمُومُ

---

(١) الفرس العُرْي: الذي لا سرج عليه.
(٢) الوَسَن: النعاس.
(٣) الأفوق: السهم المكسور الفُوق، والفُوقُ: موضع الوتر من السهم. ويقال: رجع فلانٌ بأفوقَ ناصِلٍ: أي بسهمٍ منكسرٍ لا نصلَ فيه أي بحظٍ ليس بتمامٍ.
(٤) تأوّبني: عاد إليّ ليلاً. وعارمة: اسم لعدة مواضع منها جبل لبني عامر بنجد أو ماء لبني تميم بالرمل وغيرها (معجم البلدان ٤ :٦٦). والغريم: الذي عليه الدَّيْنُ.
(٥) الصّريم: من الأضداد: الليل والصبح. وانجاب: انشقّ.

وقد تُعْدِي على الحَاجَاتِ حَرْفٌ ... كَرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ عَقِيمُ[١]
مُدَاخَلَةُ الفَقَارِ وذَاتُ لَوْثٍ ... على الحُزَّانِ مُقْحَمَةٌ غَشُومُ[٢]
كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فوقَ جَأْبٍ ... بِذَاتِ الحَاذِ مَعْقِلُهُ الصَّرِيمُ[٣]
طَبَاهُ بِرِجْلَةِ البَقَّارِ بَرْقٌ ... فَبَاتَ اللَّيْلَ مُنْتَصِباً يَشِيمُ[٤]
فَبَيْنَا ذَاكَ إذ هَبَطَتْ عَلَيْهِ ... دَلُوحُ المُزْنِ وَاهِيَةٌ هَزِيمُ[٥]
تَهُبُّ لها الشَّمَالُ فَتَمْتَرِيهَا ... وَيَعْقُبُهَا بِنَافِحَةٍ نَسِيمُ[٦]
يُكِبُّ إذا الرَّذَاذُ جَرَى عَلَيْهِ ... كَمَا يُصْغِي إلى الآسِي الأَمِيمُ[٧]
إذا مَا قَالَ أَقْشَعَ جَانِبَاهُ ... نَشَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ غُيُومُ[٨]
فَأَشْعَرَ لَيْلَهُ أَرَقاً وقُرًّا ... يُسَهِّرُهُ كَمَا أَرِقَ السَّلِيمُ[٩]
أَلاَ مَنْ يَشْتَرِي رِجْلاً بِرِجْلٍ ... تَخَوَّنَهَا السِّلاَحُ فَمَا تَسُومُ[١٠]
تَلُومُكَ في القِتَالِ بَنُو عُقَيْلٍ ... وكَيْفَ قِتَالُ أَعْرَجَ لا يَقُومُ
ولو كُنْتُ القَتِيلَ وكَانَ حَيًّا ... لَقَاتَلَ لا أَلَفُّ ولا سَؤُومُ[١١]
ولا جَثَّامَةٌ وَرَعٌ هَيُوبٌ ... ولا ضَرِعٌ إذا يُمْسِي جَثُومُ[١٢]

---

(١) تُعدي: تعين. والحَرْف: الناقة الصلبة الضامرة. والرَّعن: أنف الجبل المتقدّم. والذِّعلبة: السريعة.
(٢) ذات لوث: ذات قوّة. والحُزّان: جمع الحزين: المكان الغليظ المنقاد، وقيل هو المكان الذي كثرت حجارته. والمقحَمَة: التي تلقي بنفسها في السّير من غير رَوِيّة. وغشوم: جريئة ماضية لا يثنيها شيء.
(٣) الجأب: الغليظُ من حُمُر الوحشِ. والحاذ: موضع بنجد (معجم البلدان ٢: ٢٠٤). والصريم: اسم موضع أو هو وادٍ باليمن (معجم البلدان ٣: ٤٠٥).
(٤) طباه: قاده أو دعاه. ورجلة البقّار: اسم لعدة مواضع فهو وادٍ أو رملة معروفة أو موضع برمل عالج (معجم البلدان ١: ٤٧٠) ويشيم: ينظر.
(٥) دَلوح المزن: السحاب ذو الماء الكثير. والواهية: التي تنبثق انبثاقاً شديداً. والغيث الهزيم: المُتَبعِّق الذي لا يستمسك.
(٦) تمتريها: تنزل ماءَها. والنافحة: من نفحت الريح إذا هَبّتْ.
(٧) يكبُّ: يطأطىء رأسَه. والآسي: الطبيب. والأميم: المصاب في أمّ رأسه أي في دماغه.
(٨) نشتْ: نشأت.
(٩) أشعر: جعله شعاراً. والسّليم: الملدوغ.
(١٠) تخوّنها السلاح: تنقّصها وغيّر حالها. وتسوم: تسرع.
(١١) الأَلَفّ: الكثير اللحم الثقيل. والسَّؤوم: الملول.
(١٢) الجَثّامة: النؤوم المتكاسل عن إتيان المكارم. والورع: الجبان. والهَيوب: الخائف. والضَّرِع: المتذلّل الخاضع. والجثوم: الذي يجثم في المكان فلا يبرحه.

قال: ثمّ إنّ خَفاجةَ رَهْطَ تَوْبةَ جمعوا لبني عَوْف بن عامر بن عُقَيْل الذين قتلوا توبةَ، فلمّا بلغهم الخبرُ لَحِقوا ببني الحارث بن كعب، ثم افترقَتْ بنو خَفاجةَ، فلمَّا بلغ ذلك بني عوف رجعوا، فجمعتْ لهم بنو خُفاجةَ أيضاً قبائلَ عُقَيْل، فلمّا رأت ذلك بنو عَوْف بن عامر بن عُقَيْل لحِقوا بالجزيرة فنزلوها؛ وهم رهط إسحاق بن مُسَافِر بن ربيعةَ بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عُقَيْل. ثم إنّ بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مَرْوان بن الحَكَم وهو والي المدينةِ لمعاوية بن أبي سُفْيان، فقالوا: نَنْشُدُك اللَّهَ أنْ تفرّقَ جماعتنا، فعقَل[1] توبةَ وعقَلَ الآخرينَ مَعاقِلَ العرب مائةً من الإبل، فأدّتها بنو عامر. قال: فخرجتْ بنو عوف بن عامر قَتَلَةُ توبةَ فلحِقوا بالجزيرة، فلم يبقَ بالعالية منهم أحدٌ! وأقامت بنو رَبِيعةَ بن عُقَيْلٍ وعُرْوةَ بن عُقَيْل وعُبادةَ بن عُقَيْل بمكانهم بالبادية.

[رواية أبي عبيدة عن مزرّع في مقتل توبة]

قال أبو عُبَيْدةَ وحَدَّثنا مُزَرّع بن عمرو بن هَمّام ـ قال أبو عُبيدة: وكان معي أبو الخَطّاب ـ وغيرُه قال تَوْبةُ بن حُمَيِّر بنِ رَبِيعةَ بن كَعْبِ بن خَفَاجةَ بن عَمْرِو بن عُقَيْلٍ، وأمّه زُبَيْدةُ. فهاج بينه وبين السَّلِيلِ بن ثَوْرِ بن أبي سِمْعَانَ بن عامر بن عَوْف بن عُقَيْل كلامٌ، وكان شِرِّيراً ونظيرَ توبةَ في القُوّة والبأس، فبلغ الحَوْرُ (وهو الكلام) إلى أن أوعدَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه، فالتقى بعد ذلك توبةُ والسَّلِيلُ على غَديرٍ من ماء السماء، فرمَى توبةُ السّليلَ فقتله. ثم إنّ توبةَ أغار ثانيةً على إبل بني السَّمِينِ بن كَعْب بن عَوْفِ بن عُقَيْلٍ واردةً ماءَهم فاطَّردَها، واتبعوه وهم سبعة نفر: يزيد بن رُوَيْبةَ، وعبدُ اللّه بن سالم، ومُعَاويةُ بن عبدِ اللّه ـ قال أبو عُبَيدةَ: ولم يذكر غيرَ هؤلاء ـ فانصرفوا يجنُبون الخيل[2] يحمِلون المَزَادَ، فقَصُّوا أثر توبةَ وأصحابِه فوجدوهم وقد أخَذُوا في المَضْجَعِ من أرض بني كِلاَبٍ في أرضٍ دَمِثةٍ[3] تَرِبةٍ، فضَلّتْ فرسُ توبةَ الخَوْصاءُ من اللّيل، فأقام واضطجع حتى أصبح، وساق أصحابُه الإبلَ، وهم ثلاثة نَفرٍ سوى تَوْبةَ: المُحْرِزُ أحدُ بني عمرو بن كِلاَبٍ، وقابِضُ بن أبي عُقَيْل أحدُ بني خَفَاجةَ، وعبد اللّه بن حُمَيِّر أخو توبةَ لأمِّه وأبيه.

---

(١) عقله: دفع ديته.
(٢) يجنبون الخيل: يقودونها إلى جنبهم.
(٣) الأرض الدَّمِثة: السهلة اللَّيِّنة.

فلمّا أصبح توبةُ إذا فرسُه الخوصاءُ راتعةٌ أدْنَى ظَلَمٍ[١] قريبةً منه ليس دونها وجاحٌ[٢] فأشلاها[٣] حتى أتَتْه، ثم خرجَ يعدُو حتى لحِقَ بأصحابه، فانتهَوْا إلى هَضْبةٍ بكَبدِ المَضْجَع، فارتقَى توبةُ فوقَها ينظر الطَّلَبَ، فرآه القومُ ولم يَرَهمْ عند طلوع الشَّمس، وبالت الخوصاء حين انتهتْ إلى الهَضْبة، فقال القوم: إنه لطائر أو إنسان. فركِبَ يزيدُ بن رُوَيْبةَ وكان أحدثَ القوم سِنّاً، وأُمُّه بنت عَمِّ توبةَ، فأغار رَكْضاً حتى انتهى إلى الهضبة، فإذا بولُ الفرس وعليه بقيَّةٌ من رَغوته، وإذا أثَرُ توبةَ يعرِفونه، فرجَع فخَبَّرَ أصحابَه. واندفع توبةُ وأصحابُه حتى نزلوا إلى طَرَف هَضْبةٍ يقال لها الشَّجْرُ من أرض بني كِلاَبٍ، فقالوا[٤] بِالظَّهيرةِ، فلم يَشْعُرْ شَعْرَه إلاّ والإبلُ قد نَفَرَتْ، وكانت بَرْكاً بِالهَاجرة، من وَئِيدِ[٥] الخيل. فوثب توبةُ، وكان لا يضعُ السَّيف، فصَبَّ الدِّرْعَ على السّيف متقلِّدَه وَهَلاً[٦]، وداجتِ القومُ، فطلبَ قائمَ السّيف فلم يقدِرْ عليه تحت الدِّرع فلم يستطع سَلَّه، فطار إلى الرُّمح فأخذه، فأَهْوَى به طَعْناً إلى يزيد بن رُوَيْبةَ، وقد كان يزيد عاهد اللَّهَ ليقتُلَنَّه أو ليأخُذَنَّه، فأنفذ فَخِذَ يزيدَ، واعتنقه يزيدُ فعضَّ بوجنتَيْه، واستدبره عبدُ اللّه بالسيف ففلَق رأسَ توبة. وهَيَّتَ[٧] توبةُ حين اعتوره الرَّجلان بِقابضٍ: يا قابض، فلم يَلْوِ عليه، وفَرَّ قابضٌ والكلابيّ، وذبّ عبدُ اللّه بن حُمَيِّر عن أخيه؛ فأهوَى له مُعَاويةُ بن عبد اللّه بالسيف فأصاب رُكْبَته فاختلعتْ (أي سقطتْ). فأتى قابضٌ من فَوْره ذلك عبد العزيز بن زُرارةَ أحدَ بني أبي بكر بن كِلاَبٍ فقال: قُتِلَ توبة. فنادى في قومه، فجاءه أبوه زُرارةُ فقال: أين تريد؟ فقال: قُتِلَ توبةُ. فقال أبوه: طوط[٨] سُحْقاً لك! أتطلبُ بدم توبةَ أنْ قتلَتْه بنو عُقَيْلٍ ظالماً لها باغياً عادياً عليها! قال: لَكِنِّي أُجِنُّه[٩] إذاً. قال أبوه: أَمَّا هذه فنَعَمْ. فألقى السِّلاحَ وانطلق حتى أَجَنَّهُ، وحمل أخاه عبدَ اللّه بن حميِّر. قال:

---

(١) أدنى ظَلَم: أدنى شيء.
(٢) الوُجاح: السِّتْر.
(٣) أشلاها: دعاها.
(٤) قالوا: ناموا القيلولة.
(٥) الوئيد: الصوت الشديد.
(٦) وَهَلاً: خطأً.
(٧) هَيَّتَ: صاح.
(٨) طوط: ربما أراد بها التهكُّم.
(٩) أُجِنُّه: أُكَفِّنُه وأستره.

فأهلُ البادية يزعمون أنّ مُحْرِزاً سُحِرَ فأُخِذَ عن سيفه.

[ليلى الأخيلية ترثي توبة بشعرها]

فقالت ليلى الأخيلية بنت عبد الله بن الرّحالة بن شدّاد بن كَعْب بن مُعَاويةَ فارس الهرّار ابن عُبَادة بن عُقَيْلٍ: [الطويل]

نَظَرْتُ ورُكْنٌ مِنْ ذِقَانَيْنِ دُونَهُ ... مَفَاوِزُ حَوْضَى أيّ نَظْرةِ ناظرِ[1]

لأونسَ إنْ لم يَقْصُرِ الطَّرْفُ عَنْهُمُ ... فَلَمْ تَقْصُرِ الأَخْبَارُ والطَّرْفُ قَاصِرِي

فَوَارِسَ أَجْلَى شَأْوُها عَنْ عَقِيرَةٍ ... لِعَاقِرِها فيها عَقِيرةُ عَاقِرِ

ـ شأوها: سُرْعتها وهو الطَّلَقُ وجريها، وقال غيره: غايتها. عقيرة: تعني توبةَ. لِعاقرها: تعني لعاقر توبة، تُريد يزيدَ بن رُوَيْبَةَ. ووجهٌ آخر: في عَقِيرَةٍ عاقرٍ معنى مَدْحٍ أيْ عقيرة كريمة لعاقرها. ووجهٌ آخر: عَقِيرة لعاقرها: فيها الهلاكُ بِعَقْرِها ـ

فَآنَسْتُ خَيْلاً بالرُّقَيِّ مُغِيرَةً ... سَوَابِقُها مِثْلُ القَطَا المُتَواتِرِ[2]

قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ وأَيْصُرُ دُونَهُ ... قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ قَتِيلُ يُحَابِرِ[3]

تَوَارَدَهُ أَسْيَافُهُمْ فَكَأَنَّمَا ... تَصَادَرْنَ عَنْ أَقْطَاعِ أَبْيَضَ بَاتِرِ[4]

مِنَ الهِنْدُوَانِياتِ فِي كُلِّ قِطْعَةٍ ... دَمٌ زَلَّ عَنْ أُثْرٍ مِنَ السَّيْفِ ظَاهِرِ[5]

أَتَتْهُ المَنَايَا دُونَ زَغْفٍ حَصِينَةٍ ... وَأَسْمَرَ خَطِّيٍّ وخَوْصاءَ ضَامِرِ[6]

على كُلِّ جَرْدَاءِ السَّرَاةِ وَسَابِحٍ ... دَرَأْنَ بِشُبَّاكِ الحَدِيدِ زَوَافِرِ[7]

عَوَابِسَ تَعْدُو الثَّعْلَبِيَّةَ ضُمَّراً ... وَهُنَّ شَوَاحٍ بِالشَّكِيمِ الشَّوَاجِرِ[8]

---

(١) الذقانان: جبلان في بلاد بني كعب (معجم البلدان ٣: ٦). وحوضى: اسم ماء لبني طهمان (معجم البلدان ٢: ٣٢١) والمفاوز: جمع المفازة: الفلاة لا ماء فيها.

(٢) الرُقَيّ: اسم موضع (معجم البلدان ٣: ٦٢).

(٣) أيصر: موضع ببلاد بني عقيل. ويُحابر: اسم قبيلة.

(٤) الأقطاع: جمع القِطْع: ما قُطع من حديد أو غيره. والأبيض الباتر: السيف القاطع.

(٥) زَلَّ: مضى وذهب. والأثْر والإثْر: فرند السيف ورونقه.

(٦) الزّغف: الدرع الواسعة الطويلة. والخطّي: الرمح. والخوصاء الضامر: الفرس.

(٧) الجرداء من الخيل: القصيرة الشعر. والسَّراة: الظَّهْر. ودرأن: دفعن. وشبّاك الحديد: اللّجم المشتبكة التي يُلجَم بها الفرس. والزوافر: جمع الزافرة: التي تصدر الأنفاس متلاحقةً.

(٨) تعدو الثعلبيّة: تعدو عدوَ الثعالب. وشواحٍ: فاتحات أفواهها من اللُّهاث. والشكيم: جمع الشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام. والشواجر: المتداخلة المشتبكة.

فلا يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إنَّما ... لِقاءُ المَنَايا دَارِعاً مِثْلُ حَاسِرِ[١]
فإلاّ تَكُ القَتْلَى بَوَاءً فإنَّكُمْ ... سَتَلْقونَ يَوْماً وِرْدُه غَيْرُ صَادِرِ[٢]
وَإنَّ السَّلِيلَ إذ يُبَاوِي قَتِيلَكُمْ ... كَمَرْحُومَةٍ مِنْ عَرْكِهَا غَيْرِ طَاهِرِ[٣]
فَإنْ تَكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فَإنَّكُمْ ... فَتًى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بن عَامِرِ
فَتًى لا تَخَطَّاهُ الرِّفَاقُ ولا يُرَى ... لِقِدْرٍ عِيَالاً دُونَ جَارٍ مُجَاوِرِ
ولا تَأْخُذُ الكُومُ الجِلادُ رِمَاحَهَا ... لِتَوْبَةَ فِي نَحْسِ الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ[٤]
إذا مَا رَأَتْهُ قَائِماً بِسِلاَحِهِ ... تَقتْهُ الخِفَافُ بِالثِّقَالِ البَهَازِرِ[٥]
إذا لَم يَجِدْ منها بِرِسْلٍ فَقَصْرُهُ ... ذُرَى المُرْهَفَاتِ والقِلاَصِ التَّواجِرِ[٦]
قِرَى سَيْفُهُ مِنْها مُشَاشاً وضَيْفَهُ ... سَنَامَ المَهَارِيسِ السِّبَاطِ المَشَافِرِ[٧]
وتَوْبَةُ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ ... وأَجْرَأُ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانَ خَادِرِ
ونِعْمَ الفَتَى إنْ كَانَ تَوْبَةُ فَاجِراً ... وفَوْقَ الفَتَى إنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرِ
فَتًى يُنْهِلُ الحَاجَاتِ ثُمَّ يَعُلُّهَا ... فَيُطْلِعُها عَنْهُ ثَنَايا المَصَادِرِ[٨]

صوت

كَأَنَّ فَتَى الفِتْيَانِ تَوْبَةَ لم يُنِخْ ... قَلائِصَ يَفْحَصْنَ الحَصَا بِالكَرَاكِرِ[٩]
ولَمْ يَبْنِ أَبْرَاداً عِتَاقاً لِفِتْيَةٍ ... كِرَامٍ ويَرْحَلْ قَبْلَ فَيْءِ الهَوَاجِرِ

ـ في هذين البيتين لحنٌ من الثَّقيل الأوّل لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاصِّ صنعته وغنائه ـ

---

(١) الدارع: لابس الدرع. والحاسر: خلافه.
(٢) البَوَاء: السَّوَاء، يقال: دمُ فلان بَوَاءٌ لِدم فلان، إذا كان كُفْئاً له.
(٣) المرحومة: التي عندها داء برحمها. والعرك: الحيض.
(٤) الكُوم: جمع الكوماء: العظيمة السنام من الإبل. والجلاد: الغزيرات اللبن. ونحس الشتاء: ريحه الباردة. والصنابر: جمع الصِّنَّبْر: الريح الباردة في غيم.
(٥) البهازر: جمع بهزرة: الناقة العظيمة.
(٦) الرِّسْل: اللّبن. والمرهفات: الدقيقات. والقلاص: جمع القلوص: الشّابّة الفتيّة من النوق.
(٧) المُشاش: جمع المُشَاشة: رأس العظم اللّيِّن. والمهاريس: الجِسام الثّقال من الإبل. والسِّباط: الطويلة. والمشافر: جمع المشفر: هو للبعير كالشفة للإنسان.
(٨) النَّهل: الشرب الأول. والعَلّ: الشرب الثاني أو المتتابع.
(٩) الكراكر: جمع الكِرْكِرَة: رحى زَوْر البعير والناقة، الذي إذا برك أصاب الأرض.

ولـم يَـتَـجَـلِّ الـصُّـبْـحُ عَـنْـهُ وبَـطْـنُـهُ لَـطِـيـفٌ كَـطَـيِّ الـسِّـبِّ لَـيْـسَ بِـحَـادِرِ(١)
فَـتًـى كـانَ لِـلْـمَـوْلَـى سَـنَـاءً ورِفْـعَـةً ولِـلـطَّـارِقِ الـسَّـارِي قِـرًى غَـيْـرَ بَـاسِـرِ(٢)
ولـم يُـدْعَ يَـوْمـاً لِـلْـحِـفَـاظِ ولِـلـنَّـدَا ولِـلْـحَـرْبِ يـرمـي نَـارَهـا بِـالـشَّـرَائِـرِ
ولِـلْـبَـازِلِ الـكَـوْمـاءِ يَـرْغُـو حُـوَارُهـا ولِـلْـخَـيْـلِ تَـعْـدُو بِـالْـكُـمَـاةِ الـمَـسَـاعِـرِ(٣)
كَـأَنَّـكَ لَـمْ تَـقْـطَـعْ فَـلاَةً ولـم تُـنِـخْ قِـلاصـاً لَـدَى فَـأْوٍ مِـنَ الأَرْضِ غَـائِـرِ(٤)
وتُـصْـبِـحْ بِـمَـوْمـاةٍ كَـأَنَّ صَـرِيـفَـهـا صَـرِيـفُ خَـطَـاطِـيـفِ الـصَّـرَى فـي الـمَـحَـاوِرِ(٥)
طَـوَتْ نَـفْـعَـهـا عَـنَّـا كِـلاَبٌ وآسَـدَتْ بِـنَـا أَجْـهَـلِـيـهـا بَـيْـنَ غَـاوٍ وشَـاعِـرِ(٦)
وقَـدْ كَـان حَـقًّـا أَنْ تَـقُـولَ سَـرَاتُـهُـمْ لَـعًـا لأَخِـيـنـا عَـالِـيـاً غـيـرَ عَـاثِـرِ(٧)
وَدَوِّيَّـةٍ قَـفْـرٍ يَـحَـارُ بِـهـا الـقَـطَـا تَـخَـطَّـيْـتَـهـا بِـالـنَّـاعِـجَـاتِ الـضَّـوَامِـرِ(٨)
فَـتَـالـلَّـهِ تَـبْـنِـي بَـيْـتَـهـا أُمُّ عَـاصِـمٍ عـلـى مِـثْـلِـهِ أُخْـرَى الـلَّـيَـالِـي الـغَـوَابِـرِ
فـلـيـسَ شِـهَـابُ الـحَـرْبِ تَـوْبَـةُ بَـعْـدَهـا بِـغَـازٍ ولا غَـادٍ بِـرَكْـبٍ مُـسَـافِـرِ
وقَـدْ كَـانَ طَـلاَّعَ الـنِّـجـادِ وبَـيِّـنَ الـلِّـ ـسَـانِ ومِـدْلاَجَ الـسُّـرَى غـيـرَ فَـاتِـرِ(٩)
وقـد كـانَ قَـبْـلَ الـحَـادِثـاتِ إذا انْـتَـحَـى وسَـائِـقَ أو مَـعْـبُـوطَـةً لـم يُـغَـادِرِ(١٠)
وكُـنْـتَ إذا مَـوْلاَكَ خَـافَ ظُـلاَمَـةً دَعَـاكَ ولـم يَـهْـتِـفْ سِـوَاكَ بِـنَـاصِـرِ

---

(١) السِّبّ: الثوب الرقيق. والحادر: الممتلىء السمين.
(٢) الباسر: العابس.
(٣) البازل: الناقة التي استكملت الثامنة وطعنت في التاسعة وانشق نابها. والكوماء: الناقة العظيمة السنام والحُوار: ولد الناقة. والكماة: جمع الكَمِيّ: الشجاع أو لابس السلاح لأنه يكمي نفسه أي يسترها بالدرع والبيضة. والمساعر: جمع المِسعر: الذي يوقد نار الحرب.
(٤) الفأو: الانفراج بين الجبلين.
(٥) الموماة: الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس. والصّريف: الصوت. والخطاطيف: جمع الخُطّاف: حديدة حجناء تكون في جانبي البكرة فيها المحور. والصَّرى: الماء يطول مكثه. والمحاور: جمع المحور: الحديدة التي تجمع بين الخطّاف والبكرة.
(٦) آسدت: هيّجت وأغرت.
(٧) لَعاً: كلمة يدعى بها للعاثر بأن ينتعش.
(٨) الدَّوِيّة: الفلاة الواسعة. والناعجات من الإبل: البيض الكريمة. والضّوامر: جمع الضامر: الهزيل والذي قلّ لحمه ودقّ.
(٩) النِّجاد: حمائل السيف، وطلاّع النجاد: الضابط للأمور الغالب لها. السُّرى: السير ليلاً. والإدلاج: السير كلّ اللّيل أو في آخره.
(١٠) انتحى: قصد. والوسائق: جمع الوسيقة: الجماعة من الإبل وغيرها. والمعبوطة: المذبوحة من غير داء ولا علّة.

فَإنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ آسَى ابْنَ أُمِّهِ وآبَ بِأَسْلاَبِ الكَمِيِّ المُغَاوِرِ[(١)]
وكان كَذَاتِ البَوِّ تَضْرِبُ عِنْدَهُ سِبَاعاً وقد أَلْقَيْنَهُ في الجَرَاجِرِ[(٢)]
فَإنَّكَ قَدْ فَارَقْتَهُ لَكَ عَاذِراً وأَنَّى لِحَيٍّ عُذْرُ مَنْ في المَقَابِرِ
فَأَقْسَمْتُ أَبْكِي بَعْدَ تَوْبَةَ هَالِكاً وأَحْفِلُ مَنْ نَالَتْ صُروفُ المَقَادِرِ[(٣)]
على مِثْلِ هَمَّامٍ ولابْنِ مُطَرِّفٍ لِتَبْكِ البَوَاكِي أو لِبِشْرِ بن عامرِ
غُلاَمَانِ كَانَا استَوْرَدَا كُلَّ سَوْرَةٍ مِنَ المَجْدِ ثم اسْتَوْثَقَا في المَصَادِرِ[(٤)]
رَبِيعَيْ حَياً كانَا يَفِيضُ نَدَاهُمَا على كُلِّ مَغْمُورٍ نَدَاهُ وغَامِرِ[(٥)]
كَأَنَّ سَنَا نَارَيْهِمَا كُلَّ شَتْوَةٍ سَنَا البَرْقِ يَبْدُو لِلعُيونِ النَّوَاظِرِ

وقالت أيضاً ترثي توبةَ - عن أُمِّ حُمَيِّر، وأُمُّها ابنةُ أخي تَوْبَةَ، عن أُمِّها. قال أبو عُبَيْدَةَ: أُمُّ حُمَيِّرٍ أُختُ أبي الجرّاح العُقَيْلِيّ. قال: وأمّها بنت أخي توبة بن حُمَيِّر. قال: وكان الأصمعيّ يُعْجَبُ بها -: [الطويل]

أَيَا عَيْنُ بَكِّي تَوْبَةَ بنَ حُمَيِّرٍ بِسَحٍّ كَفَيْضِ الجَدْوَلِ المُتَفَجِّرِ[(٦)]
لِتَبْكِ عَلَيْهِ مِنْ خَفَاجَةَ نِسْوَةٌ بِمَاءِ شُؤُونِ العَبْرَةِ المُتَحَدِّرِ[(٧)]
سَمِعْنَ بِهَيْجَا أَزْهَقَتْ فَذَكَرْنَهُ ولا يَبْعَثُ الأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ
كَأَنَّ فَتَى الفِتْيَانِ تَوْبَةَ لم يَسِرْ بِنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مَعَ المُتَغَوِّرِ
ولم يَرِدِ المَاءَ السِّدَامَ إذا بَدَا سَنَا الصُّبْحِ في بَادِي الحَوَاشِي مُنَوِّرِ[(٨)]
ولم يَغْلِبِ الخَصْمَ الضِّجَاجَ ويَمْلأ الـ جِفَانَ سَدِيفاً يومَ نَكْبَاءَ صَرْصَرِ[(٩)]
ولم يَعْلُ بِالجُرْدِ الجِيَادِ يَقُودُها بِسُرَّةَ بَيْنَ الأَشْمَسَاتِ فَأَيْصُرِ[(١٠)]

(١) الأسلاب: المغانم. والمُغاور: المقاتل المغوار.
(٢) الجراجر: جمع الجُرجور: الجماعة من الإبل.
(٣) فأقسمت أبكي: أي لا أبكي، وحذف لا.
(٤) سَوْرةُ المجد: أثره وارتفاعه.
(٥) الحيا: المطر.
(٦) السّح: الدمع الغزير المتتابع.
(٧) الشؤون: جمع الشأن: العِرْق الذي تجري منه الدموع.
(٨) الماء السِّدَام: المتغيّر لطول عهده.
(٩) ضاجّه ضِجاجاً ومُضاجّةً: جادله وشاغبه. والجفان: جمع الجفنة: وعاء الطعام. والسّديف: لحم السنام. والريح النّكباء: انحرفت عن مهابّ الرياح ووقعت بين ريحين مثلاً بين الصبا والشمال. والصّرصر: الشديدة البرد والصوت.
(١٠) الأشمسات: جبل في شقّ بلاد بني عقيل. وسرّة وأيصر: موضعان.

وَصَحْرَاءَ مَوْمَاةٍ يَحَارُ بِهَا القَطَا ... قَطَعْتَ على هَوْلِ الجَنَانِ بِمِنْسَرِ[١]
يَقُودونَ قُبًّا كالسَّرَاحِينِ لأحَهَا ... سُرَاهُمْ وسَيْرُ الرَّاكِبِ المُتَهَجِّرِ[٢]
فَلَمَّا بَدَتْ أَرْضُ العَدُوِّ سَقَيْتَهَا ... مُجَاجَ بَقِيَّاتِ المَزَادِ المُقَيَّرِ[٣]
وَلَمَّا أَهَابُوا بِالنِّهَابِ حَوَيْتَهَا ... بِخَاظِي البَضِيعِ كَرُّهُ غَيْرُ أَعْسَرِ[٤]
مُمَرٍّ كَكَرِّ الأَنْدَرِيِّ مُثَابِرٍ ... إذا ما وَنَيْنَ مُهْلِبِ الشَّدِّ مُحْضِرِ[٥]
فَأَلْوَتْ بِأَعْنَاقٍ طِوَالٍ ورَاعَهَا ... صَلاَصِلُ بَيْضٍ سَابِغٍ وسَنَوَّرِ[٦]
أَلَمْ تَرَ أَنَّ العَبْدَ يَقْتُلُ رَبَّهُ ... فَيَظْهَرُ جَدُّ العَبْدِ مِنْ غَيْرِ مَظْهَرِ[٧]
قَتَلْتُمْ فَتىً لا يُسْقِطُ الرَّوْعُ رُمْحَهُ ... إذا الخَيْلُ جَالَتْ فِي قَنًا مُتَكَسِّرِ[٨]
فَيَا تَوْبُ لِلهَيْجَا ويا تَوْبُ لِلنَّدَى ... ويَا تَوْبُ لِلمُسْتَنْبِحِ المُتَنَوِّرِ[٩]
أَلاَ رُبَّ مَكْرُوبٍ أَجَبْتَ وَنَائِلٍ ... بَذَلْتَ ومَعْرُوفٍ لَدَيْكَ ومُنْكَرِ

وقالت ترثيه: [الطويل]

أَقْسَمْتُ أَرْثِي بَعْدَ تَوْبَةَ هَالِكاً ... وأَحْفِلُ مَنْ دَارَتْ عليه الدَّوَائِرُ
لَعَمْرُكَ ما بِالمَوْتِ عَارٌ على الفَتَى ... إذا لم تُصِبْهُ في الحَيَاةِ المَعَايِرُ[١٠]
وما أَحَدٌ حَيٌّ وإنْ عَاشَ سَالِماً ... بِأَخْلَدَ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ
وَمَنْ كَانَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جَازِعاً ... فَلاَ بُدَّ يَوْماً أَنْ يُرَى وَهْوَ صَابِرُ
وليسَ لِذِي عَيْشٍ عَنِ المَوْتِ مَقْصَرٌ ... وليسَ على الأَيَّامِ والدَّهْرُ غَابِرُ[١١]

(١) الجَنان: شدة الظلام. والمِنسر: قطعة من الجيش تتقدّم الجيش الكبير، وأيضاً الجماعة من الخيل.
(٢) القُبُّ: جمع الأقبّ: الدقاق الخصور. والسّراحين: جمع السرحان: الذئب. وسراهم: سيرهم ليلاً. والمتهجِّر: الذي يسير في الهاجرة.
(٣) المُجَاج: الشيء الذي يُمَجُّ من الفم. والمزاد: جمع المزادة: قربة الماء. والمقيَّر: المطلي بالقار.
(٤) خاظي البضيع: المكتنز اللحم.
(٥) المُمَرّ: اسم مفعول من «أَمَرّ»، يقال أَمَرَّ فلانٌ الحبلَ: إذا أجاد فتله، تريد أنه مجدول الخلق. والأندريّ: منسوب إلى أندرين وهي قرية في جنوبي حلب وهي الآن خراب ليس بها إلا بقية جدران (معجم البلدان ١: ٢٦٠). وَنَيْنَ: ضعفن. وهلبَ الفرس: تابع جريه. والمحضِر: المرتفع في عدوه.
(٦) الصلاصل: جمع الصلصلة: صوت الحديد. والسّابغ: الواسعة. والسَّنَوَّر: جملة السلاح، أو هو كل سلاح من حديد.
(٧) ربّه: سيّده. والجَدّ: الحظ.
(٨) الرّوع: الخوف. والقنا: الرمح.
(٩) المستنبح: المستغيث. والمتنوِّر: الذي يرى النار من بعيد.
(١٠) المعاير: المعايب.
(١١) غابر: باقٍ.

ولا الحَيُّ مِمّا يُحدِثُ الدَّهرُ مُعْتَبٌ ولا المَيْتُ إنْ لَمْ يَصْبِرِ الحَيُّ نَاشِرُ[1]
وكُلُّ شَبَابٍ أو جَدِيدٍ إلى بِلًى وكُلُّ امرِىءٍ يَوماً إلى اللّهِ صَائِرُ
وكُلُّ قَرِينَيْ أُلفَةٍ لِتَفَرُّقٍ شَتَاتاً وإنْ ضَنَّا وطَالَ التَّعَاشُرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللّهُ حَيًّا ومَيِّتاً أَخَا الحَرْبِ إنْ دَارَتْ عَلَيْكَ الدَّوَائِرُ

ويُرْوَى:

(فَلاَ يُبْعِدَنْك اللّهُ يا تَوْبُ هَالِكاً أَخَا الحَرْبِ إنْ دَارَتْ عَلَيْكَ الدَّوَائِرُ)
فَآلَيْتُ لا أَنْفَكُّ أَبْكِيكَ ما دَعَتْ على فَنَنٍ وَرْقَاءُ أَوْ طَارَ طَائِرُ
قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ فَيَا لَهْفَتَا لَهُ ومَا كُنْتُ إيَّاهُمْ عَلَيْهِ أُحَاذِرُ
ولَكِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْهِ قَبِيلَةً لَهَا بِدُروبِ الرُّومِ بَادٍ وحَاضِرُ

وقالت تَرثيه: [البسيط]

كم هَاتِفٍ بِكَ مِنْ بَاكٍ وبَاكِيَةٍ يَا تَوْبُ لِلضَّيْفِ إذ تُدْعَى ولِلْجَارِ
وتَوْبُ لِلخَصْمِ إنْ جَارُوا وإنْ عَدَلُوا ويَدُلُّوا الأَمْرَ نَقْضاً بَعْدَ إمْرَارِ[2]
إنْ يُصْدِرُوا الأَمْرَ تُطْلِعْهُ مَوَارِدَه أَوْ يُورِدُوا الأَمْرَ تُحْلِلْهُ بِإصْدَارِ

وقالت ترثيه: [الطويل]

هَرَاقَتْ بَنُو عَوْفٍ دَماً غَيْرَ وَاحِدٍ لَهُ نَبَأٌ نَجْدِيُّهُ سَيَغُورُ
تَدَاعَتْ له أَفْنَاءُ عَوْفٍ ولَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ هَضْبِ الرَّدْهَتَيْنِ نَصِيرُ[3]

وقالت ترثيه: [البسيط]

يا عَيْنُ بَكِّي بِدَمْعٍ دَائِمِ السَّجَمِ وَابْكِي لِتَوْبَةَ عِنْدَ الرَّوْعِ والبُهَمِ[4]
على فَتًى مِنْ بَنِي سَعْدٍ فُجِعْتُ بِهِ مَاذَا أُجِنَّ بِهِ في الحُفْرَةِ الرَّجَمِ[5]
مِنْ كُلِّ صَافِيَةٍ صِرْفٍ وقَافِيَةٍ مِثْلِ السِّنَانِ وأَمْرٍ غَيْرِ مُقْتَسَمِ
ومُصْدِرٍ حِينَ يُعْيِي القَوْمَ مُصْدِرُهُمْ وجَفْنَةٍ عِنْدَ نَحْسِ الكَوْكَبِ الشَّبِمِ[6]

---

(١) مُعْتَب: يقال أعتبتُ فلاناً إذا أرضيته. نُشِرَ الميتُ: بُعِثَ حَيًّا.
(٢) نقضَ الأمرَ: أفسده بعد إحكامه. والإمرار: إحكام الأمر.
(٣) أفناء عوف: أخلاطهم.
(٤) البُهَم: جمع البُهمة: مشكلات الأمور.
(٥) الرَّجَم: القبر.
(٦) الجفنة: القصعة الكبيرة. والشَّبِم: البارد. ونحس الكوكب الشبم: كناية عن الشتاء.

وقالت تعيِّر قابضاً: [الطويل]

جَزَى اللّهُ شَرًّا قَابِضاً بِصَنِيعِهِ ... وكُلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ سَاعِيَا
دَعَا قَابِضاً والمُرْهَفَاتُ يَرِدْنَهُ ... فَقُبِّحْتَ مَدْعُوًّا ولَبَّيْكَ دَاعِيا

وقالت لِقابض وتَعْذِر عبدَ اللّه أخا تَوبةَ: [الطويل]

دَعَا قَابِضاً والمَوْتُ يَخْفِقُ ظِلُّهُ ... ومَا قَابِضٌ إذْ لَمْ يُجِبْ بِنَجِيبِ
وآسَى عُبَيْدُ اللّه ثَمَّ ابْنَ أُمِّه ... ولَوْ شَاءَ نَجَّى يَوْمَ ذَاكَ حَبِيبِي

[قصته مع الزنجي والجارية التي اختطفها]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد اللّه بن أبي سَعْدٍ عن أحمد بن مُعاوية بن بكر قال: حَدَّثني أبو الجرّاح العُقَيْليُّ عن أُمِّه دِينار بنت خَيْبَرِيّ بن الحُمَيِّر عن توبة بن الحميِّر قال: خرجتُ إلى الشّام، فبينا أنا أسير ليلةً في بلادٍ لا أنيسَ بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُريحَ، وأخذتُ تُرْسِي فألقيتُه فوقي، وألقيتُ نفسي بين المُضْطَجع والبارك، فلمّا وجدتُ طَعْمَ النَّوْم إذا شيءٌ قد تَجَلَّلني عظيمٌ ثقيلٌ قد بَرَك عليّ، ونَشَزْتُ[1] عنه ثم قَمَصْتُ[2] منه قُمَاصاً فرميتُ به على وجهه، وجلستُ إلى راحلتي فانتضيتُ السّيفَ، ونَهض نحوي فضربتُه ضربةً انخزل منها، وعُدْتُ إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو أإنسان أم سَبُعٌ؛ فلمّا أصبحتُ إذا هو أَسْوَدُ زِنْجيٌّ يضرِبُ برجليه وقد قطعتُ وَسَطَه حتى كِدْتُ أبريه، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُنَاخةٍ مُوقَرةٍ[3] ثياباً من سَلَبه، وإذا جاريةٌ شابَّةٌ ناهدٌ وقد أوثقها وقرَنها بناقته. فسألتها عن خبرها، فأخبرتني أنه قتَل مولاها وأخذها منه، فأخذتُ الجميع وعدتُ إلى أهلي. قال أبو الجرّاح قالت أمّي: وأنا أدركتُها في الحيِّ تخدُمُ أهلَنا.

[معاوية يسأل ليلى عن توبة]

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال: أخبرنا عَطَاء بن مُصْعَب القُرَشيّ عن عاصم اللّيثيّ عن يونس بن حبيبٍ الضَّبّيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال: سأل مُعَاويةُ بن أبي سُفْيَانَ ليلى الأخيليّة عن توبةَ بن الحُمَيِّر فقال: وَيْحَكِ يا

(١) نشزت عنه: ارتفعتُ وبعدت.
(٢) قمصتُ: وثبتُ.
(٣) موقرة: محمَّلة.

ليلى! أكما يقول النّاس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين ليس كلُّ ما يقول النّاس حقاً، والنّاس شجرةُ بَغْيٍ يحسُدون أهلَ النّعَم حيث كانوا وعلى من كانت. ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البَنَانِ[1]، حديدَ اللّسان، شَجاً للأقران[2]، كريمَ المَخْبَر، عفيف المئزَر، جميلَ المَنْظَر. وهو يا أميرَ المؤمنين كما قلتُ له. قال: وما قلتِ له؟ قالت: قلت ولم أتعدَّ الحقَّ وعلمي فيه: [الطويل]

بَعِيدُ الثَّرَى لا يَبْلُغُ القَوْمُ قَعْرَهُ أَلَدُّ مُلِدٌّ يَغْلِبُ الحَقَّ بَاطِلُهْ[3]
إذا حَلَّ رَكْبٌ فِي ذَرَاهُ وظِلِّهِ لِيَمْنَعَهُمْ مِمَّا تُخَافُ نَوَازِلُهْ
حَمَاهُمْ بِنَصْلِ السَّيْفِ مِنْ كُلِّ فَادِحٍ يَخَافُونَهُ حَتَّى تَمُوتَ خَصائِلُهْ[4]

فقال لها معاويةُ: ويحكِ! يزعمُ النّاسُ أنه كان عاهراً خارباً[5]. فقالت من ساعتها: [الطويل]

مَعَاذَ إِلَهِي كَانَ وَاللَّهِ سَيِّداً جَوَاداً على العِلاَّتِ جَمًّا نَوَافِلُهْ[6]
أَغَرَّ خَفَاجِيًّا يَرَى البُخْلَ سُبَّةً تَحَلَّبُ كَفَّاهُ النَّدَى وَأَنَامِلُه[7]
عَفِيفاً بَعِيدَ الهَمِّ صُلْباً قَنَاتُهُ جَمِيلاً مُحَيَّاهُ قَلِيلاً غَوَائِلُهْ
وقد عَلِمَ الجُوعُ الَّذي بَاتَ سَارِياً على الضَّيْفِ والجِيرَانِ أَنَّك قَاتِلُهْ
وَأَنَّكَ رَحْبُ البَاعِ يَا تَوْبُ بِالقِرَى إذا ما لَئِيمُ القَوْمِ ضَاقَتْ مَنَازِلُهْ
يَبِيتُ قَرِيرَ العَيْنِ مَنْ بَاتَ جَارَهُ ويُضْحِي بِخَيْرٍ ضَيْفُهُ ومُنَازِلُهْ

فقال لها معاويةُ: ويحكِ يا ليلى! لقد جُزْتِ بتوبةَ قَدْرَه. فقالت: واللّهِ يا أميرَ المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنّي مُقَصِّرة في نَعْته وأنّي لا أبلغُ كُنْهَ ما هو أهلُه. فقال لها معاويةُ: مِنْ أيِّ الرّجال كان؟ قالت: [الطويل]

أَتَتْهُ المَنَايَا حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قِرْنٍ يُطَاوِلُهْ

---

(١) سبط البنان: طويلها.
(٢) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.
(٣) الألدّ: العَسِرُ الخصومة الشديد الحرب. والمُلِدّ: وصف من ألددتُ بفلان: إذا عسرتُ عليه في الخصومة.
(٤) الخصائل: جمع الخصيلة: العضو من اللحم.
(٥) الخارب: اللّصّ والصعلوك.
(٦) النوافل: جمع النافلة: ما يفعله الإنسان ممّا لم يُفْرَضْ عليه ولم يجب.
(٧) تحلّبُ: تتحلّبُ.

وكَانَ كَلَيْثِ الغَابِ يَحْمِي عَرِينَهُ ... وتَرْضَى بِهِ أَشْبَالُهُ وحَلائِلُهْ
غَضُوبٌ حَلِيمٌ حِينَ يُطْلَبُ حِلْمُهُ ... وسُمٌّ زُعَافٌ لا تُصَابُ مَقَاتِلُه

قال: فأمر لها بجائزةٍ عظيمة وقال لها: خَبِّريني بأجْوَدِ ما قُلتِ فيه من الشعر. قالت: يا أمير المؤمنين، ما قلتُ فيه شيئاً إلاّ والذي فيه من خِصال الخير أكثرُ منه. ولقد أجدتُ حين قلتُ: [الطويل]

جَزَى اللَّهُ خَيْراً والجَزَاءُ بِكَفِّهِ ... فَتًى مِنْ عُقَيْلٍ سَادَ غَيْرَ مُكَلَّفِ
فتًى كَانَتِ الدُّنْيَا تَهُونُ بِأَسْرِها ... عَلَيْهِ ولا يَنْفَكُّ جَمَّ التَّصَرُّفِ
يَنَالُ عَلِيَّاتِ الأُمُورِ بِهَوْنَةٍ ... إذا هِيَ أَعْيَتْ كُلَّ خِرْقٍ مُشَرَّفِ[1]
هو الذَّوْبُ بَلْ أَرْيُ الخَلاَيَا شَبِيهُهُ ... بِدِرْيَاقَةٍ من خَمْرِ بَيْسَانَ قَرْقَفِ[2]
فَيَا تَوْبُ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ ولا نَدَى ... يُعَدُّ وقد أَمْسَيْتَ في تُرْبِ نَفْنَفِ[3]
ومَا نِلْتُ مِنْكَ النِّصْفَ حتى ارْتَمَتْ بِكَ الـ ... ـمَنَايا بِسَهْمٍ صَائِبِ الوَقْعِ أَعْجَفِ[4]
فَيَا أَلْفَ أَلْفٍ كُنْتَ حَيًّا مُسَلَّماً ... لأَلْقَاكَ مِثْلَ القَسْوَرِ المُتَطَرِّفِ[5]
كما كُنْتَ إذْ كُنْتَ المُنَحَّى مِنَ الرَّدَى ... إذا الخَيْلُ جَالَتْ بِالقَنَا المُتَقَصِّفِ[6]
وكَمْ مِنْ لَهِيفٍ مُحْجَرٍ قد أَجَبْتَهُ ... بِأَبْيَضَ قَطَّاعِ الضَّرِيبَةِ مُرْهَفِ[7]
فَأَنْقَذْتَهُ والمَوْتُ يَحْرِقُ نَابَهُ ... عَلَيْهِ ولم يُطْعَنْ ولم يُتَنَسَّفِ[8]

[جميل يتبارى مع توبة بحضور بثينة فيغلبه]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال: حُدِّثْتُ عن القَحْذَميّ عن مُحَارِب بن غُصَيْن العُقَيْليّ قال: كان توبةُ قد خرج إلى الشّام، فمرَّ ببني عُذْرةَ، فرأتْه بُثَينةُ فجعلت تنظر إليه، فشقَّ ذلك على جميلٍ، وذلك قبل أن

(١) الهونة: الرّفق والتؤدة. والخِرْق: الكريم السخيّ.
(٢) الأري: العسل. والدّرياقة: الخمر. وبيسان: مدينة بالأردن بين حوران وفلسطين ينسب إليها الخمر (معجم البلدان ١: ٥٢٧). والقرقف: الخمر.
(٣) النّفنف: المفازة.
(٤) النِّصف: الإنصاف والعدل.
(٥) القَسْوَر: الأسد. والمتطرّف: الذي جاوز حَدّ الاعتدال.
(٦) القنا: جمع القناة: الرمح.
(٧) المُحْجَر: الذي ضُيِّقَ عليه من أعدائه. والسيف المرهَف: المُحَدَّد المرقّق الحدّ.
(٨) حرق الأنياب: حكُّها ببعضها كناية عن الغضب. وتَنَسَّفَ: أمسك خصمه بيده وعرض له برجله ليعثره.

يُظهر حبّه لها. فقال له جميل: مَنْ أنت؟ قال: أنا توبة بن الحميِّر. قال: هل لك في الصِّراع؟ قال: ذلك إليك، فشدَّتْ عليه بثينةُ مِلْحَفةً مُوَرَّسة. فائتزر بها، ثم صارعه فصرَعه جميلٌ. ثم قال: هل لك في النِّضال؟[١] قال: نعم، فناضله فنضَله جميلٌ. ثم قال له: هل لك في السِّباق؟ فقال: نعم، فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا إنما تفعل هذا بِرِيحِ هذه الجالسة، ولكن اهبِطْ بنا الواديَ، فصرَعه توبةُ ونضَله وسبَقه.

[ليلى في مجلس عبد الملك]

أخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيْبَةَ قال: بلغني أنَّ ليلى الأخيليّة دخلت على عبد الملك بن مَرْوان وقد أسنّت وعجزَتْ، فقال لها: ما رأى توبةُ فيك حين هَوِيَكِ؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين وَلَّوْكَ. فضحِك عبد الملكُ حتى بدتْ له سِنٌّ سَوداء كان يُخفيها.

[ليلى تطلب من الحجّاج المساعدة لقومها وتمدحه بقصيدة]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهِلاليّ عن أيّوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له وَرْقاء قال:

كنتُ عند الحجّاج بن يوسف، فدخل عليه الآذِنُ فقال: أصلح الله الأمير، بالباب امرأة تَهْدِرُ كما يهدِرُ البعيرُ النّادّ[٢]. قال: أَدْخِلْها. فلمّا دخلت نسبَها فانتسبتْ له. فقال: ما أتى بك يا ليلَى؟ قالت: إخلافُ النُّجوم[٣]، وقِلّةُ الغيوم، وكَلَبُ البَرْد[٤]، وشِدّة الجَهْد، وكنتَ لنا بعدَ الله الرِّدّ[٥]. قال: فأخبريني عن الأرض. قالت: الأرض مُقْشعِرَّة[٦]، والفِجَاجُ مُغْبَرَّة، وذو الغنى مُخْتَلٌّ[٧]، وذو

(١) النضال: المباراة في الرمي.

(٢) النادّ: الشارد.

(٣) إخلاف النجوم: كناية عن امتناع المطر.

(٤) كَلَب البرد: شدّته.

(٥) الرِّدّ: ما كان عماداً للشيء يدفعه ويردّه.

(٦) مقشعرّة: متقبّضة من المحل.

(٧) مختلّ: محتاج.

الحَدِّ مُنْفَلّ"(١). قال: وما سببُ ذلك؟ قالت: أصابتْنا سِنُونَ مُجْحِفةٌ(٢) مُظْلِمةٌ، لم تَدَعْ لنا فصيلاً ولا رُبَعاً(٣)، ولم تُبْقِ عافطةً ولا نافِطةً(٤)؛ فقد أهلكت الرّجال، ومزّقت العِيَال، وأفسدتِ الأموال، ثم أنشدتْه الأبيات التي ذكرناها مُتَقَدِّماً. وقال في الخبر: قال الحجّاجُ: هذه التي تقول: [الكامل]

نَحْنُ الأَخَايِلُ لا يَزَالُ غُلامُنا ... حَتَّى يَدِبَّ على العَصَا مَشْهُورَا
تَبْكِي الرِّمَاحُ إذا فَقَدْنَ أَكُفَّنا ... جَزَعاً وتَعْرِفُنا الرِّفاقُ بُحُورا

ثم قال لها: يا ليلى، أنْشِدِينا بعض شعرِكِ في تَوْبة، فأنشدتْه قولَها: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما بِالمَوتِ عَارٌ على الفَتَى ... إذا لم تُصِبْهُ في الحَيَاةِ المَعَايِرُ
وَمَا أَحَدٌ حَيٌّ وإنْ عَاشَ سَالِماً ... بِأَخْلَدَ مِمَّنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ
فلا الحَيُّ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ مُعْتَبٌ ... ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحَيُّ نَاشِرُ
وكُلُّ جَدِيدٍ أَوْ شَبَابٍ إلى بِلَى ... وكلُّ امرِئٍ يَوماً إلى المَوْتِ صَائِرُ
قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ فَيَا لَهْفَتَا له ... وما كُنْتُ إيَّاهُمْ عَلَيهِ أُحَاذِرُ
وَلَكِنَّنِي أَخْشَى عَلَيْهِ قَبِيلَةً ... لها بِدُروبِ الشَّأم بَادٍ وحَاضِرُ

فقال الحجّاج لحاجبه: اذْهَبْ فاقطَعْ لسانَها. فدعا لها بالحجّام لِيقطَعَ لسانَها، فقالت: ويلكَ! إنَّما قال لك الأميرُ اقطَعْ لسانَها بالصِّلة والعطاء، فارجِعْ إليه واستأْذِنْه. فرجع إليه فاستأمره، فاستشاط عليه وهَمَّ بقطع لسانه، ثم أمرَ بها فأُدخِلَتْ عليه، فقالت: كادَ وعهدِ الله يقطع مِقْوَلي(٥)، وأنشدتْه: [البسيط]

حَجّاجُ أَنْتَ الَّذِي لا فَوْقَهُ أَحَدٌ ... إلاّ الخَلِيفَةُ والمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ
حَجَّاجُ أَنْتَ سِنانُ الحَرْبِ إنْ نُهِجَتْ ... وَأَنْتَ لِلنَّاسِ في الدَّاجِي لنا تَقِدُ

أخبرنا الحسن قال: حَدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حَدَّثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سَلَمةَ بن أيُّوبَ بن مَسْلَمةَ الهَمْدانيّ قال: كان جدّي عند الحجّاج، فدخلتْ عليه امرأةٌ بَرْزةٌ، فانتسبتْ له فإذا هي ليلى الأخيليّة. وأخبرني

---

(١) مُنفلّ: منكسر متثلّم.
(٢) المُجحفة: المهلكة.
(٣) الفصيل: ولد الناقة بعد فطامه وانفصاله عن أمه. والرُّبَع: الفصيل يُنتج في أول الربيع وهو أول النتاج وإذا نُتِجَ في آخره فهو هُبَع.
(٤) العافطة: الضائنة. والنافطة: الماعزة.
(٥) المِقْوَل: اللسان.

بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: كنتُ عند الحجاج. وأخبرني وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائني عن جُوَيْرِيَةَ عن بِشْرِ بن عبد اللّه بن أبي بكر: أنّ ليلى دخلتْ على الحَجّاج، ثم ذكَرَ مثلَ الخبر الأوّل، وزاد فيه: فلمّا قالت:

غُــلامٌ إذا هَــزَّ الــقَــنــاةَ سَــقــاهــا

قال لها: لا تقولي «غلامٌ»، قولي «هُمَامٌ». وقال فيه: فأمر لها بمائتين. فقالت: زِدْنِي، فقال: اجعلوها ثلاثَمائة. فقال بعضُ جُلَسائه: إنَّها غَنَمٌ. فقالت: الأميرُ أكرمُ من ذلك وأعظمُ قَدْراً من أن يأمرَ لي إلاّ بالإبل. قال: فاسْتَحْيَا وأمرَ لها بثلاثمائة بعير، وإنّما كان أمر لها بغنمٍ لا إبل.

وأخبرنا به وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصّالحيّ عن عمر بن شَبَّةَ عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه، وقال فيه: ألاَ قلتِ مكانَ غُلام هُمَامٌ! وذكر باقيَ الخبر الذي ذكره مَنْ تقدّم، وقال فيه: فقال لها: أنشدينا ما قُلتِ في توبةَ، فأنشدتْه قولَها: [الطويل]

فَـإنْ تَـكُـنِ الـقَـتْـلَـى بَـوَاءً فَـإنَّـكُـمْ ... فَـتًـى مـا قُـتَـلْـتُـمْ آلَ عَـوْفِ بـن عـامِـرِ
فـتًـى كَـانَ أَحْـيَـا مِـنْ فَـتـاةٍ حَـيِـيَّـةٍ ... وأَشْـجَـعَ مِـنْ لَـيْـثٍ بِـخَـفَّـانَ خَـادرِ
أَتَـتْـهُ الـمَـنَـايـا دُونَ دِرْعٍ حَـصِـيـنَـةٍ ... وَأَسْـمَـرَ خَـطِّـيٍّ وجَـرْدَاءَ ضَـامِـرِ
فَـنِـعْـمَ الـفَـتَـى إنْ كَـانَ تَـوْبَـةُ فَـاجِـراً ... وفَـوْقَ الـفَـتَـى إنْ كَـانَ لـيـسَ بِـفَـاجِـرِ
كَـأَنَّ فَـتَـى الـفِـتْـيَـانِ تَـوْبَـةَ لـم يُـنِـخْ ... قَـلائِـصَ يَـفْـحَـصْـنَ الـحَـصَـا بِـالـكَـرَاكِـرِ

فقال لها أسماء بن خارجة: أيّتها المرأة إنك لَتَصِفينَ هذا الرجلَ بشيء ما تعرفُه العرب فيه. فقالت: أيّها الرجل هل رأيتَ توبة قطُّ؟ قال: لا. فقالت: أمَا والله لو رأيتَه لَوَدِدْتَ أنّ كلَّ عاتقٍ[1] في بيتك حاملٌ منه؛ فكأنّما فُقِىءَ في وجه أسماءَ حَبُّ الرُّمّان. فقال له الحجّاج: وما كان لك ولها!

[وفودها إلى الحجّاج ثم إلى قتيبة بن مسلم ثم وفاتها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثنا ابن أبي سَعْد عن محمد بن عليّ بن

(١) العاتق: الفتاة الشابّة.

المُغِيرةِ قال: سَمعتُ أبي يقول سَمِعتُ الأصمعيَّ يذكر أن الحَجّاجَ أمر لها بعشرة آلاف درهم، وقال لها: هل لكِ من حاجةٍ؟ قالت: نَعَمْ أصلح اللّهُ الأميرَ، تحملني إلى ابن عمِّي قُتَيْبةَ بن مُسْلِم، وهو على خُرَاسانَ يومئذ، فحمَلها إليه، فأجازها وأقبلتْ راجعةً تُريد الباديَة، فلمّا كانت بِالرَّيِّ ماتت، فقَبْرُها هناك، هكذا ذكر الأصمعيُّ في وفاتِها وهو غلطٌ. وقد أخبرني عَمِّي عن الحَزَنْبَل الأصبهانيّ عمّن أخبره عن المدائنيّ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْدِيّ عن ابن أبي سَعْدٍ عن محمد بن الحسن النَّخَعِيّ عن ابن الخصِيبِ الكاتب، واللّفظُ في الخبر للحزَنْبَل، وروايتُه أتمّ، أنّ ليلى الأخيليّة أقبلتْ من سَفَرٍ، فمرَّتْ بقبر تَوْبةَ ومعها زوجها وهي في هَوْدَج لها. فقالت: والله لا أبرَحُ حتى أُسَلِّمَ على توبة، فجعل زوجها يمنَعها من ذلكَ وتأبى إلاّ أن تُلِمَّ به، فلمّا كثُر ذلك منها تركَها، فصَعِدَتْ أَكَمَةً عليها قبرُ توبة، فقالت: السّلامُ عليك يا توبةُ، ثم حوّلت وجهَها إلى القوم فقالت: ما عَرَفْتُ له كَذِبةً قَطُّ قبلَ هذا. قالوا: وكيف؟ قالت: أليس القائلَ:

صوت

[الطويل]

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ ... عَلَيَّ ودُونِي تُرْبَةٌ وصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَو زَقَا ... إليها صَدًى مِنْ جَانِبِ القَبْرِ صَائِحُ[1]
وأُغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لا أَنَالُهُ ... أَلاَ كُلُّ ما قَرَّتْ به العَيْنُ صَالِحُ

فما بالُه لم يُسَلِّم عَلَيَّ كما قال! وكانت إلى جانب القبر بُومةٌ كامنةٌ، فلمّا رأتِ الهودجَ واضطرابَه فَزِعَتْ وطارت في وجه الجمل، فنفَر فرمَى بليلَى على رأسها، فماتت من وقتها، فدُفِنَتْ إلى جنبه. وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها.

غَنَّى في الأبياتِ المذكورة آنِفاً حَكَمٌ الواديّ لَحْنَيْنِ، أحدُهما رملٌ بالوسطى عن عمرو، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَشٍ، وقال حبش: وفيها لحنان لجميلة والمَيْلاء رَمَلانِ بالبنصر، وذكر أبو العُبَيْس بن حمدون أنّ الرمل لعُمَر الواديّ.

قال أبو عُبَيْدَةَ: كان توبةُ شِرِّيراً كثيرَ الغارةِ على بني الحارث بن كعب وخَثْعَم

(١) زقا: صاح.

وهمْدَانَ، فكان يزور نساءً منهن يتحدّث إليهن، وقال: [الطويل]

أَيَذْهَبُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ ولم أَزُرْ غَرَائِرَ مِنْ هَمْدَانَ بِيضاً نُحُورُها[١]

قال أبو عبيدة: وكان توبةُ ربّما ارتفع إلى بلاد مَهْرَة فيُغير عليهم، وبين بلاد مَهْرَة وبلاد عُقَيْلٍ مَفَازةٌ مُنْكَرةٌ لا يقطَعها الطَّيرُ، وكان يحمِل مَزَادَ الماء فيدفِن منه على مَسِيرةِ كلِّ يوم مزادةً ثم يُغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازةَ، وإنما كان يتعمَّد حَمَارَّةَ القَيْظِ وشِدّة الحرّ، فإذا ركِب المفازةَ رجعوا عنه.

أخبرني حَرَميّ عن الزُّبَيْر عن يحيى بن المِقْدام الرَّبَعيّ عن عمِّه موسى بن يعقوب قال: دخل عبد الله بن مَرْوان على زَوْجته عاتكةَ بنت يَزِيدَ بن مُعَاوية، فرأى عندها امرأةً بدويّة أنكرها، فقال لها: مَنْ أنت؟ قالت: أنا الوالهةُ الحَرَّى ليلَى الأَخْيَليّة. قال: أنت التي تقولين: [الطويل]

أُرِيقَتْ جِفَانُ ابنِ الخَليعِ فَأَصْبَحَتْ حِيَاضُ النَّدَى زَالَتْ بِهِنَّ المَرَاتِبُ
فَعُفَاتُهُ لَهْفَى يَطُوفُونَ حَوْلَهُ كما انْقَضَّ عَرْشُ البِئْرِ والوِرْدُ عَاصِبُ[٢]

قالت: أنا الّتي أقول ذلك. قال: فما أبْقَيتِ لنا؟ قالت: الذي أبقاه الله لك. قال: وما ذاك؟ قالت: نَسَباً قُرَشيّاً، وعَيشاً رَخيًّا، وإمْرةً مُطاعةً. قال: أفْرَدْتِه بالكَرَم! قالت: أفردتُه بما أفرده الله به. فقالت عاتكة: إنها قد جاءت تستعين بنا عليك في عينٍ تُسْقِيها[٣] وتَحْمِيها لها، ولستُ ليزيدَ إن شَفَّعْتُها في شيء من حاجاتها، لتقديمها أعرابيًّا جِلْفاً على أمير المؤمنين. قال: فوثَبَتْ ليلَى فقامتْ على رِجْلِها واندَفعتْ تقول: [الوافر]

سَتَحْمِلُنِي ورَحْلِي ذَاتُ وَخْدٍ عَلَيْهَا بِنْتُ آبَاءٍ كِرَامِ[٤]
إذا جَعَلَتْ سَوَادَ الشَّأمِ جَنْباً وغُلِّقَ دُونَها بَابُ اللِّئَامِ
فَلَيسَ بِعَائِدٍ أَبَداً إِلَيْهِمْ ذَوُو الحَاجَاتِ في غَلَسِ الظَّلاَمِ
أَعَاتِكُ لو رَأَيْتِ غَدَاةَ بِنَّا عَزَاءَ النَّفْسِ عَنْكُمْ وَاعْتِزَامِي
إذاً لَعَلِمْتِ وَاسْتَيْقَنْتِ أَنِّي مُشَيَّعَةٌ ولم تَرْعَنْي ذِمَامِي

---

(١) الغرائر: النساء الشابّات.
(٢) العفاة: جمع عافٍ: السائل وطالب المعروف. الوِرد: الماء الذي يُورَدُ. وعاصب: جامع.
(٣) تُسقيها: تجعلها لها سقياً.
(٤) الوخد: ضرب من السير.

أَأَجْعَلُ مِثْلَ تَوْبَةَ في نَدَاهُ ... أَبَا الذِّبَّانِ فُوهُ الدَّهْرَ دَامِي[١]
مَعَاذَ اللهِ مَا عَسَفَتْ بِرَحْلِي ... تُغِذُّ السَّيْرَ لِلبَلَدِ التَّهَامِي[٢]
أَقُلْتِ خَلِيفَةٌ فَسِوَاهُ أَحْجَى ... بِإِمْرَتِهِ وَأَوْلَى بِاللِّئَامِ
لِئَامِ المُلْكِ حِينَ تُعَدُّ كَعْبٌ ... ذَوُو الأَخْطَارِ والخُطَطِ الجِسَامِ[٣]

فقيل لها: أيُّ الكَعْبِينَ عَنَيْتِ؟ قالت: ما أخالُ كَعْباً كَكَعْبِي.

[خبر آخر في وفودها على الحجاج]

أخبرنا اليزيديّ عن الخليل بن أَسَدٍ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي يعقوب الثَّقفيّ عن عبد الملك بن عُمَيْر عن محمد بن الحَجّاج بن يوسف قال: بينَا الأميرُ جالسٌ إذ اسْتُؤْذِنَ لليلى. فقال الحَجّاج: ومَنْ ليلَى؟ قيل: الأَخيليّة صاحبة تَوْبَةَ. قال: أَدْخِلوها. فدخلتْ امرأةٌ طويلةٌ دَعْجاء العَيْنَيْن[٤] حَسَنةُ المِشْية إلى الفَوَهِ[٥] ما هي، حَسَنةُ الثَّغْرِ، فسلَّمَتْ فَرَدَّ الحَجّاج عليها ورحَّبَ بها فدَنَتْ، فقال الحجّاج: دَرَاكِ[٦] ضَعْ لها وِسادةً يا غلام، فجلستْ. فقال: ما أعْمَلَكِ إلينا؟ قالت: السلاّمُ على الأمير، والقضاءُ لِحَقِّه، والتعرّض لمعروفه. قال: وكيف خَلَّفتِ قومَكِ؟ قالت: تركتُهم في حالِ خصْبٍ وأَمْنٍ ودَعَةٍ، أمّا الخِصْبُ ففي الأموال والكَلأ، وأمّا الأَمْنُ فقد أمّنهم الله عزّ وجلّ بك. وأمّا الدَّعَة فقد خامرهم من خَوْفك ما أصلح بينَهم. ثم قالت: ألاَ أُنْشدك؟ فقال: إذا شئتِ. فقالت:

[الطويل]

أَحَجَّاجُ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ غَايَةً ... يُقَصِّرُ عَنْهَا مَنْ أَرَادَ مَدَاهَا
أَحَجَّاجُ لا يُفْلَلْ سِلاَحُكَ إِنَّمَا الـ ... ـمَنَايَا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ تَرَاهَا
إذا هَبَطَ الحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً ... تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِي بِهَا ... غُلاَمٌ إذا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاهَا

---

(١) أبو الذّبّان: كنية عبد الملك بن مروان لشدّة بخره وموت الذباب إذا دنت من فمه.
(٢) عسَفت: سارت وخبطت بغير هدى.
(٣) كعب: هم آباء ليلى الأخيلية.
(٤) دعجاء العينين: واسعتهما مع سواد شديد.
(٥) الفَوَه: سعة الفم.
(٦) دراك: اسم فعل بمعنى أدرك.

سَقَاهَا دِمَاءَ المَارِقِينَ وعَلَّهَا إذا جَمَحَتْ يَوْماً وخِيفَ أذَاهَا[١]
إذا سَمِعَ الحَجَّاجُ رِزَّ كَتِيبَةٍ أَعَدَّ لهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا[٢]
أَعَدَّ لَهَا مَصْقُولَةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلِبُونَ صَرَاهَا[٣]
أَحَجَّاجُ لا تُعْطِ العُصَاةَ مُنَاهُمُ ولا اللَّهُ يُعْطِي لِلعُصَاةِ مُنَاهَا
ولا كُلَّ حَلاَّفٍ تَقَلَّدَ بَيْعَةً فَأَعْظَمَ عَهْدَ اللَّهِ ثُمَّ شَرَاهَا

فقال الحجّاج ليحيى بن مُنْقِذٍ: لله بِلادُها ما أشعرها! . فقال: ما لي بشعرها عِلمٌ. فقال: عَلَيَّ بعُبَيْدَةَ بن مَوْهَبٍ وكان حاجبَه، فقال: أنشدِيه فأنشدتْه، فقال عُبَيدةُ: هذه الشّاعرة الكريمةُ، قد وجبَ حَقُّها. قال: ما أغناها عن شَفَاعتِك! يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم؛ واكْسُها خمسةَ أثواب أحدُها كِسَاءُ خَزٍّ، وأَدْخِلْها على ابنة عَمِّها هند بنت أسماء فقُلْ لها: حَلِّيها. فقالت: أصلح الله الأمير، أَضَرَّ بنا العَرِيفُ في الصَّدقة، وقد خَرِبَتْ بلادُنا، وانكسرتْ قلوبُنا، فأخذ خِيارَ المال. قال: اكتبوا لها إلى الحَكَم بن أيّوب فليبتَعْ لها خمسةَ أجمال ولْيَجْعَلْ أحدَها نَجِيباً، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بِعَزْلِ العريف الذي شَكَتْه. فقال ابن مَوْهَبٍ: أصلَحَ اللَّهُ الأمير، أأصِلُها؟ قال: نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتْها هند بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين.

قال الهيثم: فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجَصّاصِ فكتبه عنّي، ثم حدّثني عن حمّاد الراوية قال: لمّا فَرَغتْ ليلى من شعرها أقبل الحَجّاج على جُلَسائه فقال لهم: أتدرون مَنْ هذه؟ قالوا: لا! والله ما رأينا امرأةً أفصحَ ولا أبلغَ منها ولا أحسنَ إنشاداً. قال: هذه ليلى صاحبة توبة. ثم أقبل عليها فقال لها: بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تَكْرَهِينه أو سألكِ شيئاً يُعابُ؟ قالت: لا والله الّذي أسألُه المغفرةَ ما كان ذلك منه قَطُّ، فقال: إذا لم يكنْ فيرحَمنا الله وإيّاه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شَبَّةَ عن عبد اللّه بن محمد بن حَكيم الطائيّ عن خالد بن سَعِيد عن أبيه قال: كنت عند الحجّاج فدخلتْ عليه ليلى الأخيليّة، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل، وزاد فيه: فلمّا قالت:

---

(١) المارق: الخارج من دينه.
(٢) الرِّز: الصوت المسموع من بعد.
(٣) الصَّرَى: بقيّة اللبن.

غــلامٌ إذا هَــزَّ الــقَــنــاةَ ســقــاهــا

فقال: لا تقولي غلامٌ، قولي هُمَامٌ.

صوت

[الخفيف]

سَـالَـنِـي الـنَّـاسُ أَيـنَ يَـعْـمِـدُ هَـذَا قُـلْـتُ آتِـي فـي الـدَّارِ قَـرْمـاً سَـرِيَّـا
مـا قَـطَـعْـتُ الـبِـلادَ أَسْـرِي ولا يَـمَّـ ـمْـتُ إِلاَّ إِيَّـاكَ يـا زَكَـرِيَّـا
كَـمْ عَـطَـاءٍ ونَـائِـلٍ وجَـزِيـلٍ كَـانَ لـي مِـنْـكُـم هَـنِـيّـاً مَـرِيَّـا

عَرُوضُه من الخفيف، الشِّعرُ للأُقَيْشر الأسَديّ، والغناء لدَحْمانَ، وله فيه لحنانِ، أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ من أصوات قليلةِ الأشباه عن إسحاق، والآخر ثقيلٌ أوّل بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو، وذكر يونس أنه للأبجر ولم يجنِّسه، وذكر الهشاميّ أنّ لحن الأبجر خفيفُ ثقيلٍ، وأنّ لحن ابن بَلُوعٍ في الثالث ثاني ثقيل، وليحيى بن واصل ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

ذكر الأُقَيْشِر وأخباره

[توفي نحو ٨٠ هـ/ نحو ٧٠٠ م]

[نسبه ولقبه وكنيته]

الأُقَيْشِرُ: لَقَبٌ غَلَب عليه؛ لأنه كان أحمرَ الوجه أَقْشَرَ[١] واسمه المُغِيرةُ بن عبد اللّه بن مُعْرِض بن عَمْرِو بن أَسَد بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَةَ بن إلْياس بن مُضَر بن نِزَار، وكان يُكْنَى أبا مُعْرِض، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عِدَّة منها قولُه:

[المتقارب]

فَإنَّ أَبَا مُعْرِضٍ إِذْ حَسَا ... مِنَ الرَّاحِ كَأْساً على المِنْبَرِ
خَطِيبٌ لَبِيبٌ أَبُو مُعْرِضٍ ... فَإنْ لِيمَ في الخَمْرِ لم يَصْبِرِ

وعُمِّرَ عُمْراً طويلاً، فكان أَقعَدَ[٢] بني أَسَدٍ نَسَباً، وما أَخْلَقَه بأن يكون وُلِدَ في الجاهليّة ونشأ في أوّل الإسلام؛ لأنّ سِمَاكَ بن مَخْرَمةَ الأسَديّ صاحبَ سِمَاكٍ بالكوفة بناه في أيّام عمر، وكان عُثْمانيًّا، وأهلُ تلك المَحَلَّةِ إلى اليوم كذلك. فيَرْوِي أهلُ الكوفة أنّ عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ لم يُصَلِّ فيه، وأهلُ الكوفة إلى اليوم يجتنبونه. وسِمَاكُ الّذي بناه هو سِمَاكُ بن مَخْرَمَةَ بن حُمَيْن بن بَلْث بن عمرو بن مُعْرِض بن أَسَدٍ، والأُقيشر أَقعَدُ نسباً منه، وقال الأُقيشر في ذكر مسجد سِمَاكٍ شعراً.

أخبرني محمد بن الحسن الكنْديّ الكوفيُّ قال: أخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزيُّ عن محمد بن مُعَاويةَ ـ وكنيتُه أبو عبد اللّه محمد بن معاويةَ ـ قال: الأُقَيْشِرُ

(١) القشر: شدّة الحمرة.
(٢) أقعدُهم: أقربهم إلى الجدّ الأكبر وهذا مدح.

من رَهْط خُرَيم بن فاتِكٍ الأسديّ، وخُرَيم إنّما نُسِبَ إلى جَدِّ أبيه فاتِكٍ، وهو خُرَيْم بن الأخرم بن شدّاد بن عمرو بن فاتك الأسَديّ، وفاتكٌ بن قُلَيْب بن عَمْرو بن أسَدٍ، والأُقَيشر هو المُغِيرةُ بن عبد الله بن مُعْرِضِ بن عمرو بن أسَد. قال: وهو القائل لَمّا بنى سِمَاكُ بن مَخْرَمَة مسجده الذي بالكوفة، وهو أكبر مسجدٍ لبني أسَدٍ، وهو في خِطَّة بني نَصْر بن قُعَيْن: [الرمل]

غَضِبَتْ دُوذَانُ مِنْ مَسْجِدِنا ... وبِهِ يَعْرِفُهُمْ كُلُّ أَحَدْ
لو هَدَمْنَا غُدْوَةً بُنْيَانَهُ ... لأنْمَحَتْ أَسْمَاؤُهُمْ طُولَ الأَبَدْ
اسْمُهُمْ فيه وهم جِيرَانُهُ ... واسْمُه الدَّهْرَ لِعَمْرِو بنِ أَسَدْ
كُلَّمَا صَلَّوْا قَسَمْنَا أَجْرَهُ ... فَلَنَا النِّصْفُ على كُلِّ جَسَدْ

فحلَف بنو دُودانَ لَيَضْرِبُنَّهُ. فأتاهم فقال: قد قلتُ بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ. قالوا: وما هو يا فاسق؟ قال: قلت: [الرمل]

وبَنُو دُودَانَ حَيٌّ سَادَةٌ ... حَلَّ بَيْتُ المَجْدِ فِيهِمْ والعَدَدْ

فتركوه.

أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائني قال، وأخبرني أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سَلاّم قال: كان الأقيشر كُوفِيّاً خَلِيعاً ماجناً مُدْمِناً لِشُرْبِ الخمر، وهو الذي يقول لنفسه: [المتقارب]

فإنّ أبا مُعْرِضٍ إذ حَسَا ... مِنَ الرّاحِ كَأْساً على المِنْبَرِ
خَطِيبٌ لَبِيبٌ أَبُو مُعْرِضٍ ... فَصَارَ خَلِيعاً على المَكْبِرِ(١)
أَحَلَّ الحَرَامَ أَبُو مُعْرِضٍ ... فَإِنْ لِيمَ في الخَمْرِ لم يَصْبِرِ
يُجِلُّ اللِّئَامَ ويَلْحَى الكِرَامَ ... وإنْ أَقْصَرُوا عَنْهُ لم يُقْصِرِ

[بعض أخباره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ، وأخبرني عبد الوهّاب بن عُبَيْد الصّحّاف الكُوفيّ عن قَعْنَب بن مُحْرِزٍ الباهليّ عن المدائنيّ: أنَّ الأقيشر مَرَّ يُرِيدُ الحِيرَةَ، فاجتاز على مجلسٍ لبني عَبْسٍ، فناداه أحدُهم: يا أُقيشر، وكان يغضَب منها، فزجَره الأشياخُ، ومضى الأُقَيْشِرُ ثم عاد إليه

(١) المكبر: الكبر في السنّ.

ومعه رجلٌ وقال له: قِفْ معي، فإذا أنشدتُ بيتاً فقُلْ لي: ولِمَ ذلك، ثم انْصَرِفْ، وخُذْ هذين الدّرهمين. فقال له: أنا أصير معك إلى حيث شئتَ يا أبا مُعْرض ولا أرزَؤك شيئاً، قال: فافعَلْ فأقبلَ حتى أتى مجلسَ القوم، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد عرَف الشّابَّ، فأقبل عليه وقال: [الوافر]

أتَدْعُونِي الأُقَيْشِرَ ذلكَ اسْمِي وأدْعُوكَ ابْنَ مُطْفِئَةِ السِّرَاجِ

فقال له الرّجل: ولِمَ ذاك؟ فقال:

تُنَاجِي خِدْنَها بِاللَّيْلِ سِرًّا وربُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا تُنَاجِي(١)

قال قَعْنَبٌ في خبره: فلُقِّبَ ذلك الرّجلُ ابنَ مُطْفِئة السّراج.

وقال قَعْنَبٌ في خبره عن المدائنيّ أخبرنا به اليزيديّ عن الخَرّاز عن المدائنيّ في كتاب الجَوَابات، ولم يَرْوِه الباقون: كان الأقيشر يَكْتَري بغلةَ أبي المَضَاء المُكَارِي فيركَبها إلى الخمّارين بالحيرة. فركِبَها يوماً ومضى لِحاجتِه، وعند أبي المَضاء رجل من تميم يُكْنَى أبَا الضّحّاك، فقال له: مَنْ هذا؟ قال: الأُقيشر. فأخذ طَبَقَ المِيزان وكتب فيه: [الوافر]

عَجِبْتُ لِشَاعِرٍ مِنْ حَيِّ سَوْءٍ ضَئِيلِ الجِسْمِ مِبْطانٍ هَجِينِ(٢)

وقال لأبي المَضَاء: إذا جاء فأقْرِئه هذا، فلمّا جاء أقرأه، فقال له الأُقيشر: مِمَّن هو؟ قال: مِنْ بني تميم. فكتَب الأُقيشر تحت كتابه: [الوافر]

فَلاَ أَسَداً أَسُبُّ ولا تَمِيماً وكيفَ يَجُوزُ سَبُّ الأَكْرَمِينَ
وَلَكِنَّ التَّمِيمِي حَالَ بينِي وبينَكَ يابنَ مُضْرِطَةِ العَجِينِ(٣)

فهَرَبَ إلى الكوفة فلم يَزِدْ على هذا.

وقال قَعْنَبٌ في خبره عن المدائنيّ: فجاء التميميُّ فقرأ ما كتب، فكتب تحته: [البسيط]

يٰأيُّها المُبْتَغِي حُشّاً لِحَاجَتِهِ وَجْهُ الأُقَيْشِرِ حُشٌّ غيرُ مَمْنُوعِ(٤)

---

(١) الخِدْن: الصاحب.
(٢) الهجين: اللئيم.
(٣) إضراط العجين: ما يسمع عند عجنه من صوت، وهو يريد أنها خادمة.
(٤) الحُشّ: بيت الخلاء.

فلمّا قرأه قال: اللّهم إنّي أستعديك عليه، وكتب تحته: [البسيط]

إنِّي أتَانِي مَقَالٌ كُنتُ آمَنُهُ ... فَجَاءَ مِنْ فَاحِشٍ في النَّاسِ مَخْلُوعِ
عَبْدِ العزيزِ أبو الضَّحَّاكِ كُنْيَتُهُ ... فِيهِ مِنَ اللُّؤْمِ وَهْيَ غَيرُ مَمْنُوعِ
ولم تَبِتْ أُمُّهُ إلاَّ مُطَاحِنَةً ... وَأَنْ تُؤَاجَرَ في سُوقِ المَرَاضِيعِ[1]
يَنْسَابُ مَاءُ البَرَايَا في اسْتِها سَرِباً ... كَأَنَّما انْسَابَ فِي بَعْضِ البَلاَلِيعِ[2]
مِنْ ثَمَّ جَاءَتْ بِهِ والبَظْرُ حَنَّكَهُ ... كَأَنَّهُ في اسْتِهَا تِمْثَالُ يُسْرُوعِ[3]

فلمّا جاءه جَزِعَ ومشى إليه بقوم من بني تَميم، فطلبوا أن يكُفَّ ففعل. وأمّا عبد اللّه بن خَلَفٍ فذكر عن أبي عَمْرو الشيبانيّ أنَّ الأُقيشر قال هذا في مِسْكِين.

والشعر الذي فيه الغناءُ يقوله الأُقيشر في زكريّا بن طلحة الذي يقال له الفَيّاض، وكان مَدّاحاً له.

[عبد الملك يقول عنه إنه أشعر الناس]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنزيّ عن محمد بن مُعاوية قال: غَنّتْ جاريةٌ عند عبد الملك بن مَرْوَانَ بشعرِ الأُقيشر: [الخفيف]

قَرَّبَ اللَّهُ بِالسَّلاَمِ وَحَيَّا ... زَكَرِيَّا بنَ طَلْحَةَ الفَيَّاضِ
مَعْدِنُ الضَّيْفِ إنْ أَنَاخُوا إلَيْهِ ... بَعْدَ أَيْنِ الطَّلاَئِحِ الأَنْقَاضِ[4]
سَاهِمَاتُ العُيونِ خُوصٌ رَذَايَا ... قد بَرَاهَا الكَلاَلُ بَعْدَ إياضِ[5]
زَادَهُ خَالِدُ ابْنُ عَمِّ أَبِيهِ ... مَنْصِباً كَانَ في العُلاَ ذَا انْتِقَاضِ
فَرْعُ تَيْمٍ مِنْ تَيْمِ مُرَّةَ حَقّاً ... قَدْ قَضَى ذَاكَ لاِبْنِ طَلْحَةَ قَاضِ

فقال عبد الملك للجارية: وَيْحكِ! لمنْ هذا؟ قالت: للأُقيشر. قال: هذا المدحُ لا على طَمَعٍ ولا فَرَقٍ، وأشعرُ النّاسُ الأُقيشر.

---

(١) مطاحنة: أي إنها تعمل في طحن القمح للناس.
(٢) سَرِباً: سائلاً.
(٣) حَنّكه: أحكمه. واليسروع: دودة بيضاء الجسد حمراء الرأس مخططة بسواد وحمرة.
(٤) معدن: اسم من عدن بالمكان أي أقام به. والأين: التعب. والطلائح: جمع طليح وطليحة: الذين تعبوا من السير. والأنقاض: جمع النِّقض: المهزول من السير.
(٥) ساهمات العيون: متغيّرات من التعب. والخوص: جمع الأخوص والخوصاء: غائرات العيون. والرذايا: جمع الرّذيّ والمرذيّة: المهزولات.

وذكر عبد اللّه بن خَلَفٍ أنّ أبا عمرو الشيبانيّ أخبره أنّ الكُمَيْتَ بن زيد لَقِيَ الأُقيشر في سَفْرَةٍ، فقال له: أين تَقْصِدُ يا أبا مُعْرِض؟ فقال: [الخفيف]

سَـالَـنـي الـنَّـاس أَيْـنَ يَـقْـصِـدُ هَـذَا ... قُـلْـتُ آتـي فـي الـدَّارِ قَـرْمـاً سَـرِيَّـا

وذكر باقيَ الأبيات التي فيها الغناء، فلم يزل الكميت يستعيده إيّاها مراراً، ثم قال: ما كذَبَ مَنْ قال إنك أشعرُ الناس.

[شعرٌ ينفي فيه أنه عِنّين]

أخبرني عَمِّي عن الكُرَانيّ عن ابن سلاّم قال: كان الأُقيشر عِنِّيناً[1]، وكان لا يأتي النساء، وكان كثيراً ما كان يَصِف ضِدّ ذلك من نفسه، فجلس إليه يوماً رجلٌ من قَيْس، فأنشده الأُقيشر: [الكامل]

وَلَـقَـدْ أَرُوحُ بِـمُـشْـرِفٍ ذِي شَـعْـرَةٍ ... عَـسِـرِ الـمَـكَـرَّةِ مَـاؤُهُ يَـتَـفَـصَّـدُ[2]

مَـرِحٍ يَـطِـيـرُ مِـنَ الـمِـرَاحِ لُـعَـابُـهُ ... وتَـكَـادُ جِـلْـدَتُـهُ بِـهِ تَـتَـقَـدَّدُ[3]

ثم قال للرجل: أَتُبْصِرُ الشّعرَ؟ قال: نَعَمْ. قال: فما وصفتُ؟ قال: فرساً. قال: أفكنتَ لو رأيتَه رَكِبْتَه؟ قال: إي والله وأَثْنِي عِطْفَه. فكشَف عن أَيْره وقال: هذا وصفتُ، فقُمْ فاركَبْه، فوثب الرجلُ من مجلسه وجعل يقول له: قَبحك اللّهُ من جليسٍ سائرَ اليوم.

ونسخت من كتاب عبد اللّه بن خَلَفٍ: حدّثني أبو عمرو الشيبانيّ قال: ماتت بنتُ زِيَادٍ العُصْفُرِيّ، فخرج الأُقيشر في جنازتها، فلمّا دفنوها انصرفَ، فلَقِيَه عابسٌ مولَى عائذِ الله، فقال له: هل لَكَ في غَدَاء وطِلاء[4] أتيتُ به من طِيزَنَابَاذَ[5]؟ قال: نعم. فذهب به إلى منزله فغدّاه وسقّاه، فلمّا شرب قال: [الطويل]

فَـلَـيْـتَ زِيَـاداً لا يَـزَلْـنَ بَـنَـاتُـهُ ... يَـمُـتْـنَ وَأَلْـقَـى كُـلَّـمَا عِـشْـتُ عَـابِـسَـا

فَـذَلِـكَ يَـوْمٌ غَـابَ عَـنِّـيَ شَـرُّهُ ... وأُنْـجِـحْـتُ فـيـه بَـعْـدَ مَـا كُـنْـتُ آيِـسـا

---

(١) العِنّين: العاجز.

(٢) يتفصّد: يسيل.

(٣) تتقدّد: تتقطع.

(٤) الطلاء: الخمر.

(٥) طيزناباذ: موضع بين الكوفة والقادسية (معجم البلدان ٤ : ٥٥).

ونسخت من كتابه: حدّثني أبو عمرو قال: شَرِبَ الأُقيشر في بيت خمّار بِالحِيرة، فجاءه الشُّرَطُ ليأخذوه، فتحرّزَ منهم وأغلق بابه وقال: لستُ أشرَبُ، فما سبيلُكم عَلَيَّ! قالوا: قد رأينا العُسَّ[1] في كَفِّك وأنت تشرَبُ. قال: إنَّما شَرِبتُ من لبن لِقْحةٍ لصاحب الدّار، فلم يبرَحوا حتى أخذوا منه درهمين. فقال: [الرمل]

إنَّـمَـا لِـقْـحَـتُـنَـا بَـاطِـيَـةٌ … فَـإذَا مَـا مُـزِجَـتْ كَـانَـتْ عَـجَـبْ
لَـبَـنٌ أَصْـفَـرُ صَـافٍ لَـوْنُـهُ … يَـنْـزِعُ الـبَـاسُـورَ مِـنْ عَـجْـبِ الـذَّنَـبْ
إنَّـمَـا نَـشْـرَبُ مِـنْ أَمْـوَالِـنـا … فَـسَـلُـوا الـشُّـرْطِـيَّ مـا هَـذَا الـغَـضَـبْ

أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنَزيّ عن محمد بن مُعاوية قال: دخل وَفْدُ بني أَسَدٍ على عبد الملك بن مَرْوانَ، فقال: مَنْ شاعرُكم يا بني أَسَد؟ قالوا: إنّ فينا لشعراءَ ما يرضَى قومُهم أنْ يفضِّلوا عليهم أحداً. قال لهم: فما فعَل الأُقَيْشِرُ؟ قالوا: مات. قال: لم يَمُتْ، ولكنه مشتغلٌ بِعِشْقه، وما أُبْعِدُ أن يكون شاعركم إلاّ أنه يُضِيعُ نفسه. أليس هو القائلَ: [السريع]

يـا أَيُّـهـا الـسَّـائِـلُ عَـمَّـا مَـضَـى … مِـنْ عِـلْـم هـذا الـزَّمـنِ الـذَّاهِـبِ
إنْ كُـنْـتَ تَـبْـغِـي الـعِـلْـمَ أَوْ أَهْـلَـهُ … أَوْ شَـاهِـداً يُـخْـبِـرُ عَـنْ غَـائِـبِ
فَـاعْـتَـبِـرِ الأَرْضَ بِـأَسْـمَـائِـهَـا … وَاعْـتَـبِـرِ الـصَّـاحِـبَ بِـالـصَّـاحِـبِ

وذكر عبدُ اللّه بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ جاراً للأُقَيْشِر طَحّاناً كان يُنْسِيءُ النَّاسَ[2] يُكْنَى أبا عائشة، فأتاه الأُقَيْشِر يسألُه فلم يُعْطِه، فقال له: [المتقارب]

يُـرِيـدُ الـنِّـسَـاء ويَـأْبَـى الـرِّجَـالَ … فَـمَـا لِـي ومَـا لأَبِـي عَـائِـشَـهْ
أَدَامَ لَـهُ الـلَّـهُ كَـدَّ الـرِّجَـالِ … وَأَثْـكَـلَـهُ ابْـنَـتَـهُ عَـائِـشَـهْ

فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئاً.

نسختُ من كتاب عُبَيْد اللّه بن محمد اليزيدي بخطّه: قال الهيثم بن عديّ: حَدَّثني عَطّاف بن عاصِم بن الحَدَثانِ قال: مَرَّ أعرابيٌّ من بني تميمٍ كان يهزَأُ بالأُقيشر، فقال له: [الطويل]

أَبَـا مُـعْـرِضٍ كُـنْ أَنْـتَ إنْ مُـتُّ دَافِـنِـي … إلـى جَـنْـبِ قَـبْـرٍ فِـيـهِ شِـلْـوُ الـمُـضَـلَّـلِ

---

(١) العسّ: القدح الكبير.
(٢) ينسيء الناس: يريد ينسيءُ الناس الدين: يقرضهم ويؤخّرهم بالسّداد.

فـعَـلِّـيَ أَنْ أَنْـجُـو مِـنَ الـنَّـارِ إِنَّـهَـا تُـضَـرَّمُ لِـلْـعَـبْـدِ الـلَّـئِـيـمِ الـمُـبَـخَّـلِ
بِـذَلِـكَ أَوْصَـاهـا الإِلَٰـهُ ولـم تَـزَلْ تُـحَـشُّ بِـأَوْصَـالٍ وتُـرْبٍ وجَـنْـدَلِ[١]
وَأَنْـتَ بِـحَـمْـدِ الـلَّـهِ إِنْ شِـئْـتَ مُـفْـلِـتِـي بِـحَـزْمِـكَ فَـاحْـزِمْ يَـا أُقَـيْـشِـرُ وَاعْـجَـلِ

فقال له: مِمَّنْ أنتَ؟ قال: من بني تميمٍ ثم أحدِ بني الهُجَيْمِ بن عمرو بن تميمٍ. فقال الأُقيشر: [الطويل]

تَـمِـيـمَ بـنَ مُـرٍّ كَـفْـكِـفُـوا عَـنْ تَـعَـمُّـدِي بِـذُلٍّ فَـإِنِّـي لَـسْـتُ بِـالـمُـتَـذَلِّـلِ
أَيَـهْـزَأُ بِـي الـعَـبْـدُ الـهُـجَـيْـمِـيُّ ضَـلَّـةً ومِـثْـلِـي رَمَـى ذَا الـتُّـدْرَإِ الـمُـتَـضَـلِّـلِ[٢]
بِـدَاهِـيَـةٍ دَهْـيَـاءَ لا يَـسْـتَـطِـيـعُـهـا شَـمَـارِيـخُ مِـنْ أَرْكَـانِ سَـلْـمَـى وَيَـذْبُـلِ[٣]
وَبِـالـلَّـهِ لَـوْلاَ أَنَّ حِـلْـمِـيَ زَاجِـرِي تَـرَكْـتُ تَـمِـيـمـاً ضُـحْـكَـةً كُـلَّ مَـحْـفِـلِ
فَـكُـفُّـوا رَمَـاكُـمْ ذُو الـجَـلاَلِ بِـخِـزْيَـةٍ تُـصَـبِّـحُـكُـمْ فـي كُـلِّ جَـمْـعٍ ومَـنْـزِلِ
فَـأَنْـتُـمْ لِـئَـامُ الـنَّـاسِ لا تُـنْـكِـرُونَـهُ وَأَلأَمُـكُـمْ طُـرًّا حُـرَيْـثُ بـنُ جَـنْـدَلِ

فصار إليه شيوخٌ من بني الهُجَيْمِ واعتذروا إليه واستكفّوه فكَفّ.

[ارتجاله للشعر في حلقات الشرب]

أخبرني الأخفش قال: حَدَّثني أبو الفيّاض بن أبي شُرَاعةَ عن أبيه قال: شرب الأُقيشرُ بالحِيرة في بيتٍ فيه خَيّاطٌ مُقْعَدٌ ورجلٌ أعمى، وعندهم مُغَنٍّ مُطْرِب، فطرِبَ الأُقيشرُ، فسقاهم من شربه، فلمّا انتشَوْا وثب الأعمَى يسعَى في حوائجهم، وقفَز الخيّاط المُقْعَدُ يرقُصُ على ظَلَعِه[٤]، فجهد في ذلك كلَّ جَهْدٍ. فقال الأقيشر:

[الطويل]

ومُـقْـعَـدِ قَـوْمٍ قَـدْ مَـشَـى مِـنْ شَـرَابِـنـا وأَعْـمَـى سَـقَـيْـنَـاهُ ثَـلاثـاً فَـأَبْـصَـرَا

(١) تُحَشُّ: تُوقَد. والأوصال: جمع الوُصْل: وهو كلّ عظم على حِدَة. والجندل: الحجارة.
(٢) ذو التدرأ: ذو الحفاظ والمنعة والقوة على أعدائه.
(٣) الشماريخ: جمع الشمراخ: رأس الجبل وقمّته. وسلمى: أحد جبلي طيّء (معجم البلدان ٣: ٢٣٨). ويذبل: جبل مشهور بنجد (معجم البلدان ٥: ٤٣٣).
(٤) الظَّلَع: العَرَج.

شَرَاباً كَرِيحِ العَنْبَرِ الوَرْدِ رِيحُهُ ... ومَسْحُوقِ هِنْدِيٍّ مِنَ المِسْكِ أَذْفَرَا[١]
مِنَ الفَتَيَاتِ الغُرِّ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ ... إذا شَقَّهَا الحَانِي مِنَ الدَّنِّ كَبَّرا[٢]
لهَا مِنْ زُجَاجِ الشَّامِ عُنْقٌ غَرِيبَةٌ ... تَأَنَّقَ فِيهَا صَانِعٌ وتَخَيَّرا
ذَخَائِرُ فِرْعَوْنَ الَّتِي جُبِيَتْ لَهُ ... وكُلٌّ يُسَمَّى بِالعَتِيقِ مُشَهَّرا
إذا مَا رَآهَا بَعْدَ إِنْقَاءِ غَسْلِهَا ... تَدُورُ عَلَيْنَا صَائِمُ القَوْمِ أَفْطَرا

أخبرنا عليّ بن سليمان قال: حدّثني سَوّار قال حدّثني أبي قال: كان الأُقيشر صاحبَ شرابٍ ونَدَامَى، فأشخص الحجّاجُ بعضَ نُدَمائه إلى بعض النواحي، وماتَ بعضهم، ونَسَكَ بعضهم، وهرَب بعضهم؛ فقال في ذلك: [الخفيف]

غُلِبَ الصَّبْرُ فَاعْتَرَتْنِي هُمُومٌ ... لِفِرَاقِ الثِّقَاتِ مِنْ إِخْوَانِي
مَاتَ هَذَا وغَابَ هَذَا وهذا ... دَائِبٌ فِي تِلاَوَةِ القُرْآنِ
وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ إِظْهَارِهِ النُّسْـ ... ـكَ قَدِيماً مِنْ أَظْرَفِ الفِتْيَانِ

وأخبرني أبو الحسن الأَسَديّ عن العَنَزِيّ قال: قال ابنُ الكلبيّ: حَدَّثني سَلَمةُ ابن عبد سُوَاع عن أبيه قال: كان الأُقيشرُ لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين في كِراء بغل إلى الحِيرةِ، ودرهمين لِلشّرَاب، ودرهماً للطعام. وكان له جارٌ يكنى أبا المَضَاء له بغلٌ يُكْرِيه، وكان يُعطيه درهمين ويأخذ بغلَه فيركبه إلى الحيرةِ، حَتّى يأتي بيت الخَمَّار فينزل عنده ويَرْبِطُه بِلِجامه وسَرْجه ـ فيقال إنه أعطى ثمنَه في الكِرَاء ـ ثم يجلسُ فيشرَب حتى يُمْسِي، ثم يركبه وينصرِف. فقال في ذلك:

[الكامل]

يَا بَغْلَ بَغْلَ أَبِي المَضَاءِ تَعَلَّمَنْ ... أَنِّي حَلَفْتُ ولِليَمِينِ نُذُورُ
لَتُعَسَّفَنَّ وإِنْ كَرِهْتَ مَهَامِهاً ... فِيمَا أُحِبُّ وكُلُّ ذاك يَسِيرُ
بِالرَّغْمِ يا وَلَدَ الحِمَارِ قَطَعْتَهَا ... عَمْداً وأَنْتَ مُذَلَّلٌ مَضْبُورُ
حَتَّى تَزورَ مُسَمِّعاً فِي دَارِهِ ... وتَرَى المُدَامَةَ بِالأَكُفِّ تَدُورُ
لا يَرْفَعُونَ بِمَا يَسُوؤكَ نَغْرَةً ... وإذا سَخِطَتْ فَخَطْبُ ذَاكَ صَغِيرُ

---

(١) الأذفر: ذو الرائحة الشديدة.
(٢) الحاني: بائع الخمر.

[شعره في أمّ حنين التي سرقت منه درهمين]

قال: فأتى يوماً من الأيّام بيت الخمّار الذي كان يأتيه فلم يُصادِفْه فجعل ينتظره، ودخلتِ الدّار امرأةٌ عِبَادية! فقال لها: ما فعل فلان؟ قالت: مضى في حاجةٍ وأنا امرأته، فما تُريد؟ قال: نبيذاً، قالت: بِكَمْ؟ قال: بدرهمين. قالت: هَلُمَّ دِرْهَمَيْك وانتظِرْني. قال: لا. قالت: فذلك إليكَ، ومضتْ وتَبِعَها، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته. فلمّا طال جلوسه خرج إليه بعضُ أهل الدار، قالوا: وما يُجْلِسكَ؟ فأخبرهم. فقالوا له: تلك امرأةٌ محتالة يقال لها أمّ حُنَيْنٍ من العبادِيّين. فعلم أنه قد خُدِعَ، فانصرف إلى خَمّاره فأخبره بالقصة وقال له: أَنْسِئْنِي اليوم فَاسْقِني ففعل. وأنشأ الأُقيشر يقول: [الخفيف]

لـم يُـغَـرَّرْ بِـذَاتِ خُـفٍّ سِـوَانَـا	بَـعْـدَ أُخْـتِ الـعِـبَـادِ أُمِّ حُـنَـيْـنِ
وَعَـدَتْـنَـا بِـدِرْهَـمَـيْـنِ نَـبِـيـذاً	أَوْ طِـلاءً مُـعَـجَّـلاً غَـيْـرَ دَيْـنِ
ثُـمَّ أَلْـوَتْ بِـالـدِّرْهَـمَـيْـنِ جَـمِـيـعاً	يَـا لَـقَـوْمِـي لِـضَـيْـعَـةِ الـدِّرْهَـمَـيْـنِ

وذكر هذا الخبرَ عبدُ اللّه بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشَّيبانيّ وزاد فيه أنّ الخمّار كان يسمَّى بِحُنَيْنٍ، وأنّ المرأة المحتالة قالت له: إنها أُمّ حُنَيْنٍ الخَمّار الذي كان يُعامله حتى أخذتِ الدرهمين ثم هربتْ منه، وذكر الأبياتَ الثلاثةَ التي تقدّمتْ، وبعدها: [الخفيف]

عَـاهَـدَتْ زَوْجَـهَـا وَقَـدْ قَـالَ إِنِّـي	سَـوْفَ أَغْـدُو لِـحَـاجَـتِـي وَلِـدَيْـنِـي
فَـدَعَـتْ كَـالـحِـصَـانِ أَبْـيَـضَ جَـلْـداً	وَافِـرَ الأَيْـرِ مُـرْسَـلَ الـخُـصْـيَـتَـيْـنِ
قَـالَ مـا أَجْـرُ ذا هُـدِيـتِ؟ فـقـالَـتْ	سَـوْفَ أُعْـطِـيـكَ أَجْـرَهُ مَـرَّتَـيْـنِ
فَـابْـدَأِ الآنَ بِـالـسِّـفَـاحِ فَـلَـمَّـا	سَـافَـحَـتْـهُ أَرْضَـتْـهُ بِـالأُخْـرَيَـيْـنِ
تَـلَّـهـا لِـلـجَـبِـيـنِ ثُـمَّ امْـتَـطَـاهَـا	عَـالِـمُ الأَيْـرِ أَفْـحَـجُ الـحَـالِـبَـيْـنِ (١)
بَـيْـنَـمَـا ذَاكَ مِـنْـهُـمَـا وهـي تَـخْـوِي	ظَـهْـرَهُ بِـالـبَـنَـانِ والـمِـعْـصَـمَـيْـنِ
جَـاءَهَـا زَوْجُـهـا وقـد شَـامَ فـيـهـا	ذا انْـتِـصَـابٍ مُـوَثَّـقَ الأَخْـدَعَـيْـنِ (٢)
فَـتَـأَسَّـى وقَـالَ وَيْـلٌ طَـوِيـلٌ	لِـحُـنَـيْـنٍ مِـنْ عَـارِ أُمِّ حُـنَـيْـنِ

قال: فجاء حُنَيْنٌ الخمّار فقال له: يا هذا ما أردتَ بهجائي وهجاء أُمّي!.

---

(١) تَلَّها: ألقاها على وجهها. وأفحج الحالبين: متباعد ما بينهما.

(٢) الأخدعان: عِرقان في جانبي العنق.

قال: أخذتْ منِّي درهمين ولم تُعْطِني شَراباً. قال: والله ما تعرِفُكَ أُمِّي ولا أخذَتْ منك شيئاً قطُّ، فانظُرْ إلى أُمِّي فإنْ كانت هي صاحبتَك غَرِمْتُ لك الدّرهمين. قال: لا والله ما أعرف غيرَ أُمِّ حنين، ما قالت لي إلاّ ذلك، ولا أهجو إلاّ أُمَّ حُنَيْنٍ وابنها، فإنْ كانت أُمَّك فإيّاها أعْني، وإن كانت أُمَّ حُنَيْنٍ أُخْرَى فإيّاها أعني. فقال: إذاً لا يفرِّقُ النّاسُ بينهما. قال: فما عَلَيَّ إذاً! أترَى دِرْهَمَيَّ يَضِيعانِ! فقال له: هَلُمَّ إذاً أَغْرِمْهما لكَ وأقِمْ ما تحتاج إليه، لا بَارَكَ الله لكَ! ففعل.

[هجاؤه لمن يعطيه القليل]

قال عبد اللّه: وحَدَّثني أبو عمرو قال: كان العُرْيان بن الهَيْثَم النَّخعيُّ صديقاً لِلأُقَيْشِرِ، فقال له: يا أُقيشر إنِّي أُريد أن أمتدَّ إلى الشأم فأكْتِبْني من مُلَحِكَ، فأكْتَبه. فخرج إلى الشأم فأصاب مالاً، فبعث إلى الأُقَيْشر بخمسين درهماً، ففعل وقال: هاتِ. قال المولى: على أن تهجوَه إذ وَضَعَ منكَ؟ قال: نعم، فأعطاه خمسين درهماً، وقال الأُقَيْشِرُ: [الكامل]

وسَألْتَنِي يَوْمَ الرَّحِيلِ قَصَائِداً ... فَمَلأْتُهُنَّ قَصَائِداً وَكِتَابَا
إنِّي صَدَقْتُكَ إذ وَجَدْتُكَ صَادِقاً ... وَكَذَبْتَنِي فَوَجَدْتَنِي كَذَّابَا
وَفَتَحْتُ بَاباً لِلْخِيَانَةِ عَامِداً ... لَمَّا فَتَحْتَ مِنَ الخِيَانَةِ بَابَا

وكان أبو العُرْيان على الشُّرْطةِ، فخافه الأُقَيْشِرُ من هجاء ابنه. وبلَغ الهيثَم هذه الأبياتُ فبعث إليه بخمسمائةِ درهم وسأله الكَفَّ عن ابنه وألاّ يُشَهِّره، فأخذها وفعل.

قال أبو عمرو: وخطَبَ رجلٌ من حَضْرَمَوْتَ امرأةً من بني أَسَدٍ، فأقبل يسأل عنها وعن حَسَبِها وأُمَّهاتها، حتى جاء الأُقَيْشِرَ فسأله عنها. فقال له: مِنْ أيْنَ أنت؟ قال: من حَضْرَمَوْتَ. فأنشأ يقول: [الرمل]

حَضْرَمَوْتُ فَتَّشَتْ أَحْسَابَنَا ... وَإلَيْنَا حَضْرَمَوْتُ تَنْتَسِبْ
إخْوَةُ القِرْدِ وهُمْ أَعْمَامُهُ ... بَرِئَتْ مِنْكُمْ إلى اللّهِ العَرَبْ

أخبرني الحسن بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ قال: قال أبو طالب الشّاعر: حدّثني رجلٌ من بني أسَدٍ قال: سَمِعْتُ عَمَّةَ الأُقَيْشِرِ تقول له يوماً: اِتّقِ اللّهَ وقُمْ فَصَلِّ، فقال: لا أُصَلِّي. فأكثرتْ عليه، فقال: قد أَبْرَمْتِني، فاختاري خَصْلَةً من

خَصْلَتَيْنِ: إمّا أنْ أُصَلِّي ولا أتطهّر، وإمّا أن أتطهَّر ولا أُصلِّي. قالت: قَبحكَ اللّهُ! فإن لم يكن غيرُ هذا فَصلِّ بلا وضوء.

[كان يحتال على رجال الشرطة فيتخلص منهم]

قال أبو أيُّوب: وحُدِّثْتُ أنّه شرِبَ يوماً في بيت خَمَّار بالحِيرة، فجاء شُرَطيٌّ من شُرَطِ الأمير ليدخل عليه، فغلّق الباب دونه. فناداه الشُّرَطِيّ ٱسْقِني نبيذاً وأنتَ آمِنٌ. فقال: والله ما آمَنُكَ، ولكن هذا ثَقْبٌ في الباب فاجلِسْ عنده وأنا أسقيكَ منه، ثم وضَعَ له أنبوباً من قَصَبٍ في الثَّقْبِ وصَبَّ فيه نبيذاً من داخل والشرطيّ يشرَب من خارج الباب حتّى سكِرَ. فقال الأُقيشر: [الرمل]

سَأَلَ الشُّرْطِيُّ أَنْ نَسْقِيَهُ ... فَسَقَيْنَاهُ بِأُنبوبِ القَصَبْ
إِنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أَمْوَالِنَا ... فَسَلُوا الشُّرْطِيَّ ما هذا الغَضَبْ

أخبرني عَمِّي عن الكُرَانيّ عن قَعْنَبِ بن المُحْرِزِ، وحَدَّثنا محمد بن خَلَف عن أبي أيّوب المدينيّ عن قَعْنَبِ بن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال: كان قَيْسُ بن محمد بن الأشْعَث ضريرَ البصر، فأتاه الأُقَيْشِر فسأله، فأمَر قَهْرَمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم، فقال: لا أُريدها جملةً، ولكن مُرِ القَهْرمانَ أن يُعْطِيني في كلِّ يوم ثلاثةَ دراهمَ حتى تَنْفَدَ. فكان يأخذها منه، فيجعل درهماً لطعامه، ودرهماً لشرابه، ودرهماً لدابّة تحمله إلى بيوت الخمّارين. فلمّا نفِدَتِ الدراهم أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه وفعل مثلَ ذلك، وأتاه الثالثةَ فأعطاه وفعل مثلَ ذلك، وأتاه الرابعةَ فسأله. فقال له قَيْسٌ: لا أبَا لَكَ! كأنّك قد جعلتَ هذا خَرَاجاً علينا. فانصرَف وهو يقول: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ قَيْسَ الأَكْمَهَ ابنَ مُحَمَّدٍ ... يقولُ ولا تَلْقَاهُ لِلخَيْرِ يَفْعَلُ
رَأَيْتُكَ أَعْمَى العَيْنِ والقَلْبِ مُمْسِكاً ... وما خَيْرُ أَعْمَى العَيْنِ والقَلْبِ يَبْخَلُ
فلو صَمَّ تَمَّتْ لَعْنَةُ اللَّهِ كُلُّها ... عَلَيْهِ وما فِيهِ مِنَ الشَّرِّ أَفْضَلُ

فقال قيس: لو نجا أحدٌ من الأُقَيْشِر لَنَجوتُ منه.

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ عن العَنزيِّ عن محمد بن مُعَاوية قال: اختصمَ قومٌ بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، فقالوا: نجعَلُ بيننا أوّلَ مَنْ يَطْلُع علينا، فطلَع الأقيشر عليهم وهو سكرانُ. فقال بعضهم لبعض: انظروا مَنْ حَكَمُنا.

فقالوا: يا أبا مُعرِضٍ قد حَكَّمْنَاكَ. قال: فيماذا؟ فأخبروه. فمكثَ ساعةً ثم أنشأ يقول: [الوافر]

إذا صَلَّيْتُ خَمْساً كُلَّ يَوْم ... فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِي فُسُوقِي
ولَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّ النَّاسِ شَيئاً ... فَقَدْ أَمْسَكْتُ بِالحَبْلِ الوَثِيقِ
وهذا الحَقُّ لَيسَ بِهِ خَفَاءٌ ... ودَعْنِي مِنْ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ[1]

قال محمد بن معاوية: وتزوّج الأقيشر ابنةَ عَمٍّ له يقال لها الرَّبابُ، على أربعة آلاف درهم، ويقال على عشرة آلاف درهم، فأتى قومَه فسألهم فلم يُعْطوه شيئاً؛ فأتى ابنَ رأسِ البَغْلِ وهو دُهْقانُ[2] الصِّين وكان مجوسيًّا، فسأله فأعطاه الصَّدَاقَ، فقال الأُقيشر: [المتقارب]

كَفَانِي المَجُوسِيُّ مَهْرَ الرَّبَابِ ... فِدَى لِلمَجُوسِيِّ خَالِي وعَمْ
شَهِدْتُ بِأَنَّكَ رَطْبُ المُشَاشِ ... وَأَنَّ أَبَاكَ الجَوَادُ الخِضَمْ[3]
وأَنَّكَ سَيِّدُ أَهْلِ الجَحِيمِ ... إذا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمْ
تُجَاوِرُ قَارُونَ فِي قَعْرِهَا ... وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنَى بِالحَكَمْ

فقال له المجوسيّ: وَيْحَكَ! سألتَ قومَكَ فلم يُعطوك وجئتني فأعطيتُك، فجزَيتني هذا القولَ ولم أُفْلِتْ من شِعْرِك وشَرِّكَ! قال: أَوَما ترضَى أنْ جعلتك مع الملوك وفوق أبي جَهْلٍ!. ثم جاء إلى عِكْرمةَ بن رِبْعِيٍّ التميميّ فلم يُعْطِهِ، فقال فيه: [المتقارب]

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ مَنْ شَرُّهَا ... أَباً ثُمَّ أُمًّا فَقَالُوا لِمَهْ
فَقُلْتُ لأَعْلَمَ مَنْ شَرُّكُمْ ... وأَجْعَلَ بِالسَّبِّ فِيهِ سِمَهْ
فَقَالُوا لِعِكْرِمةَ المُخْزِيَاتُ ... ومَاذا يَرَى النَّاسُ فِي عِكْرِمَهْ
فَإِنْ يَكُ عَبْداً زَكَا مَالُهُ ... فَمَا غَيْرُ ذا فيه من مَكْرُمَهْ

(١) بنيّات الطريق: الطرق الصغيرة المتشعّبة من الطريق الأصلي. ويضرب بها المثل (دع عنكَ بنيّات الطريق) أي عليكَ بمعظم الأمر واترك الرَّوغان.
(٢) الدِّهقان: الرئيس.
(٣) رطب المُشاش: طيّب النفس كريمها.

[يعطي ثيابه مقابل الخمر]

قال ابن الكلبيّ: وشرِبَ الأُقيشرُ في حانةِ خَمَّار حتى أنفَد ما معه، ثم شرِب بثيابِه حتى غَلِقتْ[1] فلم يَبْقَ عليه شيءٌ، وجلس في تِبْنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقِه مستدفئاً به. فمرَّ رجلٌ به يَنْشُد ضَالَّةً، فقال: اللَّهمَّ ارْدُدْ عليه واحْفَظْ علينا. فقال له الخمّار: سَخِنَتْ عينُكَ! أيّ شيء يحفَظ عليك ربّك؟ قال: هذا التِّبن لا تأخذُه فأموتُ من البَرْدِ. فضحِكَ الخمّار وردّ عليه ثيابَه وقال: اذْهَبْ فاطلُبْ ما تشرَب به، ولا تجئني بثيابك فإنّي لا أشتريها بعد ذلك.

قال ابن الكلبيّ: واجتاز الأُقَيْشِرُ برجلٍ يقال له هِشَامٌ وكان على شُرْطَةِ عمرو بن حُرَيْثٍ وهو سكرانٌ. فدعا به فقال له: أنت سكران؟ قال: لا. قال: فما هذه الرائحة؟ قال: أكلتُ سَفَرْجَلاً، ثم قال: [الطويل]

يقولون لي إنّكَ شَرِبْتَ مُدَامَةً ... فَقُلْتُ كَذَبْتُمْ بَلْ أَكَلْتُ سفرجلا

فضحِكَ منه ثم قال: فإنْ لم تكنْ سكرانَ فأخبرْني كم تُصَلِّي في كلِّ يوم. فقال: [الوافر]

يُسَائِلُنِي هِشَامٌ عَنْ صَلاَتِي ... صَلاَةِ المُسْلِمِينَ فَقُلْتُ خَمْسُ
صَلاَةُ العَصْرِ والأُولَى ثَمَانٍ ... مُوَاتَرَةٌ فَمَا فِيهِنَّ لَبْسُ
وعِنْدَ مَغِيبِ قَرْنِ الشَّمْسِ وِتْرٌ ... وشَفْعٌ بَعْدَهَا فِيهِنَّ حَبْسُ
وَغُدْوَةَ اثْنَتَانِ مَعاً جَمِيعاً ... وَلَمَّا تَبْدُ لِلرَّائِينَ شَمْسُ
وبَعْدَهُمَا لِوَقْتِهِمَا صَلاَةٌ ... لِنُسْكٍ بِالضَّحَاءِ إذا نَبُسُّ[2]
أأَحْصَيْتُ الصَّلاةَ أَيَا هِشَاماً ... فَذَاكَ مُكَدَّرُ الأَخْلاَقِ جِبْسُ[3]
تَعَوَّدَ أَنْ يُلاَمَ فَلَيْسَ يَوْماً ... بِحَامِدِهِ مِنَ الأَقْوَامِ إِنْسُ

قال: فضحِكَ هشام وقال: بلى قد أخبرتَنا يا أبا مُعْرِض، فانْصرِفْ راشداً.

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أبي عُبيدة قال: قَدِمَ رجلٌ من بني سَلُول على قُتيبة بن مُسْلمٍ بكتاب عامله على الرّيّ وهو المُعَلَّى بن عمرو

(١) غلقت: صارت مُلكاً للمرتهن.
(٢) نَبُسُّ: نقوم بشؤوننا وحياتنا.
(٣) الجِبْس: الثقيل الروح والجبان واللئيم.

المُحَارِبيّ، فرآه على الباب قُدَامةُ بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ المخزوميّ وكان صديقاً لِقُتَيْبة، فدخل عليه فقال له: ببابِكَ ألأَمُ العرب، سَلُولِيٌّ رسولُ مُحَارِبيٍّ إلى باهليٍّ. فتبسَّمَ قتيبةُ تبسُّماً فيه غيظٌ. وكان قُدَامةُ بن جَعْدَةَ يُتَّهَمُ بشرب الخمر، وكان الأُقيشر يُنادمه، فقال قُتيبة: ادعوا لي مِرْدَاسَ بن جُذَامٍ الأَسَدِيّ فدُعِيَ. فقال له: أنشِدْنِي ما قال الأقيشر في قُدامةَ بن جعدةَ وهو بالحِيرةِ. فأنشده قوله: [الرمل]

رُبَّ نَـدْمَـانٍ كَـرِيـمٍ مَـاجِـدٍ سَيِّدِ الجَدَّيْنِ مِنْ فَرْعَيْ مُضَرْ
قد سَقَيْتُ الكَأْسَ حَتَّى هَرَّهَا لم يُخَالِطْ صَفْوَهَا مِنْهُ كَدَرْ[1]
قُلْتُ قُمْ صَلِّ فَصَلَّى قَاعِداً تَتَغَشَّاهُ سَمَادِيرُ السَّكَرْ[2]
قَرَنَ الظُّهْرَ مَعَ العَصْرِ كما تُقْرَنُ الحِقَّةُ بِالحِقِّ الذَّكَرْ[3]
تَرَكَ الفَجْرَ فَمَا يَقْرَؤُهَا وقَرَا الكَوْثَرَ مِنْ بَيْنِ السُّوَرْ

قال: فتغيّرَ لونُ وجهِ القُرَشيّ وخجِلَ. فقال له قتيبةُ: هذه بتلك، والبادىء أظلم.

أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحَرُونِ قال: حَدَّثنا الكسرويّ عن الأصمعيّ قال: قال عبد الملك للأُقيشر: أَنْشِدْني أبياتَك في الخمر. فأنشده قولَه:

[الطويل]

تُرِيكَ القَذَى مِنْ دُونِها وهي دُونَهُ لِوَجْهِ أَخِيهَا في الإِنَاءِ قُطُوبُ
كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ وفي الكَأْسِ وَرْدَةٌ لَهَا في عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبُ

فقال له: أحسنتَ يا أبا مُعْرِضٍ! ولقد أجدتَ وصفَها، وأظنّك قد شَرِبتها. فقال: والله يا أمير المؤمنين إنه لَيَرِيبُنِي منك مَعْرفتُك بهذا.

أخبرني الحسن بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن ابن الكلبيّ عن رجلٍ من الأَزْد قال: كان الأُقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيُعْطونه، فأتى رجلاً منهم فأَمَرَ له بخمسمائة درهم، فأخذها وتوجّه إلى الحانةِ ودفعها إلى صاحبها وقال له: أَقِمْ لي ما أحتاج إليه ففعل ذلك، وانضمَّ إليه رُفَقاء له، فلم يَزَلْ معهم حتى نَفِدَتِ الدَّراهم، فأتاهم بعد إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فاحتملوه، فلمّا أتاهم في اليوم

(١) هَرّها: كرهها.
(٢) السّمادير: جمع السّمدور: شيء يتراءى للسكران من أثر السُّكْر.
(٣) الحِقَّة: الناقة التي دخلت في سنتها الرابعة وأمكن الركوب عليها.

الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب الحانة: أَصْعِدْنا إلى غُرْفتك هذه وأَعْلِم الأُقيشر أنّا لم نأتِ اليومَ. فلمّا جاء الأُقيشر أعلمه ما قالوه له، فعلِمَ الأُقيشر أنه لاَ فَرَجَ له عند صاحب الحانة إلاّ برَهْنٍ، فطرَح إليه ثيابَه وقال له: أَقِمْ لي ما أحتاج إليه ففعل، فلمّا أخذ فيه الشّرابُ أنشأ يقول: [الخفيف]

يا خَلِيلَيّ اسْقِيَانِيَ كَأْسا ... ثُمّ كَأْساً حَتّى أَخِرَّ نُعَاسَا
إنَّ في الغُرْفَةِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِي ... لأُنَاساً يُخَادِعُونَ أُنَاسَا
يَشْرَبُونَ المُعَتَّقَ الرَّاحَ صِرْفاً ... ثمّ لا يَرْفَعُونَ بِالزَّوْرِ رَاسَا

فلمَّا سمع أصحابُه هذا الشعر فَدَّوْه بِآبائهم وأُمَّهاتهم ثم قالوا له: إمّا أن تصعدَ إلينا أو ننزلَ إليك، فصعِدَ إليهم.

أخبرني الحسن بن عليٍّ عن ابن مَهْرويه قال: حَدَّثني أبو مُسلِم المُسْتَمْلي عن المدائني قال: مدحَ الأُقيشر بِشْرَ بن مَرْوانَ ودخل إليه فأنشده القصيدةَ وعنده أيْمَنُ بن خُرَيْم بن فاتكٍ الأسديُّ، فقال أيْمَنُ: هذا والله كلامٌ حَسَنٌ من جَوْفٍ خَرِبٍ، فأجابه بالبيت المذكور. وقال أبو عمرو أيضاً في خبره: فلمّا صار الأُقيشر إلى منزله بعث عمُّه فأخذ منه الألفَ الدِّرْهمِ وقال: والله لا أُخَلِّيكَ تُفسِدُها وتشرَب بها الخمر. قال: فتصنَع بها ماذا؟ قال: أكسوك وأكسو عِيالَك وأُعِدُّ لكَ قوتَ عامِكَ. فتركه ودخل على بشر فقال له: [الطويل]

أَبْلِغْ أَبَا مَرْوَانَ أَنَّ عَطَاءَهُ ... أَزَاغَ بِهِ مَنْ لَيْسَ لِي بِعِيَالِ

قال: ومَنْ ذلك؟ فأخبره الخبر. فأمر صاحبَ شُرْطته أن يُحْضِرَ عَمَّه وينتزعَ منه الألفَ الدرهمِ ويسلِّمها إليه، وقال: خُذْها ونحن نقوم لعيالك بما يُصلحهم.

أخبرني هاشم بن محمد عن أبي غَسَّان دَمَاذ عن أبي عُبَيْدة قال: مَرَّ الأُقيشر بخَمّارة بالحِيرة يقال لها دَوْمةُ، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً، ثم قال لها جَوِّدي لي الشَّرَابَ حتى أُجِيدَ لكِ المَدْحَ ففعلتْ. فأنشأ يقول: [الوافر]

أَلاَ يَا دَوْمَ دَامَ لَكِ النَّعِيمُ ... وَأَسْمَرُ مِلْءُ كَفِّكِ مُسْتَقِيمُ
شَدِيدُ الأَسْرِ يَنْبِضُ حَالِبَاهُ ... يُحَمُّ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمُ[1]
يُرَوِّيهِ الشَّرَابُ فَيَزْدَهِيهِ ... وَيَنْفُخُ فيه شَيْطَانٌ رَجِيمُ

(١) الأسر: شدّة الخلق.

قال: فسُرَّتْ به الخمّارةُ وقالت: ما قِيل فيَّ أحسنُ من هذا ولا أسَرُّ لي منه.

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال: كان فاتكُ بن فَضَالةَ بن شَرِيكٍ الأسَدِيُّ كريماً على بني أُمَيّةَ، وهو الوافدُ على عبد الملك بن مَرْوانَ قبل أن يَنْهَضَ إلى حرب ابن الزُّبَيْرِ، فضَمِن له على أهل العراق طاعتَهم وتسليمَ بلادِهم إليه، وأن يُسْلِموا مُصْعَباً إذا لقيه ويتفرَّقوا عنه. وله يقول الأُقَيْشِرُ في هذه الوِفادة: [الكامل]

يا فَاتِكُ بنَ فَضَالةَ بنِ شريكِ ... وَفَدَ الوفودُ فكُنتَ أَفْضَلَ وَافِدِ

أخبرني عليّ بن سُلَيمان الأخْفَش عن السُّكَّري قال: حَدَّثني ابنُ حبيبَ قال: وَلِيَ الكوفةَ رجلٌ من بني تميم يقال له مَطَرٌ؛ فلمّا علاَ المِنْبَرَ انكسرت الدَّرَجةُ من تحته فسقَط عنها؛ فقال الأُقَيْشِرُ: [الكامل]

أَبَنِي تَمِيم مَا لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ ... مَا يستقِرُّ قَرَارُهُ يَتَمَرْمَرُ[1]

إنَّ المَنَابِرَ أَنكَرَتْ أَشْبَاهَكُمْ ... فَادْعُوا خُزَيْمَةَ يَسْتَقِرَّ المِنْبَرُ

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال: مَرَّ رجلٌ من مُحَارِبٍ يقال له قُرَيْظةُ بن يَقَظَةَ بِالأُقَيْشِر الأسَديِّ وهو في مجلسٍ من مجالس بني أَسَدٍ، فسلَّمَ على الأُقَيْشِر وكان به عارفاً، فقال له القومُ: مَنْ هذا يا أبا مُعْرِض؟ وكان مخموراً، فقال: [الطويل]

ومَنْ لي بِأَنْ أَسْطِيعَ أَنْ أَذْكُرَ اسْمَهُ ... وأَعْيا عِقَالاً أَنْ يُطِيقَ لَهُ ذِكْرَا

قال: فضحِكَ القومُ وقالوا: سبحانَ الله! أيُّ شيء تقول؟ فقال: اسمُه ونَسَبُه أعظمُ من أن أقدِرَ على ذِكرهما في يوم، فإنْ شِئْتُمْ سَمّيته اليومَ ونسبتُه غداً، وإنْ شئتُمْ نسبتُه اليومَ وسَمَّيته غداً. قالوا: هَاتِ اسمَه اليومَ. فقال: قُرَيْظَةُ. فقال رجل منهم: ينبغي أن يكونَ ابنَ يَقَظةَ، فقال الأُقَيْشِر: صدقتَ والله وأصبتَ، ولقد أثقلني اسمُه حين ذكرتَه أن أقولَ نَعَمْ. فبلغ قريظةَ قولُه وكان شاعراً فقال: [الطويل]

لِسَانُكَ مِنْ سُكْرٍ ثَقِيلٌ عَنِ التُّقَى ... ولَكِنَّهُ بِالمُخْزِيَاتِ طَلِيقُ

وأَنْتَ حَقِيقٌ يَا أُقَيْشِرُ أَنْ تُرَى ... كَذَاكَ إذا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُفِيقِ

تَسَفُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ صِرْفاً تَخَالُهَا ... جَنَى النَّحْلِ يُهْدِيهِ إليكَ صَدِيقُ

---

(١) يتمرمر: يهتزّ ويضطرب.

فبلغ الأُقَيْشِرَ قولُ المُحَاربيّ وكان يُكْنَى أبا الذيَّال، فأجابه فقال: [الطويل]

عَدِمْتَ أَبَا الذيَّالِ مِنْ ذِي نَوَالَةٍ ... لَه فِي بُيوتِ العَاهِرَاتِ طَرِيقُ
أَبِالخَمْرِ عَيَّرْتَ امْرَأً لَيس مُقْلِعاً ... وذلِكَ رَأْيٌ لَوْ عَلِمْتَ وَثِيقُ
سَأَشْرَبُهَا مَا دُمْتُ حَيًّا وإِنْ أَمُتْ ... فَفِي النَّفْسِ مِنْهَا زَفْرَةٌ وشَهِيقُ

[توبته وشعره في ذلك]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّةَ قال: بلغني أنّ الرشيدَ سمع ليلةً رجلاً يُغَنِّي: [البسيط]

إِنْ كَانَتِ الخَمْرُ قد عَزَّتْ وقد مُنِعَتْ ... وحَالَ مِنْ دُونِهَا الإِسْلَامُ والحَرَجُ
فَقَدْ أُبَاكِرُهَا صِرْفاً وأَشْرَبُهَا ... أَشْفِي بِهَا غُلَّتِي صِرْفاً وأَمْتَزِجُ
وقد تَقُومُ عَلَى رَأْسِي مُغَنِّيَةٌ ... لهَا إِذَا رَجَّعَتْ فِي صَوْتِهَا غُنُجُ
وتَرْفَعُ الصَّوْتَ أَحْيَاناً وتَخْفِضُهُ ... كَمَا يَطِنُّ ذُبَابُ الرَّوْضَةِ الهَزِجُ

قال: فوجَّهَ في أثرِ الصّوت مَنْ جاءه بالرجل وهو يُرْعَدُ، فقال: لا تُرَعْ فإنَّما أعجبني حُسْنُ صوتِكَ. فقال: والله يا أميرَ المؤمنين ما تغنَّيت بهذا الشعر إلاّ وأنا قد تُبْتُ من شرب النَّبيذ، وهذا شعرٌ يقوله الأقَيْشِرُ في تَوْبته من النَّبيذ. فقال له الرشيدُ: وما حَمَلَكَ على تركه؟ قال: خَشْيَةُ الله، وإنِّي فيه يا أميرَ المؤمنين كما قال زيدُ بن ظَبْيان: [البسيط]

جَاءُوا بِقَاقُزَّةٍ صَفْرَاءَ مُتْرَعَةٍ ... هل بَيْنَ ذِي كَبْرَةٍ والخَمْرِ مِنْ نَسَبِ[1]
بِئْسَ الشَّرَابُ شَرَاباً حِينَ تَشْرَبُهُ ... يُوهِي العِظَامَ وَطَوْراً مُفْتِرُ العَصَبِ
إِنِّي أَخَافُ مَلِيكِي أَنْ يُعَذِّبَنِي ... وفِي العَشِيرَةِ أَنْ يُزْرِي عَلَى حَسَبِي

فقال له الرّشيد: أنتَ وما اخترتَ أعلَمُ، فأعِدِ الصوتَ، فأعادَه. وأمر بإحضار المغنِّين واستعادَه، وأمرَهم بأخذِه عنه فأخذوه، ووصَله وانصَرف، وكان صوتَ الرّشيدِ أيّاماً. هكذا ذكر إسماعيل بن يُونس عن عُمر بن شَبَّةَ في هذا الخبر أنّ الأبيات للأُقيشر، ووجدتُها في شعر أبي مِحْجَنٍ الثَّقَفيّ له لمّا تاب من الشَّراب.

أخبرني عليُّ بن سليمان قال: حَدَّثنا أبو سَعِيدٍ عن محمد بن حَبِيب قال: كان القُبَاعُ، وهو الحارثُ بن عبد الله بن أبي رَبِيعةَ، قد أخرج الأُقَيْشِرَ مع قومه

(١) القاقُزّة: قدح كالقارورة الصغيرة.

لقتال أهل الشّأم، ولم يكن عند الأُقيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ، فلمّا عبَر جِسْرَ سُورَا[١] فوصل لقريةٍ يُقال لها قنّين تَوَارَى عند خَمّارٍ نَبَطيٍّ يُبْرِز زوجتَه للفُجور، فباع حِمَارَه وجعل يُنفقه هناك ويشرَب بثَمنه ويفجُرُ إلى أنْ قفَلَ الجيشُ، وقال في ذلك : [الطويل]

خَرَجْتُ مِنَ المِصْرِ الحَوَارِيِّ أَهْلُهُ ... بِلاَ نَدْبَةٍ فيها احْتِسَابٌ ولا جُعْلِ[٢]

إلى جَيْشِ أَهْلِ الشَّأْمِ أُغزِيتُ كَارِهاً ... سَفَاهاً بِلا سَيْفٍ حَدِيدٍ ولا نَبْلِ

ولَكِنْ بِتُرْسٍ لَيسَ فيه جِمَالَةٌ ... ورُمْحٍ ضَعِيفِ الزُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ[٣]

حَبَانِي بِه ظُلْمُ القُبَاعِ ولم أَجِدْ ... سِوَى أَمْرِه والسَّيْرِ شيئاً مِنَ الفِعْلِ

فَأَزْمَعْتُ أَمْرِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ غَازِياً ... وَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الغُزَاةِ على أَهْلِي

وقُلْتُ لَعَلِّي أَنْ أَرَى ثَمَّ رَاكِباً ... على فَرَسٍ أو ذَا مَتَاعٍ على بَغْلِ

جَوَادِي حِمَارٌ كانَ حِيناً لِظَهْرِهِ ... إكَافٌ وإشْنَاقُ المَزَادَةِ والحَبْلِ[٤]

وقَدْ خَانَ عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ وخَانَهُ ... قَوَائِمُ سَوْءٍ حِينَ يُزْجَرُ في الوَحْلِ

إذا ما انْتَحَى في المَاءِ والوَحْلِ لم تَرِمْ ... قَوَائِمُهُ حَتَّى يُؤَخَّرَ بِالحِمْلِ

أُنَادِي الرِّفَاقَ بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمُ ... رُوَيْدَكُمُ حَتَّى أَجُوزَ إلى السَّهْلِ

فَسِرْنَا إلى قِنِّينَ يَوْماً ولَيْلَةً ... كَأَنَّا بَغَايَا ما يَسِرْنَ إلى بَعْلِ

إذا ما نَزَلْنَا لم نَجِدْ ظِلَّ سَاحَةٍ ... سِوَى يَابِسِ الأَنْهَارِ أَوْ سَعَفِ النَّخْلِ

مَرَرْنَا على سُورَاءَ نَسْمَعُ جِسْرَها ... يَئِطُّ نَقِيضاً عن سَفَائِنِهِ الفَضْلِ[٥]

فَلَمَّا بَدَا جِسْرُ السَّرَاةِ وأَعْرَضَتْ ... لنا سُوقُ فُرَّاغِ الحَدِيثِ إلى شُغْلِ

نَزَلْنَا إلى ظِلٍّ ظَلِيلٍ وبَاءَةٍ ... حَلاَلٍ بِرَغْمِ القَلْطَمانِ وما نَفْلِ[٦]

يُشَارِطُهُ مَنْ شَاءَ كَانَ بِدِرْهَمٍ ... عَرُوساً بِمَا بَيْنَ السَّبِيئَةِ والنَّسْلِ[٧]

فَأَتْبَعْتُ رُمْحَ السَّوْءِ سمية نصلهُ ... وبِعْتُ حِمَارِي واسْتَرَحْتُ مِنَ الثِّقْلِ

---

(١) سورا: موضع إلى جنب بغداد أو هي بغداد نفسها (معجم البلدان ٣:٢٧٨).

(٢) الحواريّ: الصديق أهله.

(٣) الزُّجّ: الحديدة التي في أسفل الرمح ويقابله السنان.

(٤) الإكاف: البردعة. وإشناق المزادة: ربطها.

(٥) يئطّ: يصوّت. والنقيض: الصوت.

(٦) الباءة: النكاح. والقلطمان: القوّاد الذي لا غيرة له على أهله.

(٧) السبيئة: الخمر.

تـقـولُ ظَـبَـايَـا قـل قـلـيـلاً ألا لـيـا فقلتُ لها إصوي فإنّي على رِسْلِ[١]
مَـهَـرْتُ لـهـا جـرديـقـةً فـتَـرَكْـتُـهـا بمرها كَطَرْفِ العَيْنِ شَائِلَةَ الرِّجْلِ[٢]

ومما يُغَنَّى فيه من شِعْر الأُقَيْشِر:

صوت

[البسيط]

لاَ أَشْـرَبَـنْ أَبَـداً رَاحـاً مُـسَـارَقَـةً إلاَّ مَـعَ الـغُـرِّ أَبْـنَـاءِ الـبَـطَـارِيـقِ[٣]
أَفْنَى تِلاَدِي وما جَـمَّـعْـتُ مِنْ نَـشَـبٍ قَـرْعُ الـقَـوَاقِـيـزِ أَفْـوَاهُ الأَبَـارِيـقِ[٤]

الغناء لِحُنَيْنٍ هزجٌ بالبنصر عن عمرو، وفيه لعمر الواديّ رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ، وفيه ثقيلٌ أوّل يُنْسَب إلى حُنَيْنٍ وعُمَر وَحَكَمٍ جميعاً، وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأُقَيشر طويلةٍ، أوّلُها:

إنِّـي يُـذَكِّـرُنِـي هِـنْـداً وجَـارَتَـهـا بِالطَّفِّ صَوْتُ حَمَامَاتٍ على نِيقِ[٥]

صوت

[الوافر]

دَعَـانِـي دَعْـوَةً والـخَـيْـلُ تَـرْدِي فَـلاَ أَدْرِي أَبِـاسْـمِـي أَمْ كَـنَـانِـي
وَكَـانَ إجَـابَـتِـي إِيَّـاهُ أَنِّـي عَـطَـفْـتُ عـلـيـه خَـوَّارَ الـعِـنَـانِ

الشّعر لابن الغَرِيزةِ النَّهْشَليّ، والغناء ليحيى المكيّ رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ، وقد جعل المُغنُّون معه هذا البيتَ ولم أجِدْه في قصيدته، ولا أدري أهُوَ له أم لِغيره:

[الوافر]

أَلاَ يَـا مَـن لِـذَا الـبَـرْقِ الـيَـمَـانِـي يَـلُـوحُ كَـأَنَّـهُ مِـصْـبَـاحُ بَـانِ

---

(١) الرِّسْل: التؤدة.
(٢) الجردقة: الرغيف.
(٣) الغُرُّ: السادة الأشراف الكرام. والبطاريق: جمع البطريق: وهو القائد أو الحاذق في الحرب أو رئيس الأساقفة.
(٤) التّلاد: المال الموروث. والقواقيز: القوارير الصغيرة.
(٥) الطَّفّ: موضع بناحية الكوفة (معجم البلدان ٤: ٣٦). والنيق: أرفع موضع بالجبل.

أخبار ابن الغَرِيزَةِ ونسبه

كَثِيرُ بن الغَريزة التميميُّ أحدُ بني نَهْشَلٍ، والغَرِيزَةُ أُمّه، وهو مُخَضْرَمٌ، أدركَ الجاهليّة والإسلام، وقال الشعرَ فيهما. وهذا الشعر يقوله ابنُ الغَرِيزة في غَزاةٍ غَزَاها الأَقْرَعُ بن حَابسٍ وأخوه بِالطَّالَقانِ وجُوزَجَانَ[1] وتلك البلادِ، فأُصِيبَ مِنْ أصحابِه قومٌ بالطَّالَقانِ فرثاهم ابنُ الغَريزة.

[قصيدته في يوم الطالقان]

أخبرني الصُّوليّ عن الحَزَنْبَلِ عن ابن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه قال: بعَثَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب الأَقْرَعَ بنَ حَابسٍ وأخاه على جيشٍ إلى الطَّالَقَان وجُوزَجَانَ وتلك البلادِ، فأُصيبَ من أصحابه قومٌ بالطَّالقَان، فقال ابن الغَرِيزة النَّهْشليّ وقد شَهِدَ تلك الوَقْعةَ يَرْثِيهم ويذكر ذلك اليوم: [الوافر]

سَقَى مُزْنُ السَّحَابِ إذا اسْتَهَلَّتْ ... مَصَارِعَ فِتْيَةٍ بِالجُوزَجَانِ
إلى القَصْرَيْنِ مِنْ رُسْتَاقِ خُوطٍ ... أَبَادَهُمُ هُنَاكَ الأَقْرَعَانِ[2]
ومَا بِي أَنْ أَكُونَ جَزِعْتُ إلاَّ ... حَنِينَ القَلْبِ لِلبَرْقِ اليَمَانِي
ومَخْبُورٍ بِرُؤْيَتِنا يُرَجِّي الـ ... لِقَاءَ ولَنْ أَرَاهُ ولَنْ يَرَانِي
ورُبَّ أَخٍ أَصَابَ المَوْتُ قَبْلي ... بَكَيْتُ ولو نُعِيتُ له بَكَانِي
دَعَانِي دَعْوَةً والخَيْلُ تَرْدِي ... فَمَا أدْرِي أَبِاسْمِي أَمْ كَنَانِي[3]

(١) الطَّالَقان: بلدتان إحداهما بخراسان والأُخرى بلدة وكورة وبها عدة قرى (معجم البلدان ٤: ٦). وجوزجان: كورة واسعة من كُور بلخ بخراسان (معجم البلدان ٢: ١٨٢).

(٢) القصران: اسم لعدة مواضع منها مدينة السيرجان بكرمان وغيرها (معجم البلدان ٤: ٣٥٤). والرستاق: القرى. وخوط: من قرى بلخ (معجم البلدان ٢: ٤٠٦).

(٣) تردي: تضرب الأرض بحوافرها.

فَكَانَ إجَابَتِي إيَّاهُ أنِّي عَطَفْتُ عليهِ خَوَّارَ العِنَانِ[١]

وَأيُّ فَتًى دَعَوْتَ وقَدْ تَوَلَّتْ بِهِنَّ الخَيْلُ ذَاتُ العُنْظُوَانِ[٢]

وَأَيُّ فَتًى إذا مَا مُتُّ تَدْعُو يُطَرِّفُ عَنْكَ غَاشِيَةَ السِّنَانِ[٣]

فَإنْ أَهْلِكْ فَلَمْ أَكُ ذَا صُدُوفٍ عَنِ الأَقْرَانِ في الحَرْبِ العَوَانِ[٤]

ولم أدلِجْ لأَطْرُقَ عِرْسَ جَارِي ولَمْ أَجْعَلْ على قَوْمِي لِسَانِي[٥]

ولَكِنِّي إذا مَا هَايَجُونِي مَنِيعُ الجَارِ مُرْتَفِعُ البَنَانِ

ويَكْرَهُنِي إذا اسْتَبْسَلْتُ قِرْنِي وأَقْضِي وَاحِداً ما قَدْ قَضَانِي

فَلا تَسْتَبْعِدَا يَوْمِي فَإنِّي سَأُوشِكُ مَرَّةً أَنْ تَفْقِدانِي

ويُذْكِرُنِي الَّذِي لا بُدَّ منه وإنْ أَشْفَقْتُ مِنْ خوفِ الجَنَانِ[٦]

وتَبْكِينِي نَوَائِحُ مُعْولاتٌ تُرِكْنَ بِدَارِ مُعْتَرَكِ الزَّمَانِ

حَبَائِسُ بالعِرَاقِ مُنَهْنِهَاتٌ سَوَاجِي الطَّرْفِ كَالبَقَرِ الهِجَانِ[٧]

أَعَاذِلَتَيَّ مِنْ لَوْمٍ دَعَانِي ولِلرُّشْدِ المُبَيِّنِ فَاهْدِيَانِي

وعَاذِلَتَيَّ صَوْتُكُمَا قَرِيبٌ ونَفْعُكُما بَعِيدُ الخَيْرِ وَانِي[٨]

فَرُدَّا المَوْتَ عَنِّي إنْ أَتَانِي ولاَ وأَبِيكُما لا تَفْعَلاَنِ

صوت

[الكامل]

دَارٌ لِقَاتِلَةِ الغَرَانِقِ مَا بِهَا غَيْرُ الوُحوشِ خَلَتْ له وخلاَ لَهَا[٩]

ظَلَّتْ تُسَائِلُ بِالمُتَيَّمِ مَا بِهِ وهِيَ الَّتي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعَالَهَا

الشّعرُ لأَعْشَى بني تَغْلِبَ من قصيدة يمدَح بها مَسْلَمةَ بنَ عبدِ الملك ويهجو

---

(١) خوّار العنان: الفرس الكثير الجري.

(٢) العنظوان: نبت من الحمض.

(٣) يُطَرِّف عنك: يردّ عنك.

(٤) صدوف: إعراض. والعَوَان من الحروب: التي قُوتِلَ فيها مَرّةً بعد أُخرى كأنهم جعلوا الأولى بكراً.

(٥) أدلج: أسير ليلاً. والعِرس: الزوجة.

(٦) الجَنَان: شدة الظَّلام.

(٧) نهنه الدمعَ: كَفَّهُ. سواجي الطَّرف: أي عيونهم ساكنة فاترة.

(٨) الواني: الضعيف.

(٩) الغرانق: جمع الغرنوق: الشاب الناعم.

جريراً ويُعِين الأخطلَ عليه، ويُرْوَى «رَبْعٌ لِقانصة الغَرَانق» وهو الصحيحُ هكذا، ويُغَنَّى «دارٌ لقاتلةِ» لأنّه يقول في آخر البيت «خَلَتْ له وخلا لها»، والغناء لعبد اللّه بن العَبّاس ثاني ثَقيلٍ بالبنصر عن عَمْرو بن بانةَ وابن المَكّيّ، وفيه لمُخَارِقٍ رملٌ من جميع أغانيه.

أخبار أعشى بني تَغْلِبَ ونسبه

[توفي ٩٢ هـ/ ٧١٠ م]

[اسمه ونسبه]

قال أبو عمرو الشيبانيُّ: اسمه ربيعةُ، وقال ابنُ حَبِيبَ: اسمه النُّعْمان بنُ يحيى بن مُعَاويةَ، أحدُ بني مُعاوية بن جُشَمَ بن بَكْرِ بن حُبَيْبِ بن عمرو بن تَغْلِبَ بن وائل بن قاسِط بن هِنْبِ بن أَفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَدِيلةَ بن أَسَدِ بن رَبِيعةَ بن نِزَارٍ، شاعرٌ من شُعراء الدولة الأمويّة، وساكني الشأم إذا حَضَر، وإذا بَدَا[١] نَزَل في بلاد قومه بنواحي المَوْصِل وديار رَبِيعةَ. وكان نصْرَانيًّا، وعلى ذلك مات.

[بعض أخباره]

أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخفشُ عن أبي سَعِيدِ السُّكَّرِيِّ قال: حَدَّثنا محمد بن حَبِيبَ عن أبي عمرو الشيبانيِّ قال: كان أعشى بني تَغْلِبَ يُنادم الحُرَّ بن يُوسُفَ بن يحيى بن الحَكَم، فشرِبا يوماً في بُسْتانٍ له بالمَوْصِلِ، فسكِرَ الأعْشَى فنام في البستان. ودعا الحُرُّ بجواريه فدخلنَ عليه قُبَّتَه. واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخلَ القبَّة، فمانعه الخَدَمُ، ودافعهم حتى كاد أن يهجُمَ على الحُرِّ مع جواريه، فلطَمه خَصِيٌّ منهم، فخرج إلى قومه فقال لهم: لطَمني الحُرُّ. فوثب معه رجلٌ من بني تَغْلِبَ يقال له ابن أَدْعَجَ وهو شِهَابُ بن هَمَّامِ بن ثَعْلَبَة بن أبي سَعْدٍ، فاقتحما الحائطَ[٢] وهجَما على الحُرِّ

---

(١) حضرَ: حَلّ في الحاضرة. وبدا: حلَّ البادية.

(٢) الحائط: البستان.

حتى لطَمه الأعْشَى ثم رجعَا، فقال الأعشى: [الوافر]

كَـأَنّـي وابْـنَ أَدْعَـجَ إذ دَخَـلْـنـا عَـلَـى قُـرَشِـيِّـكَ الـوَرَعِ الـجَـبَـانِ[١]

هِـزَبْـرًا غَـابَـةٍ وَقَـصَـا جِـمَـاراً فَـظَـلاً حَـوْلَـهُ يَـتَـنَـاهَـشَـانِ[٢]

أَنَـا الـجُـشَـمِـيُّ مِـنْ جُـشَـمَ بـنِ بَـكْـرٍ عَـشِـيَّـةَ رُعْـتُ طَـرْفَـكَ بِـالـبَـنَـانِ

ـ أيْ لَطمتُكَ. وقوله «أنا الجشميّ» أيْ مِثْلي يفعل ذلك بمثلِك ـ

فَـمَـا يَـسْـطِـيـعُ ذُو مُـلْـكٍ عِـقَـابِـي إذا اجْـتَـرَمَـتْ يَـدِي وجَـنَـى لِـسَـانِـي

عَـشِـيَّـةَ غَـابَ عَـنْـكَ بَـنُـو هِـشَـامٍ وعُـثْـمَـانُ اسْـتُـهـا وبَـنُـو أَبَـانِ

تَـرُوحُ إلـى مَـنَـازِلِـهـا قُـرَيْـشٌ وأَنْـتَ مُـخَـيِّـمٌ بِـالـزَّرَّقَـانِ

والزَّرَّقَانُ: قريةٌ كانت لِلحُرِّ بسِنْجار[٣].

قال ابن حَبِيبَ: مَدَحَ أعْشَى بني تَغْلِبَ مُدْرِكَ بنَ عبد الله الكِنَانيَّ أحد بني أُقَيْشِر بن جَذِيمةَ بن كَعْب فأساء ثوابَه؛ فقال الأعشى: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ إنِّـي يَـوْمَ أَمْـدَحُ مُـدْرِكـاً لَكَالْمُبْتَنِي حَوْضاً على غَيْرِ مَنْهَلِ

أَمَـرَّ الـهَـوَى دُونِـي وفَـيَّـلَ مِـدْحَـتِـي وَلَـوْ لِـكَـرِيـمٍ قُـلْـتُـهـا لَـمْ تُـفَـيَّـلِ[٤]

قال ابنُ حَبِيبَ: كان شَمْعَلَةُ بن عامرِ بن عَمْرِو بن بَكْرٍ أَخُو بني فائدٍ وهم رَهْطُ الفرس نَصْرَانيًا وكان ظَرِيفاً، فدخل على بعض خُلَفاء بني أُمَيَّةَ، فقال: أَسْلِمْ يا شمعلةُ. قال: لا والله لا أُسلم كارهاً أبداً، ولا أُسلم إلاّ طائعاً إذا شئتُ. فغضِبَ فأمر به فقُطِعَتْ بَضْعةٌ من فَخذِهِ وشُوِيَتْ بالنار وأطعمَها. فقال أعشى بني تَغْلِبَ في ذلك: [الطويل]

أَمِـنْ حُـذَّةٍ بِـالـفَـخْـذِ مِـنْـكَ تَـبَـاشَـرَتْ عُـدَاكَ فـلا عَـارٌ عَـلـيـكَ ولا وِزْرُ[٥]

وَإِنَّ أَمِـيـرَ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ وَجَـرْحَـهُ لَـكَـالـدَّهْـرِ لا عَـارٌ بِـمَـا فَـعَـلَ الـدَّهْـرُ

وقال ابن حبيبَ قال أبو عمرو: كان الوليدُ بن عبد الملك محسناً إلى أعشى

---

(١) الورع: الجبان.

(٢) الهزبر: الأسد. وَقصَ عنقه: كسرها.

(٣) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام (معجم البلدان ٣: ٢٦٢).

(٤) فَيَّلَ مِدحتي: خطّأها وضعّفها.

(٥) الحُذّة: القطعة من اللحم.

بني تَغْلِب، فلمّا وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز الخلافةَ وفَدَ إليه ومدَحه فلم يُعْطِه شيئاً، وقال: ما أرى للشُّعراء في بيت المال حقّاً، ولو كان لهم فيه حقٌّ لَمَا كان لك؛ لأنَّك امرؤٌ نصرانيٌّ. فانصرف الأعشى وهو يقول: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ عَاشَ الوَلِيدُ حَيَاتَهُ ... إِمَامَ هُدًى لا مُسْتَزَادٌ ولا نَزْرُ
كَأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ... جَلاَمِيدُ لا تَنْدَى وإنْ بَلَّها القَطْرُ[1]

وقال ابن حبيبَ عن أبي عمرو: كانتْ بين بني شَيْبانَ وبين تَغْلِبَ حروبٌ، فعاون مالكُ بن مسمَع بني شَيْبانَ في بعضها ثم قعَد عنهم، فقال أعشى بني تَغْلِبَ في ذلك: [الطويل]

بنِي أُمِّنا مَهْلاً فَإِنَّ نُفُوسَنا ... تُمِيتُ عَلَيْكُمْ عَتْبَها ومَصَالَها[2]
وتَرْعَى بِلاَ جَهْلٍ قَرَابَةَ بَيْنِنَا ... وبَيْنِكُمُ لَمَّا قَطَعْتُمْ وِصَالَها
جَزَى اللَّهُ شَيْبَاناً وتَيْماً مَلاَمَةً ... جَزَاءَ المُسِيءِ سَعْيَها وفِعَالَها
أَبَا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحَقَّ نَفْسُهُ ... وتَعْجِزْ عَنِ المَعْرُوفِ يعرِفْ ضَلاَلَها
أَأَوْقَدْتَ نَارَ الحَرْبِ حَتَّى إذا بَدَا ... لِنَفْسِكَ مَا تَجْنِي الحُروبُ فَهَالَها
نَزَعْتَ وَقَدْ جَرَّدْتَها ذَاتَ مَنْظَرٍ ... قَبِيحٍ مُهِينٍ حَيْثُ أَلْقَتْ جِلاَلَها[3]
أَلَسْنَا إذا ما الحَرْبُ شَبَّ سَعِيرُها ... وكَانَ صَفِيحُ المَشْرَفِيِّ صِلاَلَها[4]
أَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ أَنْ تَنَاوَلُوا ... مَحَارِمَها وَأَنْ تَمِيزُوا حَلاَلَها
كَذَبْتُمْ يَمِينُ اللَّهِ حَتَّى تَعاوَرُوا ... صُدُورَ العَوَالِي بَيْنَنَا وَنِصَالَها[5]
وحَتَّى تَرَى عَيْنُ الَّذِي كَانَ شَامِتاً ... مَزَاحِفَ عَقْرَى بَيْنَنا ومَجَالَها[6]

صوت [الطويل]

وَيَفْرَحُ بِالمولودِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ ... بُغَاةُ النَّدَى والرُّمْحِ وَالسَّيْفِ وَالنَّصْلِ

---

(١) الجلاميد: جمع الجلمود: الصخر. والقَطْر: المطر.
(٢) المصال: السّطو.
(٣) الجِلال: متاع الرَّحْل.
(٤) الصفيح: جمع الصَّفيحة: السيف العريض. والمشرفيّ: السيف المنسوب إلى المشارف. وهي قرى قرب حوران تنسب إليها هذه السيوف (معجم البلدان ٥: ١٣١).
(٥) تتعاورون: تتداولون. والعوالي: أطراف الرماح. والنصال: جمع النصل: حديدة الرمح والسهم.
(٦) المزاحف: جمع مزحَف: مكان الزحف. وعقرى: جمع عقير.

وتَـنْـبَـسِـطُ الآمَـالُ فِـيـهِ لِـفَـضْـلِـهِ ولا سِيَّمَـا إنْ كَـانَ مِـنْ وَلَـدِ الـفَـضْـلِ

الشعرُ لأبي النَّضِيرِ، والغناء لإسحاق، ثقيلٌ أوَّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانَةَ من مجموع إسحاق، وقال حَبَشٌ: فيه لإبراهيم الموصليِّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانةَ من مجموع إسحاق، وقال حبشٌ: فيه لإبراهيم الموصليِّ ثقيلٌ آخَرُ بالوُسْطَى، ولقَضِيبَ وبَرَاقِشَ جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان.

أخبار أبي النَّضِيرِ ونسبه

أبو النضير اسمُه عُمَرُ بن عبدِ المَلِكِ، بَصْرِيٌّ، مولًى لبني جُمَحَ.

أخبرنا بذلك عَمِّي عن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النَّخَعيِّ عن إسحاق بن خَلفٍ الشاعر قال: قلت لأبي النَّضِير بن أبي الياس: لمن أنت؟ فقال: لبني جُمَحَ. وذكر أبو يحيى اللاّحِقيُّ أنّ اسمَه الفضلُ بن عبد الملك، شاعرٌ من شعراء البصريِّين، صالحُ المَذْهَبِ، ليس من المعدودين المتقدّمين ولا من المولّدين السّاقطين. وكان يُغَنّي بِالبَصْرةِ على جَوَارٍ له مولَّدات، ويُظْهِرُ الخَلاعةَ والمُجونَ والفِسْق، ويُعاشر جماعةً مِمّن يُعْرَفُ بذلك الشأن. وكان أَبانُ اللاّحِقيُّ[1] يُعاشرة ثم تصارمَا، وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قِلًى[2]، ثم انقطع أبو النَّضيرِ إلى البرامكة فأَغْنَوْه إلى أن مات.

[رأي إسحاق الموصلي به، وبعض أخباره]

أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق قال: سمعتُ أبي يقول: لو قِيلَ لي مَنْ أظرفُ مَنْ رأيتَه قطُّ أو عاشرتَه، لقلتُ: أبو النَّضِيرِ.

أخبرني عيسى الورَّاق عن الفضل اليزيديّ عن إسحاق، وأخبرني محمد بن مَزْيدٍ عن حمّاد عن أبيه قال: وُلِد للفَضْلِ بن يحيى مولودٌ، فَوَفَدَ عليه أبو النَّضِير ولم يكن عرف الخبر فيُعِدَّ له تهنئةً، فلمّا مثَل بين يديه ورأى النّاسَ يهنِّئونه نَثْراً

---

(١) أبان اللاّحقيّ: شاعر مكثر من أهل البصرة، اتّصلّ بالبرامكة فأكثر من مدحهم، ونظم لهم «كليلة ودمنة» شعراً وكتباً أخرى (ت ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م) ترجمته في (خزانة الأدب ٣:٤٥٨، والنجوم الزاهرة ٢:١٦٧).

(٢) القِلى: البغض.

ونَظْماً قال ارتجالاً: [الطويل]

ويَـفْـرَحُ بِـالـمَـوْلُـودِ مِـنْ آلِ بَـرْمَـكٍ بُغَاةُ النَّدَى والسَّيْفِ والرُّمْحِ والنَّصْلِ
وتَـنْـبَـسِـطُ الآمـالُ فـيـه لِـفَـضْـلِـهِ ....

ثم أُرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما يقولُ، فقال الفضل يُلَقِّنُه:

ولا سِـيَّـمَـا إنْ كـان مِـنْ وَلَـدِ الـفَـضْـلِ

فاستحسن الناسُ بديهةَ الفضلِ في هذا، وأمر لأبي النَّضِير بِصلةٍ.

وأخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حَدَّثني بعض المَوَالي قال: حضرتُ الفَضْلَ بنَ يحيى وقد قال لأبي النَّضِير: يا أبا النضير أنت القائل فينا: [الطويل]

إذا كُـنْـتُ مِـنْ بَـغْـدَادَ فـي رَأْسِ فَرْسَخٍ وَجَـدْتُ نَـسِـيـمَ الـجُـودِ مِـنْ آلِ بَـرْمَـكِ

لقد ضَيَّقْتَ علينا جِدّاً. قال: أَفَلأَجل ذلك أيّها الأميرُ ضَاقَتْ عليَّ صِلَتُكَ وضاقَتْ عَنِّي مكافأتُك وأنا الذي أقول: [السريع]

تَـشَـاغَـلَ الـنَّـاسُ بِـبُـنْـيَـانِـهِـمْ والـفَـضْـلُ فـي بُـنْـيَـانِـهِ جـاهِـدُ
كُـلُّ ذَوِي الـفَـضْـلِ وأَهْـلِ الـنُّـهَـى لِـلْـفَـضْـلِ فـي تَـدْبِـيـرِهِ حَـامِـدُ

وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأَوَّلَ كما بلغ الأميرُ، وإنما قلتُ:

إذا كُـنْـتُ مِـنْ بَـغْـدَادَ مُـنْـقَـطِـعَ الـثَّـرَى وَجَـدْتُ نَـسِـيـمَ الـجُـودِ مِـنْ آلِ بَـرْمَـكِ

فقال الفضلُ: إنَّما أَخَّرْتُ عنك لأُمازِحكَ، وأمر له بثلاثين أَلْفَ درهمٍ.

أخبرني ابن عَمَّارٍ عن أبي إسحاق الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال: كان أبو النضير يَهْوَى عِنَانَ جاريةَ النَّاطِفيّ، وكتَب إليها: [الخفيف]

إنَّ لِـي حَـاجَـةً فَـرَأْيُـكِ فِـيـهَـا لَـكِ نَـفْـسِـي الـفِـدَا مِـنَ الأَوْصَـابِ[1]
وَهْـيَ لَـيْـسَـتْ مِـمَّـا يُـبَـلِّـغُـهُ غَـيْـرِي ولا أَسْـتَـطِـيـعُـهُ بِـكِـتَـابِ
غَـيْـرَ أَنِّـي أَقُـولُـهـا حِـيـنَ أَلْـقَـا كِ رُوَيْـداً أُسِـرُّهـا مِـنْ ثِـيَـابِـي

فأجابته وقالت:

(١) الأوصاب: جمع الوَصَب: المرض والوجع أو هو التعب والفتور في البدن.

أَنَا مَشْغُولَةٌ بِمَنْ لَسْتُ أَهْوَا ... هُ وَقَلْبِي مِنْ دُونِهِ فِي حِجَابِ
فَإِذَا مَا أَرَدْتَ أَمْراً فَأَسْرِزْ ... هُ ولا تَجْعَلَنَّهُ فِي كِتَابِ

قال: وقال أبو النَّضير فيها:

صوت

[الهزج]

أَنَا وَاللَّهِ أَهْوَاكِ ... وأَهْوَاكِ وأَهْوَاكِ
وَأَهْوَى قُبْلَةً مِنْكِ ... عَلَى بَرْدِ ثَنَايَاكِ
وَأَهْوَى لَكِ مَا أَهْوَى ... لِنَفْسِي وكَفَى ذَاكِ
فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِـ ... ـكِ يَوْماً حِينَ أَلْقَاكِ
أَنَا وَاللَّهِ أَهْوَاكِ ... وما يَشْعُرُ مَوْلاَكِ
فَإِيَّاكِ بِأَنْ يَعْلَـ ... ـمَ إِيَّاكِ وإِيَّاكِ

فيه لعليّ بن المارِقيّ رَمَلٌ بالبنصر عن الهِشَاميّ.

حَدَّثنا ابن عَمَّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال: كان أبو النضير يُغَنِّي غناءً صالحاً، فغَنَّى ذاتَ يوم صوتاً كان استفاده ببغداد، فقالت له قَيْنَةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومةُ: اطْرَحْ عَلَيَّ هذا الصوتَ يا أبا النَّضير. فقال: لا تَطِيبُ نفسي به مُحَابِياً[1]، ولكنّي أبيعكِ إيّاه. قالت: بِكَمْ؟ قال: برأسِ مالِه. قالت: وما رأسُ مالِهِ؟ قال: ناكَنِي فيه الذي أخذتُه منه. فغطَّت وجهَهَا وقالت: عليكَ وعلى هذا الصوت الدَّمَارُ.

أخبرني ابن عمّار عن الطَّلْحي عن أبي سُهَيْل قال: قال أبو النضير، وفيه غناءٌ لإبراهيم:

صوت

[المتقارب]

أَيَصْحُو فُؤَادُكَ أَمْ يَطْرَبُ ... وَكَيْفَ وَقَدْ شَحَطَتْ زَيْنَبُ[2]
جَرَى النَّاسُ قَبْلَ أَبِي جَعْفَرِ ... زَمَاناً فَلَمْ يُدْرَ مَنْ غَلَّبُوا
فَلَمَّا جَرَى بِأَبِي جَعْفَرِ ... بَنُو تَغْلِبٍ سَبَقَتْ تَغْلِبُ

(١) محابياً: معطياً إياه بلا مقابل.
(٢) شحطت: بعدت.

قال أبو سُهَيْلٍ: وأبو جعفر الذي عناه أبو النَّضِير هو عبدُ الله بن هِشَامِ بن عمرو التَّغْلبيّ الذي يذكره العَتَّابيُّ في شعره ورسائله، وكان جواداً سَخِيّاً. وكانَ ابنُ هشام وَلِيَ السِّنْدَ، وفيه يقول أبو النَّضير:

أَلاَ أيُّها الغَيْثُ الَّذِي سَحَّ وَبْلُهُ ... كَأَنَّكَ تَحْكِي رَاحَةَ ابْنِ هِشَامِ
كَأَنَّكَ تَحْكِيهَا وَلَكِنَّ جُودَهُ ... يَدُومُ وَقَدْ تَأْتِي بِغَيْرِ دَوَامِ
وفِيكَ جَهَامٌ رُبَّما كَانَ مُخْلِفاً ... ورَاحَتُهُ تَغْدُو بِغَيْرِ جَهَامِ[1]

[رأيه في الغناء ومخالفته لإبراهيم الموصليّ]

أخبرني ابن عَمّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال: كان أبو النَّضِير يزعمُ أنّ الغِنَاءَ على تقطيع العَروض، ويقول: هكذا كان الذين مَضَوْا يقولون، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطَى أنْ يُغَنِّي[2]، وكان إبراهيم الموصليّ يُخالفه في ذلك ويقول: العَرُوضُ مُحْدَثٌ، والغناء قبلَه بزمانٍ. فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه: [الوافر]

سَكَتُّ عَنِ الغِنَاءِ فَلاَ أُمَارِي ... بَصِيراً لاَ ولا غَيْرَ البَصِيرِ
مَخَافَةَ أَنْ أُجَنَّنَ فِيهِ نَفْسِي ... كَمَا قَدْ جُنَّ فِيهِ أَبُو النَّضِيرِ

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه قال: حدّثني أبو طَلْحَةَ الخُزَاعيّ عن اللاّحِقيّ قال: كان جَدّي أَبَانُ يَشْرَبُ مع إخوانٍ له على شاطىء دَجْلَةَ بعد مُصَارمته أبا النَّضِير، وكان القومُ أصدِقاءَ له ولأبي النضير، فذكروه. فقال جَدّي: إنْ حضَر انصرفتُ، فأمسكوا، فقال جَدِّي فيه: [الخفيف]

رُبَّ يَوْمٍ بِشَطِّ دَجْلَةَ لَذٍّ ... ولَيَالٍ نَعِمْتُ فِيهَا لِذَاذِ
غَيْبَةٌ لَم تَطُلْ عَلَيَّ ومَاذا ... خَيْرُ قُرْبِ المُطَرْمِذِ المَلاَّذِ[3]
تَرِكَ الأشْرِبَاتِ لَيْسَ بِعَاطٍ ... لِرَسَاطُونِهَا ولا الرَّاقِيَاذِ[4]
وحَكَى الأحْمَقَ الَّذِي لَيْسَ يَدْرِي ... أَنَّ خَيْرَ الشَّرَابِ هَذَا اللَّذَاذِ
ضَلَّ رَأْيٌ أَرَاهُ ذَاكَ كَمَا ضَلَّ ... غُوَاةٌ لاَذُوا بِشَرِّ مَلاَذِ

---

(١) الجهَام: السحاب لا ماء فيه.
(٢) لعلّ الأصح «حتى تعاطى الغناء».
(٣) المطرمذ: الذي يقول ولا يفعل. والملاّذ: المتصنّع في وِدّه.
(٤) العاطي: المتناول الشراب. والرساطون: نوع من الشراب من الخمر والعسل. والرّاقياذ: ضرب من الشراب.

أَنْتَ أَغْمَى فِيمَا ادَّعَيْتَ كَمَا لَسْـ ... ـتَ لِصَوْغِ الأَلْحَانِ بِالأُسْتَاذِ
كَانَ ذَنْباً أَتُوبُ مِنْهُ إِلَى اللَّـ ... ـهِ اخْتِيَارِيكَ صَاحِباً واتِّخَاذِي
إِنَّ لِلَّهِ صَوْمَ شَهْرَيْنِ شُكْراً ... أَنْ قَضَى مِنْكَ عَاجِلاً إِنْقَاذِي
لا لِدِينٍ ولا لِدُنْيَا ولا يَصْـ ... ـلُحُ فِي عِلْمِ مَا ادَّعَى بِنَفَاذِ

حَدَّثني ابن عَمَّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْل قال: كتب أبو النَّضِير إلى حَمَّاد عَجْرَدٍ يسأل عن حاله في الشَّراب وشُرْبِهِ إيَّاه ومَنْ يُعَاشِر عليه، فكتَب إليه حَمَّادٌ:

[السريع]

أَبَا النَّضِيرِ اسْمَعْ كَلامِي ولا ... تَجْعَلْ سِوَى الإِنْصَافِ مِنْ بَالِكَا
سَأَلْتَ عَنْ حَالِي، ومَا حَالُ مَنْ ... لَمْ يَلْقَ إلاَّ عَابِداً نَاسِكَا
يُظْهِرُ لِي ذا فَمَتَى يَفْتَرِضْ ... شَيْئاً تَجِدْه عَادِياً فَاتِكَا[1]

يعني حُرَيْثَ بنَ عمرو، وكان حَمَّادٌ نزَل عليه، وكان حُرَيْثٌ هذا مشهوراً بِالزَّنْدَقة، وكذلك حمَّادٌ هذا كان مشهوراً بها، فنزل عليه لذلك.

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي طَلْحةَ الخُزَاعيِّ عن أبي يحيى اللاَّحِقيِّ قال: كتَب أبو النضير إلى عَمِّي حَمْدان بن أبَان، وكان له صديقاً، يشكو إليه عُمَرَ بن يحيى الزِّيَاديَّ وكان عَرْبَدَ عليه وشتمه: [مجزوء الرمل]

أَقْرِ حَمْدَانَ سَلاَمَ الـ ... ـلَّهِ مِنْ فَضْلٍ وقُلْ لَهْ
يَا فَتَى لَسْتُ بِحَمْدِ الـ ... ـلَّهِ أَخْشَى أَنْ أَمَلَّهْ
ذَاكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْـ ... ـهَلَهُ الظَّرْفَ وعَلَّهْ
وذُرَا بَيْتِ رَقَاشٍ ... وعُلاَهَا قَدْ أَحَلَّهْ
إِنَّ شَتْمَ السِّفْلَةِ الكَشْـ ... ـخَانِ ذِي القَرْنَيْنِ ضَلَّهْ[2]
ولَوَ أَنَّ القَلْبَ هَاجَى ... عُمَراً يَوْماً لَغَلَّهْ
ذَاكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَخْـ ... ـزَى ابْنَ يَحْيَى وأَذَلَّهْ
مَنْ يُهَاجِي رَجُلاً يَسْـ ... ـتَوْعِبُ الجُرْدَانَ كُلَّهْ[3]
مَا يَسِيلُ الأَيْرُ إلاَّ ... أَدْخَلَ الأَيْرَ وبَلَّهْ

---

(١) يفترض: ينتهز ويغتنم.
(٢) الكشخان: الذي لا يغار على أهله ويقوِّد عليهم.
(٣) الجُرْدان: قضيب ذوات الحافر.

وإذا عَـــــايَـــــنَ أَيْـــــراً وَافِـــيَ الـــفَـــيْـــشَـــةِ غَـــلَّـــهْ[1]
هـــذه قِـــصَّـــةُ مَـــنْ قَـــدْ جَـــعَـــلَ الـــمُـــرْدانَ شُـــغْـــلَـــهْ

[شعره في امرأة تزوّجها وطلقها]

حَدَّثني عمّي عن أبي العيناء عن أبي النَّضِير قال: دخلتُ على الفَضْلِ بن الرَّبيع فقال: هلْ أحدثتَ بَعْدي شيئاً؟ قلت: نعم، قلتُ أبياتاً في امرأةٍ تزوَّجْتُها وطلَّقتها لغيرِ علَّةٍ إلاّ بُغْضِي لها، وإنّها لبيضاءُ بَضَّةٌ كأنّها سَبِيكةُ فِضَّةٍ. فقال لي: وما قلتَ فيها؟ فقلت قلتُ: [مجزوء الكامل]

رَحَـلَـتْ سُـكَـيْـنَـةُ بِـالـطَّـلاَقِ فَـأَرَحْـتُ مِـنْ غُـلِّ الـوَثَـاقِ
رَحَـلَـتْ فَـلَـمْ تَـأْلَـمْ لَـهَـا نَـفْـسِـي ولـم تَـدْمَـعْ مَـآقِـي
لَـوْ لَـمْ تَـبِـنْ بِـطَـلاَقِـهَـا لأَبَـنْـتُ نَـفْـسِـي بِـالإِبَـاقِ[2]
وشِـفَـاءُ مَـا لا تَـشْـتَـهِـيـهِ الـنَّـفْـسُ تَـعْـجِـيـلُ الـفِـرَاقِ

فقال: يا غلامُ، الدواةَ والقِرْطاسَ، فأُتِيَ بهما، فأمَرني فكتبتُ له الأبياتَ، ثم قلتُ له: أنتَ واللهِ تُبْغِضُ بنتَ أبي العبّاس الطُّوسيّ. فقال: اسْكُتْ أخزاك الله! ثم ما لَبِثَ أنْ طَلّقها.

صوت

[الكامل]

مـا بَـالُ عَـيْـنِـكَ جَـائـلاً أَقْـذَاؤهـا شَـرِقَـتْ بِـعَـبْـرَتِـهـا وطَـالَ بُـكَـاؤُهـا
ذَكَـرَتْ عَـشِـيـرتَـهـا وفُـرْقَـةَ بَـيْـنِـهَـا فَـطَـوَتْ لِـذَلِـكَ غُـلَّـةً أَحْـشَـاؤُهَـا

الشعر لعبد اللّه بن عُمَرَ العَبْلِيّ، والغناءُ لأبي سَعِيدٍ مولَى فائدٍ، رَمَلٌ مطلقٌ في مَجْرَى الوُسْطَى عن ابن المكيِّ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبْه إلى أحدٍ، وقيل: إنه من منحول يحيى إلى أبي سعيدٍ.

---

(١) غَلَّه: أدخله.
(٢) الإباق: الهروب.

أخبار العَبْليّ ونسبه

[توفي بعد ١٤٥ هـ/ بعد ٧٦٢ م]

[اسمه ونسبه]

اسْمُه عبدُ اللّه بنِ عُمَرَ بنِ عبد اللّه بن عليٍّ بن عَدِيٍّ بنَ رَبِيعةَ بن عبد العُزَّى بن عبد شَمْسِ بن عبد مَنَافٍ، ويُكْنَى أبا عَدِيٍّ، شاعرٌ مُجِيدٌ من شُعَراء قُرَيْش، ومن مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتين، وله أخبارٌ مع بني أُمَيَّةَ وبني هاشم تُذْكَرُ في غير هذا الموضع. ويقال له عبد اللّه بن عُمَرَ العَبْلِيّ، وليس منهم؛ لأنّ العَبَلاَتِ من وَلَدِ أُمَيَّةَ الأصْغَر بن عبد شَمْس، سُمُّوا بذلك لأنّ أُمّهم عَبْلةُ بنتُ عُبَيْدِ بن حَارِك بن قَيْسِ بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم، وهؤلاء يقال لهم بَرَاجِمُ بني تَمِيم، وَلدتْ لعبد شَمسِ بن عبدِ مَنَافٍ أُمَيَّةَ الأصْغرَ، وعبدَ أُمَيّةَ ونَوْفَلاً، وأمّه من بنيّ عبد شمس، فهؤلاء يقال لهم العَبَلاتُ، ولهم جميعاً عَقِبٌ. أمّا أُمَيّة الأصغرُ فإنّهم بالحجاز، وهم بنو الحارث بن أُميّة، منهم عليُّ بن عبد اللّه بن الحارث، ومنهم الثُّرَيّا صاحبةُ ابن أبي ربيعةَ، وأمّا بنو نَوْفَل وعبدِ أُميّة فإنّهم بالشام كثيرٌ، وعبد العُزَّى بن عبد شمس كان يقال له أسَدُ البطحاء، وإنّما أدخلهم النّاسُ في العَبَلاتِ لَمّا صار الأمرُ لبني أُمَيّة الأكبرِ وسادوا وعَظُم شأنُهُم في الجاهليّة والإسلام وكَثُر أشرافُهم، فجعَلَ سائرَ بني عبد شَمْسٍ مَنْ لاَ يَعلَم قبيلةً واحدةً، فسمَّوْهم أمَيّةَ الصُّغْرى، ثم قيل لهم العَبَلات لِشُهرة الاسم.

وعليّ بن عَدِيٍّ جدُّ هذا الشاعر شَهِدَ مع عائشة يومَ الجَمَلِ، وله يقول شاعر بني ضَبّة لعنةُ الله عليه: [الرجز]

يـا رَبِّ اكْـبُـبْ بِـعَـلِـيٍّ جَـمَـلَـهْ ... ولا تُـبَـارِكْ فـي بَـعِـيـرٍ حَـمَـلَـهْ

إلاَّ عَـلِـيَّ بْـنَ عَـدِيٍّ لَـيْـسَ لَـهْ

[ميله الهاشمي حرمه من عطاء الخلفاء]

فَأَمَّا عبدُ الله بن عُمَرَ هذا الشاعر فكان في أيّام بني أمَيّة يميل إلى بني هاشم ويَذُمّ بني أُميّة، ولم يكن منهم إليه صُنْعٌ جميلٌ، فسَلِمَ بذلك في أيّامِ بني العبّاس، ثم خَرَج على المنصور في أيّامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن.

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَيْرٍ عن مُصْعَبٍ الزُّبَيْرِيِّ قال: العَبْليّ عبدُ الله بن عمرَ بن عبدِ الله بن عليٍّ بن عَدِيّ بن ربيعةَ بن عبد العُزَّى بن عبد شَمْسٍ، ويُكْنَى أبا عَديٍّ، وله أخبارٌ كثيرة مع بني هاشم وبني أُمَيَّة، وقسَمَ هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز، فلم يُعْطِه شيئاً، فقال: [الخفيف]

خَسَّ حَظِّي أَنْ كُنْتُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ ... لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ بَنِي مَخْزُومِ
فَأَفُوزَ الغَدَاةَ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ ... وَأَبِيعَ الأَبَ الشَّرِيفَ بِلُومِ(١)

فلمّا اسْتُخْلِفَ المنصور كتب إلى السَّرِيّ بن عبد الله أن يُوَجِّه به إليه ففعل. فلمّا قَدِمَ عليه قال له: أنْشِدْني ما قلتَ في قومِك، فاستعفاه. فقال: لا أُعفيك. فقال: أَعْطِنِي الأمانَ فأعطاه، فأنشده: [الكامل]

ما بَالُ عَيْنِكَ جَائِلاً أَقْذَاؤُها ... شَرِقَتْ بِعَبْرَتِها فطالَ بُكَاؤُها

حتّى انتهى إلى قوله:

فَبَنُو أُمَيَّة خَيْرُ مَنْ وَطِىءَ الحَصَى ... شَرَفاً وأَفْضَلُ سَاسَةٍ أُمَرَاؤُهَا

فقال له: اخْرُجْ عَنِّي لا قرّبَ الله دَارَكَ! فخرج حتى قدِمَ المدينةَ، فألفى محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج فبايعه.

[استنجاده بالسفّاح ومدحه]

أخبرني عمّي عن الكُرَانِيّ عن العُمَريّ عن العُتْبِيّ عن أبيه قال: كان أبو عَدِيٍّ الذي يقال له العَبْلِيّ مَجْفُوًّا في أيّام بني مَرْوان وكان منقطعاً إلى بني هاشم، فلمّا أفضتِ الدَّولةُ إليهم لم يُبْقوا على أحدٍ من بني أُميّة، وكان الأمرُ في قتلهم جِدًّا إلاّ مَنْ هَرَب وطار على وجهه، فخاف أبو عديٍّ أن يقع به مكروه في تلك الفَوْرة

(١) بِلوم: بلؤم.

فتوارَى؛ وأخذ داود بن عليٍّ حُرَمَه وماله، فهرَب حتّى أتى أبا العبّاس السفّاح، فدخل عليه في غُمَارِ النّاس مُتنكِّراً وجلس حَجْرةً حتى تَقَوَّضَ[١] القومُ وتفرّقوا، وبَقِيَ أبو العبّاس مع خاصّته، فوثَب إليه أبو عَدِيّ فوقف بين يديه وقال: [الوافر]

أَلاَ قُلْ لِلْمَنَازِلِ بِالسِّتَارِ ... سُقِيتِ الغَيْثَ مِنْ دِمَنٍ قِفَارِ[٢]

فَهَلْ لَكِ بَعْدَنَا عِلْمٌ بِسَلْمَى ... وَأَتْرَابٍ لَهَا شِبْهِ الصِّوَارِ[٣]

أَوَانِسُ لا عَوَابِسُ جَافِيَاتٌ ... عَنِ الخُلُقِ الجَمِيلِ ولا عَوَارِي

وفِيهِنَّ ابْنَةُ القُصَوِيِّ سَلْمَى ... كَهَمِّ النَّفْسِ مُفْعَمَةُ الإِزَارِ[٤]

تَلُوثُ خِمَارَهَا بِأَحَمَّ جَعْدٍ ... تُضِلُّ الفَالِيَاتُ بِهِ المَدَارِي[٥]

بَرَهْرَهَةٌ مُنَعَّمَةٌ نَمَتْهَا ... أُبُوَّتُهَا إلى الحَسَبِ النُّضَارِ[٦]

فَدَعْ ذِكْرَ الشَّبَابِ وَعَهْدَ سَلْمَى ... فَمَا لَكَ مِنْهُمَا غَيْرُ ادِّكَارِ

وَأَهْدِ لِهَاشِمٍ غُرَرَ القَوَافِي ... تَنَخَّلُهَا بِعِلْمٍ وَاخْتِيَارِ[٧]

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي ولُزُومَ نَجْدٍ ... ولا أَلْقَى حِبَاءَ بَنِي الخِيَارِ

لَكَالْبَادِي لأَبْرَدَ مُسْتَهِلٍّ ... بِحَوْبَاءٍ كَبَطْنِ العَيْرِ عَارِ[٨]

سَأَرْحَلُ رِحْلَةً فِيهَا اعْتِزَامٌ ... وجِدٌّ في رَوَاحٍ وابْتِكَارِ

إلى أَهْلِ الرَّسُولِ غَدَتْ بِرَحْلِي ... عُذَافِرَةٌ تَرَامَى بِالصَّحَارِي[٩]

تَؤُمُّ المَعْشَرَ الأَبْرَارَ تَبْغِي ... فَكَاكاً لِلنِّسَاءِ مِنَ الإِسَارِ

أَيَا أَهْلَ الرَّسُولِ وصِيدَ فِهْرٍ ... وخَيْرَ الوَاقِفِينَ عَلى الجِمَارِ[١٠]

أَتُؤْخَذُ نِسْوَتِي ويُحَازُ مَالِي ... وقَدْ جَاهَرْتُ لَوْ أَغْنَى جِهَارِي

وأُذْعَرُ أَنْ دُعِيتُ لِعَبْدِ شَمْسٍ ... وقد أَمْسَكْتُ بِالحَرَمِ الصَّوَارِي

---

(١) حجرةً: ناحية. وتقوّض القوم: تفرّقوا.

(٢) الستار: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٣:١٨٨).

(٣) الصُّوار: القطيع من البقر.

(٤) القصويّ: نسبة إلى قصيّ. ومفعمة الإزار: ممتلئة.

(٥) تلوث: تلفّ. والأحمّ الجعد: الشعر الأسود الفاحم. والفاليات: جمع الفالية: التي تفلو الشعر وتبحث عمّا فيه. والمداري: جمع المدراة والمدرى: المشط.

(٦) البَرهرهة: الرقيقة الجلد البيضاء. النضار: الخالص.

(٧) غرر القوافي: أكرمها وأفضلها.

(٨) البادي: الخارج إلى البادية، والأبرد: النمر. والمستهلّ: الرافع صوته. والحوباء: بطن العير.

(٩) العُذافرة: الشديد من الإبل.

(١٠) الصِّيد: جمع الأصيد: السيد أو الملك.

بِنُصْرَةِ هَاشِمٍ شَهَّرْتُ نَفْسِي ... بِدَارِي لِلْعِدَا وبِغَيْرِ دَارِي
بِقُرْبَى هَاشِمٍ وبِحَقِّ صِهْرٍ ... لأَحْمَدَ لَفَّهُ طِيبُ النِّجَارِ
ومَنْزِلُ هَاشِمٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ ... مَكَانَ الجِيدِ مِنْ عُلْيَا الفَقَارِ

فقال له السَّفَّاح: مَنْ أنت؟ فانتَسَب له. فقال له: حقٌّ لَعَمْرِي أعرفه قديماً وَمَوَدَّةٌ لا أجحَدها، وكتب له إلى دَاوُدَ بن عليٍّ بإطلاق مَنْ حَبَسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامِهِ، وأمر له بنفقة تُبَلِّغه المدينة.

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدَانيّ قال: حَدَّثنا يحيى بن الحسن العَلَويّ عن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال: حَدَّثني أبي قال: قال سعيد بن عُقْبة الجُهَنيّ: إنّي لَعِنْدَ عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له: هذا رجل يدعوك، فخرجتُ فإذا أنا بأبي عَدِيّ الأمويّ الشاعر، فقال: أَعْلِمْ أبا محمد. فخرج إليه عبد الله بن حسن وابناه وقد ظهرت المُسَوِّدة وهم خائفون، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وابناه بينهما بأربعمائة دينار، وهندُ بنت أبي عُبَيْدةَ أمُّهما بمائتي دينار، فخرج من عندهم بألف دينار.

وأخبرني حَرَميّ عن الزُّبَيْر، وأخبرني الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ عن الزُّبَيْر عن سُليمان بن عَيّاش السعديّ قال: جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العَبْليّ إلى سُوَيْقَة[1] وهو طريد بني العبّاس، وذلك بِعَقِبِ أَيَّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلْكهم إلى بني العباس، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسُوَيْقة، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره فأنشده. فقال له: أريد أن تُنْشِدَني شيئاً مما رثيتَ به قومك، فأنشده: [المتقارب]

تَقُولُ أُمَامَةُ لَمَّا رَأَتْ ... نُشُوزِي عَنِ المَضْجَعِ الأَنْفَسِ
وقِلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي ... لَدَى هَجْعَةِ الأَعْيُنِ النُّعَّسِ
أَبِي مَا عَرَاكَ؟ فَقُلْتُ: الهُمُومُ ... عَرَوْنَ أَبَاكِ فَلاَ تُبْلِسِي[2]
عَرَوْنَ أَبَاكِ فَحَبَّسْنَهُ ... مِنَ الذُّلِّ فِي شَرِّ مَا مَحْبِسِ
لِفَقْدِ العَشِيرَةِ إذ نَالَهَا ... سِهَامٌ مِنَ الحَدَثِ المُبْئِسِ
رَمَتْهَا المَنُونُ بِلاَ نُصَّلٍ ... ولا طَائِشَاتٍ ولا نُكَّسِ

(١) سويقة: موضع قريب من المدينة (معجم البلدان ٣:٢٨٦).
(٢) لا تبلسي: لا تحزني.

بِأَسْهُمِها الخَالِسَاتِ النُّفوسَ مَتَى ما اقْتَضَتْ مُهْجَةً تَخْلِس
فَصَرْعَاهُمُ في نَوَاحِي البِلا دِ تُلْقَى بِأَرْضٍ ولم تُرْمَسِ[1]
كَرِيمٌ أُصِيبَ وَأَثْوَابُهُ مِنَ العَارِ والذَّام لَمْ تَدْنَس
وآخَرُ قَدْ طَارَ خَوْفَ الرَّدَىٰ وكَانَ الهُمَامَ فَلَمْ يُخْنَسِ[2]
فَكَمْ غَادَروا مِنْ بَوَاكِي العُيو نِ مَرْضَى ومِنْ صِبْيَةٍ بُؤَّسِ
إذا مَا ذَكَرْنَهُمُ لَمْ تَنَمْ لِحَرِّ الهُمُومِ ولم تَجْلِسِ
يُرَجِّعْنَ مِثْلَ بُكَاءِ الحَمَا مِ في مَأْتَمٍ قَلِقِ المَجْلِسِ
فَذَاكِ الَّذي غَالَنِي فَاعْلَمِي وَلا تَسْأَلِينِي فَتَسْتَنْحِسِي
وَأَشْيَاءُ قَدْ ضِفْنَنِي بِالبِلادِ وَلَسْتُ لَهُنَّ بِمُسْتَحْلِسِ[3]
أَفَاضَ المَدَامِعَ قَتْلَىٰ كُدَى وقَتْلَىٰ بِكُثْوَةَ لم تُرْمَسِ[4]
وقَتْلَىٰ بِوَجٍّ وبِالَّلابَتَيـ ـنِ مِنْ يَثْرِبٍ خَيْرُ مَا أَنْفُسِ[5]
وبِالزَّابِيَيْنِ نُفُوسٌ ثَوَتْ وقَتْلَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسِ[6]
أُولَئِكَ قَوْمٌ تَدَاعَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنٍ مُتْعِسِ
أَذَلَّتْ قِيَادِي لِمَنْ رَامَنِي وَأَلْزَقَتِ الرَّغْمَ بِالمَعْطِسِ[7]
فَمَا أَنْسَ لا أَنْسَ قَتْلاَهُمُ وَلاَ عَاشَ بَعْدَهُم مَنْ نَسِي

قال: فلمّا أتى عليها بكى محمد بن عبد اللّه بن حسن، فقال له عمّه الحسنُ بن حسن بن عليّ ﷺ: أتَبْكي على بني أُمَيَّة وأنت تُريد ببني العبّاس ما تريد! . فقال: والله يا عمِّ لقد كنّا نَقَمْنا على بني أُمَيَّة ما نَقَمْنَا، فما بنو العبّاس إلاَّ أَقَلُّ خوفاً لِلَّه منهم، وإنَّ الحُجَّةَ على بني العبّاس لأَوْجَبُ منها عليهم، ولقد كانت للقوم أخلاق ومَكَارِمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر. فوثب حسن وقال: أعوذُ بالله مِنْ

---

(١) لم تُرمس: لم تُدفَن.
(٢) الهمام: السيّد الشجاع. ولم يُخنَس: لم يُشعَر باختفائه.
(٣) مستحلس: ملازِم.
(٤) كُدى: اسم لعدة مواضع (معجم البلدان ٤ :٤٤١). وكُثوة: ذكر هذا البيت ياقوت في (معجم البلدان ٤ :٤٣٨).
(٥) وَجّ: الطائف (معجم البلدان ٥ :٣٦١). واللاّبتان: تثنية لابة وهي الحرَّة، وهما حَرّتان تكتنفان المدينة (معجم البلدان ٥ :٣).
(٦) الزابيان: تثنية الزَّاب، وهو اسم لعدة مواضع منها الزاب الأعلى بين الموصل وإربل (معجم البلدان ٣ :١٢٣). ونهر أبي فُطْرُس: موضع قرب الرملة من أرض فلسطين (معجم البلدان ٥ :٣١٥).
(٧) القِياد: حَبْلٌ يُقادُ به. والرَّغم: التراب. والمَعْطَس: الأنف.

شَرِّكَ، وبعث إلى أبي عَدِيّ بخمسين ديناراً، وأمر له عبد اللّه بن حسنٍ بمثلها، وأمر له كلُّ واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين، وبعثَتْ إليه أُمُّهما هندٌ بخمسين ديناراً، وكانت منفعتُه بها كثيرة. فقال أبو عَدِيٍّ في ذلك: [الوافر]

أَقَامَ ثَوِيُّ بَيْتِ أَبِي عَدِيٍّ ... بِخَيْرِ مَنَازِلِ الجِيرَانِ جَارَا[1]
تَقَوَّضَ بَيْتُهُ وَجَلاَ طَرِيداً ... فَصَادَفَ خَيْرَ دُورِ النَّاسِ دَارَا[2]
وَإِنِّي إِنْ نَزَلْتُ بِدَارِ قَوْمٍ ... ذَكَرْتُهُمُ ولَمْ أَذْمُمْ جِوَارَا

فقالت هند لعبد اللّه وابنيها منه: أقسمتُ عليكم إلاَّ أعطيتموه خمسين ديناراً أُخْرَى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين ديناراً أُخرى عن هند.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق عن أبي أيُّوبَ المَدِينيّ قال: ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال: قَدِمَ أبو عَدِيٍّ العَبْلِيُّ الطّائفَ والياً من قِبَلِ محمد بن عبد اللّه بن حسن أيّام خروجه على أبي جعفر ومعه أعرابٌ من مُزَيْنَةَ وجُهَيْنَة وأَسْلَمَ فأخذ الطائف وأتى محمدَ بن أبي بكر العُمَريّ حتى بايع، وكان مع أبي عَدِيّ أحدَ عشرَ رجلاً من ولد أبي بكر الصِّدِّيق، فقَدِمَها بين أذان الصُّبْح والإقامة، فأقام بها ثلاثاً، ثم بلغه خروجُ الحسن بن معاوية من مكّة، فاستخلف على الطائف عبدَ الملك بن أبي زُهَيْر وخرج ليتلقَّى الحسن بالعَرْج[3]، فركب الحسنُ البحرَ، ومضى أبو عديٍّ هارباً على وجهه إلى اليمن، فذلك حين يقول: [الكامل]

هُيِّجْتَ لِلأَجْزَاعِ حَوْلَ عرابِ ... وَاعْتَادَ قَلْبُكَ عَائِدَ الأَطْرَابِ[4]
وذَكَرْتَ عَهْدَ مَعَالِمٍ بِلِوى الثَّرَى ... هَيْهَاتَ تِلْكَ مَعَالِمُ الأَحْبَابِ
هَيْهَاتَ تِلْكَ مَعَالِمٌ مِنْ ذَاهِبٍ ... أَمْسَى بِحَوْضَى أَوْ بِحَقْلِ قِبَابِ[5]
قَدْ حَلَّ بَيْنَ أَبَارِقٍ مَا إِنْ لَهُ ... فِيهِ مِنَ اخْوَانٍ ولا أَصْحَابِ[6]

---

(١) الثَّوِيّ: الضَّيف.

(٢) جلا عن البلد: خرج منه.

(٣) العرج: قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف (معجم البلدان ٤: ٩٨).

(٤) عراب: لم يرد هذا الاسم في معاجم البلدان وإنما ورد غُرَاب وهو جبل قرب المدينة (معجم البلدان ٤: ١٩٠).

(٥) حَوضَى: اسم ماء لبني طهمان إلى جنب جبل في ناحية الرحل (معجم البلدان ٢: ٣٢٠). وحقل قباب: موضع بنجد على طريق حاج البصرة (معجم البلدان ٤: ٣٠٣).

(٦) الأبارق: جمع الأبرق: مكان غليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة.

شَطَّتْ نَوَاهُ عَنِ الأَلِيفِ وسَاقَهُ لِقُرًى يَمَانِيَةٍ حِمَامُ كِتَابِ[١]
يَا أُخْتَ آلِ أَبِي عَدِيٍّ أَقْصِرِي وذَرِي الخِضَابَ فَمَا أَوَانُ خِضَابِ
أَتَخَضَّبِينَ وقد تَخَرَّمَ غَالِباً دَهْرٌ أَضَرَّ بِهَا حَدِيدُ النَّابِ
والحَرْبُ تَعْرُكُ غَالِباً بِجِرَانِهَا وتَعَضُّ وَهْيَ حَدِيدَةُ الأَنْيَابِ[٢]
أَمْ كَيْفَ نَفْسُكِ تَسْتَلِذُّ مَعِيشَةً أَوْ تَنْقَعِينَ لَهَا أَلَذَّ شَرَابِ

وذكر العبّاس بن عيسى العُقَيْليّ عن هارون بن موسى الفَرَويّ عن سعيد بن عُقْبَة الجُهَنيّ قال: حضرتُ عبدَ اللّه بن عُمَر المكنّى أبا عَدِيّ الأَمَويّ يُنْشِدُ عبد اللّه بن حسن قولَه: [المتقارب]

أَفَاضَ المَدَامِعَ قَتْلَى كُدًى وقَتْلَى بِكُثْوَةَ لَمْ تُرْمَسِ

قال: فرأيت عبد اللّه بن حسن وإنّ دموعه لتجري على خَدِّه.

وقد أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديٍّ عن أبي سعيد مولى فائد قال: لمّا أتانا قتلُ عبد اللّه بن عليٍّ مَنْ قتل من بني أُمَيَّة كنتُ أنا وفتًى من ولد عثمان وأبو عديٍّ العبليُّ مُتَوَارِين في موضع واحد، فلَحِقَني من الجَزَع ما يلحق الرجلَ على عشيرته، ولَحِقَ صاحبيَّ كما لحقني، فبكينا طويلاً؛ ثم تناولنا هذه القصيدةَ بيننا، فقال كلّ واحد منّا بعضَها غيرَ مُحَصِّلٍ [ما] لكلٍّ واحدٍ منّا فيها، قال: ثم أنشدَنيها، فأخذتُها من فيه: [المتقارب]

تَقُولُ أُمَامَةُ لَمَّا رَأَتْ نُشُوزِي عَنِ المَضْجِعِ الأَنْفَسِ

[شعره في مدح بني هاشم]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حَدَّثنا محمد بن زكريّا الغَلاَبيّ عن ابن عائشة قال: كان أبو عديٍّ الأمويّ الشاعر يكرَه ما يجري عليه بنو أُمَيّة من ذكر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبِّه على المنابر، ويُظهر الإنكارَ لذلك، فشهِدَ عليه قومٌ من بني أميّة بمكة بذلك ونَهَوْه عنه، فانتقل إلى

---

(١) الحِمام: قضاء الموت وقدره.

(٢) عركتهم الحرب: دارت عليهم. والجِران: في الأصل مُقَدَّم عنق البعير من مذبحه إلى منحره. فإذا برك البعير ومدّ عنقه على الأرض قيل: ألقى جرانه بالأرض. واستعاره الشاعر للحرب.

المدينة وقال في ذلك: [الخفيف]

شَرَّدُوا بي عِنْدَ امْتِدَاحِي عَلِيًّا ... ورَأَوْا ذَاكَ فِيَّ دَاءً دَوِيًّا[1]
فَوَرَبِّي لا أَبْرَحُ الدَّهْرَ حَتَّى ... تُخْتَلَى مُهْجَتِي بِحُبِّي عَلِيَّا
وبَنِيهِ لِحُبِّ أَحْمَدَ إنِّي ... كُنْتُ أَحْبَبْتُهُمْ بِحُبِّي النَّبِيَّا
حُبُّ دِينٍ لا حُبُّ دُنْيَا وشَرُّ الـ ... ـحُبِّ حُبٌّ يَكُونُ دُنْيَاوِيَّا
صَاغَنِي اللَّهُ في الذُّؤَابَةِ مِنْهُمْ ... لاَ زَنِيماً ولا سَنِيداً دَعِيَّا[2]
عَدَوِيًّا خَالِي صَرِيحاً وَجَدِّي ... عَبْدُ شَمْسٍ وهَاشِمٌ أَبَوَيَّا
فَسَوَاءٌ عَلَيَّ لَسْتُ أُبَالِي ... عَبْشَمِيًّا دُعِيتُ أمْ هَاشِمِيًّا[3]

أخبرني عمِّي قال: حَدَّثنا الكُرَانيُّ قال: حَدَّثنا العُمَريُّ عن العُتْبِيّ عن أبيه قال: وَفَد أبو عديٍّ الأمويّ إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها: [الخفيف]

عَبْدُ شَمْسٍ أَبُوكَ وهو أَبُونَا ... لا نُنَادِيكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدِ
والقَرَابَاتُ بَيْنَنَا وَاشِجَاتٌ ... مُحْكَمَاتُ القُوَى بِحَبْلٍ شَدِيدِ[4]

فأنشده إيّاها، وأقام ببابه مدّةً حتى حضر بابَه وفودُ قُرَيْشٍ فدخل فيهم، وأمر لهم بمال فضّل فيه بني مخزوم أخوالَه، وأعطى أبا عديّ عطيّةً لم يرضَها، فانصرف وقال: [الخفيف]

خَسَّ حَظِّي أَنْ كُنْتُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ ... لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ بَنِي مَخْزُومِ
فَأَفُوزَ الغَدَاةَ فِيهِمْ بِسَهْمٍ ... وأَبِيعَ الأَبَ الكَرِيمَ بِلُومِ

غَنَّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللَّذين أولُهما:

عَبْدُ شمس أبوك وهو أبونا

ابن جامع، ولحنُه ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مجرى الوسطى عن إسحاق،

---

(١) الداء الدّويّ: الشديد.
(٢) ذؤابة القوم: المتقدّم فيهم. والزّنيم: الدّعيّ المسنَد إلى القوم وليس منهم.
(٣) عبشميّ: نسبة إلى عبد شمس.
(٤) الواشجات: جمع الواشجة: مشتبكة ومتداخلة.

وأوّل هذه القصيدة التي قالها في هشام: [الخفيف]

لَيْلَتِي مِنْ كَنُودَ بِالغَوْرِ عُودِي ... بِصَفَاءِ الهَوَى مِنْ امِّ أَسِيدِ[(١)]

مَا سَمِعْنَا ذَاكَ الهَوَى ونَسِينَا ... عَهْدَهُ فَارْجِعِي بِهِ ثُمَّ زِيدِي

قَدْ تَوَلَّى عَصْرُ الشَّبَابِ فَقِيداً ... رُبَّ جَارٍ يَبِينُ غَيْرَ فَقِيدِ[(٢)]

خَلُقَ الثَّوْبُ مِنْ شَبَابٍ ولِبْسٍ ... وجَدِيدُ الشَّبَابِ غيرُ جديدِ[(٣)]

فَاسْرِ عَنْكَ الهُمُومَ حِينَ تَدَاعَتْ ... بِعَلاَةٍ مِثْلِ الفَنِيقِ وَخُودِ[(٤)]

عَنْتَرِيسٍ تُوفِي الزِّمَامَ بِفَعْمٍ ... مِثْلَ جِذْعِ الأَشَاءَةِ المَجْرُودِ[(٥)]

وَارْمِ جَوْزَ الفَلاَ بِهَا ثُمَّ سُمْهَا ... عَجْرَفِيَّ النَّجَاءِ بِالتَّوْخِيدِ[(٦)]

وَهِشَاماً خَلِيفَةَ اللَّهِ فَاعْمِدْ ... وَاضْرِمَنْ مِرَّةَ القَوِيِّ الجَلِيدِ[(٧)]

تَلْقَهُ مُحْكَمَ القُوَى أَرْيَحِيًّا ... ذَا قِرىً عَاجِلٍ وسَيْبٍ عَتِيدِ[(٨)]

مَلِكاً يَشْمَلُ الرَّعِيَّةَ مِنْهُ ... بِأَيَادٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ خُمُودِ

أَخْضَرُ الرَّبْعِ وَالجَنَابُ خَصِيبٌ ... أَفْيَحُ المُسْتَرَادِ لِلمُسْتَرِيدِ[(٩)]

ذَكَرَتْ نَاقَتِي البِطَاحَ فَحَنَّتْ ... حِينَ أَنْ وَرَّكَتْ قُبُورَ ثَمُودِ[(١٠)]

قُلْتُ بَعْضَ الحَنِينِ يَا نَاقُ سِيرِي ... نَحْوَ بَرْقٍ دَعَا لِغَيْثٍ عَمِيدِ

فَأَغَذَّتْ فِي السَّيْرِ حَتَّى أَتَتْكُمْ ... وَهْيَ قَوْدَاءُ فِي سَوَاهِمَ قُودِ[(١١)]

---

(١) الغَور: تهامة وما يلي اليمن (معجم البلدان ٤ :٢١٧).

(٢) يبين: يبعد.

(٣) خلق الثوب: بَلِيَ.

(٤) أسرِ الهمومَ عنكَ: ألقِها بعيداً عنك. وتداعت: أقبلت. والعلاة: الناقة الصلبة. والفنيق: الفحل المكرَم الذي لا يُرْكَبُ لكرامته عند أصحابه. والوَخود: الجمل الذي يسرع ويرمي بقوائمه كالنّعام.

(٥) العنتريس: الناقة الصلبة الجريئة الشديدة الكثيرة اللحم. والفعم: الممتلىء، ويريد هنا العنق الممتلىء. والأشاءة: النخلة الصغيرة. والمجرود: المقشور.

(٦) جوز الفلا: وسط الصحراء الواسعة، والفلا: جمع الفلاة. وسُمْها: كَلِّفْها. والعجرفيّ والنّجاء: السرعة. والتوخيد: ضرب من السير السريع.

(٧) المِرَّة: العزم والشدّة. والجليد: ذو الصبر والقوّة.

(٨) السَّيْب: العطاء.

(٩) الجَنَاب: ما قربَ من محلّة القوم. استراد الرجل: طلب الرزق، ومستراد الرجل: مكانه الذي يجول فيه. والأفيح: الواسع.

(١٠) البطاح: جمع البطحاء: مسيل واسع فيه رمل ودُقاق الحصى. وَرَّكت: جاوزت.

(١١) القوداء: الطويلة العنق والظهر. والسَّوَاهم: جمع السَّاهمة: الضامرة المتغيّرة من السير.

قد بَرَاهـا السُّرَى إلَيْكَ وسَيْرِي تَحْتَ حَرِّ الظَّهيرةِ الصَّيْخُودِ[١]
وَطَوَى طَائِدَ العَرائِكِ مِنْهَا غَوْلُ بِيدٍ تَجْتَابُها بَعْدَ بِيدِ[٢]
وَأَتَتْكُم حُدْبَ الظُّهورِ وَكَانَتْ مُسْنَمَاتٍ مَمَرَّها بالكَدِيدِ[٣]
واطْمَأَنَّتْ أَرْضَ الرَّصَافةِ بالخِصْـ ـبِ ولم تُلْقِ رَحْلَها بالصَّعِيدِ
نَزَلَتْ بِٱمْرِئٍ يَرَى الحَمْدَ غُنماً بَاذِلٍ مُتْلِفٍ مُفِيدٍ مُعِيدِ
بَذَلَ العَدْلَ في القِصَاصِ فأَضْحَى لا يَخَافُ الضَّعِيفُ ظُلْمَ الشَّدِيدِ
مِنْ بَنِي النَّضْرِ مِنْ ذُرَا مَنْبِتِ النَّضْـ ـرِ بِأَوْرَى زَنْدٍ وأَكْرمِ عُودِ[٤]
فهو كَالقَلْبِ في الجَوَانِحِ مِنْهَا وَاسِطٌ سِرَّ جِذْمِها والعَدِيدِ[٥]
بينَ مَرْوَانَ والوَلِيدِ فَبَخْ بَخْ لِلكَرِيم المَجِيدِ غَيْرِ الزَّهِيدِ[٦]
لو جَرَى النَّاسُ نَحْوَ غَايَةِ مَجْدٍ لِرِهَانٍ في المَحْفِلِ المَشْهُودِ
لَعَلاَهُمْ بِسَابِغَيْنِ مِنَ المَجْـ ـدِ عَلَى النَّاس طَارِفٍ وتَلِيدِ[٧]
إنَّكُمْ مَعْشَرٌ أَبَى اللَّهُ إلاَّ أنْ تَفُوزوا بِدَرِّها المَحْشُودِ
لم يَرَ اللَّهُ مَعْشَراً مِنْ بَنِي مَرْ وانَ أَوْلَى بالمُلْكِ والتَّسْوِيدِ
قَادَةٌ سَادةٌ مُلُوكٌ بِحَارٌ وبَهَالِيلُ لِلقُرومِ الصِّيدِ[٨]
أَرْيَحِيُّونَ مَاجِدونَ خِضَمُّو نَ حُمَاةٌ عِنْدَ ارْبِدادِ الجُلُودِ[٩]
يَقطَعونَ النَّهَارَ بالرَّأْيِ والحَزْ م ويُحْيُونَ لَيْلَهُمْ بالسُّجودِ
أَهْلُ رِفْدٍ وسُؤْدُدٍ وحَيَاءٍ وَوَفَاءٍ بالوَعْدِ والمَوْعُودِ[١٠]

---

(١) براها السُّرى: أضعفها السير ليلاً. والصّيخود: الهاجرة الشديدة الحرّ.

(٢) الطائد: الثابت. والعرائك: جمع العريكة: السنام. والغَوْل: البعد.

(٣) المسنمات: العظيمة الأسنمة من الكلأ. مَمَرّها: أي حين مرورها. والكديد: موضع بالحجاز (معجم البلدان ٤: ٤٤٢).

(٤) يقال: أوراهم زَندا: يُضرب مثلاً لنجاحه وظفره.

(٥) الجِذْم: الأصل. وسرّ الجذم: صريحه وخالصه.

(٦) بَخْ: اسم فعل للتعظيم والإعجاب والرضا والمدح والفخر.

(٧) السّابغ: من السُّبْغة: الرفاهية والنعمة.

(٨) البحار: كناية عن الكرم. والبهاليل: جمع البهلول: السيد الجامع لكل الخير. والقروم: جمع القرم: السيّد العظيم. والصِّيد: جمع الأصيد: وهو السيد المتكبّر ذو السلطان.

(٩) الأريحيّون: جمع الأريحيّ: الواسع الخلق النشيط إلى المعروف. والماجدون: جمع الماجد: ذو المجد، الحَسَن الخلق. والخِضمّون: جمع الخِضَمّ: الجواد المعطاء. واربداد الجلود: تغيّر لونها إلى الأربد أي الأغبر.

(١٠) الرِّفد: العطاء. والسّؤدد: السيادة والقدر الرفيع.

ويَــرَوْنَ الــجِــوَارَ مِــنْ حُــرَم الــلَّــ ـهِ فَــمَــا الــجَــارُ فِــيــهِــمُ بِــوَحِــيــدِ
لــو بِــمَــجْــدٍ نَــالَ الــخُــلُــودَ قَــيْــلٌ آلَ مَــرْوَانَ فُــزْتُــمُ بِــالــخُــلُــودِ[1]
يَابْنَ خَيْرِ الأَخْيَارِ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يَــا إِمَــامَ الــوَرَى ورَبَّ الــجُــنُــودِ
عَــبْــدُ شَــمْــسٍ أَبُــوكَ وَهْــوَ أَبُــونَــا لا نُــنَــادِيــكَ مِــنْ مَــكَــانٍ بَــعِــيــدِ
ثُــمَّ جَــدِّي الأَدْنَــى وعَــمُّــكَ شَــيْــخِــيْ وأَبُــو شَــيْــخِــكَ الــكَــرِيــم الــجُــدودِ
فَــالــقَــرَابَــاتُ بَــيْــنَــنَــا وَاشِــجَــاتٌ مُــحْــكَــمَــاتُ الــقُــوَى بِــحَــبْــلٍ شَــدِيــدِ
فَــأَثِــبْــنِــي ثَــوَابَ مِــثْــلِــكَ مِــثْــلِــي تَــلْــقَــنِــي لِــلــثَّــوَابِ غَــيْــرَ جَــحُــودِ
إِنَّ ذَا الــجَــدِّ مَــنْ حَــبَــوْتَ بِــوُدٍّ لــيــسَ مَــنْ لا تَــوَدُّ بِــالــمَــجْــدودِ[2]
وَبِــحَــسْــبِ امْــرِىءٍ مِــنَ الــخَــيْــرِ يُــرْجَــى كَــوْنُــهُ عِــنْــدَ ظِــلِّــكَ الــمَــمْــدُودِ

وأمّا قصيدتُه التي أوّلُها:

مــا بــالُ عَــيْــنِــكَ جــائــلاً أقــذاؤهــا

وهي التي فيها الغناء المذكور، فإنه قالها في دولة بني أُميَّة عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم، ينذُب بَيْنَهُم[3]، وفيها يقول: [الكامل]

وَأَعْــتَــادَهــا ذِكْــرُ الــعَــشِــيــرةِ بِــالأَسَــى فَــصَــبَــاحُــهــا ثَــابٍ بِــهــا وَمَــسَــاؤهــا
شَرِكُوا العِدَا في أَمْرِهِمْ فَتَفَاقَمَتْ مِــنْــهَــا الــفُــتُــونُ وفُــرِّقَــتْ أَهْــوَاؤُهــا
ظَــلَّــتْ هُــنَــاكَ وَمَــا يُــعَــاتِــبُ بَــعْــضُــهــا بَــغْــضــاً فَــيَــنْــفَــعَ ذَا الــرَّجَــاء رجــاؤهــا
إِلاّ بِــمُــرْهَــفَــةِ الــظُّــبَــاتِ كَــأَنَّــهــا شُــهُــبٌ تَــقِــلُّ - إذا هَــوَتْ - أخــطــاؤهــا[4]
وبِــعُــسَّــلٍ زُرْقٍ يَــكُــونُ خِــضَــابُــهــا عَــلَــقَ الــنُّــحــورِ إذا تَــفِــيــضُ دِمَــاؤُهَــا[5]
فَــبِــذَاكُــمُ أَمْــسَــتْ تَــعَــاتَــبُ بَــيْــنَــهَــا فــلَــقَــدْ خَــشِــيــتُ بِــأَنْ يُــحَــمَّ فَــنَــاؤُهــا[6]
مــاذا أُؤمِّــلُ إِنْ أُمَــيَّــةُ وَدَّعَــتْ وبَــقَــاءُ سُــكَّــانِ الــبِــلادِ بَــقَــاؤُهَــا
أَهْــلَ الــرِّيَــاسَــةِ والــسِّــيــاســةِ والــنَّــدَى وأُسُــودُ حَــرْبٍ لا يَــخِــيــمُ لِــقَــاؤهــا[7]

---

(١) القَيْل: الرئيس.
(٢) الجَدّ: الحظّ.
(٣) بينهم: فراقهم.
(٤) الظُّبات: جمع الظُّبَة: حد السيف. وتَقِلُّ: تحمل وترفع.
(٥) عَسَل الرمحُ: اشتدّ اهتزازه واضطرب لِلينه. وزرق: شديدة الصفاء. والعَلَق: الدم.
(٦) يُحَمُّ: يُقضى.
(٧) لا يخيم: لا يضعف ولا يجبن عند اللّقاء.

غَيْثُ البِلادِ هُمُ وهُمْ أُمَرَاؤُها ... سُرُجٌ يُضِيءُ دُجَى الظَّلاَمِ ضِيَاؤُها
فَلَئِنْ أُمَيَّةُ وَدَّعَتْ وَتَتَايَعَتْ ... لِغَوَايةٍ حَمِيَتْ لها خُلَفاؤُها[1]
لَيُوَدِّعَنَّ مِنَ البَرِيَّةِ عِزُّها ... ومِنَ البِلادِ جَمَالُها ورَجَاؤُها
ومِنَ البَلِيَّةِ أَنْ بَقِيتَ خِلاَفَهُمْ ... فَرْداً تَهِيجُكَ دُورُهُمْ وخَلاَؤُها
لَهْفِي على حَرْبِ العَشِيرَةِ بَيْنَها ... هَلاَّ نَهَى جُهَّالَها حُلَمَاؤُها
هَلاَّ نُهيَ تَنْهَى الغَوِيَّ عَنِ الَّتِي ... يُخْشَى على سُلْطَانِها غَوْغَاؤُها
وتُقَى وأَحْلامٌ لَهَا مُضَرِيَّةٌ ... فيها إذا تَدْمَى الكُلُومُ دواؤُها
لَمَّا رَأَيْتُ الحَرْبَ تُوقَدُ بَيْنَها ... ويَشُبُّ نَارَ وَقُودِها إذْكاؤُها
نَوَّهْتُ بِالمَلِكِ المُهَيْمِنِ دَعْوةً ... وَرَوَاحُ نَفْسِي في البَلاَءِ دُعَاؤُها[2]
لِيَرُدَّ أُلْفَتَها ويَجْمَعَ أَمْرَها ... بِخِيَارِهَا فَخِيَارُها رُحَمَاؤُها
فَأَجَابَ رَبِّي في أُمَيَّةَ دَعْوَتِي ... وَحَمَى أُمَيَّةَ أَنْ يُهَدَّ بِناؤُها
وَحَبَا أُمَيَّةَ بِالخِلاَفَةِ إِنَّهُمْ ... نُورُ البِلادِ وزَيْنُها وبَهَاؤُها
فبَنُو أُمَيَّةَ خَيْرُ مَنْ وَطِيءَ الثَّرَى ... شَرَفاً وأَفْضَلُ سَاسَةٍ أُمَراؤُها

وهي قصيدةٌ طويلة اقتصرتُ منها على ما ذكرتُهُ.

صوت

[البسيط]

مَهْلاً ذَرِينِي فَإِنِّي غَالَنِي خُلُقِي ... وَقَدْ أَرَى في بِلاَدِ اللَّهِ مُتَّسَعَا
ما عَضَّنِي الدَّهْرُ إلاَّ زَادَنِي كَرَماً ... ولا اَسْتَكَنْتُ له إنْ خَانَ أو خَدَعَا

الشعر لأبِي جِلْدَةَ اليَشْكُرِيِّ من قَصِيدةٍ يمدح بها مِسْمَعَ بن مالِكِ بنِ مِسْمَعٍ، والغناء لعَلُّوَيْه رملٌ بالوسطى عن عمرو.

---

(١) تتايعت: تهافتت وتسارعت.

(٢) رواح النفس: إراحتها وإنعاشها.

أخبار أبي جِلْدَةَ ونسبه

[نسبه وميوله السياسية]

أبو جِلْدَةَ بن عُبَيْد بن مُنْقِذِ بن حُجْرِ بن عُبَيْد اللَّهِ بن مَسْلَمَةَ بن حُبَيِّبِ بن عَدِيٍّ بن جُشَمَ بن غَنْم بن حُبَيِّبِ بن كَعْب بن يَشْكُرَ بن بَكْر بن وائلٍ، شاعرٌ إسلاميٌّ، من شُعَرَاء الدَّوْلَة الأُمَويّة، ومن ساكني الكُوفة، وكان مِمّن خَرَجَ مع ابن الأشْعَث فقتله الحجّاج.

[انقلابه على الحجاج]

أخبرني بخبره في جُملة ديوان شعره محمدُ بن العبَّاس اليزيديُّ وقرأتُه عليه قال: حَدَّثني عمِّي عبدُ اللّه قال: حَدَّثني محمدُ بن حَبِيبَ، وأخبرني به عليّ بن سُليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكريّ عن ابن الأعرابي قال: كان أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ من أخصّ النّاس بالحَجّاج، حتى إنه بعثه ويعث معه عبدَ اللّه بن شَدّاد بن الهادِي الليثيِّ إلى عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فخَطَب الحجّاج منه ابنَتَه أُمَّ كُلْثوم. ثم خَرَج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان من أَشدِّ النّاس تحريضاً على الحجّاج، فلمّا أُتِيَ الحجّاجُ برأسه ووُضِعَ بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال: كم من سِرٍّ أودعتُهُ في هذا الرأس فلم يخرُجْ حتى أُتِيتُ به مقطوعاً. فلمّا كان يومُ الزّاوية[1] خرج أبو جلدةَ بين الصَّفَّيْنِ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدتَه التي يقول فيها:

---

(١) الزاوية: موضع قرب البصرة حصلت به وقعة مشهورة (سنة ٨٣ هـ) بين الحجّاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (معجم البلدان ٣:١٢٨).

فَقُلْ لِلحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنا ولا تَبْكِنَا إلاَّ الكِلاَبُ النَّوَابِحُ(١)

بَكَيْنَ إلينا خَشْيَةً أنْ تُبِيحَها رِماحُ النَّصَارَى والسُّيوفُ الجَوَارِحُ(٢)

بَكَيْنَ لِكَيْمَا يَمْنَعُوهُنَّ مِنهُمُ وتَأبَى قُلوبٌ أضْمَرَتْها الجَوَانِحُ

ونَادَيْنَنَا: أيْنَ الفِرَارُ وكُنْتُمُ تَغَارُونَ أنْ تَبْدُو البُرَى والوَشَائِحُ(٣)

أأَسْلَمْتُمُونا لِلْعَدُوِّ على القَنَا إذا انْتُزِعَتْ مِنهَا القُرُونُ النَّوَاطِحُ

فَمَا غَارَ مِنكُمْ غَائِرٌ لِحَلِيلَةٍ ولا عَزَبٌ عَزَّتْ عليه المَنَاكِحُ

قال: فلمّا أنشدهم هذه الأبياتَ أنِفوا وثاروا فَشَدُّوا شَدَّةً تضعضعَ لهم عسكرُ الحجّاجِ، وثبت لهم الحجّاجُ وصاح بأهل الشأم فتراجعوا وثبتوا، فكانت الدائرةُ له، فجعل يُقَتِّلُ الناسَ بَقِيَّةَ يومه، حتى صاح به رجلٌ: والله يا حجّاج لئن كنّا قد أسأنا في الذّنب لَمَا أحسنتَ في العفو، ولقد خالفتَ الله فينا وما أطعتَه. فقال له: وكيف ويلَكَ؟ قال: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾(٤) وقد قتلتَ فأثخنتَ حتى تجاوزت الحدّ، فَأْسِرْ ولا تقتُلْ، ثم قال: أوِ آمْنُنْ. فقال: أَوْلَى لك! ألاَ كان هذا الكلامُ منك قبل هذا الوقت! ثمّ نادى برفع السيف وأمَّنَ الناسَ جميعاً. قال ابن حبيب قال ابن الأعرابِيّ: فبلغني أنّ الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حَرَّضَ عليّ أحدٌ كما حرَّض أبو جلدةَ؛ فإنه نزل على سَرْحةٍ(٥) في وَسط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نَزَع سَرَاوِيلَه فوضعه وسلَحَ فوقه والناسُ ينظرون إليه. فقالوا له: ما لَكَ ويلكَ أجُنِنْتَ! ما هذا الفعل! قال: كلُّكم قد فعلتم مثلَ هذا إلاَّ أنكم سترتموه وأظهرتُهُ. فشَتموه وحملوا عَلَيَّ، فما أنساهم وهو يَقْدُمهم ويرتجز: [الرجز]

نَحْنُ جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ زَرَنْجَا ما لَكَ يا حَجَّاجُ مِنّا مَنْجَى(٦)

(١) الحواريات: جمع الحوارية، نساء الأمصار. وسُمّين بذلك لبياضهن ونظافتهنّ.

(٢) النصارى: أراد بهم أهل الشام لأنها تلي الروم.

(٣) البرى: جمع البرة: الخلخال. والوشائح: جمع الوِشاح: شبه قلادة أو جلد عريض يُرَصَّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها.

(٤) سورة محمد، الآية: ٤.

(٥) السَّرْحة: الشجرة العظيمة.

(٦) زرنج: مدينة هي قصبة سجستان (معجم البلدان ٣:١٣٨).

لَتُبْعَجَنَّ بِالسّيوفِ بَعْجَا أَوْ لَتَفِرّنَّ فَذَاكَ أَحْجَى[١]

فواللّه لقد كاد أهلُ الشأم يومئذٍ يتضعضون لولا أنّ الله تعالى أيّد بنصره.

قال: وقال أبو جِلْدَة يومئذ: [الوافر]

أَيَا لَهْفِي ويَا حُزْنِي جَمِيعاً ويا غَمَّ الفُؤَادِ لِمَا لَقِينَا
تَرَكْنَا الدِّينَ والدُّنْيَا جَمِيعاً وَخَلَّيْنَا الحَلائِلَ والبَنِينا
فَمَا كُنَّا أُنَاساً أَهْلَ دِينٍ فَنَصْبِرَ لِلبَلاءِ إذَا بُلِينَا
ولا كُنَّا أُنَاساً أَهْلَ دُنْيَا فَنَمْنَعَهَا وإنْ لَمْ نَرْجُ دِينَا
تَرَكْنَا دُورَنَا لِطَغَامِ عَكٍّ وأَنْبَاطِ القُرَى والأَشْعَرِينَا[٢]

قال ابن حبيبَ: وكان أبو جِلْدَة مع القَعْقَاع بن سُوَيْد المِنْقَرِيّ بِسِجِسْتَانَ، فذمّ منه بعضَ ما عامَله به، فقال فيه: [الوافر]

سَتَعْلَمُ أَنَّ رَأْيَكَ رَأْيُ سَوْءٍ إذا ظِلُّ الإمَارةِ عَنْكَ زَالاَ
وَرَاحَ بَنُو أَبِيكَ وَلَسْتَ فِيهِمْ بِذِي ذِكْرٍ يَزِيدُهُمُ جَمَالا
هُنَاكَ تَذَكَّرُ الأَسْلاَفَ مِنْهُمْ إذا اللَّيْلُ القَصِيرُ عَلَيكَ طَالاَ

فقال له القَعْقَاعُ: وَمَتَى يطول عليَّ اللَّيلُ القصير؟ قال: إذا نظرتَ إلى السماء مُرَبَّعةً. فلمّا عُزِل وحُبِس أخرج رأسَه ليلةً فنظَر، فإذا هو لا يرى السماء إلاّ بِقَدْرِ تربيع السِّجْن، فقال: هذا والله الذي حَذَّرنيه أبو جلدة.

[مدحه ورثاؤه لمسمع بن مالك]

قال: وَوَلِيَ مِسْمَعُ بن مالك سِجِسْتَانَ، وكان مُكْثُ أبي جلدةَ بها، فخرج إليه فتلقّاه ومدحه بقصيدته التي أوّلُها: [البسيط]

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُها انْقَطَعَا وَلَيْتَ وَصْلاً لَهَا مِنْ حَبْلِهَا رَجَعَا
شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةٌ زَوْرَاءُ نَازِحَةٌ فَطَارتِ النَّفْسُ مِنْ وَجْدٍ بِهَا قِطَعَا[٣]
ما قَرَّتِ العَيْنُ إذْ زَالَتْ فَيَنْفَعَها طَعْمُ الرُّقَادِ إذا ما هَاجِعٌ هَجَعَا

---

(١) أحجى: أجدر.

(٢) الطَّغام: أوغاد الناس. وعكّ: اسم قبيلة. والأنباط: جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين. والأشعرون: نسبة إلى الأشعر أبو قبيلة باليمن.

(٣) غربة زوراء: بعيدة.

مَـنَـعْـتُ نَـفْـسِـيَ مِـنْ رَوْحِ تَـعِـيشُ بِـهِ ... وقد أَكُونُ صَحِيحَ الصَّدْرِ فَانْصَدَعَا[١]
غَـدَتْ تَـلُـومُ عـلـى مـا فَـاتَ عَـاذِلَـتِـي ... وقَـبْـلَ لَـوْمِـكِ مَـا أَغْـنَـيْـتِ مَـنْ مَـنَـعَـا
مَـهْـلاً ذَرِيـنـي فَـإِنِّـي غَـالَـنِـي خُـلُـقِـي ... وَقَـدْ أَرَى فِـي بِـلاَدِ الـلَّـهِ مُـتَّـسَـعَـا[٢]
فَـخْـرِي تَـلِـيـدٌ ومَـا أَنْـفَـقْـتُ أَخْـلَـفَـهُ ... سَيْبُ الإلٰه وخَيْرُ المَالِ ما نَفَعَا[٣]
مـا عَـضَّـنِـي الـدَّهْـرُ إِلاَّ زَادَنِـي كَـرَمـاً ... ولا اسْـتَـكَـنْـتُ لَـهُ إِنْ خَـانَ أَوْ خَـدَعـا
ولا تَـلِـيـنُ عـلـى الـعِـلاَّتِ مَـغْـجَـمَـتِـي ... فِي الـنَّـائِبَـاتِ إِذَا مَـا مَـسَّـنِـي طَـبَـعَـا[٤]
ولا تُـلَـيِّـنُ مِـنْ عُـودِي غَـمَـائِـزُهُ ... إذا الـمُـغَـمَّـزُ مِـنْـهَـا لاَنَ أو خَـضَـعَـا[٥]
ولا أُخَـاتِـلُ رَبَّ الـبَـيْـتِ غَـفْـلَـتَـهُ ... ولا أَقُـولُ لِـشَـيءٍ فَـاتَ مـا صَـنَـعَـا[٦]
إِنِّـي لأَمْـدَحُ أَقْـوَامـاً ذَوِي حَـسَـبٍ ... لـم يَـجْـعَـلِ الـلَّـهُ فِـي أَقْـوَالِـهِـم قَـذَعـا[٧]
الـطَّـيِّـبِـيـنَ عـلـى الـعِـلاَّتِ مَـغْـجَـمَـةً ... لـو يُـعْـصَـرُ الـمِـسْـكُ مِـنْ أَطرافِـهِـمْ نَـبَـعـا
بَـنِـي شِـهَـابٍ بِـهَـا أَغْـنِـي وإِنَّـهُـمُ ... لأَكْـرَمُ الـنَّـاسِ أَخْـلاَقـاً ومُـصْـطَـنَـعَـا

قال: فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحَمَله وكساه وولاّه ناشيتكين وكان مكتبه[٨].

قال: ثم تُوُفِّي مِسْمَعُ بن مالك بِسجسْتَانَ فقال أبو جِلْدَةَ يَرْثِيه: [البسيط]

أَقُـولُ لِـلـنَّـفْـسِ تَـأْسَـاءً وتَـعْـزِيَـةً ... قَـدْ كَـانَ مِـنْ مِـسْـمَعٍ فِي مَالِكٍ خَـلَـفُ
يَـا مِـسْـمَـعَ الـخَـيْـرِ مَـنْ نَـدْعُـو إذا نَـزَلَـتْ ... إِحْـدَى الـنَّـوَائِـبِ بِـالأَقْـوَامِ وَاخْـتَـلَـفُـوا
يَـا مِـسْـمَـعـاً لِـعِـرَاقٍ لا زَعِـيـمَ لَـهَـا ... بِمَنْ تُرَى يُؤْمَنُ المُسْتَشْرِفُ النَّطِفُ[٩]
تِـلْـكَ الـعُـيُـونُ بِـحَـيْـثُ الـمِـصْـر سادمة ... تَبْكِيكَ إذ غَالَكَ الأَكْفَانُ والجُرُفُ[١٠]
قـد وَسَّـدُوكَ يَـمِـيـنـاً غـيـر مـوسـدةٍ ... وبـذل جـود لـمـا أودى بـكَ الـتَّـلَـفُ

---

(١) الرَّوْح: الراحة.
(٢) غالني: حبسني ومنعني.
(٣) التليد: القديم. والسَّيْب: العطاء.
(٤) على العِلاّت: أي في كلّ الحالات من عسر ويسر. يقال: فلان صلب المَغْجَم: أي شديد عند الاختبار. والطَّبَع: الشين والعيب.
(٥) الغميزة: العيب، والمغمَز: المطعن والعيب والمطمع.
(٦) أخاتل: أخادع.
(٧) القَذَع: الشتيمة بالكلام السّيىء.
(٨) لعله أراد: وكان بها مكتبه، أو مكثه.
(٩) المستشرِف: الظالم. والنَّطِف: المريب.
(١٠) في هذا البيت والذي يليه كلمات غير مفهومة.

كُنْتَ الشِّهابَ الّذي يُرْمَى العَدُوُّ به ... والبَحْرَ منه سِجَالُ الجُود تُغترفُ

قال ابن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال: كان أبو جِلْدَةَ يُنادم شَقِيقَ بن سَلِيطِ بن بُدَيْلٍ السَّدوسيّ أخا بِسْطام بن سَلِيطٍ، وكان لهما أخٌ يقال له ثَعْلَبَةُ بن سَلِيطٍ، وكان ثقيلاً بخيلاً مُبَغَّضاً، وكان يُطَفِّل عليهم ويُؤذيهم، فقال فيه أبو جِلْدَةَ: [الوافر]

أُحِبُّ على لَذَاذَتِنا شَقِيقاً ... وأُبْغِضُ مِثْلَ ثَعْلبةَ الثَّقيلِ[1]

له غَمٌّ على الجُلَسَاءِ مُؤْذٍ ... نَوَافِلُهُ إذا شَرِبُوا قَليلُ

قال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ: وفرّق مِسْمَعُ بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثَعْلَبَةَ عطايا كثيرةً وقرّبهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائلٍ، فقال أبو جِلدة:

[الطويل]

إذا نِلْتَ مَالاً قُلْتَ قَيْسٌ عَشِيرَتِي ... تَجُورُ عَلَيْنَا عَامِداً في قَضَائِكَا

وَإِنْ كَانَتِ الأُخْرَى فَبَكْرُ بنُ وَائِلٍ ... بِزَعْمِكَ يُخْشَى دَاؤُهَا بِدَوَائِكَا

هُنَالِكَ لا نَمْشِي الضَّرَاءَ إِليكُمُ ... بَنِي مِسْمَعٍ إِنَّا هُنَاكَ أولئكا[2]

عَسَى دَوْلَةُ الذُّهْلَيْنِ يَوْماً ويَشْكُرٍ ... تَكُرُّ عَلَينا سَبْغَةٌ مِنْ عطائِكا[3]

قال: فبعث إليه مِسْمَعٌ فترضّاه ووصَله وفرّق في سائر بطون بكر بن وائل على جِذْمَيْن، جِذْمٍ يقال له الذُّهْلاَنِ، وجِذْمٍ يقال له اللَّهَازم. فالذُّهْلاَنِ: بنو شَيْبَانَ بن ثَعْلَبة بن يَشْكُرَ بن وائل، وبنو ضُبَيْعَةَ بن رَبِيعةَ. واللّهازِم: قيسُ بن ثَعْلَبة، وتَيْمُ اللاَّتِ بن ثَعْلَبَة، وعِجْلُ بن لُجَيْم، وعَنَزَةُ بن أَسَدِ بن رَبِيعةَ. قال الفرزدق:

[الطويل]

وأَرْضَى بِحُكْمِ الحَيِّ بَكْرِ بن وَائلٍ ... إذَا كانَ في الذُّهْلَيْنِ أو في اللَّهازِمِ

قال: وقد دخل بنو قيس بن عُكَابَة مع إخوتهم بني قيس بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَابَةَ. وأمّا حَنِيفةُ فلم تدخُلْ في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليَمَامة في وَسَط دار مُضَر، وكانوا لا ينصرون بَكْراً ولا يستنصرونهم. فلمّا جاء الإِسلامُ ونزل الناسُ مع

---

(١) في هذا البيت إقواء.

(٢) الضَّرَاء: الشجر الملتفّ، وأيضاً هو كناية عن المخادعة والمخاتلة، ولا نمشي الضراء: أي نجاهركم ولا نخاتلكم.

(٣) الدولة: الغلبة. والسَّبغة: السّعة في العيش.

بني حَنِيفةَ ومع بني عِجْلِ بن لُجَيْم فَتَلَهْزَمُوا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازِنِ بن جُدَيٍّ بن مالك بن صَعْبِ بن عليٍّ، فصاروا جميعاً في اللهازم. وقال موسى بن جابر الحَنَفيّ السُّحَيْميُّ بعد ذلك في الإسلام: [الطويل]

وَجَـدْنـا أَبَـانَـا كَـانَ حَـلَّ بِـبَـلْـدَةٍ ... سُوىً بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلاَنَ والفِزْرِ[1]

فَـلَـمَّـا نَـأَتْ عَـنَّـا الـعَـشِـيرَةُ كُـلُّـهـا ... أَقَمْنَا وحَالَفْنا السّيوف على الدَّهْرِ

فَـمَـا أَسْـلَـمَـتْـنـا بَـعْـدُ فـي يَـوْمِ وَقْـعَـةٍ ... ولا نَحْنُ أَغْمَدْنَا السُّيُوفَ على وِتْرِ[2]

[بعضٌ من هجائه]

وقال ابن حبيبَ عن ابن الأعرابيِّ قال: كان لأبي جِلْدَةَ بسجستان جارٌ يقال له سَيْفٌ من بني سَعْد، وكان يَشْرَب الخمْر ويُعَرْبِدُ على أبي جلدة، فقال يهجوه:

[الطويل]

قُـلْ لِـذَوِي سَـيْـفٍ وَسَـيْـفٍ أَلَـسْـتُـمُ ... أَقَـلَّ بَـنِـي سَـعْـدٍ حَـصَـاداً ومَـزْرَعَـا

كَـأَنَّـكُـمُ جِـعْـلاَنُ دَارِ مُـقَـامَـةٍ ... عَلَى عَذِرَاتِ الحَيِّ أَصْبَحْنَ وُقَّعَا[3]

لـقـد نَـالَ سَـيْـفٌ فـي سِـجِـسْـتَـانَ نُـهْـزَةً ... تَطَاوَلَ مِنْهَا فَوْقَ ما كَانَ إِصْبَعا[4]

أَصَابَ الزِّنَا والخَمْرَ حَتَّى لقد نَمَتْ ... له سُرَّةٌ تُسْقَى الشَّرَابَ المُشَعْشعا[5]

فـلـولا هَـوَانُ الـخَـمْـرِ ما ذُقْتَ طَعْمَهَا ... ولا سُـقْـتَ إبـريـقـاً بِـكَـفِّـكَ مُـتْـرَعـا

كَـمَـا لـم يَـذُقْـهـا أَنْ تـكـونَ عَـزِيـزَةً ... أَبُـوكَ ولـم يُـعْـرَضْ عَـلَـيْـهـا فَـيَـطْـمَـعَـا

وكَـانَ مَـكَـانَ الـكَـلْـبِ أَوْ مِـنْ وَرَائِـهِ ... إذا مَـا الـمُـغَـنِّـي لِـلَّـذَاذَةِ أَسْـمَـعـا

قال ابن حبيبَ: وكان أبو جِلْدَةَ قدِ استعمله القَعْقَاعُ بن سُوَيْد حين تَولَّى سِجِسْتَانَ على بُسْتَ والرُّخَّجِ[6]، فأرجفَ[7] النَّاسُ بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة

(١) السُّوى: الوسط.

(٢) الوِتر: الثأر.

(٣) الجِعلان: جمع الجُعَل: نوع من الخنافس. والعذرات: جمع العَذِرَة: الغائط.

(٤) النُّهْزَة: الفرصة.

(٥) المشعشع: الممزوج بالماء.

(٦) بُست: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة (معجم البلدان ١: ٤١٤). ورُخَّج: كورة ومدينة من نواحي كابل (معجم البلدان ٣: ٣٨).

(٧) أرجف: خاض في الأخبار السيّئة وذكر الفتن.

معهم، وكتب القعقاع إليه يَتَهَدّده؛ فكتب إليه أبو جِلْدَةَ: [الطويل]

يُهَدِّدُنِي القَعْقَاعُ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ فَقُلْتُ له بَكْرٌ إذا رُمْتَنِي تُرْسِي
كَأَنَّا وإيَّاكُمْ إذَا الحَرْبُ بَيْنَنَا أُسُودٌ عليها الزَّعْفرانُ مع الوَرْسِ
تُرَى كَمَصابِيح الدَّيَاجِي وُجُوهُنَا إذا مَا لُقِينَا والهِرَقْلِيَّةِ المُلْسِ[١]
هُنَاكَ السُّعُودُ السَّانِحاتُ جَرَتْ لَنَا وتَجْرِي لَكُمْ طَيْرُ البَوارِحِ بالنَّحْسِ[٢]
ومَا أَنْتَ يَا قَعْقَاعُ إلاَّ كَمَنْ مَضَى كَأَنَّكَ يَوْماً قد نُقِلْتَ إلى الرَّمْسِ
أَظُنُّ بِغَالَ البُرْدِ تَسْرِي إلَيكُمُ به غَطَفَانِيًّا وَإلاَّ فَمِنْ عَبْسِ
وَإلاَّ فَبِالبِسّال يا لَكَ إنْ سَرَتْ به غَيْرَ مَغْمُوزِ القَنَاةِ ولا نِكْسِ[٣]
فَعُمَّالُنا أوْفَى وخَيْرٌ بَقِيَّةً وعُمَّالُكُمْ أَهْلُ الخِيَانَةِ واللُّبْسِ
وَمَا لِبَنِي عَمْرو عَلَيَّ هَوَادَةٌ ولا لِلرِّبَابِ غَيْرُ تَعْسٍ مِنَ التَّعْسِ

قال: فلمّا انتهَت هذه القصيدةُ إلى القَعْقَاعِ وجَّهَ برسولٍ إلى أبي جِلْدَةَ، وقال: انظُرْ، فإنْ كان كَتَبَ هذا الكتاب بالغَداةِ فاعْزِلْه، وإنْ كان كتبه باللّيل فَأَقْرِرْه على عَمَله ولا تعزِلْه ولا تَضْرِبْه. وكان أبو جلدة صاحبَ شرابٍ، فقال للرسول: والله ما كتبتُه إلاّ بالعَشِيّ. فسأله البَيِّنَةَ على ذلك فأتاه بأقوامٍ شَهِدوا له بما قال، فأقرّه على عمله وانصرَف عنه.

[شبَّبَ بابنة رجل من الدهاقين فأثابه]

قال ابن حَبِيبَ: ومَرَّ أبو جِلْدَةَ بِقَصْرٍ من قُصور بُسْتَ ينزِله رجلٌ من الدَّهَاقِينِ[٤]، فرأى ابنته تُشْرِفُ من أعلَى القصر، فأنشأ يقول: [الخفيف]

إنَّ فِي القَصْرِ ذِي الخِبَا بَدْرَ تِمٍّ حَسَنَ الدَّلِّ لِلفُؤَادِ مُصِيبَا[٥]
وَلِعاً بِالخَلُوقِ يَأْرَجُ مِنْهُ رِيحُ رَنْدٍ إذا اسْتَقَلَّ مُنِيبَا[٦]

---

(١) الهرقليّة: الدنانير وهي منسوبة إلى هرقل.
(٢) السانحات: التي تمرّ من يسار الرائي إلى يمينه. والبوارح: جمع البارح من الطير: ما مرّ من يمين الرائي إلى يساره.
(٣) مغموز القناة: مكسورها، كناية عن القوة وعدم الانقياد. والنِّكس: الخامل الضعيف.
(٤) الدهاقين: جمع الدُّهقان: التاجر أو رئيس المقاطعة أو الإقليم.
(٥) التِّمّ: الشيء التامّ.
(٦) الخلوق: نوع من الطِّيب معظم أجزائه من الزعفران. ويأرجُ: تفوح رائحته الطيّبة. والرَّند: شجر طيّب الرائحة. واستقلّ منيباً: نهض راجعاً.

يَلْبَسُ الخَزَّ وَالمَطَارِفَ والقَـ ـزَّ وَعَضْباً مِنَ اليَمَانِي قَشِيبَا[١]
وَرَأَيْتُ الحَبِيبَ يُبْرِزُ كَفًّا مَا رَآهُ المُحِبُّ إلاَّ خَضِيبَا

فبلغ ذلك من قوله الدِّهْقَانَ، فأهدى له وَبَرَّهُ وسأله ألاّ يذكر ابنتَه في شعرٍ بعد ذلك.

[بعض مناسبات شِعره]

قال ابن حبيب: ولَحِق أبا جِلْدَة ضيمٌ من بعض الوُلاة، فهتَفَ بقومه فلم يقدِروا على منعِهِ منه ولا معونتِهِ رهبةً للسُّلْطان، فهَتَفَ بأعْلَى صوتِهِ: يا مِسْمَعَ بن مالك، يا أميرَ بن أَحْمَرَ، ثم أنشأ يقول: [الوافر]

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ سَرَاةَ قَوْمِي سُكُوتاً لا يَثُوبُ لَهُمْ زَعِيمُ[٢]
هَتَفْتُ بِمِسْمَعٍ وَصَدَى أَمِيرٍ وقَبْرِ مُعَمَّرٍ تلكَ القُرُومُ

قال: فأبكى جميعَ منْ حضرَ، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمْره حتى كَفَّ عنه. قال: وأمير بن أحمر رجلٌ من بني يَشْكُرَ، وكان سيِّداً جواداً، وفيه يقول زِيَادٌ الأعجمُ: [السريع]

لَوْلاَ أَمِيرٌ هَلَكَتْ يَشْكُرٌ وَيَشْكُرٌ هَلْكَى على كُلِّ حَالْ

قال ابن الأعرابيِّ: كان أميرُ بن أحمرَ والياً على خُرَاسانَ في أيّام مُعاوية.

ومُعَمَّرٌ الذي عناه أبو جِلْدَةَ معمَّر بنُ شُمَيْرِ بن عامرِ بن جَبَلَةَ بن ناعِبِ بن صُرَيْمٍ، وكان أميرَ سِجِسْتَانَ، وكان سيِّداً شريفاً.

وقال: خَطَب أبو جِلْدَةَ امرأةً من بني عِجْلٍ يقال لها خَلِيعةُ بنت صَعْبٍ، فأبتْ أن تتزوَّجه وقالت: أنت صُعْلوكٌ فقيرٌ لا تحفَظ مالَك ولا تُلْفِي شيئاً إلاَّ أنفقتَه في الخمر، وتزوَّجَتْ غيره، فقال أبو جِلْدَةَ في ذلك:

صوت

[الكامل]

لَمَّا خَطَبْتُ إلى خَلِيعَةَ نَفْسَها قَالَتْ خَلِيعَةُ مَا أَرَى لَكَ مَالا

(١) القَزّ: كناية عن الحرير. والقشيب: الجديد النظيف.
(٢) لا يثوب: لا يرجع عن ضلاله.

أَوْدَى بِمَالِي يَا خَلِيعُ تَكَرُّمِي ... وَتَخَرُّقِي وَتَحَمُّلِي الأَثْقَالاَ[١]
إِنِّي وَجَدِّكِ لو شَهِدْتِ مَوَاقِفِي ... بِالسَّفْحِ يَوْمَ أُجَلِّلُ الأَبْطَالاَ
سَيْفِي، لَسَرَّكِ أَنْ تَكُونِي خَادِماً ... عِنْدِي إذَا كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالاَ

الغناء لإبراهيم المَوْصِليّ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطَى عن الهِشاميّ من كتاب عليّ بن يحيى.

قال أبو سعيدٍ السُّكَّريّ وعُمر بن سعيد صاحب الواقديّ: إنَّ أبا جِلْدَةَ كان في قرية من قُرَى بُسْت يقال لها الخَيْزُرَانُ ومعهم عمرو بن صُوحَانَ أخو صَعْصَعَة في جماعةٍ يتحدَّثون ويشرَبون، إذ قام أبو جلدة لِيبولَ فَضرَطَ، وكان عظيمَ البطن، فتضاحكَ القومُ منه، فسلّ سيفَه وقال: لأَضرِبنَّ من لا يَضرِط في مجلسه هذا ضربةً بسيفي، أَمِنِّي تَضحَكون لا أُمَّ لكم! فما زال حتّى ضرَطوا جميعاً غيرَ عمرو بن صُوحَانَ. فقال له: قد علمتَ أنّ عبد القَيْس لا تضرط ولك بَدَلَها عشرُ فَسَواتٍ. قال: لا والله أو تُفْصِحَ بها! فجعل عمرو يَجْثي وينحني فلا يقدر عليها، فتركه، وقال أبو جلدة في ذلك: [الطويل]

أَمِنْ ضَرْطةٍ بِالخَيْزُرَانِ ضَرَطْتُها ... تَشَدَّدُ مِنِّي دَارَةٌ وتَلِينُ
فَمَا هُوَ إِلاَّ السَّيْفُ أو ضَرْطَةٌ لها ... يَثُورُ دُخَانٌ سَاطِعٌ وطَنِينُ

قال: ولعمرو بن صُوحَانَ يقول أبو جلدة اليَشْكُرِيّ وطالت صُحْبته إياه فلم يظفَر منه بشيء: [البسيط]

صَاحَبْتُ عَمْراً زَمَاناً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ ... الْحَقْ بِقَوْمِكَ يَا عَمرَو بنَ صُوْحَانا
فَإِنْ صَبَرْتَ فَإِنَّ الصَّبْرَ مَكْرُمَةٌ ... وإِنْ جَزِعْتَ فقد كانَ الَّذِي كَانا

قال ابن سعيد: وَحَدَّثني أبو صالح قال: بلغ أبا جلدة أنّ زياداً الأعجمَ هجا بني يَشْكُرَ، فقال فيه: [الكامل]

لا تَهْجُ يَشْكُرَ يا زِيادُ ولا تَكُنْ ... غَرَضاً وأَنْتَ عَنِ الأَذَى في مَعْزِلِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّهُمُ إذا مَا حُصِّلُوا ... خَيْرٌ وأَكْرَمُ مِنْ أَبِيكَ الأَعْزَلِ
لولا زَعِيمُ بَنِي المُعَلَّى لَمْ تَبِتْ ... حَتَّى نُصَبِّحَكُمْ بِجَيْشٍ جَحْفَلِ

---

(١) التخرّق: الحمق.

تَمْشِي الضَّرَاءَ رِجَالُهُمْ وَكَأَنَّهُمْ أُسْدُ العَرِينِ بِكُلِّ عَضْبٍ مُنْصُلِ[١]
فَاحْذَرْ زِيَادُ ولا تَكُنْ ذَا تُدْرَأٍ عِنْدَ الرِّجَالِ ونُهْزَةً لِلْخُتَّلِ[٢]

وقال ابن حبيب: كان سليمانُ بن عَمْرو بن مَرْثَد البَكْريّ صديقاً لأبي جِلدةَ، وكان فارساً شُجاعاً، وقتله ابن خازم لشيء بلَغه فأنكره؛ وفيه يقول أبو جِلْدةَ:

[الطويل]

إذا كُنْتَ مُرْتَاداً نَدِيماً مُكَرَّراً نَمَاهُ سَرَاةٌ مِنْ سَرَاةِ بَنِي بَكْرِ
فلا تَعْدُ ذَا العَلْيَا سُلَيمَانَ عَامِداً تَجِدْ مَاجِداً بِالجُودِ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ
كَرِيماً على عِلاَّتِهِ يَبْذُلِ النَّدَى ويَشْرَبُهَا صَهْبَاءَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ[٣]
مُعَتَّقَةً كَالمِسْكِ يُذْهِبُ رِيحُها الـ ـزُّكَامَ وتَدْعُو المَرْءَ لِلجُودِ بِالوَفْرِ
وتَتْرُكُ حَاسِي الكَأْسِ مِنْهَا مُرَنَّحاً يَمِيدُ كَمَا مَادَ الأَثِيمُ مِنَ السُّكْرِ[٤]
تَلُوحُ كَعَيْنِ الدِّيكِ يَنْزُو حَبَابُها إذا مُزِجَتْ بِالمَاءِ مِثْلَ لَظَى الجَمْرِ[٥]
فَتِلْكَ إذا نَادَمْتُ مِنْ آلِ مَرْثَدٍ عليها نَدِيماً ظَلَّ يَهْرِفُ بِالشِّعْرِ[٦]
يُغَنِّيكَ تَارَاتٍ وطَوْراً يَكُرُّهَا عَلَيْكَ بِحَيَّاكَ الإِلٰهُ ولا يَدْرِي
تَعَوَّدَ أَلاَّ يَجْهَلَ الدَّهْرَ عِنْدَهَا وأَنْ يَبْذُلَ المَعْرُوفَ في العُسْرِ واليُسْرِ
وَإِنَّ سُلَيمَانَ بْنَ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ تَأَلَّى يَمِيناً أَنْ يَرِيشَ ولا يَبْرِي[٧]
فهِمَّتُهُ بَذْلُ النَّدَى وابْتِنَا العُلاَ وضَرْبُ طُلَى الأَبْطَالِ في الحَرْبِ بِالبُتْرِ[٨]
وفي الأَمْنِ لا يَنْفَكُّ يَحْسُو مُدَامَةً إذا ما دَجَا لَيْلٌ إلى وَضَحِ الفَجْرِ

قال: فلمّا بلغتْ سليمانَ هذه الأبياتُ قال: هجاني أخي وما تعمَّدَ، لكنه يرى أنّ الناسَ جميعاً يُؤْثِرُونَ الصَّهْباء كما يُؤْثرها هو، ويشرَبونها كما يشرَبُها. وبلغ

---

(١) العَضب: السيف القاطع. ومنصل: اسم للسيف.
(٢) التُّدْرَأُ: المنعة والقوّة. والنُّهزة: الفرصة. والخُتَّل: جمع الخاتل: الخَدّاع.
(٣) على عِلاّته: في جميع حالاته من عسرٍ ويسر. والنّدى: الجود والفضل. والصّهباء: الخمر. والنَّشْر: الرائحة الطيّبة.
(٤) يميد: يميل.
(٥) عين الديك: يُضْرَب بها المَثَل في الصّفاء، ويُشَبَّه بها الشّراب الصافي. والحَبَاب: الفقاقيع التي تطفو على وجه الخمر حين تمزج بالماء.
(٦) يهرف: يهذي.
(٧) تألّى: أقسم. ويريش: ينفع ويعين. ولا يبري: لا يُهْزِل ولا يضعف.
(٨) ابتنا: ابتناء. وطُلى الأبطال: أعناقهم. والبُتْر: جمع الأبتر: السيف القاطع.

قولُه أبا جلدة فأتاه فاعتذر إليه، وحلفَ أنه لم يتعمّدْ بذلك ما يكرهَه ويُنكره. قال: قد عَلِمْتُ بذلك وشَهِدْتُ لك به قبل أنْ تعتذر، وَقَبِلَ عُذْرَه.

وقال ابن حبيب: سأل أبو جلدةَ الحُضَيْن بن المُنْذِرِ الرَّقَاشِيّ شيئاً فلم يُعْطِه إيّاه، وقال: لا أُعطيه ما يشرَب به الخمرَ، فقال أبو جِلْدة يهجوه: [السريع]

يَا يَوْمَ بُؤْسٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ ... بِالنَّحْسِ لا فَارَقْتَ رَأْسَ الحُضَيْنِ
إِنَّ حُضَيْناً لم يَزَلْ بَاخِلاً ... مُذْ كَانَ بِالمَعْرُوفِ كَزَّ اليَدَيْنِ[1]

فبلغ الحضينَ قولُ أبي جلدة، فقال يُجيبه: [السريع]

عَضَّ أبو جِلْدَةَ مِنْ أُمِّهِ ... مُعْتَرِضاً ما جَاوَزَ الأَسْكَتيْنِ[2]
بَظْراً طَوِيلاً غَاشِياً رَأْسُهُ ... أَغْقَفَ كَالمِنْجَلِ ذَا شُعْبَتَيْنِ

وقال أبو جِلْدَةَ في حُضَيْنٍ أيضاً: [الطويل]

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أُسْنِدُ حَاجَتِي ... إِلَيْكَ أَبَا سَاسَانَ غَيْرُ مُسَدَّدِ
فلا عَالِمٌ بِالغَيْبِ مِنْ أَيْنَ ضَرُّهُ ... ولا خَائِفٌ بَثَّ الأَحَادِيثِ فِي غَدِ
فَلَيْتَ المَنَايَا حَلَّقَتْ بي صُرُوفُها ... فَلَمْ أَطْلُبِ المعروفَ عند المُصَرِّدِ[3]
فلو كُنْتَ حُرًّا يَا حُضَيْنُ بنَ مُنْذِرٍ ... لَقُمْتَ بِحَاجَاتِي ولم تَتَبَلَّدِ
تَجَهَّمْتَنِي خَوْفَ القِرَى واطَّرَحْتَنِي ... وكُنْتَ قَصِيرَ البَاعِ غَيْرَ المُقَلَّدِ[4]
ولم تَعْدُ ما قَدْ كُنْتَ أَهْلاً لِمِثْلِهِ ... مِنَ اللُّؤْمِ يَابْنَ المُسْتَذَلِّ المُعَبَّدِ

قال: فبلغ أبا جلدة أنّ بني رَقَاشٍ تهدّدوه بالقتل لهجائه الحُضَيْنَ بن مُنْذِرٍ، فقال: [الطويل]

تُهَدِّدُني جَهْلاً رَقَاشِ ولَيْتَنِي ... وكُلّ رَقَاشِيٍّ على الأرضِ في الحَبْلِ
فَبِاسْتِ حُضَيْنٍ واسْتِ أُمٍّ رَمَتْ به ... فَبِئْسَ مَحَلُّ الضَّيْفِ في الزَّمنِ المَحْلِ
وَإِنْ أَنَا لم أَتْرُكْ رَقَاشِ وَجَمْعَهُمْ ... أَذَلَّ على وَطْءِ الهَوَانِ مِنَ النَّعْلِ
فَشَلَّتْ يَدَايَ واتَّبَعْتُ سِوَى الهُدَى ... سَبِيلاً ولا وُفِّقْتُ لِلخَيْرِ والفَضْلِ

---

(١) كزّ اليدين: بخيل.
(٢) الأسكتان: جانبا الفرج.
(٣) المُصَرِّد: القليل العطاء.
(٤) قصير الباع: كناية عن البخل.

عِظَامُ الخُصَى نُطُّ اللِّحَى مَعْدِنُ الخَنَا ... مَبَاخِيلُ بِالأَزْوَادِ في الخِصْبِ والأَزْلِ[(١)]
إذا أَمِنُوا ضَرَّاءَ دَهْرٍ تَعَاظَلُوا ... عِظَالَ الكِلابِ في الدُّجُنَّةِ والوَبْلِ[(٢)]
وإنْ عَضَّهُمْ دَهْرٌ بِنَكْبَةِ حَادِثٍ ... فَأَخْوَرُ عِيدَاناً مِنَ المَرْخِ والأَثْلِ[(٣)]
أُسُودُ شَرًى وَسْطَ النَّدِيِّ ثَعَالِبٌ ... إذا خَطَرَتْ حَرْبٌ مَرَاجِلُهَا تَغْلِي[(٤)]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال: عَشِقَ أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ دِهْقَانَةً بِبُسْتَ وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً، وقال فيها:

[الطويل]

وكَأْسٍ كَأَنَّ المِسْكَ فيها حَسَوْتُها ... وَنَازَعَنِيها صَاحِبٌ لِي مُلَوَّمُ
أَغَرُّ كَأَنَّ البَدْرَ سُنَّةُ وَجْهِهِ ... لَه كَفَلٌ وَافٍ وَفَرْعٌ وَمَبْسِمُ[(٥)]
يُضِيءُ دُجَى الظَّلْمَاءِ رَوْنَقُ خَدِّهِ ... ويَنْجَابُ عَنْهُ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ
وثَدْيَانِ كَالحُقَّيْنِ والمَتْنُ مُدْمَجٌ ... وَجِيدٌ عَلَيْهِ نَسْقُ دُرٍّ مُنَظَّمُ[(٦)]
وبَطْنٌ طَوَاهُ اللَّهُ طَيًّا ومَنْطِقٌ ... رَخِيمٌ ورِدْفٌ نِيطَ بِالحَقْوِ مُفْأَمُ[(٧)]
بِهِ تَبَلَتْنِي وَاسْتَبَتْنِي وغَادَرَتْ ... لَظًى في فُؤَادِي نَارُها تَتَضَرَّمُ
أَبِيتُ بِهَا أَهْذِي إذا اللَّيْلُ جَنَّنِي ... وأُصْبِحُ مَبْهُوتاً فَمَا أَتَكَلَّمُ
فَمَنْ مُبْلِغٌ قَوْمِي الدُّنَا أَنْ مُهْجَتِي ... تَبِينُ، لَئِنْ بَانَتْ أَلاَ تَتَلَوَّمُ[(٨)]
وَعَهْدِي بِها ـ واللَّهُ يُصْلِحُ بَالَهَا ـ ... تَجُودُ على مَنْ يَشْتَهِيهَا وتُنْعِمُ
فَمَا بَالُها ضَنَّتْ عَلَيَّ بِوُدِّهَا ... وقَلْبِي لَهَا يا قَوم عَانٍ مُتَيَّمُ[(٩)]

---

(١) النُّطّ: جمع الأنطّ: القليل شعر اللحية. والخنا: الفاحشة. والأَزْل: الشدّة وضيق العيش.
(٢) تعاظلوا: ركبوا بعضهم بعضاً والوَبل: المطر الشديد.
(٣) المَرْخ: شجر رقيق سريع الوري يُقتدح به. والأَثْل: جمع الأثلة: شجر من فصيلة الطرفائيات أوراقه دقيقة وأزهاره عنقودية.
(٤) النَّدِيّ: النادي والمجلس.
(٥) سنّة وجهه: صورته أو الجبهة والجبين. والكَفَل: الردف. والفرع: الشعر الفاحم.
(٦) الحُقّ: الوعاء الصغير.
(٧) نِيطَ: عُلِّقَ. والحقو: الخصر. والمفأم: الممتلىء.
(٨) الدُّنا: الأقربون.
(٩) عانٍ: أسير.

قال: فلمّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها، فلما انتهى المُفَسِّر إلى هذين البيتين الأخِيرين غَضِبَتْ فقالت: أنا زانيةٌ كما زَعَم إنْ كلّمته كلمةً أبداً، أوَ كُلّما اشتهاني إنسانٌ بذلتُ له نفسي وأنعمتُ من رُوحي إذاً! أيْ أنا إذاً زانية. فَصَرَمَتْه، فلم يقدِرْ عليها وعُذِّبَ بها زماناً، ثم قال فيها لمّا يَئِسَ منها: [الوافر]

صَحَا قَلْبِي وَأَقْصَرَ بَعْدَ غَيٍّ ... طَوِيلٍ كَانَ فِيهِ مِنَ الغَوَانِي
بِأَنْ قَصَدَ السَّبِيلَ فَبَاعَ جَهْلاً ... بِرُشْدٍ وَارْتَجَى عُقْبَى الزَّمَانِ
وخَافَ المَوْتَ وَاعْتَصَمَ ابنُ حُجْرٍ ... مِنَ الحُبِّ المُبَرِّحِ بِالجَنَانِ[1]
وقِدْماً كَانَ مُعْتَرِماً جَمُوحاً ... إلَى لَذَّاتِهِ سَلِسَ العِنَانِ[2]
وَأَقْلَعَ بَعْدَ صَبْوَتِهِ وَأَضْحَى ... طَوِيلَ اللَّيْلِ يَهْرِفُ بِالقُرَانِ[3]
ويَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِداً لِكَيْمَا ... يَنَالَ الفَوْزَ مِنْ غُرَفِ الجِنَانِ

قال ابن حبيبَ قال أبو عُبَيْدَةَ: كان يزيدُ بن المُهَلَّبِ يُتَّهم بالنِّساء، فقال فيه أبو جِلْدَة: [الطويل]

إذا اعْتَكَرَتْ ظَلْمَاءُ لَيْلٍ ونَوَّمَتْ ... عُيُونُ رِجَالٍ وَاسْتَلَذُّوا المَضَاجِعَا[4]
سَمَا نَحْوَ جَارِ البَيْتِ يَسْتَامُ عِرْسَهُ ... يَزِيدُ دَبِيباً لِلمُعَانَاةِ قَابِعَا
وإنْ أَمْكَنَتْهُ جَارَةُ البَيْتِ أَوْ رَنَتْ ... إلَيهِ أَتَاهَا بَعدَ ذلك طَائِعَا

فشاعتِ الأبياتُ ورواها الناسُ لِقَتَادَةَ بنِ مُغْرِب، فقال أبو جِلْدَةَ: [الطويل]

أَبَا خَالِدٍ رُكْنِي ومَنْ أَنَا عَبْدُهُ ... لَقَدْ غالَنِي الأَعْدَاءُ عَمْداً لِتَغْضَبا
فَإِنْ كُنْتُ قُلْتُ اللَّذْ أَتَاكَ بِهِ العِدَا ... فَشَلَّتْ يَدِي اليُمْنَى وَأَصْبَحْتُ أَعْضبَا[5]
ولا زِلْتُ مَحْمُولاً عَلَيَّ بَلِيَّةٌ ... وأَمْسَيْتُ شِلْواً لِلسِّباعِ مُتَرَّبَا
فَلا تَسْمَعَنْ قَوْلَ العِدَا وَتَبَيَّنَنْ ... أَبَا خَالِدٍ عُذْراً وإنْ كُنْتَ مُغْضَبا

---

(١) حجر: من آباء الشاعر.
(٢) المعترم: الشديد البَطِر.
(٣) يهرف: يهذي.
(٤) اعتكر الظلام: اشتدّ.
(٥) اللَّذ: الذي. والأعضب: القصير اليد أو الذي لا أخ له وهنا يريد أن تصبح يده اليسرى وحيدة.

[رأي قتادة بن معرب به ومناقضته له]

وقال ابن حبيبَ: قال رجلٌ للبَعِيثِ: أيُّ رجلٍ هو أبو جِلْدَةَ؟ فقال: قَتَادَةُ بن مُعْرِب أَعْرَفُ به حيث يقول: [السريع]

إنّ أَبَا جِلْدَةَ مِنْ سُكْرِهِ لا يَعْرِفُ الحَقَّ مِنَ الباطِلِ
يَزْدَادُ غَيًّا وانْهِمَاكاً ولا يَسْمَعُ قَوْلَ النَّاصِحِ العَاذِلِ
أَعْيَا أَبُوه وبَنُو عَمِّهِ وكَانَ في الذُّرْوَة مِنْ وَائِلِ
فَلَيْتَهُ لَمْ يَكُ مِنْ يَشْكُرٍ فَبِئْسَ خِدْنُ الرَّجُلِ العَاقِلِ
أَعْمَى عَنِ الحَقِّ بَصِيرٌ بِمَا يَعْرِفُهُ كُلُّ فَتًى جَاهِلِ
يُصْبِحُ سَكْرَانَ ويُمْسِي كَمَا أَصْبَحَ، لا أُسْقِي مِنَ الوَابِلِ
شَدَّ رِكَابَ الغَيِّ ثُمَّ اغْتَدَى إلى الَّتِي تُجْلَبُ مِنْ بَابِلِ
فالسِّجْنُ إنْ عَاشَ له مَنْزِلٌ والسِّجْنُ دَارُ العَاجِزِ الخَامِلِ

وقال أبو جِلْدَة يُجيبه: [السريع]

قَبُحْتَ لَوْ كُنْتَ امْرَأً صَالِحاً تَعْرِفُ مَا الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ
كَفَفْتَ عَنْ شَتْمِي بِلا إحْنَةٍ ولم تَوَرَّطْ كِفَّةَ الحَابِلِ[1]
لَكِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ فِعْلَ النُّهَى والحَزْمِ والنَّجْدَةِ والنَّائِلِ
فَتَخْتَ لِي بِالشَّتْمِ حَتَّى بَدَا مَكْنُونُ غِشٍّ في الحَشَا داخِلِ
فاجْهَدْ وَقُلْ لا تَتْرُكْ جَاهِداً شَتْمَ امْرِىءٍ ذِي نَجْدَةٍ عَاقِلِ
تَعْذُلُنِي في قَهْوَةٍ مُزَّةٍ دِرْيَاقَةٍ تُجْلَبُ مِنْ بَابِلِ[2]
ولَوْ رَآهَا خَرَّ مِنْ حُبِّهَا يَسْجُدُ لِلشَّيْطَانِ بالبَاطِلِ
يَا شَرَّ بَكْرٍ كُلِّهَا مَحْتِداً ونُهْزَةَ المُخْتَلِسِ الآكِلِ[3]
عِرْضَكَ وَفِّرْهُ وَدَعْنِي ومَا أَهْوَاهُ يا أَحْمَقَ مِنْ بَاقِلِ[4]

قال ابن حبيبَ: كان أبو جِلْدَة يَشرب مع ابنِ عمٍّ له من بَكْرِ بن وائل، فسكرَ

---

(١) الإحنة: الحقد. الحابل: الصائد. وكِفَّة الصائد: مِصيدته.

(٢) القهوة: الخمر. والمُزَّة: الخمر اللذيذة الطعم. والدّرياق: الترياق: الخمر.

(٣) المحتد: الأصل.

(٤) أعيا من باقل: وباقل رجل من إياد اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فمرّ بقوم فسألوه: بكم أخذت الظبي؟ فمدّ أصابع يديه وأخرج لسانه يريد بأصابعه عشرة دراهم، وبلسانه درهماً فشرّد الظبي وكان تحت إبطه فجرى المثل بعيّه (ثمار القلوب ص ٢٣٣).

نديمُهُ فعَرْبَد عليه وشتَمَه، فاحتمله أبو جِلْدَة وسقاه حتّى نام، وقال في ذلك:

[الطويل]

أَبَى لِيَ أَنْ أَلْحَى نَدِيمي إذَا انْتَشَى وقال كَلاَماً سَيِّئاً لي على السُّكْرِ
وَقَارِي وعِلْمِي بالشَّرَابِ وأَهْلِهِ وما نَادَمَ القَوْمَ الكِرَامَ كَذِي الحِجْرِ[1]
فَلَسْتُ بِلاَحٍ لي نَدِيماً بِزَلَّةٍ ولا هَفْوَةٍ كَانَتْ ونَحْنُ على الخَمْرِ
عَرَكْتُ بِجَنْبِي قَوْلَ خِذْنِي وصَاحِبِي ونَحْنُ على صَهْبَاءَ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
فَلَمَّا تَمَادَى قُلْتُ خُذْهَا عَرِيقَةً فَإنَّكَ مِنْ قومٍ جَحَاجِحَةٍ زُهْرِ[2]
فَمَا زِلْتُ أَسْقِيهِ وأَشْرَبُ مِثْلَ مَا سَقَيْتُ أَخِي حَتَّى بَدَا وَضَحُ الفَجْرِ
وأَيْقَنْتُ أَنَّ السُّكْرَ طَارَ بِلُبِّهِ فَأَغْرَقَ في شَتْمِي وَقَالَ وَمَا يَدْرِي
وَلاَكَ لِسَاناً كَانَ إذْ كَانَ صَاحِياً يُقَلِّبُهُ في كُلِّ فَنٍّ مِنَ الشِّعْرِ

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثَانِ قال: كان أبو جِلْدَةَ اليشْكُرِيّ قد خرج إلى تُسْتَرَ[3] في بَعْثٍ، فشرِبَ بها في حانةٍ مع رجلٍ من قومه كان ساكناً بها. ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُسْتَ والرُّخَّج وكان مكتبُه هناك، فأقام بها مدّة، ثمّ لَقِيَ بها ذلك الرجلَ الذي نادَمه بِتُسْتَرَ ذاتَ يوم، فسلَّمَ عليه ودعاه إلى منزلِهِ، فأكلا، ثم دعا بالشّراب ليشرَبا، فامتنع الرجلُ وقال: إنِّي قد تركتُها لِلَّه، فقال أبو جِلْدَةَ وهو يَشْرَب: [الطويل]

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لِي بِبُسْتَ ولَيْلَةٍ ولا مِثْلَ أَيَّامِي المَوَاضِي بِتُسْتَرِ
غَنِيتُ بِهَا أَسْقِي سُلاَفَ مُدَامَةٍ كَرِيمَ المُحَيَّا مِنْ عَرَانِينِ يَشْكُرِ
نُبَادِرُ شُرْبَ الرَّاحِ حَتَّى نَهُرَّهَا وتَتْرُكَنَا مِثْلَ الصَّرِيعِ المُعَفَّرِ[4]
فَذلكَ دَهْرٌ قد تَوَلَّى نَعِيمُهُ فَأَصْبَحْتُ قَدْ بُدِّلْتُ طُولَ التَّوَقُّرِ
فَرَاجَعَنِي حِلْمِي وأَصْبَحْتُ منهج الـ شَّرَاب وقِدْماً كُنْتُ كالمُتَحَيِّرِ
وكُلُّ أَوَانِ الحَقِّ أَبْصَرْتُ قَصْدَهُ فَلَسْتُ وإنْ نُبِّهْتُ عَنْهُ بِمُقْصِرِ
سَأَرْكُضُ في التَّقْوَى وفي العِلْمِ بَعْدَما رَكَضْتُ إلى أَمْرِ الغَوِيِّ المُشَهَّرِ
وبِاللَّهِ حَوْلِي واحْتِيَالِي وَقُوَّتِي ومَنْ عِنْدَه عُرْفِي الكَثِيرُ ومُنْكَرِي

---

(١) ذو الحِجر: العقل.
(٢) الجحاجحة: جمع الجَحْجاح: السيّد السَّمح الكريم. والزُّهر: جمع الأزهر: المشرق الوجه.
(٣) تُسْتَر: مدينة بخوزستان (معجم البلدان ٢: ٢٩).
(٤) نهرّها: نكرهها.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حَدَّثنا محمد بن الحارث المدائنيّ قال: مرّ مِسْمَعُ بن مالكٍ بأبي جِلْدَة، فوثَب إليه وأنشأ يقول: [الرجز]

يَا مِسْمَعُ بنَ مَالكٍ يَا مِسْمَعُ ... أَنْتَ الجَوَادُ والخَطِيبُ المِصْقَعُ[1]
فَاصْنَعْ كَمَا كَانَ أبوكَ يَصْنَعُ

فقال له رجلٌ كان جالساً هناك: إنْ قَبِلَ منك والله يا أبا جِلْدَة ناكَ أُمَّه. فقال له: وكيف ذلك ويحكَ؟ قال: لأنَّكَ أمرتَه أن يصنَعَ كما كان أبوه يصنع!.

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانيّ: كان مِسْمَعُ بن مالك يُعطي أبا جلدةَ، فقال فيه:

[البسيط]

يَسْعَى أُنَاسٌ لِكَيْمَا يُدْرِكُوكَ وَلَوْ ... خَاضُوا بِحَارَكَ أو ضَحْضَاحَها غَرِقُوا[2]
وأَنْتَ في الحَرْبِ لا رَثُّ القُوَى بَرِمٌ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ ولا رِعْدِيدَةٌ فَرِقُ[3]
كُلُّ الخِلاَلِ الَّتي يَسْعَى الكِرَامُ لَهَا ... إنْ يَمْدَحُوكَ بِهَا يَوْماً فقد صَدَقُوا
سَادَ العِرَاقَ فَحَالُ النَّاسِ صَالِحَةٌ ... وسَادَهُمْ وَزَمَانُ النَّاسِ مُنْخَرِقُ
لا خَارِجيٌّ ولا مُسْتَحْدَثٌ شَرَفاً ... بَلْ مَجْدُ آلِ شِهَابٍ كان مُذْ خُلِقوا

قال: ثم مدح مُقَاتِل بن مِسْمَعٍ طمعاً في مثل ما كان مِسْمَعٌ يُعطيه، فلم يَلتَفِتْ إليه وأمَرَ أن يُحْجَبَ عنه. فقيل له: تعرّضْتَ لِلسان أبي جِلْدَة وخُبْثه. فقال: ومَنْ هو الكلبُ! وما عسى أن يقول قبحه الله وقبح مَنْ كان منه! فَلْيَجْهَدْ جَهْدَه، فبلغ ذلك من قوله أبا جِلْدة فقال يهجوه: [الطويل]

قَرَى ضَيْفَهُ المَاءَ القَرَاحَ ابْنُ مِسْمَعٍ ... وكَانَ لَئِيماً جَارُهُ يَتَذَلَّلُ
فَلَمَّا رَأَى الضَّيْفُ القِرَى غَيْرَ رَاهِنٍ ... لَدَيْهِ تَوَلَّى هَارِباً يَتَعَلَّلُ[4]
يُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ... أَلاَ كُلُّ مَنْ يَرْجُو قِرَاكُمْ مُضَلَّلُ
عَمِيدُكُمُ هَرَّ الضُّيُوفَ وكُنْتُمُ ... رَبِيعةُ أَمْسَى ضَيْفُكُمْ يَتَحَوَّلُ[5]

---

(١) المِصْقَع: البليغ.
(٢) الضحضاح: الماء القليل القعر.
(٣) الرّثّ: الضعيف. والبَرِم: الملول. والرعديد: الجبان. والفَرِق: الفَزِع.
(٤) غير راهن: غير حاضر.
(٥) هَرّ الضيوف: كرههم.

وخِفْتُمْ بِأَنْ تَقْرُوا الضُّيُوفَ وكُنْتُمُ ... زَماناً بِكُمْ يَحْيَا الضَّرِيكُ المُعَيَّلُ(١)

فَمَا بَالُكُمْ بِاللَّهِ أَنْتُمْ بِخِلْتُمُ ... وقَصَّرْتُمُ والضَّيْفُ يُقْرَى ويُنْزَلُ

وَيُكْرَمُ حَتَّى يُقْتَرَى حِينَ يُقْتَرَى ... يَقُولُ إذا وَلَّى جَمِيلاً فَيُجْمِلُ

فَمَهْلاً بَنِي بَكْرٍ دَعُوا آلَ مِسْمَعٍ ... ورَأْيَهُمُ لا يَسْبِقُ الخَيْلَ مُخْثَلُ(٢)

ودُونَكُمُ أَضْيَافَكُمْ فَتَحَدَّبُوا ... عَلَيْهِمْ وَوَاسُوهُمْ فَذلكَ أَجْمَلُ

ولا تُصْبِحُوا أُحْدُوثَةً مِثْلَ قَائِلٍ ... بِهِ يَضْرِبُ الأَمْثَالَ مَنْ يَتَمَثَّلُ

إذا مَا الْتَقَى الرُّكْبَانُ يَوْماً تَذَاكَرُوا ... بَنِي مِسْمَعٍ حَتَّى يُحَمُّوا وَيَثْقُلُوا

فَلا تَقْرَبُوا أَبْيَاتَهُمْ إنَّ جَارَهُمْ ... وَضَيْفَهُمُ سِيَّانِ أَنَّى تَوَسَّلُوا

هُمُ القَوْمُ غَرَّ الضَّيْفَ مِنْهُم رُوَاؤُهُمْ ... وما فِيهِمُ إلاَّ لَئِيمٌ مُبَخَّلُ(٣)

فَلَوْ بِبَنِي شَيْبَانَ حَلَّتْ رَكَائِبِي ... لَكَانَ قِرَاهُمْ راهِناً حِينَ أَنْزِلُ

أُولئكَ أَوْلَى بِالمَكَارِمِ كُلِّها ... وأَجْدَرُ يَوْماً أَنْ يُوَاسُوا وَيُفْضِلُوا

بَنِي مِسْمَعٍ لا قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكُمْ ... ولا زَالَ وَادِيكُمْ مِنَ المَاءِ يُمْحِلُ

فلَمْ تَرْدَعُوا الأَبْطَالَ بِالبِيضِ والقَنَا ... إذا جعلتْ نارُ الحُرُوبِ تَأَكَّلُ

---

(١) الضّريك: الفقير السيّىء الحال. والمعيَّل: ذو العيال.

(٢) المُخْثَل: السيّىء الغذاء النحيل.

(٣) الرُّواء: حُسْن المنظر.

أخبار عَلُّوَيه ونسبه

[توفي ٢٣٦ هـ/ ٨٥٠ م]

[نسبه ومهنته وطباعه]

هو عليّ بن عبد الله بن سَيْف، وكان جَدُّه من السُّغْد[1] الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عَفّان واسترَقَّ منهم جماعةً اختصّهم بخِدْمته، وأعتق بعضَهم، ولم يُعْتِق الباقينَ فقتلوه. وذكر ابن خُرْدَاذْبه، وهو ممن لا يُحَصَّلُ قولُه ولا يُعْتَمَد عليه، أنَّه من أهل يَثْرِبَ مولى بني أُمَيَّة، والقولُ الأوّل أصحّ.

ويُكْنَى عَلُّوَيْه أبا الحسن، وكان مغنّياً حاذقاً، ومؤدّباً محسناً، وصانعاً متفنّناً، وضارباً متقدِّماً، مع خِفّة رُوح، وطِيبِ مُجالسة، وَمَلاحةِ نوادرَ. وكان إبراهيم الموصليّ علّمه وخرّجه وعُنِيَ به جدًّا، فبرَع وغنّى لمحمد الأمين، وعاش إلى أيّام المتوكّل، ومات بعد إسحاق الموصليّ بمُدَيْدَةٍ[2] يسيرة. وكان سببُ وفاته أنّه خرج به جَرَبٌ، فشكاه إلى يحيى بن ماسَوَيْهِ، فبعَثَ إليه بدواءٍ مُسْهِلٍ وطِلاَء، فشرِبَ الطِّلاء واطَّلَى بالدواء المُسْهِل، فقتله ذلك، وكان إسحاق يتعصّب له في أكثر أوقاته على مُخَارِق. فأمّا التقديمُ والوصفُ فلم يكن إسحاقُ يرى أحداً من جماعته لهما أهلاً، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المَهْدِيّ، فلا يَضُرُّه ذلك مع تقدُّمه وَفَضْلِهِ.

---

(١) السُّغْد: ناحية كثيرة المياه والبساتين، بين بخارى وسمرقند (معجم البلدان ٣: ٢٢٢).

(٢) مديدة: تصغير مدة.

[رأي إسحاق الموصلي به]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال: قلت لأبي: أيّما أفضلُ عندك مُخَارِقٌ أو عَلُّويْه؟ فقال: يا بُنيّ عَلُّوَيه أعْرَفُهما فهماً بما يخرُج من رأسِه وأَعْلَمُهما بما يُغَنِّيه ويُؤدّيه، ولو خُيِّرتُ بينهما مَنْ يُطارح جَوَارِيَّ أو شاورني مَنْ يَسْتنصحني لَمَا أشرتُ إلاَّ بعَلُّوَيه؛ لأنه كان يؤدّي الغناء، وصنعَ صنعةً مُحْكَمةً. ومُخَارِقٌ بِتَمكُّنِهِ من حَلْقه وكثرة نَغَمِهِ لا يُقْنَع بالأخذ منه؛ لأنه لا يؤدّي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنّيه مرّتين غِناءً واحداً لكثرة زوائده فيه. ولكنّهما إذا اجتمعا عند خليفةٍ أو سُوقةٍ غَلب مُخارقٌ على المجلس والجائزةِ لِطِيبِ صوته وكثرة نَغَمِه.

حدّثني جَحْظةُ قال: حَدَّثني أبو عبد الله بن حمدون قال: حَدَّثني أبي قال: اِجتمعتُ مع إسحاق يوماً في بعض دُور بني هاشم، وحضَر عَلُّوَيه فغنَّى أصواتاً، ثم غَنَّى من صَنْعته:

صوت

[الطويل]

ونُبِّئْتُ لَيْلَى أرْسَلَتْ بِشَفَاعةٍ … إلَيَّ فهلاَّ نفسُ لَيْلَى شَفِيعُها

ـ ولحنه ثاني ثقيل ـ فقال له إسحاق: أحسنتَ والله يا أبا الحسن! أحسنتَ ما شئتَ!. فقام علّوَيه من مجلسه فقبّل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسُرَّ بقوله سروراً شديداً، ثم قال: أنت سيّدي وابنُ سيِّدي، وأستاذي وابنُ أستاذي، ولي إليك حاجةٌ. قال: قل، فوالله إني أبلُغُ فيها ما تُحِبّ. قال: أيّما أفضلُ عندك أنا أو مخارق؟ فإنّي أُحِبُّ أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يُؤْثَر ويَحكيه عنك مَنْ حضَر، فَتُشَرِّفني به. فقال إسحاق: ما منكم إلاَّ مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ، فلا تُرِدْ أن تَرَى في هذا شيئاً. قال: سألتُكَ بحَقِّي عليك وبتربية أبيك وبكلِّ حقٍّ تعظّمه إلاَّ حكمتَ. فقال: وَيْحَكَ! والله لو كنتُ أستجيز أن أقولَ غيرَ الحقّ لقلتُه فيما تُحِبُّ، فأمّا إذ أبيتَ إلاَّ ما ذكرتَ فهاكَ ما عندي: فلو خُيِّرْتُ أنا مَنْ يُطارح جَوَارِيَّ أو يغنِّيني لَمَا اخترتُ غيرَك، ولكنّما إذا غَنَّيْتُما بين يَدَيْ خليفةٍ أو أميرٍ غَلَبكَ على إطْرَابهِ واستبدّ عليك بجائزته. فغضِبَ علّويه وقام وقال: أُفٍّ من رضاك ومن غضبك!.

حدّثني جعفر بن قُدَامَةَ قال: حَدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال: قَدِمتُ مِنْ سُرَّ مَنْ رَأَى قَدْمةً إلى بَغْدَادَ، فَلَقِيتُ أبا محمد إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ، فجعل

يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتّى انتهى إلى ذكر الغِناء، فقال: أيُّ شيء رأيتَ الناسَ يستحسنونه في هذه الأيام من الأغاني، فإنّ الناس ربما لَهِجُوا[١] بالصّوت بعد الصّوت؟ فقلت: صوتاً من صَنْعتك. فقال: أيّ شيء هو؟ فقلت:

صوت

[الطويل]

أَلاَ يَا حَمَامَيْ قَصْرِ دُورَانَ هِجْتُمَا ... بِقَلْبِي الهَوَى لَمَّا تَغَنَّيْتُمَا لِيَا

وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسْطَ صَحْبِي ولم أَكُنْ ... أُبَالِي دُمُوعَ العَيْنِ لو كُنْتُ خَالِيا

فضحِكَ وقال: ليس هذا لي، هذا لِعَلّويه، ولقد لَعَمْرِي أحسنَ فيه وجوَّد ما شاء. لحن علّويه في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالوسطى.

[بعض أخباره واجتماعاته التي يغنّي فيها]

حَدَّثني عَمِّي قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن عمرو قال: حَدَّثني أحمد بن محمد بن عبد اللّه الأبزاريّ قال: أتيتُ علّويه يوماً بالعشيّ، فوجدتُ عنده خاقانَ بن حامدٍ وعبدَ اللّه بن صالح صاحبَ المُصَلَّى، وكنتُ حملتُ معي قَفَصَ فَرَارِيجَ كَسْكَرِيّة[٢] مُسَمَّنة وجِرَابَيْ دَقِيقٍ سَمِيذٍ[٣]، فسلّمتُه إلى غلامه، وبعث إلى بِشْرِ بن حارثةَ: أَطْعِمْنا ما عندك، فلم يَزَلْ يُطعمنا فَضَلاتٍ حتى أدرك طعامُهُ، ثم بعث إلى عبد الوهّاب بن الخَصِيب بن عمرو فحَضَر، وقُدِّمَ الطعامُ فأكل وأَكَلْنا أَكْلَ مُعَذِّرين[٤]، ثم قال: إِنِّي صنعتُ البارحةَ لحناً أعجبني، فاسمعوه وقولوا فيه ما عندكم، وغنّانا فقال:

صوت

[الكامل]

هَزِئَتْ عُمَيْرَةُ أَنْ رَأَتْ ظَهْرِي انْحَنَى ... وذُؤَابَتِي عُلَّتْ بِمَاءِ خِضَابِ

لا تَهْزَئِي مِنّي عُمَيْرُ فَإِنَّنِي ... مَحْضٌ كَرِيمٌ شَيْبَتِي وَشَبَابي

(١) لَهِجَ بالشيء: أُولعَ به فثابر عليه وداومه.

(٢) كسكريّة: منسوبة إلى كسكر وهي كورة بين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٤: ٤٦١).

(٣) السميذ: الطحين الأبيض.

(٤) المُعَذِّر: المقصِّر.

ـ لحنُ علُّويه في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى ـ فقلنا له: حسنٌ والله جميلٌ يا أبا الحسن، وشرِبنا عليه أقداحاً. ثم استُؤذن لِعَثْعَثٍ غلام أحمد بن يحيى بن مُعاذ، فأذِنَ له، ومع عَثْعَث كتابٌ من مولاه أحمد بن يحيى: سمعتُ يا سيِّدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين (يعني المعتصمَ)، فأُحِبُّ أن تتفضّل وتطرَحه على عبدك عثعث، وهو:

صوت

[الطويل]

فَوَاحَسْرَتَا لم أَقْضِ مِنْكِ لُبَانَةً ... ولم أَتَمَتَّعْ بِالجِوارِ وبِالقُرْبِ[1]
يقولونَ هذا آخِرُ العَهْدِ مِنْهُمُ ... فَقُلْتُ وهَذَا آخِرُ العَهْدِ مِنْ قَلْبِي

لحنُ علّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل، وهو من مقدَّم أغانيه وصدورها، وأوّل هذا الصوت:

[الطويل]

ألاَ يا حَمَامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مُوَرِّقٍ ... سَقَتْكَ الغَوَادِي مِنْ حَمامٍ ومِنْ شِعْبِ[2]

قال: وإذَا مع حُسَين رُقْعَةٌ من مولاه: سَمِعتُكَ يا سيِّدي تُغَنِّي عند الأمير أبي إسحاقَ إبراهيم بن المَهْدِيّ:

[الطويل]

ألاَ يا حَمَامَيْ قَصْرِ دُورَانَ هِجْتُمَا ... بِقَلْبِي الهَوَى لَمَّا تَغَنَّيْتُمَا لِيَا

أُحِبُّ أَنْ تطرَحه على عبدك حُسين. قال: فدعا بغلام له يُسَمَّى عَبْدَ آل فطرحه عليهما حتى أحكماه ثم عَرَضاه عليه حتّى صحّ لهما. فما أعلمُ أنَّه مَرَّ لنا يومٌ يقاربُ طِيبَ ذلك اليومِ وحُسْنَه.

حدَّثني جعفر بن قُدَامَةَ قال: حدَّثني عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر قال: سمعتُ أبي يقول سمعت الواثق يقول: عَلُّويه أصَحُّ الناسِ صَنْعَةً بعد إسحاق، وأطيبُ الناس صوتاً بعد مُخَارِق، وأضربُ الناسِ بعد زَبْرَبٍ ومُلاَحظ، فهو مُصَلِّي[3] كلِّ سابقٍ قادرٍ، وثانِي كُلِّ أوّلٍ واصلٍ مُتَقَدِّم. قال: وكان الواثقُ يقول: غِنَاءُ عَلّويه مثلُ نَقْرِ الطَّسْتِ يبقَى ساعةً في السمع بعد سُكوته.

---

(١) اللبانة: الحاجة.
(٢) الشِّعب: الطريق في الجبل، وهناك عدة مواضع يطلق عليها هذا الاسم (معجم البلدان ٣:٣٤٧).
(٣) المصلّي من الخيل: الذي يتلو السابق.

نسختُ من كتاب أبي العبّاس بن ثَوَابَةَ بخطّه: حَدَّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال: حَدَّثني عبد الله بن العبّاس الربيعيّ قال: اجتمعتُ يوماً بين يَدَي المعتصم وحضر إسحاقُ الموصليُّ، فغنّى عَلُّويه: [الطويل]

لِعَبْدَةَ دارٌ ما تُكَلِّمُنَا الدّارُ تَلُوحُ مَغَانِيها كَمَا لاَحَ أَسْطَارُ[1]

فقال إسحاق: أخطأتَ فيه، ليس هو هكذا. فغضِبَ علّويه وقال: أُمُّ مَنْ أخذنا عنه هكذا زانيةٌ. فقال إسحاق: وَشَتَمَنَا قَبَحه الله، وسكت وبانَ ذلك فيه. قال: وكان عَلُّويه أخذه من أبيه[2].

[كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار]

حَدَّثني عَمِّي قال: حَدّثنا هارون بن مُخَارِق قال: كان علّويه أعسرَ وكان عُودُهُ مقلوبَ الأوتار: البَمُّ أسفل الأوتار كلّها، ثم المَثْلَثُ فوقه، ثم المَثْنَى، ثم الزِّير، وكان عُودُهُ إذا كان في يدِ غيره مقلوباً على هذه الصفة، وإذا كان معه أخذه باليمنَى وضرب باليسرى، فيكونُ مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره.

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال: كان الخَلَنْجِيُّ القاضي، واسمه عبد الله بن محمد ابنَ أخت علّويه المغنِّي، وكان تَيَّاهاً صَلِفاً، فتقلّد في خلافة الأمين قضاء الشَّرْقيّة[3]، فكان يجلِسُ إلى أُسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جَسَده ولا يتحرّك، فإذا تقدّم إليه الخَصْمَانِ أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتّى يَفْصِلَ بينهما ثم يعود لحاله. فعَمَد بعض المُجّان إلى رُقْعةٍ من الرِّقاع التي يُكْتَبُ فيها الدَّعاوَى فألصقها في موضع ذَنَبتِه بالدِّبْق ومَكّن منها الدِّبْقَ. فلمّا تقدّم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشفَ رأسُه وبقيتِ الذّنبةُ موضعَهَا مصلوبةً ملتصقةً، فقام الخَلَنْجِيّ مُغْضَباً وعلِمَ أنّها حيلةٌ وقعتْ عليه، فغطّى رأسَه بِطَيْلَسَانِهِ[4] وقام فانصرف وتركها مكانَهَا، حتّى جاء بعضُ أعوانه

---

(١) المغاني: جمع المغنى: المنزل. والأسطار: جمع السطر: وهو سطر الكتابة.
(٢) أبيه: هو إبراهيم الموصلي.
(٣) الشرقية: محلة بالجانب الغربي من بغداد (معجم البلدان ٣: ٣٣٧).
(٤) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه خواصّ العلماء والمشايخ.

فأخذها. وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات: [المنسرح]

إنَّ الخَلَنْجِيَّ مِنْ تَتَايُهِهِ أثْقَلُ بَادٍ لَنَا بِطَلْعَتِهِ
مَا إنْ لِذِي نَخْوَةٍ مُنَاسَبَةٌ بَيْنَ أخَاوِينِهِ وقَصْعَتِهِ[1]
يُصَالِحُ الخَصْمُ مَنْ يُخَاصِمُهُ خَوْفاً مِنَ الجَوْرِ في قَضِيَّتِهِ
لو لَمْ تُدَبِّقْهُ كَفُّ قَانِصِهِ لَطَارَ تِيهاً على رَعِيَّتِهِ

قال: وشُهِرَتِ الأبياتُ والقِصّةُ بِبَغْدَادَ، وعمِل له علُّوَيه حكايةً أعطاها للزفَّانِين[2] والمُخَنَّثين فأحرجوه فيها، وكان عَلُّويه يُعاديه لِمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه، واستعفى الخلنجيُّ من القضاء ببغدادَ وسأل أن يُوَلَّى بعضَ الكُوَرِ البعيدة، فوُلِّيَ جُنْدَ دِمَشْقَ أو حِمْصَ. فلمّا وَلِي المأمونُ الخلافةَ غَنَّاه علُّويه بِشعر الخَلَنْجِيِّ فقال: [الطويل]

بَرِئْتُ مِنَ الإسْلامِ إنْ كَانَ ذَا الَّذِي أتَاكِ به الوَاشُونَ عَنِّي كَمَا قالوا
ولَكِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْكِ غَرِيَّةً بِهَجْرِي تَوَاصَوا بِالنَّمِيمَةِ وَاحْتَالُوا[3]
فَقَدْ صِرْتِ أُذْناً لِلوُشَاةِ سَمِيعةً يَنالُونَ مِنْ عِرْضِي وإنْ شِئْتِ ما نَالُوا

فقال له المأمون: مَنْ يقول هذا الشعر؟ فقال: قاضي دِمَشْقَ. فأمر المأمون بإحضاره، فكُتِبَ إلى صاحب دِمَشْقَ بإشخاصه فأُشْخِص، وجلَس المأمون لِلشُّرْبِ وأحضر علُّويه، ودعا بالقاضي فقال له: أنْشِدْني قولَك:

بَرِئْتُ مِنَ الإسْلامِ إنْ كَانَ ذَا الَّذِي أتَاكِ به الواشونَ عَنِّي كما قالوا

فقال له: يا أمير المؤمنين هذه أبياتٌ قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبيّ، والذي أكرمك بالخلافةِ وورّثكَ ميراثَ النبوّة ما قلتُ شعراً منذ أكثر من عشرين سنةً إلاَّ في زُهْدٍ أو عتابِ صديق. فقال له: اجْلِسْ فجلَس، فناوَلَه قَدَح نبيذِ التمر أو الزَّبيب. فقال: لا والله يا أميرَ المؤمنين ما أعرِفُ شيئاً منها. فأخذ القَدَحَ من يده وقال: أما واللَّهِ لو شربْتَ شيئاً من هذا لَضَرَبْتُ عنقكَ، وقد ظننتُ أنّك صادقٌ في قولك كلِّه، ولكن لا يتولّى لي القضاءَ رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام، انْصَرِفْ إلى منزلك، وأمر عَلّويه فغيَّر الكلمة وجعل مكانَهَا «حُرِمْتُ مُنَايَ منكِ».

---

(١) الأخاوين: جمع الخوان: وهو الطاولة التي يوضع عليها الطعام.

(٢) الزّفان: الرقّاص.

(٣) غرية بهجري: مولعة به.

[الأمين يعاتب علويه لميله إلى المأمون]

حدّثني جعفر بن قُدامةَ قال: حدَّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك قال:

كان علُّويه يغنِّي بين يدي الأمين، فغنّى في بعض غِنائه: [الرمل]

لَـيْـتَ هِـنْـداً أَنْـجَـزَتْـنَـا مَـا تَـعِـدْ وَشَـفَـتْ أَنْـفُـسَـنَـا مِـمَّـا تَـجِـدْ[1]

وكان الفضلُ بن الربيع يطعَن عليه، فقال للأمين: إنّما يُعَرِّض بك ويستبطىء المأمونَ في محاربته، فأمَر به فضُرِبَ خمسين سوطاً وجُرَّ برجله، وجفاه مدّةً، حتى ألقى نفسه على كَوْثَرٍ[2] فترضّاه له ورُدَّ إلى خدمته، وأمر له بخمسة آلاف دينار، فلمّا قدِمَ المأمون تقرّب إليه بذلك، فلم يقع له بحيث يُحِبّ، وقال له: إنَّ المَلِكَ بمنزلة الأسَد أو النار، فلا تتعرّض لِما يُغضبه، فإنه ربّما جرى منه ما يُتلفكَ ثم لا تقدِرُ بعد ذلك على تلافي ما فَرَط منه، ولم يُعطه شيئاً.

ومثل هذا من فعل الأمين، ما حدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال: حَدَّثني أبي قال: دخلتُ على الأمين فرأيتُهُ مُغْضَباً كالحاً، فقلتُ له: ما لأمير المؤمنين ـ تمّمَ الله سرورَه ولا نغّصه ـ أراه كالحائر؟ قال: غاظني أبوك الساعةَ لا رحِمه الله! والله لو كان حَيّاً لضربته خَمسمائة سوط، ولولاك لنَبَشْتُ الساعةَ قبرَه وأحرقتُ عِظامه. فقمتُ على رِجلي وقلت: أعوذُ بالله من سُخْطك يا أميرَ المؤمنين! ومَنْ أَبِي وما مقدارُه حتّى تغتاظ منه! وما الذي غاظك فلعلّ له فيه عُذراً؟ فقال: شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمُهُ إيّاه عَلَيَّ حَتَّى قال في الرشيد شعراً يقدّمه فيه عليّ وغنّاه فيه، وغُنِّيته الساعةَ فأورثني هذا الغيظ. فقلتُ: والله ما سمعتُ بهذا قطُّ ولا لأبي غِناءٌ إلاّ وأنا أرويه، ما هو؟ فقال: قوله: [الوافر]

أَبُـو الـمَـأمـونِ فِـيـنَـا والأَمِـيـنِ لَـه كَـنَـفَـانِ مِـنْ كَـرَمٍ ولِـيـنِ

فقلت له: يا أمير المؤمنين لم يُقَدِّم المأمونَ في الشعر لتقديمه إيّاه في المُوالاة، ولكنّ الشّعر لم يَصحَّ وزنه إلاَّ هكذا. فقال: كان ينبغي له إذ لم يَصِحَّ الشعرُ إلاّ هكذا أن يَدَعَه إلى لعنة الله. فلم أَزَلْ أُداريه وأَرْفُقُ به حتى سَكَنَ. فلمّا قَدِمَ المأمون سألني عن هذا الحديث فحدّثته به، فجعل يضحك ويعجَب منه.

---

(١) الشعر لعمر بن أبي ربيعة.

(٢) كوثر: اسم رجل لعلّه من حاشية الأمين.

حدَّثني جعفرُ بن قُدَامَةَ قال: حَدَّثني عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر قال: سمعتُ أبي يقول: لو خُيِّرْتُ لوناً من الطّعام لا أَزِيد عليه غيرَه لاخترتُ الدُّرّاجة[١]؛ لأنّي إنْ زِدْتُ في خَلِّها صارتْ سِكْبَاجَةً[٢]، وإنْ زدتُ في مائها صارت إسفيدباجةً[٣]، وإنْ زدتُ في تَصْبِيرِها بل في تَشْيِيطها صارتْ مُطَجَّنَةً[٤]. ولو اقتصرتُ على رجل واحد لَمَا اخترتُ سوى علّويه؛ لأنه إن حَدَّثني ألهاني، وإنْ غنّاني أشجاني، وإنْ رجعتُ إلى رأيه كفاني.

[بعضٌ من أخباره المتفرقة]

حَدَّثني عمي قال: حَدَّثني عبد اللّه بن أبي سَعْد قال: حَدَّثني محمد بن محمد الأَبْزاريّ قال: كنتُ عند سَعيد بن عُجَيْفٍ أنا وعبدُ الوهّاب بن الخَصيب وعبدُ اللّه بنُ صالح صاحبُ المُصَلَّى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له: علُّوَيه بالباب، فأَذِن له فدخل. فقال له: لا تَحْمَدْنِي فَإِنِّي لم يَجِئْنِي رسولُ رجلٍ اليومَ، فعرضت إخواني جميعاً على قلبي فلم يَقَعْ عليه غيرُك. فدعا له بِبِرْذَوْنٍ أَدْهَمَ بِسَرْجِهِ ولِجامه فأهداه إليه، وجلسنا نشرَب وعلّويه يغنّي. فلمّا تَوَسّطْنا أمرَنا جاء رسولُ عُجَيْفٍ[٥] يطلُبه في منزله، فقالوا له: هو عند ابنه سَعيد. فأتاه الرسولُ فقال له: أَجِبِ الأميرَ. فقلنا: هذا شيءٌ ليس فيه حِيلةٌ. وقد جاء الرسول وهو يغنّي:

صوت

[الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أَنِّـي يَـوْمَ جَـوِّ سُـوَيْـقَـةٍ ... بَـكَـيْـتُ فَـنَـادَتْـنِـي هُـنَـيْـدةُ مَـا لِـيَـا[٦]

فَـقُـلْـتُ لَـهَـا إِنَّ الـبُـكَـاءَ لَـرَاحَـةٌ ... بِـهِ يَـشْـتَـفِـي مَـنْ ظَـنَّ أَنْ لاَ تَـلاَقِـيَـا

ـ لحنُ علّويه في هذا رملٌ، والشعرُ للفَرَزْدَق ـ قال: فقام علّويه ثم قال: هُوَذَا، أمضِي إلى الأمير فأُحدِّثه بحديثنا وأستأذِنه في الانصراف بوقتٍ يكون فيه

---

(١) الدُّرّاجة: ضرب من طيور العراق يشبه الحجل قصير المنقار يدرج في مشيه.
(٢) السّكباجة: مرق يُتّخَذ من اللحم والخل.
(٣) إسفيدباجة: نوع من الطعام يتكوّن من البصل والزبدة والتوابل.
(٤) المطجّنة: المقلية في الطاجن.
(٥) هو عجيف بن عنبسة من قوّاد المعتصم.
(٦) سويقة: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٣: ٢٨٧).

فضلٌ لكم. فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ[1]، فيه مِسْكٌ وعشرةُ آلاف درهم وَمَنَيَانِ[2] فيهما رماطونٌ[3]، فقال: جئتُ أشرب عندكم، وآخُذه وأنصرِف إلى إنسان له عندي أيادٍ (يعني عليَّ بن مُعَاذٍ أخا يحيى بن مُعاذ) فلم يَزَلْ عندنا حتّى هَمَّ بالانصراف. فلمّا رأيت ذلك فيه قمتُ قبلَه فأتيتُ منزلَ عليّ بن مُعاذ، فقيل له: ابن الأبزاريّ بالباب. فبعث إليّ: إنْ أردتَ مضاءً فخُذْه (يعني غلاماً كان يغنّي)، فقلتُ له: لست أريده، إنّما أُريدك أنت، فأذِن لي فدخلتُ. فقال: ألك حاجةٌ في هذا الوقت؟ فقلت: الساعةَ يجيئك علُّويه. فقال: وما يُدريك؟ فحدّثته بالحديث. ودخل علّويه، فقال لي: ما جاء بك إلى ها هنا؟ فقلتُ: ما كنتُ لأدَعَ بقيّةَ ليلتي هذه تضيع، فما زال يُغَنّينا ونشرَب حتى نام الناس ثم انصرفنا.

حَدَّثني جعفر بن قُدَامَةَ قال: حَدَّثنا هارون بن مُخَارِق قال: حَدَّثني أبي قال: قلت لعمرو بن بانَةَ: أيّما أجودُ صَنْعَتُك أم صنعةُ علّويه؟ فقال: صنعةُ عَلّويه، لأنه ضاربٌ وأنا مُرتَجِلٌ. ثم أطرق ساعةً وقال: لا أُكْذِبك يا أبا المُهَنّأ والله ما أُحسنُ أن أصنَع مثلَ صنعةِ علّويه: [الطويل]

فَـوَاحَـسْـرَتَـا لَـمْ أَقْـضِ مِـنْـكِ لُـبَـانَـةً ... وَلَـمْ أَتَـمَـتَّـعْ بِـالـجِـوَارِ وبِـالـقُـرْبِ

ولا مثلَ صنعتِهِ: [الكامل]

هَـزِئَتْ أُمَـيْـمَـةُ أَنْ رَأَتْ ظَـهْـرِي انْـحَـنَـى ... وذُؤَابَـتِـي عُـلَّـتْ بِـمـاءِ خِـضَـابِ

ولا مثلَ صنعته: [الطويل]

أَلاَ يـا حَـمَـامَـيْ قَـصْـرِ دُوَرانَ هِـجْـتُـمـا ... لِـقَـلْـبِـي الـهَـوَى لَـمَّـا تَـغَـنَّـيْـتُـمـا لِـيَـا

وقد مضتْ نسبة هذه الأصوات.

حَدَّثني جَحْظَةُ قال: حَدَّثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال: حَدَّثني أحمد بن الخليل بن هشام قال: كان بين علّويه وبين علّي بن الهَيْثَم جَوْنَقا، شرٌّ في عَرْبدةٍ وقعتْ بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادَى الشرّ بينهما، فغنّى

---

(١) الجام: إناء من فضّة كالكأس يُتّخذ للطعام والشراب. والمنيان: مثنى المَنَى: المقدار أو هو مكيال يكيلون به.

(٢) الرماطون: ضرب من الشراب يتّخذ من الخمر والعسل.

علّويه في شعرٍ هجاه به أبو يعقوب[1] في حاجةٍ، فهجاه وذكر أنه دَعِيٌّ. وكان جَوَنْقَا يَدَّعي أنّه من بني تَغْلِب، فقال فيه أبو يعقوب: [الخفيف]

يَـا عَـلِـيُّ بـنَ هَـيْـثَـم يـا جَـوْنَـقَـا أَنْـتَ عِـنْـدِي مِـنَ الأَرَاقِـم حَـقّـا[2]
عَـرَبِـيٌّ وجَـدُّهُ نَـبَـطِـيٌّ فَـدَبَـنْـقَـا لِـذَا الـحَـدِيـثِ دَبَـنْـقَـا
قَـدْ أَصَـابَـتْـكَ فـي الـتَّـقَـرُّبِ عَـيْـنٌ فَـاسْـتَـنَـارَتْ لِـشِـهـبِـهـا الـفـلـك بَـرْقَـا
وإذا قَـالَ إِنَّـنِـي عَـرَبِـيٌّ فَـانْـتَـهِـرْهُ وقُـلْ لـه أنـتَ شَـفْـقَـا

ـ ولِلخُرَيْمِيّ فيه أهاج نَبطيّة ـ فغنّى علّويه لحناً صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين، وكان الفضل بنُ الربيع حاضراً فقال: يا أميرَ المؤمنين عليُّ بن الهيثم كآبني، وإذا استخفّ به فإنّما استخفّ بي. فقال الأمين: خُذوه، فأخذوه وضُرِبَ ثلاثين دِرَّةً[3]، وأمر بإخراجه. فطرَحَ علّويه نفسَه على كَوْثر فاستصلح له الفضلَ بن الربيع، وتَرَضَّى له الأمينَ حتى رَضِيَ عنه ووهب له خمسة آلاف دينار.

حَدَّثني جعفر بن قُدامة قال: حَدَّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك قال: حَدَّثني مُخَارِق قال: غَنَّى علّويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت: [البسيط]

مَنْ صَاحَبَ الدَّهْرَ لم يَحْمَدْ تَصَرُّفَهُ عَـنـاً ولِـلـدَّهْـرِ إِحْـلاَءٌ وإِمْـرَارُ[4]

ـ ولحنه ثقيلٌ أوّل ـ فاَستحسنه الواثق وطرِب عليه، فقال علُّويه: والله لو شِئتُ لَجعلتُ الغِناءَ في أيدي الناس أكثرَ من الجَوْز، وإسحاق حاضرٌ بين يدي الواثق، فتضاحَكَ ثم قال: يا أبا الحسن، إذاً تكون قيمتُه مثلَ قيمة الجَوْز، ليتَك إذْ قَلَّلْتَه صنعتَ شيئاً، فكيف إذا كثَّرته!. فخجِلَ علّويه حتى كأنّما ألقمه إسحاق حجراً، وما انتفع بنفسه يومئذ.

حَدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني عبد اللّه بن المعتزّ قال: حَدَّثني عبد اللّه الهشاميّ قال: قال لي عَلّويه: أَمَرَنا المأمونُ أن نُباكره لِنصطبِحَ، فلَقِيَنِي عبد اللّه بن إسماعيل المَرَاكبيّ مولى عريبَ، فقال: أيّها الظالم المعتدي أمَا ترحَمُ ولا تَرِقّ، عريبُ هائمةٌ من الشّوق إليكَ تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلمُ بك في

---

(١) أبو يعقوب: هو الشاعر الخريمي.
(٢) الأراقم: حَيّ من تغلب.
(٣) الدِّرّة: السوط الذي يُضرب به.
(٤) عناً: عناء.

نومَها في كلّ ليلة ثلاثَ مرّات. قال علّويه: فقلت أمّ الخلافةِ زانيةٌ، ومضيتُ معه. فحين دخلتُ قلت: استوثِقْ من الباب، فأنا أعْرَفُ النّاسِ بفضول الحُجَّاب، فإذا عريبُ جالسةٌ على كرسيٍّ تطبُخُ ثلاثَ قُدور من دَجَاج. فلمّا رأتْني قامت فعانقتْني وقبّلتني وقالت: أيَّ شيء تشتهي؟ فقلت: قِدْراً من هذه القدور، فأفرغتْ قِدْراً بيني وبينها فأكلْنا، ودعتْ بالنَّبيذ فصبَّتْ رِطلاً فشَرِبتْ نِصْفَه وسَقَتْني نصفَه، فما زِلتُ أشرَبُ حتى كِدْتُ أنْ أسْكَرَ. ثم قالت: يا أبا الحسن، غنّيتُ البارحةَ في شعر لأبي العَتَاهِيةِ أعجبني، أفتسمَعُه منّي وتُصْلِحُه؟ فغنّت:

صوت

[الطويل]

عَـذِيـري مِـنَ الإنْـسَـانِ لا إنْ جَـفَـوْتُـهُ ... صَـفَـا لـي ولا إنْ صِـرْتُ طَـوْعَ يَـدَيْـهِ
وإنِّـي لَـمُـشْـتَـاقٌ إلـى ظِـلِّ صَـاحِـبٍ ... يَـرُوقُ ويَـصْـفُـو إنْ كَـدُرْتُ عَـلـيْـهِ

فصيَّرناه مجلساً، وقالت: قد بَقِيَ فيه شيء، فلم أزَلْ أنا وهي حتى أصلحناه. ثم قالت: وأُحِبُّ أنْ تُغَنِّي أنتَ فيه أيضاً لحناً، ففعلتُ. وجعلنا نَشرب على اللَّحنين مَلِيًّا، ثم جاء الحُجّاب فكسروا الباب واستخرجوني، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أرقُصُ من أقصى الإيوان وأُصَفِّقُ وأُغَنِّي بالصوت، فسمِعَ المأمونُ والمغنُّون ما لم يعرِفوه فاستطرفوه، وقال المأمون: ادْنُ يا عَلّويه ورُدَّهُ، فردَدته عليه سبعَ مرّات. فقال لي في آخرها عند قولي:

يـروقُ ويـصـفـو إن كـدرتُ عـلـيـه

يا عَلُّويه خُذِ الخلافةَ وأعْطِني هذا الصّاحبَ.

لحنُ عَرِيبَ في هذا الشعر رَمَلٌ، وفيه لعلّويه لحنان: ثاني ثقيلٌ، وماخُوريّ.

وقال العَتَّابي: حَدَّثني أحمد بن حَمْدون قال: غاب عنّا علّويه مدَّةً ثم صار إلينا، فقال له إبراهيم بن المهديّ: ما الذي أحدثتَ بعدي من الصَّنْعة يا أبا الحسن؟ قال: صنَعتُ صوتين. قال: فهاتِهما إذاً؛ فغنّاه:

صوت

[الطويل]

ألاَ إنَّ لِـي نَـفْـسَـيْـنِ نَـفْـسـاً تَـقُـولُ لِـي ... تَـمَـتَّـعْ بِـلَـيْـلَـى مَـا بَـدَا لَـكَ لِـيـنُـهـا
ونَـفْـسـاً تـقـولُ اسْـتَـبْـقِ وُدَّكَ واتَّـئِـدْ ... ونَـفْـسَـكَ لا تَـطْـرَحْ عـلـى مَـنْ يُـهِـيـنُـهـا

ـ لحن علّويه في هذين البيتين خفيف ثقيل ـ قال: فرأيتُ إبراهيم بن المهديّ قد كاد يموت من حسده وتغيَّرَ لونُهُ، ولم يَدْرِ ما يقول له؛ لأنه لم يجدْ في الصوت مَطْعَناً، فعدَلَ عن الكلام في هذا المعنى وقال: هذا يدُلّ على أنّ ليلَى هذه كانت من لِينها مثلَ المُوم[1] بِالبَنَفْسَج، فسكَت علّويه. ثم سأله عن الصوت الآخر، فغنَّاه.

صوت

إذا كَـانَ لـي شَـيْـئَـانِ يَـا أُمَّ مَـالِـكٍ فَـإنَّ لِـجَـارِي مِـنْـهُـمَـا مـا تَـخَـيَّـرَا

وفـي وَاحِـدٍ إنْ لَـمْ يَـكُـنْ غَـيْـرُ وَاحِـدٍ أَرَاهُ لَـهُ أَهْـلاً إذا كَـانَ مُـقْـتِـرَا

ـ والشعر لحاتم الطائيّ، لحنُ علّويه في هذين البيتين أيضاً خفيفُ ثقيل، وقد رُوِيَ أنّ إبراهيم الموصِليّ صنَعَه ونحله إيّاه، وأنا أذكر خبرَه بِعَقِبِ هذا الخبر ـ قال أحمد بن حمدون: فأتَى والله بما بَرَّزَ على الأول وأوفى عليه، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصَّنعة وعجزِهِ عنها. فقال له: وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارَك منهما واحدةً؟ فخجِلَ علُّويه وما نطق بصوتٍ بقيّة يومه.

وحَدَّثني عَمّي عن عليّ بن محمد عن جَدّه حَمْدون هذا الخبر، ولفظه أقلّ من هذا.

فَأَمّا الخبر الذي ذكرته عن علّويه أنّ إبراهيمَ الموصليّ نحلَه هذا الصوت. فحدّثني جَحْظةُ قال: حَدَّثني ابنُ المكّي المُرْتجل وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال: حَدَّثني علّويه قال: قال إبراهيم الموصلّيّ يوماً: إنّي قد صنعتُ صوتاً وما سَمِعَهُ منّي أحدٌ بعد، وقد أحببتُ أن أنفعَك وأرفَع منك بأنْ أُلقيه عليك وأهَبَه لك، ووالله ما فعلتُ هذا بإسحاق قَطُّ وقد خصصتُكَ به، فانْتَحِلْه وادَّعِه، فلست أنسُبه إلى نفسي وستَكْسِب به مالاً. فألقى عليَّ قوله:

إذا كَـانَ لـي شَـيْـئَـانِ يَـا أُمَّ مَـالِـكٍ فَـإنَّ لِـجَـارِي مِـنْـهُـمَـا مـا تَـخَـيَّـرا

فأخذته وادَّعيته وستَرته طوالَ أيّام الرشيد خوفاً من أن أُتَّهَم فيه وطولَ أيّام الأمين حتى حَدث عليه ما حدث. وقدِمَ المأمونُ من خُرَاسانَ وكان يخرج إلى

---

(١) الموم: الشمع.

الشمَّاسِيّة[١] دائماً يتنزّه، فركِبتُ في زَلاَّلٍ[٢] وجئتُ أتْبعه، فرأيتُ حَرّاقة[٣] عليّ بن هشام، فقلتُ لِلمَلاّح: اطْرَحْ زَلالي على الحَرَّاقة ففعل، واستُؤْذِنَ لي فدخلتُ وهو يشرَب مع الجواري ـ وما كانوا يحجُبون جَواريَهم في ذلك الوقت ما لم يَلِدْنَ ـ فإذا بين يديه مُتَيَّم وبَذْلُ من جَوَارِيه، فغنَّيته الصوتَ فاستحسنه جِدًّا وطرِبَ عليه وقال: لمن هذا؟ فقلتُ: هذا صوتٌ صنعتُه وأهديته لك، ولم يسمَعْهُ أحدٌ قبلَكَ. فازداد به عجباً وطَرَباً وقال لها: خُذِيه عنه، فألقيتُه عليها حتى أخذتْه، فسُرَّ بذلك وطرِبَ، وقال لي: ما أجِدُ لك مُكافأةً على هذه الهديّة إلاَّ أن أتحوَّلَ عن هذه الحَرَّاقة بما فيها وأُسَلِّمه إليك أجمَعَ. فتحوّل إلى أُخرى، وسُلِّمَتِ الحَرَّاقةُ بِخِزانتها وجميع آلاتها إليّ وكلِّ شيء فيها، فبِعتُ ذلك بمائةٍ وخمسين ألف درهمٍ واشتريتُ بها ضَيْعَتِي الصَّالحيّة.

[غنّى المأمون بيتاً مجهولاً]

حَدَّثني جَحْظةُ قال: حَدَّثني ابن المكيّ المرتجل عن أبيه قال؛ قال إسحاقُ بن حُمَيْدٍ كاتبُ أبي الرازيّ، وحَدَّثني به عمّي قال: حَدَّثني عبد اللّه بن أبي سعد قال: حَدَّثني حسّان بن محمد الحارثيّ عن إسحاق بن حُمَيْدٍ كاتِبِ أبي الرازي قال: غَنَّى علّويه الأعسرُ يوماً بين يَدَيْ المأمون: [الطويل]

تَـخَـيَّـرْتُ مِـنْ نَـعْـمَـانَ عُـودَ أَرَاكَـةٍ ... لِـهِـنْـدٍ فَـمَـنْ هـذَا يُـبَـلِّـغُـهُ هِـنْـدَا

فقال المأمون: اطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يُعْرَفْ، وسأل كلَّ مَنْ بحضرته من أهل الأدب والرُّواة والجُلَساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ. فقال إسحاق بن حُميد: لمّا رأيتُ ذلك عُنِيتُ بهذا الشعر وجَهَدْتُ في المسألة وطلبتُه ببغدادَ عند كلّ متأدِّب وذي معرفةٍ فلم يَعْرِفْه. وقلّد المأمون أبا الرازيّ كُوَرَ دِجْلَة وأنا أَكْتُب له، ثم نقله إلى اليَمَامة والبَحْرَين. قال إسحاق بن حُمَيْد: فلمّا خرجنا رَكِبتُ مع أبي الرازيّ في بعض اللّيالي على جِمارة، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ، وإذا البيت الذي كنت أطلُبه،

---

(١) الشماسيّة: من ضواحي بغداد منسوبة إلى شمّاسيّ النصارى (معجم البلدان ٣:٣٦١).

(٢) الزّلاّل: زورق صغير.

(٣) الحرّاقة: السفينة التي ترمي الأعداء بالنيران في البحر.

فسألتُه عنها فذكر أنها للمُرَقّش الأكبر، فحفِظْتُ منها هذه الأبيات: [الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجَا بَارَكَ الله فِيكُمَا وإنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لأَرْضِكُمَا قَصْدَا
وقُولاَ لهـا لَيْسَ الضَّلاَلُ أَجَازَنَا وَلَكِنَّنَا جُزْنَا لِنَلْقَاكُمُ عَمْدا
تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانَ عُودَ أَرَاكَةٍ لِهِنْدٍ فمَنْ هذا يُبَلِّغُهُ هِنْدَا
وَأَنْطَيْتُهُ سَيْفِي لِكَيْمَا أُقِيمَهُ فَلاَ أَوَداً فيه اسْتَبَنْتُ ولا خَضْدَا[١]
سَتَبْلُغُ هِنْداً إنْ سَلِمْنَا قَلاَئِصٌ مَهَارِي يُقَطِّعْنَ الفَلاَةَ بِنَا وَخْدَا[٢]
فَلَمَّا أَنَخْنَا العِيسَ قد طَارَ سَيْرُها إلَيْهِم وَجَدْنَاهُمْ لَنَا بِالقِرَى حَشْدَا[٣]
فَتَاوَلْتُها المِسْوَاكَ وَالقَلْبُ خَائِفٌ وَقُلْتُ لها يا هِنْدُ أَهْلَكْتِنا وَجْدَا
فَمَدَّتْ يَداً في حُسْنِ دَلٍّ تَناوُلاً إليه وَقَالَتْ ما أَرَى مِثْلَ ذَا يُهْدَى
وَأَقْبَلْتُ كَالمُجْتَازِ أَدَّى رِسَالَةً وَقَامَتْ تَجُرُّ المَيْسَنَانِيَّ والبُرْدَا[٤]
تَعَرَّضُ لِلْحَيِّ الَّذِينَ أُرِيدُهُمْ وَمَا الْتَمَسَتْ إلاَّ لِتَقْتُلَنِي عَمْدَا
فَمَا شِبْهُ هِنْدٍ غَيْرُ أَدْمَاءَ خَاذِلٍ مِنَ الوَحْشِ مُرْتَاعٍ مُرَاعٍ طَلاً فَرْدَا[٥]

قال: فكتب بها إلى المأمون فاستُحْسِنَتْ ورُوِيَتْ، وأمر علّويه فصنَعَ في البيتين الأوّلين منها غناء يُشبه[٦].

أغاني علّويه في هذه الأبيات: اللّحن الأوّل في قوله:

تخيّرتُ من نَعمانَ عود أراكةٍ

غَنَّاه عَلُّويه وليس اللحن له، اللّحن لإبراهيم خفيفُ ثقِيلٍ بِالبِنْصر، ولحنُه الثاني الذي أمره أنْ يصنَعه في:

---

(١) أنطيته: أعطيته. والأود: الاعوجاج. والخضد: الكسر.
(٢) القلائص: جمع القلوص: الناقة الفتيّة. والمهاري: جمع المَهْرِيّة: الجمال المنسوبة لقبيلة مهرة بن حيدان في اليمن، وهي مشهورة بسرعتها وذكائها. والوخد: ضرب من السير السريع.
(٣) حشداً: محتشدين.
(٤) الميسنانيّ: ضرب من الثياب منسوب إلى ميسان وهي كورة من كور دجلة بسواد العراق (معجم البلدان ٥: ٢٤٢).
(٥) الأدمة في الظباء: اللون المشرَب بياضاً. والخاذل من الظباء: التي تقوم على ولدها أو التي تتخلّف عن صواحبها. والطّلا: ولد الظّبية.
(٦) في الكلام انقطاع ولعلّه يريد «يشبه اللحن الأول».

خَـلِـيـلـيّ عُـوجَـا بـارك الله فـيـكـمـا

رملٌ.

حَدَّثني جعفر بن قُدَامَة قال: حَدَّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك قال: عَرَضَ عَلّويه على المعتصم رُقْعَةً في أمر رِزْقه وإقطاعه وهو يشرَب دفَعها إليه من يده، فلمّا أخذها اندفع علّويه يغني:

صوت

[الكامل]

إنّـي اسْـتَـحَـيْـتُـكَ أَنْ أَفُـوهَ بِـحَـاجَـتِـي   فَـإِذَا قَـرَأْتَ صَـحِـيـفَـتِـي فَـتَـفـهَّـم
وَعَـلَـيْـكَ عَـهْـدُ الـلَّـهِ إنْ خَـبَّـرْتَـهُ   أَحَـداً ولا أَظْـهَـرْتَـهُ بِـتَـكَـلُّـمِ

فقرأ المعتصم الرُّقعة وهو يضحَك، ثم وقَّع له فيها بما أراد.

الشعر لابن هَرْمَةَ كتَب به إلى بعض آل أبي طالب وهو إبراهيم بن الحسن يطلُب منه نبيذاً وقد خرج هو وأصحابُه إلى السَّيَالةِ[١]، فكَتَبَ إليه البيتَ الأول على ما رويناه، والثاني غيّره المغنُّون، وهو: [الكامل]

وَعَـلَـيْـكَ عَـهْـدُ الـلَّـهِ إنْ أَعْـلَـمْـتَـهُ   أَهْـلَ الـسَّـيَـالـةِ إنْ فَـعـلـتَ وإنْ لَـمِ

فلمَّا قرأ الرُّقعة قال: عَلَيَّ عهدُ الله إنْ لم أُعْلِمْ به عاملَ السَّيَالةِ. وكتب إلى عامل السَّيَالة: إنّ ابن هَرْمَة وأصحاباً له سُفَهاء يشربون بِالسّيالة، فاركَبْ إليهم، حتّى تأخذَهم، فركِبَ إليهم وَنَذِرُوا[٢] به، فهرَبَ، وقال يهجو إبراهيم: [الوافر]

كَـتَـبْـتُ إِلَـيْـكَ أَسْـتَـهْـدِي نَـبِـيـذاً   وأُدْلِـي بِـالـمَـوَدَّةِ والـحُـقُـوقِ
فَـخَـبَّـرْتَ الأَمِـيـرَ بِـذَاكَ جَـهْـلاً   وكُـنْـتَ أَخَـا مُـفَـاضَـحـةٍ ومُـوقِ[٣]

حَدَّثني بذلك الحرميّ بن أبي العَلاء قال: حَدَّثنا الزُّبير، وقد ذكرتُه في أخبار ابن هَرْمَة، والغناءُ لِعَبَادِلَ. حَدَّثني جعفر بن قُدَامَة قال: حَدَّثني موسى بن هارون الهاشميّ قال: حَدَّثني أبي قال: كنتُ واقفاً بين يدي المعتصم وهو جالسٌ على حَيْر الوَحْشِ والخيل تُعْرَضُ عليه وهو يشرَبُ وبين يديه علّويه ومُخَارِق يغنِّيان، فعُرِض

(١) السيالة: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة (معجم البلدان ٣: ٢٩٢).
(٢) نذروا به: علموا به.
(٣) الموق: الغباوة والحمق.

عليه فرسٌ كُمَيْتٌ أَحمرُ ما رأيتُ مثلَه قَطُّ، فتغامز عَلُّويه ومُخارق، وغنّاه علوّيه:

[الرمل]

وإذا مـا شَـرِبُـوهَـا وَانْـتَـشَـوْا وَهَـبُـوا كُـلَّ جَـوَادٍ وَطِـمِـرْ[١]

فتغافلَ عنه، وغَنَّاه مُخارِقٌ: [الخفيف]

يَـهَـبُ الـبِـيـضَ كَـالـظِّـبَـاءِ وجُـرْداً تَـحْـتَ أَجْـلالِـهـا وعِـيـسَ الـرِّكَـابِ[٢]

فضحِكَ ثم قال: اسكُتا يأبْنَي الزّانيتين، فليس يملِكُه والله واحدٌ منكما. قال: ثم دار الدَّوْرُ، فغَنَّى عَلّويه: [الرمل]

وإذا مـا شَـرِبُـوهـا وَانْـتَـشَـوْا وَهَـبُـوا كـلَّ بِـغَـالٍ وحُـمُـرْ

فضحِكَ وقال: أمّا هذا فَنَعَمْ، وأمَر لأَحدِهما ببَغْلٍ وللآخَرَ بحِمار.

حَدَّثني عَمِّي قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حَدَّثني محمد بن محمد الأبزاريّ قال: كنّا عند زلبهزة النخّاس[٣]، وكانت عنده جاريةٌ يقال لها خِشْفٌ ابتاعها من علّويه، وذلك في شهر رمضانَ، ومعنا رجلٌ هاشميّ من ولد عبد الصَّمد بن عليّ يقال له عبدُ الصمد، وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبّها، فأعطَى بها زلبهزَة أربعةَ آلاف دينارٍ فلم يَبِعْها منه، وبَقِيَتْ معه حتى تُوُفِّيتْ، فغنّتنا أصواتاً كان فيها:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَحْزُونٍ ولم تَتَكَلَّمِ
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً وأهلاً وسَهْلاً بِالحَبِيبِ المُسَلِّمَ
وَأَبْرَزْتُ طَرْفِي نَحْوَها لأُجِيبَها وقُلْتُ لها قَوْلَ امرىءٍ غَيْرِ مُعْجِمِ[٤]
هَنِيئاً لَكُمْ قَتْلِي وَصَفْوُ مَوَدَّتي وقد سِيطَ في لَحْمِي هَوَاكِ وفي دَمِي[٥]

ـ الغناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ـ قال: فلمّا وثبنا للانصراف قال لنا وقد اشتدّ الحرّ: أَقِيموا عندي. فوجَّهْتُ غلاماً معي وأعطيتُه ديناراً وقلتُ له ابْتَعْ

(١) الطِّمِرّ: الفرس الجواد المستعدّ للوثب أو للعدو.
(٢) الجرد من الخيل: القصيرة الشَّعْر.
(٣) النّخاس: بائع الرقيق.
(٤) المعجِم: غير المفصِح في كلامه.
(٥) سيط: مُزِجَ.

فَراريجَ بعشرة دراهم وثلجاً بخمسة دراهم وعَجِّلْ، فجاء بذلك فدَفَعه إلى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج ألواناً، وكتبتُ إلى علّويه فعرّفته خبرنا، فجاءنا وأقام، وأفطرنا عند زلبهزة، وشَرِبَ منّا مَنْ كان يستجيز الشرابَ، وغنّى علُّويه لَحناً ذكر أنه لابن سُرَيْج ثقيلٌ أوّل، فاستغربه الجماعةُ، وهو:

صوت

[السريع]

يَا هِنْدُ إنَّ النَّاسَ قَدْ أَفْسَدُوا ... وُدَّكِ حَتَّى عَزَّنِي المَطْلَبُ
يَا لَيْتَ مَنْ يَسْعَى بِنَا كَاذِباً ... عَاشَ مُهَاناً فِي أَذىً يَتْعَبُ
هَبِيهِ ذَنْباً كُنْتُ أَذْنَبْتُهُ ... قَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِمَنْ يُذْنِبُ
وقَدْ شَجَانِي وجَرَتْ دَمْعَتِي ... أَنْ أَرْسَلَتْ هِنْدٌ وهِيَ تَعْتُبُ:
مَا هَكَذَا عَاهَدْتَنَا فِي مِنًى ... مَا أَنْتَ إلاَّ سَاحِرٌ تَخْلُبُ[1]
حَلَفْتَ لِي بِاللهِ لا نَبْتَغِي ... غَيْرَكِ مَا عِشْتِ ولا نَطْلُبُ

قال: وقام عبدُ الصّمد الهاشميّ لِيبولَ، فقال علّويه: كلُّ شيء قد عرَفتُ معناه: أَمّا أنت فصديقُ الجماعةِ، وهذا يتعشّق هذه، وهذا مولاها، وأنا ربَّيتها وعَلَّمتها، وهذا الهاشمي أَيْش معناه!. فقلتُ لهم: دعُونِي أَحُكُّهُ وآخذ لزلبهزة منه شيئاً. فقال: لا والله ما أُريد. فقلت له: أنت أحمقُ، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أخْذه. فقال: إنْ كان هكذا فنَعَم. فقلت له: إذا جاء عبدُ الصَّمد فقُلْ لي: ما فَعَلَ الآجُرُّ الذي وعدتَني به، فإنّ حائطي قد مال وأخاف أن يَقَعَ، ودَعْني والقِصَّة. فلمّا جاء الهاشميّ قال لي زلبهزة ما أمرتُهُ به، فقلتُ: ليس عندي آجُرٌّ، ولكن اصْبِرْ حتَّى أطلُبَ لك من بعض أصدقائي، وجعلتُ أنظُر إلى الهاشميّ نَظر مُتعرِّضٍ به. قال الهاشمي: يا غلامُ دواةً ورُقْعَةً، فأحضر ذلك. فكتَبَ له بعشرة آلاف آجُرّةٍ إلى عامل له، وشَرِبنا حتّى السَّحَرِ وانصرفنا. فجئتُ برُقْعته إلى الآجُرّي ثم قلتُ: بكم تَبِيعه الآجُرَّ؟ فقال: بسبعة وعشرين درهماً الألفَ. قلت: فبِكم تشتريه منِّي؟ قال: بنُقْصان ثلاثة دراهم في الألف. فقلتُ: فهاتِ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهماً، واشتريتُ منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً وَدَجَاجاً بأربعين درهماً، وأعطيتُ زلبهزة مائتي درهم وعرّفته الخبر، ودعونا علّويه والهاشميّ، وأقمنا عند

---

(١) تخلُب: تخدع وتستميل القلبَ.

زلبهزة ليلتّنا الثانية. فقال علّويه: نَعَمْ! الآن صار للهاشميّ عندكم موضعٌ ومعنى.

أخبرني جحظةُ قال: حَدَّثني أحمد بن حمدون قال: حَدَّثني أبي قال: قال لنا الواثق يوماً: مَنْ أحذقُ النّاس بِالصَّنْعة؟ قلنا: إسحاق. قال: ثم مَنْ؟ قلنا: علّويه. قال: فمَنْ أضربُ النّاسِ؟ قلنا: ثَقِيفٌ. قال: ثم مَنْ؟ قلنا: علّويه. قال: فمَنْ أطيبُ الناس صوتاً؟ قلنا: مُخارق. قال: ثم مَنْ؟ قلنا: علّويه. قال: اعترفتم له بأنه مُصَلِّي كلِّ سابقٍ، وقد جمع الفضائلَ كلَّها وهي متفرّقةٌ فيهم، فما ثَمَّ ثانٍ لهذا الثالث.

وحَدَّثني جَحْظَةُ قال: حَدَّثني محمد بن أحمد المكيّ المُرْتَجِل قال: حَدَّثني أبي قال: دخلتُ إلى عَلّويه أعوده مِن عِلَّةٍ اعتلّها ثم عُوفِيَ منها، فجرى حديثُ المأمون، فقال لي: كِدْتُ ـ عَلِمَ الله ـ أَذْهَب دَفْعةً ذاتَ يوم وأنا معه لولا أن الله تعالى سَلَّمَنِي ووهبَ لي حِلْمَه. فقلت: كيف كان السبب في ذلك؟ فقال: كنتُ معه لمّا خرج إلى الشأم، فدخلْنا دِمَشْقَ فطُفْنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أُمَيَّةَ وَيَتَّبِع آثارَهم، فدخل صَحْناً[1] من صُحونهم، فإذا هو مفروشٌ بالرُّخَام الأخضر كلّه وفيه بِركةُ ماء يدخُلُها ويخرج منها من عين تَصُبّ إليها، وفي البِركةِ سمكٌ، وبين يديها بستانٌ على أربع زواياه أربعُ سَرَواتٍ[2] كأنّها قُصَّتْ بِمقراضٍ من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السَّرْو قَطُّ قَدًّا وقَدْراً. فاستحسن ذلك، وعَزَم على الصَّبُوح، وقال: هاتوا لي الساعةَ طعاماً خفيفاً، فأُتِي بِبَزْمَاوَرْدٍ[3] فأكل، ودعا بشرابٍ، وأقبل عليّ وقال: غَنِّني ونَشِّطْني، فكأن الله عزّ وجلَّ أنساني الغناء كلَّه إلاَّ هذا الصوتَ:

[المنسرح]

لَـوْ كَـانَ حَـوْلِـي بَـنُـو أُمَـيَّـةَ لَـمْ　　　تَـنْـطِـقْ رِجَـالٌ أَرَاهُـمُ نَـطَـقُـوا

فنظر إِليّ مُغْضَباً وقال: عليكَ وعلى بني أُميَّةَ لعنةُ الله! ويلَكَ! أقُلتُ لك سُؤْنِي أو سُرَّني! ألم يكن لك وقتٌ تذكُرُ فيه بني أُميَّة إلاَّ هذا الوقتَ تُعَرِّضُ بي!. فتحيَّلْتُ عليه وعلمتُ أنّي قد أخطأتُ، فقلتُ: أتلومُني على أنْ أذكر بني أُمَيّة! هذا

---

(١) صحن الدار: ساحته.

(٢) السروات: جمع السّروة: شجر من فصيلة الصنوبريّات.

(٣) بزماورد: صنف من الطعام يتّخذ من اللحم المقلي بالزبد والبيض، أو هو الرقاق الملفوف باللحم المقلي.

مولاكم زِرْياب عندهم يركَبُ في مائتي غُلامٍ مملوكٍ له، ويملِك ثلاثمائة ألفِ دينارٍ وَهبوها له سوى الخيل والضِّياع والرَّقيق، وأنا عندكم أموت جوعاً. فقال: أَوَلَمْ يكنْ لكَ شيءٌ تُذَكِّرني به نفسَك غيرَ هذا! فقلتُ: هكذا حضَرني حين ذكرتُهم فقال: اعْدِلْ عن هذا وتَنَبَّهْ على إرادتي. فأنساني الله كلَّ شيء أُحْسِنه إلاَّ هذا الصوتَ:

[الكامل]

الحَيْنُ سَاقَ إلى دِمَشْقَ ولَمْ أَكُنْ ... أَرْضَى دِمَشْقَ لأَهْلِنَا بَلَدَا

فرماني بِالقَدَح فأخطأني فانكسرَ القدحُ، وقال: قُمْ عَنِّي إلى لعنة الله وحرِّ سَقَرَ، وقام فركِبَ. فكانت والله تلك الحالُ آخِرَ عهدي به، حتى مرِضَ ومات. قال: ثم قال لي: يا أبا جعفر كَمْ تُرَاني أُحْسِنُ! أُغَنِّي ثلاثةَ آلافِ صوت، أربعةَ آلاف صوت! خمسة آلاف صوت، أنا والله أُغَنِّي أكثرَ من ذلك، ذهب ـ عَلِمَ اللَّهُ ـ كلُّه حتى كأنِّي لم أَعْرِفْ غيرَ ما غنَّيتُ. ولقد ظننتُ أنه لو كانت لي ألفُ رُوح ما نَجَتْ منه واحدةٌ منها، ولكنه كان رجلاً حليماً، وكان في العُمْر بقيَّة.

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صوت

لَوْ كَانَ حَوْلِي بَنُو أُمَيَّةَ لَمْ ... تَنْطِقْ رِجَالٌ أَرَاهُمُ نَطَقُوا
مِنْ كُلِّ قَرْمٍ مَحْضٍ ضَرَائِبُهُ ... عَنْ مَنْكِبَيْهِ القَمِيصُ يَنْخَرِقُ

الشعر لِعبد اللّه بن قيس الرُّقيّات، والغناء لمَعْبَد، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشاميّ أنه لابن سُرَيْج، وذكر ابن خُرْدَاذْبَه أنّ فيه لُدكَيْنِ بن عبد اللّه بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقيل الأوّل، وأنّ دُكَيْناً مدنيٌّ كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان.

صوت

[الكامل]

الحَيْنُ سَاقَ إلى دِمَشْقَ ومَا ... كَانَتْ دِمَشْقُ لأَهْلِنَا بَلَدا
قَادَتْكَ نَفْسُكَ فَاسْتَقَدْتَ لها ... وَأُرِيتَ أَمْرَ غَوَايَةٍ رَشَدَا

لِعُمَرَ الواديّ في هذا الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكّي. قال: وفيه ليعقوب الواديّ رملٌ بالبِنصر.

حَدَّثني عَمّي قال: حَدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: سَمِعتُ الحسن بن وَهْبٍ الكاتب يحدّث: أنّ علّويه كان يَصطبحُ في يوم خضابه مع جواريه وحُرْمه، ويقول: أجعل صَبُوحي في أحسن ما يكون عند جَوَارِيَّ. فقيل له: إنَّ ابن سِيرِينَ كان يقول: لا بأسَ بالخِضاب ما لم تُغَرَّرْ به امرأةٌ مسلمةٌ. فقال: إنّما كُرِهَ لئلاّ يَتَصَنَّع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أنه شابٌّ وهو شيخ، فأمَّا الإماء فهنّ مِلْكِي، وما أُريد أنْ أَغُرّهنّ.

قال الحسن: فتعالَلَ علّويه على المعتصم ثلاثة أيّامٍ متوالية واصطبح فيها، فدعاني، وكان صوتُه على جَوارِيه في شعر الأخطَل: [البسيط]

كـأنّ عَـطّـارَةً بَـاتَـتْ تُـطِـيـفُ بـه حَتَّـى تَـسَـرْبَـلَ مِـثْـلَ الـوَرْسِ وانْـتَـعَـلاَ

فقال لي: كيف رويتَه؟ فقلتُ له: قرأتُ شعرَ الأخطلِ وكان أعلمَ الناسِ به، كان يختار «تَسَرْوَل» ويقول: إنّما وصف ثوراً دخل رَوْضَةً فيها نُوَّارٌ أصفرُ فأَثَّر في قوائمه وبطنِهِ فكان كالسَّرَاويلِ، لا أنه صارَ له سِرْبالٌ. ولو قال: «تسربلَ» أيضاً لم يكن فاسداً، ولكنّ الوجهَ «تسرولَ».

أخبرني جعفر بن قُدامَةَ قال: حَدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال: قَدِمْتُ مِنْ سُرَّ مَنْ رأى قَدْمةً بعد طُول غَيبةٍ، فدخلتُ إلى إسحاق الموصليّ، فسلّم عَلَيَّ وسألني خبرِي وخبر النّاس حَتَّى انتهينا إلى ذكر الغِناء، فسألني عمّا يتشاغل الناس من الأصوات المُسْتَجَادَةِ. فقلتُ له: تركتُ الناسَ كلَّهم مُغْرَمين بصوتٍ لك. قال: وما هو؟ فقلتُ:

أَلاَ يَـا حَـمَـامَـيْ قَـصْـرِ دُورَانَ هِـجْـتُـمـا

فقال: ليس ذلك لي، ذاك لعَلّويه، وقد لَعَمْرِي أحسنَ فيه وجَوّد ما شاء.

أخبرني جعفر بن قُدَامَةَ قال: حَدَّثني محمد بن عبد اللّه بن مالك الخُزَاعيّ قال: حَدَّثني علّويه قال: خرج المأمون يوماً ومعه أبياتٌ قد قالها وكتبها في رُقْعة بخَطّه، وهي:

صوت

[الطويل]

خَرَجْنا إلى صَيْدِ الظِّبَاءِ فَصَادَنِي ... هُناكَ غَزَالٌ أَدْعَجُ العَيْنِ أَحْوَرُ(١)
غَزَالٌ كَأَنَّ البَدْرَ حَلَّ جَبِينَهُ ... وفي خَدِّهِ الشِّعْرَى المُنِيرَةُ تَزْهَرُ(٢)
فَصَادَ فُؤَادِي إِذْ رَمَانِي بِسَهْمِهِ ... وسَهْمُ غَزَالِ الإِنْسِ طَرْفٌ ومِحْجَرُ
فَيَا مَنْ رَأَى ظَبْياً يَصِيدُ ومَنْ رَأَى ... أَخَا قَنَصٍ يُصْطَادُ قَهْراً ويُقْسَرُ

قال: فغنّيته فيها، فأمرَ لي بعشرة آلاف درهم.

قال أبو القاسم جعفر بن قُدامَةَ: لحنُ علّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ابتداؤه نشيد.

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال: حَدَّثني حمّاد عن أبيه قال: غَنَّيْتُ الرشيدَ يوماً:

[البسيط]

هُمَا فَتَاتَانِ لَمَّا يَعْرِفَا خُلُقِي ... وبِالشَّبَابِ على شَيْبِي يُدِلاَّنِ

فطرِبَ وأمَرَ لي بألِف دينار، فقال له ابنُ جامع ـ وكان أحسَدَ الناس ـ: اِسْمَع غناء العُقلاء، ودَعْ غناء المجانين ـ وكنتُ أخذتُ هذا الصوتَ من مجنون بالمدينة كان يُجيده ـ ثم غَنَّى قوله: [الرمل]

وَلَقَدْ قَالَتْ لأَتْرَابٍ لَهَا ... كَالمَهَا يَلْعَبْنَ في حُجْرَتِهَا
خُذْنَ عَنِّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُنِي ... وَغَدَتْ تَسْعَى إلى قُبَّتِهَا

فطرِبَ وأمر له بألف وخمسمائة دينار، ثم تغنّى وَجْهُ القَرْعَةِ: [المنسرح]

يَمْشُونَ فِيهَا بِكُلِّ سَابِغَةٍ ... أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحَلَقُ(٣)

فاستحسنه وشرب عليه وأمرَ له بخمسمائة دينار، ثم تَغَنَّى عَلّويه: [الكامل]

وأَرَى الغَوَانِي لا يُوَاصِلْنَ امْرَأً ... فَقَدَ الشَّبَابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدَا

---

(١) الأدعج: من كانت عينه شديدة السواد واسعة. والأحور: من كان بياض عينه شديد البياض وسوادها شديد السواد.

(٢) الشِّعرى: كوكب نيِّر يظهر في شدّة الحرّ.

(٣) الدرع السابغة: الطويلُ الواسعة. والقتير: رؤوس المسامير في الدرع. والحلق: جمع الحلقة: الدرع.

فدعاه الرشيد وقال له: يا عاضَّ بَظْرَ أُمِّه! تُغَنّي في مدح المُرْدِ وذمِّ الشِّيب وسِتارتي منصوبةٌ وقد شِبْتُ! كأنّك إنّما عَرَّضتَ بي! ثم دعا بِمَسْرورٍ فأمره أن يأخذ بيده فيُخْرِجَه فيضربَه ثلاثين دِرَّةٍ ولا يردّه إلى مجلسِه، ففعل ذلك، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقيّةَ يومنا، وجفا علّويه شهراً فلم يأذَنْ له حتّى سألناه فأذِن له.

نسبة هذه الأصوات التي تقدمت

صوت [البسيط]

هُـمَـا فَـتَـاتَـانِ لَـمَّـا يَـعْـرِفـا خُـلُـقِـي ... وبِـالـشَّـبَـابِ عَـلـى شَـيْـبِـي يُـدِلاَّنِ
كُـلُّ الـفَـعَـالِ الَّـذِي يَـفْـعَـلْـنَـهُ حَـسَـنٌ ... يُـضْـنِـي فُـؤَادِي ويُـبْـدِي سِـرَّ أَشْـجَـانِـي
بَـلِ احْـذَرَا صَـوْلَـةً مِـنْ صَـوْلِ شَـيْـخِـكُـمَـا ... مَـهْـلاً عَـنِ الـشَّـيْـخِ مَـهْـلاً يـا فَـتَـاتَـانِ

لم يَقَعْ إليَّ شاعرُه، فيه لابن سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مَجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبِنصر عن عمرو، وفيه لسليمان المُصَابُ رملٌ كان يغنِّيه، فدسّ الرشيد إليه إسحاقَ حتّى أخذه منه، وقيل: بل دسّ عليه ابنَ جامع.

[إسحاق يسرق صوتاً من غلام مجنون]

أخبرني جعفر بن قُدَامَةَ قال: حَدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دعاني الرشيد لمّا حَجَّ، فقال: صِرْ إلى موضع كذا وكذا من المدينة؛ فإنّ هناك غلاماً مجنوناً يغنّي صوتاً حسناً، وهو: [البسيط]

هُـمَـا فَـتَـاتَـانِ لَـمَّـا يَـعْـرِفـا خُـلُـقِـي ... وبِـالـشَّـبَـابِ عـلـى شَـيْـبِـي يُـدِلاَّنِ

وله أمٌّ، فصِرْ إليها وأَقِمْ عندها واحْتَلْ حتّى تأخذَه. فجئتُ أستدلّ حتى وقفت على بيتها، فخرجَتْ إليَّ فوهبتُ لها مائتي درهم، وقلتُ لها: أُريد أن تحتالي على ابنِكِ حتّى آخُذَ منه الصوتَ الفلانيّ. فقالت: نَعَمْ، وأدْخَلَتْنِي دارَها، وأمرتْني فصَعِدْتُ إلى عِلِّيّة لها، فما لَبِثتُ أنْ جاء ابنها فدخل. فقالت له: يا سليمانُ فَدَتْكَ نفسي! أُمُّك قد أصبحتِ اليوم خاثرةً مُغْرَمةً[1]، فأُحِبّ أن تغنّي ذلك الصوتَ:

---

(١) الخاثرة: الثقيلة النفس. والمغرمة: المصابة بألم يلحّ عليها ويلازمها.

هـمـا فـتـاتـان لـمّـا يـعـرفـا خُـلُـقِـي

فقال لها: ومتى حَدَث لَكِ هذا الطّرَب؟ قالت: ما طَرِبتُ ولكنّني أحببتُ أن أتفرَّجَ من همٍّ قد لحقني. فاندفع فغنّاه، فما سمعتُ أحسنَ من غِنائه. فقالت له أُمّه: أحسنتَ! فديتكَ! فقد والله كشفتَ عنّي قِطعةً من هَمّي، فأسألُك أن تُعِيدَهُ. قال: والله ما لي نَشَاطٌ، ولا أشتري غَمّي بِفَرَجك. فقالتْ: أَعِدْه مرّتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشتري به ناطِفاً. قال: ومن أين لكِ درهم؟ ومتى حدَث لكِ هذا السّخاء؟ فقالت: هذا فضولٌ لا تَحتاج إليه، وأخرجَتْ إليه درهماً فأعطته إيّاه، فأخذه وغنّاه مرّتين، فدارَ لي وكاد يَسْتَوِي. فأومأتُ إليها من فوقُ أن تَستزيده. فقالتْ: يا بُنَيَّ بِحقِّي عليكَ إلاّ أعدتَه. فقال: أَظُنُّ أنك تُريدين أن تأخُذيه فتَصِيري مغنّيَة. فقالت: نَعَمْ! كذا هو. قال: لا! وحَقِّ القبر لا أعدتُه إلاّ بدرهم آخر. فأخرجتْ له درهماً آخر، فأخذه وقال: أَظنُّكِ والله قد تَزَنْدَقْتِ وعَبدتَ الكَبْشَ فهو ينقُد لكِ هذه الدّراهمَ، أوْ قد وجدتِ كنزاً. فغنّاه مرّتين، وأخذتُه واستوى لي، ثم قام فخرج يعدو على وجهه فجئتُ إلى الرشيد فغنّيته به وأخبرتُه بالقصّة، فطرِب وضحِكَ وأمَرَ لي بألف دينار، وقال لِي: هذه بَدَلُ مائتي الدِّرهم.

صوت

[الرمل]

وَلَـقَـدْ قَـالَـتْ لأَتْـرَابٍ لَـهَـا ... كَـالـمَـهـا يَـلْـعَـبْـنَ فـي حُـجْـرَتِـهـا
خُـذْنَ عَـنّـي الـظِّـلَّ لا يَـتْـبَـعـنـي ... وعَـدَتْ سَـعْـيـاً إلـى قُـبَّـتِـهـا
لـم يُـصِـبْـهـا نَـكَـدٌ فـيـمـا مَـضَـى ... ظَـبْـيَـةٌ تَـخْـتَـالُ فـي مِـشْـيَـتِـهـا

في هذه الأبيات رملٌ بالبِنصر ذكر الهشاميُّ أنه لابن جامع المكيِّ، وذكر ابن المكيّ أنه لابن سُرَيْج، وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غيرُ مُجَنَّس.

صوت

يَـمْـشُـونَ فِـيـهَـا بِـكُـلِّ سَـابِـغَـةٍ ... أُحْـكِـمَ فـيـهـا الـقَـتِـيـرُ والـحَـلَـقُ
تَـعْـرِفُ إِنْـصَـافَـهُـمْ إذا شَـهِـدُوا ... وصَـبْـرَهُـمْ حِـيـنَ تَـشْـخَـصُ الـحَـدَقُ[1]

(١) شخوص الحدق: كناية عن الخوف والفزع في الحرب.

الغناء لابن مُحْرِز، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطَى عن الهشاميّ وحبش.

صوت

[الكامل]

يَجْحَذْنَنِي دَيْنِي النَّهَارَ وأَقْتَضِي دَيْنِي إذا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدَا[1]
وَأَرَى الغَوَانِي لا يُوَاصِلْنَ امْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدَا

الشّعر للأعْشَى، والغناء لمَعْبَدٍ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

صوت

[السريع]

أَيَّةُ حَالٍ يَابْنَ رَامِينِ حَالُ المُحِبِّينَ المَسَاكِينِ
تَرَكْتَهُمْ مَوْتَى وَمَا مُوِّتُوا قَدْ جُرِّعُوا مِنْكَ الأَمَرِّينَ
وسِرْتَ فِي رَكْبٍ على طِيَّةٍ رَكْبِ تَهَامٍ وَيَمَانِينِ[2]
يَا رَاعِيَ الذَّوْدِ لَقَدْ رُعْتَهُمْ وَيْلَكَ مِنْ رَوْعِ المُحِبِّينِ

الشعر لإسماعيل بن عَمَّارٍ الأسَديِّ، والغِناء لمحمد بن الأشْعَث بن فجوة الزُّهْرِيِّ الكوفيِّ، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى، عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ.

---

(١) وَقَذَه النعاس: غلبه وسيطر عليه.

(٢) على طِيَّةٍ: على قصد ونيّة.

نسبُ إسماعيلَ بنِ عمّار وأخبارُه

[توفي نحو ١٥٧ هـ/ ٧٧٤ م]

[نسبه وميوله وغزله]

هو إسماعيلُ بن عَمَّارِ بن عُيَيْنة بن الطُّفَيْل بن جَذِيمَةَ بن عَمْرِو بن خَلَفِ بن زَبّان بن كَعْبِ بن مالكِ بن ثَعْلَبَةَ بن دُودَانَ بن أسَدِ بن خُزَيْمَةَ. أخبرني بذلك عليّ بن سليمانَ الأخفشُ عن السّكّريّ عن ابن حبيبَ.

وإسماعيل بن عَمّارٍ شاعرٌ، مُقِلٌّ، مُخَضْرَمٌ من شعراء الدولتين الأُمَويّة والهاشميّة، وكان ينزِل الكوفةَ.

قال ابن حبيبَ: كان في الكوفة صاحبُ قِيَانٍ يقال له ابنُ رَامِينَ، قَدِمها من الحجاز، فكان مَنْ يسمَع الغِناء ويشرَب النبيذَ يأتُونه ويُقيمون عنده: مثلُ يحيى بن زِيَادٍ الحارثيّ، وشُرَاعَةَ بن الزَّنْدَبُوذ، ومُطيع بن إيَاس، وعبد اللّه بن العبّاس المفتون، وعَوْنٍ العِبَادِيّ الحِيرِيّ، ومحمد بن الأشعث الزُّهْرِيِّ المغنِّي. وكان نازلاً في بني أسَدٍ في جِيران إسماعيل بن عمّار، فكان إسماعيلُ يغشَاه ويشرَبُ عنده. ثم انتقل من جِواره إلى بني عائذ اللّه، فكان إسماعيل يزوره هناك على مَشَقَّة لِبُعْدِ ما بينهما. وكان لابن رامين جَوَارٍ يقال لهن سَلاَّمةُ الزرقاء، وَسَعْدَةُ، ورُبَيْحَة، وكنّ من أحسن الناس غِناء، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سَلاّمَةَ الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث:

[البسيط]

أَمْسَى لِسَلاَّمَةَ الزَّرْقَاءِ في كَبِدِي ... صَدْعٌ مُقِيمٌ طَوَالَ الدَّهرِ والأَبدِ

لا يَسْتَطِيعُ صَنَاعُ القَوْمِ يَشْعَبُهُ وكيفَ يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ في كَبِدِ[1]

وفي جَوَارِيه يقول إسماعيل بنِ عَمّار: [البسيط]

هَلْ مِنْ شِفَاءٍ لِقَلْبٍ لَجَّ مَحْزُونِ صَبَا وصَبَّ إلى رِئْم ابن رَامِينِ[2]
إلى رُبَيْحَةَ إنَّ اللَّهَ فَضَّلَهَا بِحُسْنِهَا وَسَمَاعٍ ذِي أَفَانِينِ[3]
وهَاجَ قَلْبِيَ مِنْهَا مَضْحَكٌ حَسَنٌ وَلَثْغَةٌ بَعْدُ في زَايٍ وفي سِينِ
نَفْسِي تَأْبَى لَكُمْ إلاَّ طَوَاعِيَةً وأنتِ تَأْبَيْنَ لُؤْماً أَنْ تُطِيعِينِي
وتِلْكَ قِسْمَةُ ضِيزَى قَدْ سَمِعْتِ بِهَا وأنتَ تَتْلِينَها ما ذَاكَ في الدِّينِ[4]
إنْ تُسْعِفِيني بِذَاكَ الشَّيءِ أَرْضَ بِهِ وإنْ ضَنَنْتِ بِهِ عَنِّي فَزَنِّينِي
أَنْتِ الطَّبِيبُ لِدَاءٍ قَدْ تَلَبَّسَ بِي مِنَ الجَوَى فَانْفُثِي فِي فِيَّ وَارْقِينِي
نَعَمْ شِفَاؤُكَ مِنْهَا أَنْ تَقُولَ لَهَا أَضْنَيْتِنِي يَوْمَ دَيْرِ اللُّجِ فَاشْفِينِي[5]
يَا رَبِّ إنَّ ابْنَ رَامِينِ له بَقَرٌ عِينٌ ولَيسَ لَنَا غَيْرُ البَرَاذِينِ[6]
لو شِئْتَ أَعْطَيْتَهُ مَالاً على قَدَرٍ يَرْضَى به مِنْكَ غيرَ الرَّبْرَبِ العِينِ[7]
لا أَنْسَ سَعْدَةَ والزَّرْقَاءَ يَوْمَ هُمَا بِاللُّجِّ شَرْقِيَّهُ فوقَ الدَّكَاكِينِ[8]
يُغَنِّيَانِ ابنَ رَامِينٍ على طَرَبٍ بِالمِسْجَحِيِّ وتَشْبِيبِ المُحِبِّينِ[9]
أَذَاكَ أَنْعَمُ أَمْ يَوْمٌ ظَلِلْتُ بِهِ فِرَاشِيَ الوَرْدُ فِي بُسْتَانِ شُورِينِ
يَشْوِي لنا الشَّيْخُ شُورِينٌ دَوَاجِنَهُ بِالجَرْدَنَاجِ وسُحَّاجِ الشَّقَابِينِ[10]
نُسْقَى طِلاءً لِعِمْرَانٍ يُعَتِّقُهُ يَمْشِي الأَصِحَّاءُ منه كَالمَجَانِينِ
يُزِلُّ أَقْدَامَنَا مِنْ بَعْدِ صِحَّتِهَا كَأَنَّهَا ثِقَلاً يُقْلَعْنَ مِنْ طِينِ
نَمْشِي وأَرْجُلُنَا مَطْوِيَّةٌ شَلَلاً مَشْيَ الإِوَزِّ الَّتي تَأْتِي مِنَ الصِّينِ

---

(١) الصَّنَاع: الماهر في العمل اليدوي. ويشعبه: يجمعه ويصلحه.
(٢) صبا: حَنَّ ومال. وصَبَّ صبابةً: أحبّه حبًّا شديداً واشتاق إليه.
(٣) السّماع: الغناء. والأفانين: الأساليب والأجناس.
(٤) قسمة ضِيزى: جائرة.
(٥) دير اللُّجّ: بالحيرة بناه أبو قابوس النعمان بن المنذر في أيام ملكه (معجم البلدان ٢: ٥٣٠).
(٦) العِين: جمع العيناء: الواسعة العيون.
(٧) الربرب: القطيع من بقر الوحش.
(٨) الدكاكين: جمع الدكان: المصطبة.
(٩) المسجحيّ: المنسوب إلى ابن مسجح.
(١٠) الجردناج: نوع من الطعام الفارسي وهو الشواء على الجمر. والشقابين: جمع الشقبان: طير نبطيّ.

أَوْ مَشْيَ عُمْيَانٍ دَيْرٍ لا دَلِيلَ لَهُمْ سِوَى العِصِيِّ إلى يَوْمِ السَّعَانِينِ[١]

فـي فِتيَـةٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ لَهَوْتُ بِهِمْ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ لا تَيْمِ العَدِيِّينِ

خُمْرُ الوُجوهِ كَأَنَّا مِنْ تَحَشُّمِنا حَسْنَاءُ شَمْطَاءُ وَافَتْ مِنْ فِلَسْطِينِ

ما عَائِذُ اللَّهِ لَوْلاَ أَنْتِ مِنْ شَجَنِي ولا ابْنُ رَامِينَ لَوْلاَ ما يُمَنِّينِي[٢]

فـي عَائِذِ اللَّهِ بَيْتٌ مَا مَرَرْتُ بِهِ إلاَّ وُجِئْتُ على قَلْبِي بِسِكِّينِ

يا سَعْدَةُ القَيْنَةُ الخَضْرَاءُ أَنْتِ لَنَا أُنْسٌ لأَنَّكِ في دَارِ ابْنِ رَامِينِ[٣]

ما كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الأُسْدَ تُؤْنِسُنِي حَتَّى رَأَيْتُ إِلَيْكِ القَلْبَ يَدْعُونِي[٤]

لولا رُبَيْحَةُ ما اسْتَأْنَسْتُ ما عَمَدَتْ نَفْسِي إِلَيْكِ ولو مُثِّلْتِ مِنْ طِينِ

[أسفه لبيع سلاّمة الزرقاء]

قال: وحَجَّ ابن رامينَ وحَجَّ بِجَوَارِيه معه، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحِجاز، فاشترى منه سَلاّمَةَ الزَّرْقاء بمائة ألفِ درهمٍ، فقال إسماعيل بن عَمَّار: [السريع]

أَيَّةُ حَالٍ يَابْنَ رَامِينِ حَالُ المُحِبِّينَ المَسَاكِينِ

تَرَكْتَهُم مَوْتَى ومَا مُوِّتُوا قد جُرِّعُوا مِنْكَ الأَمَرِّينِ

وسِرْتَ فِي رَكْبٍ على طِيَّةٍ رَكْبِ تِهَامٍ وَيَمَانِينِ

حَجَجْتَ بَيْتَ اللَّهِ تَبْغِي بِهِ البِـ ـرَّ ولَمْ تَرْثِ لِمَحْزُونِ

يَا رَاعِيَ الذَّوْدِ لَقَدْ رُعْتَهُمْ وَيْلَكَ مِنْ رَوْعِ المُحِبِّينِ

فَرَّقْتَ قَوْماً لا يُرَى مِثْلُهُمْ ما بَيْنَ كُوفَانَ إلى الصِّينِ[٥]

[رثاؤه لابن له مات]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال: حَدَّثنا السكَّريّ عن محمد قال: كان

(١) السّعانين: عند النصارى: هو الأحد الذي يسبق أحد الفصح مباشرة، ويقال له الشّعانين.

(٢) عائذ الله: حيّ من العرب انتقل ابن رامين لجوارهم.

(٣) الخضراء: السوداء.

(٤) المعنى هنا غير واضح ولعلّه كما أُشير في نسخة دار الكتب المصرية «أن السُّودَ تؤنسني».

(٥) كوفان: قرية بِهراة، وأيضاً الكوفة (معجم البلدان ٤: ٤٨٩).

لإسماعيل بنِ عَمَّارٍ ابنٌ يقال له مَعْنٌ فمات، فقال يَرثيه: [الكامل]

يـا مَـوْتُ مـا لَـكَ مُـولَـعـاً بِـضِـرَارِي إنِّـي عَـلَـيْـكَ وإنْ صَـبَـرْتُ لَـزَارِي[1]
تَـغْـدُو عَـلَـيَّ كَـأَنَّـنِـي لَـكَ وَاتِـرٌ وَأَؤُولُ مِـنْـكَ كَـمَـا يَـؤُولُ فِـرَارِي
نَـفْـسَ الـبَـعِـيـدِ إذا أَرَدْتَ قَـرِيـبَـةٌ لَـيْـسَـتْ بِـنَـاجِـيَـةٍ مَـعَ الأَقْـدَارِ
والـمَـرْءُ سَـوْفَ وإنْ تَـطَـاوَلَ عُـمْـرُهُ يَـوْمـاً يَـصِـيـرُ لِـحُـفْـرَةِ الـحَـفَّـارِ
لَـمَّـا غَـلاَ عَـظْـمٌ بِـهِ فَـكَـأَنَّـهُ مِنْ حُسْنِ بِنْيَتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ[2]
فَـجَّـعْـتَـنِـي بِـأَعَـزِّ أَهْـلِـي كُـلِّـهِـمْ تَـغْـدُو عَـلَـيْـهِ عَـدْوَةَ الـجَـبَّـارِ
هَـلاً بِـنَـفْـسِـي أو بِـبَـعْـضِ قَـرَابَـتِـي أَوْقَـعْـتَ أَوْ مَـا كُـنْـتَ لِـلْـمُـخْـتَـارِ
وتَـرَكْـتَ ربـتـي الَّـتـي مِـنْ أَجْـلِـهـا عِفْتُ الجِهَادَ وصِرْتُ فِي الأَمْصَارِ[3]

[رفضه العمل بسبب التعذيب الذي يلاقيه العمال]

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حَدَّثني السكريّ عن محمد بن حبيبَ قال: قال رجلٌ من بني أَسَدٍ كان وَجْهاً، لإسماعيلَ بنِ عَمّار: هَلُمَّ أركَبْ معكَ إلى يوسفَ بن عُمَر، فإنه صديقٌ، حتى أُكَلِّمَهُ فيك يستعملُكَ على عملٍ تنتفع به. فقال له إسماعيل: دَعني حتى يحولَ الحَوْلُ. فنظر إسماعيلُ إلى عُمَّال يوسفَ يُعَذِّبونَ، فقال في ذلك: [الوافر]

رأَيْـتُ صَـبِـيـحَـةَ الـنَّـيْـرُوزِ أَمْـراً فَـظِـيـعـاً عـن إمَـارَتِـهِـمْ نَـهَـانِـي
فَـرَرْتُ مِـنَ الـعِـمَـالَـةِ بَـعْـدَ يَـحْـيَـى وبَـعْـدَ الـنَّـهْـشَـلِـيِّ أَبِـي أَبَـانِ
وَبَـعْـدَ الـزَّوْرِ وَابْـنِ أَبِـي كَـثِـيـرِ وفِـيـقَـدِ أَشْـجَـعٍ وأَبِـي بِـطَـانِ
فَـحَـابِ بِـهـا أَبَـا عُـثْـمَـانَ غَـيْـرِي فَـمَـا شَـأْنُ الإِمَـارَةِ لِـي بِـشَـانِ
أُحَـاذِرُ أَنْ أُقَـصِّـرَ فـي خَـرَاجِـي إلـى الـنَّـيْـروزِ أو فـي الـمِـهْـرَجَـانِ
أُعَـجِّـلُ إِنْ أَتَـى أَجَـلِـي بِـوَقْـتِ وَحَـسْـبِـي بِـالـمُـجَـرَّحَـةِ الـمِـتَـانِ[4]
فَـمَـا عُـذْرِي إذا عَـرَّضْـتُ ظَـهْـرِي لأَلْـفٍ مـن سِـيـاطِ الـشَّـاهِـجَـانِ[5]
تُـعَـدُّ لِـيُـوسُـفٍ عَـدًّا صَـحِـيـحـاً ويَـحْـفَـظُـهـا عَـلِـيـهِ الـجَـالِـدَانِ

(١) زاري: عاتبٌ ساخط.
(٢) النُّضار: الأثل الطويل المستقيمُ الغصون.
(٣) ربتي: الكلمة غير مفهومة هنا وربما أراد «زينتي» أي ابني.
(٤) المجرّحة المتان: السياط الشديدة المتينة.
(٥) الشاهجان: أشهر مدن خراسان (معجم البلدان ٥: ١١٢).

وأُسْحَبُ في سَرَاوِيلي بِقَيْدِي إلى حَسَّانَ مُعْتَقَلَ اللِّسَانِ
فَمِنْهُمْ قَائِلٌ بُعْداً وسُحْقاً ومِنْهُمْ آخَرَانِ يُفَدِّيَانِ
كَفَانِي مِنْ إِمَارَتِهِمْ عَطَائِي ومَا أُحْذِيتُ مِنْ سَبَقِ الرِّهَانِ[1]
كَفَانِي ذَاكَ مِنْهُمْ مَا بَقِينَا كَمَا فِيمَا مَضَى لي قد كَفَانِي

وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه: إنه كانت لعبد الرحمن بن عَنْبَسَةَ بن سعيد بن العاصي وصيفةٌ مُغَنِّيةٌ يؤدِّبها ويَصْنَعها لِيُهْدِيها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بُوبة، فقال فيها إسماعيل بن عمّار: [الخفيف]

بُوبَ حُيِّيتِ عن جَلِيسِكِ بُوبَا مُخْطِئاً في تَحِيَّتي أو مُصِيبَا
ما رَأَيْنَا قَتِيلَ حَيٍّ حَبَا القَا تِلَ بِالوِتْرِ أَنْ يَكُونَ حَبِيبا
غَيْرَ ما قَدْ رُزِقْتِ يا بُوبَ مِنِّي فَهَنِيئاً وإنْ أَتَيْتِ عَجِيبا
غَيْرَ مَنٍّ بِهِ عَلَيْكِ وإنْ كُنْـ ـتُ بِقَدْرِ القِيَانِ طَبًّا طَبِيبَا[2]
بِنْتُ عَشْرٍ أَدِيبَةٌ في قُرَيْشٍ بَخْ فَأَكْرِمْ بِهِم أَباً ونَسِيبَا[3]
أُدِّبَتْ في بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى كَمَلَتْ في حُجُورِهِمْ تَأْدِيبَا

قال: ثم أهداها ابنُ عنبسةَ إلى هشام، فقال إسماعيلُ بن عمّار: [الهزج]

أَلاَ حُيِّيتِ عَنَّا ثُـ ـمَّ سَقْياً لَكِ يا بُوبَهْ
وأَكْرِمْ بِكِ مُهْدَاةً وأَحْبِبْ بِكِ مَطْلُوبَهْ
وَوَاهاً لَكِ مِنْ بِكْرٍ وَوَاهاً لَكِ مَثْقُوبَهْ
وَوَاهاً لَكِ مُلْقَاةً وَوَاهاً لَكِ مَكْبُوبَهْ
لَقَدْ عَايَنَ مَنْ يَلْقَا كِ مِنْ حُسْنِكِ أُعْجُوبَهْ
وَيَا وَيْلِي وَيَا عَوْلِي فَنَفْسِي الدَّهْرَ مَكْرُوبَه
عَلَى هَيْفَاءَ حَوْرَاءَ عَلَى جَيْدَاءَ رُعْبُوبَهْ[4]
إذا ضَاجَعَهَا المَوْلَى فَقَدْ أَدْرَكَ مَحْبُوبَهْ

(١) أُحذيتُ: أُعطيتُ.
(٢) الطَّبّ: العالم بالطبّ.
(٣) بَخْ: اسم فعل معناه: عَظُمَ الأمرُ وفَخُمَ، ويكون للرّضى والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح.
(٤) الهيفاء: دقيقة الخصر. والجيداء: الطويلة العنق. والرعبوبة: الناعمة البيضاء.

[بعضٌ من هجائه]

قال ابن حبيبَ في هذه الرواية: كان لإسماعيل بن عمّار جاريةٌ قد ولَدت منه، وكانت سيّئةَ الخُلق قبيحةَ المَنْظَر، وكان يُبْغِضها وتُبغضه، فقال فيها:

[المتقارب]

بُـلِـيـتُ بِـزَمِّـرْدَةٍ كَـالـعَـصَـا ... أَلَـصَّ وَأَخْـبَـثَ مِـنْ كُـنْـدُشِ[١]
تُـحِـبّ الـنِّـسَـاءَ وتَـأبَـى الـرِّجَـالَ ... وتَـمْـشِـي مَـعَ الأَسْـفَـهِ الأَطْـيَـشِ
لـهَـا وَجْـهُ قِـرْدٍ، إذا ازَّيَّـنَـتْ، ... ولَـوْنٌ كَـبَـيْـضِ الـقَـطَـا الأَبْـرَشِ[٢]
ومِـن فَـوْقِـهِ لِـمَّـةٌ جَـثْـلَـةٌ ... كَمِثْلِ الخَوَافِي مِنَ المَرْعَشِ[٣]
وبَـطْـنٌ خَـوَاصِـرُهُ كَـالـوِطَـا ... بِ زَادَ عَـلـى كَـرِشِ الأَكْـرَشِ[٤]
وإنْ نَـكَـهَـتْ كِـدْتُ مِـنْ نَـتْـنِـهَـا ... أَخِـرُّ عـلـى جَـانِـبِ الـمَـفْـرَشِ
وَثَـدْيٌ تَـدَلَّـى عَـلـى بَـطْـنِـهَـا ... كَـقِـرْبَـةِ ذِي الـثَّـلَّـةِ الـمُـعْـطِشِ[٥]
وَفَـخْـذَانِ بَـيْـنَـهُـمَـا بَـسْـطَـةٌ ... إذا مَـا مَـشَـتْ مِـشْـيَـةَ الـمُـنْـتَـشِي[٦]
وسَـاقٌ يُـخَـلْـخِـلُـهـا خَـاتِـمٌ ... كَـسَـاقِ الـدَّجَـاجَـةِ أو أَحْـمَـشُ[٧]
وفـي كُـلِّ ضِـرْسٍ لَـهَـا أَكْـلَـةٌ ... أَصَـلُّ مِـنَ الـقَـبْـرِ ذِي الـمَـنْـبَـشِ[٨]
وَلَـمَّـا رَأَيْـتُ خَـوَا أَنْـفِـهـا ... وفِـيـهَـا وإصْـلالَ مـا تَـحْـتَـشِي[٩]
إلـى ضَـامِـرٍ مِـثْـلِ ظِـلْـفِ الـغَـزَالِ ... أَشَـدَّ اضْـفِـرَاراً مِـنَ الـمِـشْـمِـشِ[١٠]
فَـرَرْتُ مِـنَ الـبَـيْـتِ مِـنْ أَجْـلِـهـا ... فِـرَارَ الـهَـجِـيـنِ مِـنَ الأَعْـمَـشِ[١١]

---

(١) زَمِّردة والزنمردة: المرأة التي تشبه الرجال خلقاً وخُلقاً. والكُنْدُشى: العَقعَق، وهو لِصّ الطير. وروى الأبيات الثلاثة الأولى في اللسان ونسبها لأبي الغطمش.

(٢) الأبرش: الذي على جلده نقط يختلف لونها عن لون الجلد.

(٣) اللِّمّة: الشعر المجاوز لشحمة الأذن. والجَثْلَة: الملتفّة الكثيفة. والخوافي: ريشات من الجناح إذا ضَمَّ الطائر جناحيه خَفِيت. والمَرْعَش: حمام أبيض.

(٤) الوطاب: جمع الوطب: سقاء اللبن.

(٥) ذو الثلّة: الرّاعي، والثلّة: القطعة من الغنم.

(٦) بسطة: الفرجة.

(٧) الأحمش: الدقيق.

(٨) الأَكلَة: داء يصيب الأسنان فتتآكل. وأصلّ: أنتن.

(٩) الخوا: الخواء: الفراغ. والإصلال: النتن.

(١٠) الظِّلف: هو لما اجترّ من الحيوانات بمنزلة الحافر للفرس.

(١١) الأعمش: الذي لا يرى جيّداً.

وأَبْـرَدُ مِـنْ ثَـلْـجِ سَـاتِـيـدَمَـا إذا راحَ كَـالـعُـطْـبِ الـمُـنْـفَـشِ[1]
وَأَرْسَــحُ مــن ضِــفْــدَعٍ عَــثَّــةٍ تَـنِـقُّ عـلـى الـشَّـطِّ مِـنْ مَـرْعَـشِ[2]
وَأَوْسَـعُ مِـنْ بَـابِ جِـسْـرِ الأَمِـيـرِ تُـمِـرُّ الـمَـحَـامِـلَ لـم تَـخْـدِشِ
فَــهَــذِي صِــفَــاتِــي فَــلاَ تَــأْتِــهَــا فَـقَـد قُـلْـتُ طَـرْداً لـهـا كَـشْـكِـشِـي[3]

وقال ابن حبيب: كان في جِوارِ إسماعيل بن عمّار رجلٌ من قومه ينهاه عن السُّكْر وهجاء النّاس ويعذِلُه، وكان إسماعيل له مُغْضِباً. فبنى ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصقُ دارَ إسماعيل وحَسَّنَه وشَيَّده، وكان يجلِس فيه هو وقومُه وذوو التَّسَتُّر والصَّلاح منهم عامَّةَ نهارِهم، فلا يقدِرُ إسماعيل أن يشرَبَ في داره ولا يدخُلُ إليه أحدٌ ممن كان يألَفه من مُغنٍّ أو مغنِّية أو غيرهما من أهل الرِّيبة. فقال إسماعيل يهجوه ـ وكان الرجل يتولّى شيئاً من الوُقُوف[4] للقاضي بالكوفة ـ: [الطويل]

بَـنَـى مَـسْـجِـداً بُـنْـيَـانُـهُ مِـنْ خِـيَـانَـةٍ لَـعَـمْـرِي لَـقِـدْماً كُـنْـتَ غـيـرَ مُـوَفَّـقِ
كَـصَـاحِـبَـةِ الـرُّمَّـانِ لَـمَّـا تَـصَـدَّقَـتْ جَـرَتْ مَـثَـلاً لِـلـخَـائِـنِ الـمُـتَـصَـدِّقِ
يَـقُـولُ لـهـا أَهْـلُ الـصَّـلاحِ نَـصِـيـحَـةً لَـكِ الـوَيْـلُ لا تَـزْنِـي ولا تَـتَـصَـدَّقِـي

وقال ابن حبيبَ: وُلِّيَ العَسَسَ[5] رجلٌ غاضِرِيٌّ، فأخذ بني مالكٍ وهم رهطُ إسماعيل بن عمّار بأن كانوا معه، فطافوا إلى الغَداة. فلمّا أصبح غَدَا على الوالي مُسْتَعدِياً على الغاضريّ، فقال له الوالي ـ وكان رجلاً من هَمْدَانَ ـ: ماذا صَنَعَ بكَ؟ فأنشأ يقول: [السريع]

عَـسَّ بِـنَـا لَـيْـلَـتَـهُ كُـلَّـهَـا مَـا نَـحْـنُ فـي دُنْـيَـا ولا آخِـرَهْ
يَـأْمُـرُ أَشْـيَـاخَ بَـنِـي مَـالِـكٍ أَنْ يَـحْـرُسُـوا دُونَ بَـنِـي غَـاضِـرَهْ

(١) ساتيدما: هو الجبل المحيط بالأرض، منه جبل بارما وهو الجبل المعروف بجبل حُمرين وذكر ياقوت عدة احتمالات لهذا الجبل. والمهم أن هذا الجبل لا يعدم الثلج أبداً (معجم البلدان ٣:١٦٨).

(٢) الرّسح: قلّة لحم العجز والفخذين. ويقال: امرأة رسحاء: قبيحة. والعثّة: الضئيلة الهزيلة. ومرعش: مدينة بين الشام وبلاد الروم (معجم البلدان ٥:١٠٧).

(٣) كشكشي: اذهبي.

(٤) الوقوف: جمع الوَقف: ما يُحْبَسُ من أرض أو بناء أو نحوهما في سبيل الله للتصدّق بمنفعته على المعوزين.

(٥) العَسَس: الحرّاس الذين يطوفون باللّيل.

والـلّـهُ لا يَـرْضَـى بِـذَا كَـائِـنـاً مِـنْ حُـكْـم هَـمْـدَانَ إلـى الـسَّـاهِـرَهْ[١]

قال: فقال له الوالي: قد لَعَمْرِي صَدَقْتَ، ووظَّفَ على سائر البطون أنْ يطوفوا مع صاحب العَسَس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلةٍ، ويكون ذلك بِنَوَائِبَ[٢] بينهم.

[رثاؤه لخالد بن خالد بن الوليد]

وقال ابن حبيبَ: كان إسماعيل بن عَمّار منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط، وكان إليه مُحْسِناً، وكان يُنَادمه. فوَلِيَ خالدُ بنُ خالدٍ عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه، وكان إسماعيل عليلاً فتأخّر عنه، ثمّ لم يَلْبَثْ خالد أنْ مات في عمله، فورد نَعْيُه الكوفةَ في يوم فِطْرٍ، فقال إسماعيل بن عمّار يَرثيه: [الخفيف]

مَـا لِـعَـيْـنِـي تَـفِـيـضُ غَـيْـرَ جَـمُـودِ لَـيـسَ تَـرْقَـا ولا لَـهَـا مِـنْ هُـجُـودِ[٣]
فَـإذا قَـرَّتِ الـعُـيُـونُ اسْـتَـهَـلَّـتْ فَـإذا نِـمْـنَ أُولِـعَـتْ بِـالـسُّـهُـودِ
أَلِـنَـعْـيِ ابْـنِ خَـالِـدِ خَـالِـدِ الـخَـيْـ ـرَاتِ فـي يَـوْمِ زِيـنَـةٍ مَـشْـهُـودِ
سَـنَـحَـتْ لـي يَـوْمَ الـخَـمِـيسِ غَـدَاةَ الـ ـفِطْرِ طَيْرٌ بِالنَّحْس لا بِالسُّعودِ[٤]
فـتَـعَـيَّـفْـتُ أَنَّـهُـنَّ لأَمْـرِ مُـفْـظِـعٍ مَّـا جَـرَيْـنَ فـي يَـوْمِ عِـيـدِ
فَـنَـعَـتْ خـالِـدَ بـنَ أَرْوَى وجَـلَّ الـ ـخَـطْـبُ فِـقْـدَانُ خَـالِـدِ بـنِ الـوَلِـيـدِ

وقال ابن حبيبَ: كان لإسماعيل بن عمّار جارٌ يقال له عثمان بن دِرْباس، فكان يُؤذيه ويسعَى به إلى السلطان في كلّ حال، ثم سعى به أنّه يذهَب مذهبَ الشُّراة[٥]، فأُخِذَ وحُبِسَ، فقال يهجوه: [البسيط]

مَنْ كَانَ يَحْسُدُنِي جَارِي ويَغْبِطُنِي مِـنَ الأَنَـام بِـعُـثْـمَـانَ بـنِ دِرْبَـاسِ
فَـقَـرَّبَ الـلّـهُ مِـنْـهُ مِـثْـلَـهُ أَبَـداً جَـاراً وأَبْـعَـدَ مِـنْـهُ صَـالِـحَ الـنَّـاسِ

---

(١) الساهرة: موضع في بيت المقدس، وقيل هي الفلاة (معجم البلدان ٣: ١٨٠).
(٢) بنوائب: بالتناوب.
(٣) رقأ الدمعُ يرقأ: جفّ وانقطع. والهجود: النوم.
(٤) سنحَ الطائر: مَرَّ من يسار الرائي إلى يمينه وكانوا يتشاءمون به.
(٥) الشُّرَاة: الخوارج.

جَارٌ لـه بَابُ سَاجٍ مُغْلَقٌ أَبَداً ... عَليه مِنْ دَاخِلٍ حُرَّاسُ أَحْرَاسِ[(١)]

عَبْدٌ وعَبْدٌ وبِنْتَاهُ وخَادِمُهُ ... يَدْعُونَ مِثْلَهُمُ مَا لَيْسَ مِنْ نَاسِ

صُفْرُ الوُجوهِ كَأَنَّ السُّلَّ خَامَرَهُمْ ... وما بِهِم غَيْرَ جَهْدِ الجُوعِ مِنْ بَاسِ

لـه بَنُونَ كَأَطْبَاءٍ مُعَلَّقَةٍ ... فِي بَطْنِ خِنزِيرَةٍ في دَارِ كَنَّاسِ[(٢)]

إنْ يُفْتَحِ البَابُ عَنْهُمْ بَعْدَ عَاشِرَةٍ ... تَظُنُّهُمْ خَرَجُوا مِنْ قَعْرِ أَرْمَاسِ[(٣)]

فَلَيْتَ دَارَ ابْنِ دِرْبَاسٍ مُعَلَّقَةٌ ... بِالنَّجْمِ بينَ سَلالِيمٍ وأَمْرَاسِ[(٤)]

فكَانَ آخِرَ عَهْدِي مِنْهُمُ أَبَداً ... وابْتَعْتُ دَاراً بِغِلْمَانِي وأَفْرَاسِي

قال: وقال فيه أيضاً: [مجزوء الرمل]

لَيْتَ بِرْذَوْنِي وبَغْلِي ... وَجَوَادي وَحِمَارِي

كُنَّ في النَّاسِ وأُبْدِلْـ ... ـتُ غَداً جَاراً بِجَارِ

جَارَ صِدْقٍ بِابْنِ دِرْبَا ... سٍ وإلاَّ بِعْتُ دارِي

فَتَبَدَّلْتُ به مِنْ ... يَمَنٍ أو مِنْ نِزَارِ

بَدَلاً يَعْرِفُ مَا اللَّـ ... ـهُ ومَا حَقُّ الجِوَارِ

لو تَبَدَّلْتُ سِوَاهُ ... طَابَ لَيْلِي ونَهَارِي

واسْتَرَحْنَا مِنْ بَلاَيَا ... هُ صِغَارٍ أو كِبَارِ

لو جَزَيْنَاهُ بِهَا كُنَّـ ... ـا جَمِيعاً في فَجَارِ[(٥)]

أو سَكَتْنَا كَانَ ذُلاًّ ... دَاخِلاً تَحْتَ الشِّعَارِ[(٦)]

قال: فلمّا قال فيه الشعرَ استعدَى عليه السُّلْطَانَ، وذكرَ أنّه من الشُّرَاة، وأنّهم مجتمعون عنده، وأنّه من دُعاة عبد اللّه بن يحيى وأبي حَمْزَة المُختار. فكتب من السجن إلى ابن أخٍ له يُقال له مُعَانٌ: [المنسرح]

أَبْلِغْ مُعَاناً عَنِّي وإِخْوَتَهُ ... قَوْلاً وما عَالِمٌ كَمَنْ جَهِلاَ

بِأَنَّنِي والمُصَبَّحَاتِ مِنًى ... يَغْدُونَ طَوْراً وتَارَةً رَمَلاَ

---

(١) السّاج: ضرب من الشجر عظيم طويل صلب الخشب أسوده.

(٢) الأطباء: جمع الطُّبْي: حلمة الضرع التي فيها اللبن.

(٣) الأرماس: جمع الرّمس: القبر.

(٤) السلاليم: جمع السُّلَّم. والأمراس: جمع المرس: الحبل.

(٥) فجار: اسم للفجور مبني على الكسر.

(٦) الشّعَار: ما يلي الجسد من الثياب. ودخول الذلّ تحت الثياب دليل الاتّصاف به.

لَـخَـائِـفٌ أَنْ يَـكُـونَ وُدُّكُـمُ إِيَّـايَ بَـعْـدَ الـصَّـفَـاءِ قَـدْ أَفَـلاَ
أَيِـنْ عَـرَانِـي دَهْـرِي بِـنَـائِـبَـةٍ أَصْبَـحَ مِـنْـهَـا الـفُـؤَادُ مُـشْـتَـعِـلاَ[1]
حَـاوَلْـتُـمُ الـصُّـرْمَ أَوْ لَـعَـلَّـكُـمُ ظَـنَـنْـتُـمُ مَـا أَصَـابَـنِـي جَـلَـلا[2]
لاَ تُـغْـفِـلُـونَـا بَـنِـي أَخِـي فَـلَـقَـدْ أَصْبَـحْـتُ لا أَبْـتَـغِـي بِـكُـم بَـدَلاَ
تَـمَـسَّـكُـوا بِـالَّـذِي امْـتَـسَـكْـتُ بِـهِ فَـإِنَّ خَـيْـرَ الإِخْـوَانِ مَـنْ وَصَـلا

قال: فكتب إليه ابنُ أخيه: [المنسرح]

يَـا عَـمِّ عُـوفِـيـتَ مِـنْ عَـذَابِـهِـمُ الـنُّـ ـكْـرِ وفَـارَقْـتَ سِـجْـنَـهُـمْ عَـجِـلاَ
كَـتَـبْـت تَـشْـكُـو بَـنِـي أَخِـيـكَ وقَـدْ أَرْسَـلَ مَـنْ كَـانَ قَـبْـلَـنَـا مَـثَـلاَ
«ابْـدَأْهُـمْ بِـالـصُّـرَاخِ يَـنْـهَـزِمُـوا» فَـأَنْـتَ يَـا عَـمِّ تـبْـتَـغِـي الـعِـلَـلا[3]
زَعَـمْـتَ أَنَّـا نَـرَى بَـلاءَكَ فـي دَارِ بَـلاءٍ مُـكَـبَّـلاً جَـلَـلاَ
يـا عَـمِّ بِـئْـسَ الـفِـتْـيَـانُ نَـحْـنُ إذاً أَمَّـا وفـي رِجْـلِـكَ الـكُـبُـولُ فَـلا[4]
عَـلَـيَّ إِنْ كُـنْـتَ صَـادِقـاً حِـجَـجٌ لِـلْـبَـيْـتِ عَـامَـيْـنِ حَـافِـيـاً رَجِـلا[5]
بُـعْـدَ عَـنْـكَ الـهُـمُـومُ فَـارِجُ مِـنَ الـ ـلَّـهِ خَـلاَصـاً وأَحْـسِـنِ الأَمَـلاَ

[الحكم بن الصلت يطلقه من السجن فيقول فيه شعراً]

قال: ثمّ وَلِيَ الحَكَمُ بن الصَّلْتِ فأطلَقه وأحسنَ إليه؛ فلم يَزَلْ يشكُرُه ويمدَحه، ثم عُزِلَ الحكمُ بعد ذلك، فقال إسماعيل فيه: [المنسرح]

تَـبَـارَكَ الـلَّـهُ كَـيْـفَ أَوْحَـشَـتِ الـ ـكُـوفَـةُ أَنْ لـم يَـكُـنْ بـهـا الـحَـكَـمُ
الـحَـكَـمُ الـعَـدْلُ فـي رَعِـيَّـتِـهِ الـ ـكَـامِـلُ فِـيـهِ الـعَـفَـافُ والـفَـهَـمُ
فـأصـبـحَ الـقَـصْـرُ والـسَّـرِيـرانِ والـ ـمِـنْـبَـرُ كَـالـكُـلِّ مِـنْ أَبٍ يَـتَـمُ
يُـذْرِي عَـلَـيْـهِ الـسَّـرِيـرُ عَـبْـرَتَـهُ والـمِـبْـتَـرُ الـمَـشْـرَفِـيُّ يَـلْـتَـدِمُ[6]
والنَّـاسُ مِـنْ حُـسْـنِ سِـيـرَةِ الْـحَـكَـمِ بْـ ـنِ الـصَّـلْـتِ يَـبـكـونَ كُـلَّـمـا ظُـلِـمُـوا

---

(١) النائبة: المصيبة.
(٢) الصُرْم: القطيعة. والجَلَل: العظيم.
(٣) ابدأهم بالصراخ ينهزموا: مثل يضرب للظالم يبدأ برفع صوته والتظلّم ليُسْكَتَ عنه.
(٤) الكبول: جمع الكَبْل: القيد.
(٥) الرَّجِل: الذي يمشي على رجليه.
(٦) المشرفيّ من السيوف: المنسوب إلى المشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف. ويلتدم: يلتطم ويُسمَع وقعه.

مِثْلُ السُّكَارَى فِي فَرْطِ وَجْدِهِمُ … إلاَّ عَدُوًّا عَلَيْهِ يُتَّهَمُ
يَوْمَ جَرَى طَائِرُ النُّحُوسِ لَهُم … يُنْزَعُ منه القِرْطَاسُ والقَلَمُ
فَأَرْغَمَ اللَّهُ حَاسِدِيهِ كَمَا … أَرْغَمَ هُودَ القُرُودِ إِذْ رَغِمُوا[١]
فِي سَبْتِهِم يَوْمَ نَابَ خَطْبُهُمُ … وَاللَّهُ مِمَّنْ عَصَاهُ يَنْتَقِمُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ أَمَا … لِلنَّاسِ عَهْدٌ يُوفَى ولا ذِمَمُ
حَوْلٌ عَلَيْنَا، ولَيْلَتَانِ لنا … مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ، بِئْسَما حَكَمُوا
لا حُكْمَ إلاَّ لِلَّهِ يُظْهِرُه … يَقْضِي لِضِيزَائِهَا الَّتِي قَسَمُوا[٢]
مَاذَا تُرَجِّي مِنْ عَيْشِها مُضَرٌ … إِنْ كَانَ مِنْ شَأْنِها الَّذِي زَعَمُوا

وقال ابن حبيبَ: سمِعَ إسماعيل بن عمار رجلاً يُنْشِدُ أبياتاً للفَرَزْدَق يهجو بها عُمَر بنَ هُبَيْرَة الفَزَاريَّ لمّا وَلِيَ العراقَ ويعجَبُ من وِلايته إيّاها، وكان خالدٌ القَسْرِيُّ قد وَلِيَ في تلك الأيّام العراق، فقال إسماعيل: أَعْجَبُ واللَّهِ مِمّا عجِبَ منه الفرزدقُ من ولاية ابن هُبَيرةَ، وهو ما لستُ أراه يُعْجَبُ منه، ولايةُ خالدٍ القَسْرِيِّ وهو مُخَنَّثٌ دَعِيٌّ ابن دعيٍّ، ثم قال: [الكامل]

عَجِبَ الفَرَزْدَقُ مِنْ فَزَارَةَ أَنْ رَأَى … عَنْهَا أُمَيَّةَ بِالمَشَارِقِ تَنْزِعُ
فَلَقَدْ رَأَى عَجَباً وأُحْدِثَ بَعْدَهُ … أَمْرٌ تَطِيرُ له القُلُوبُ وتَفْزَعُ
بَكَتِ المَنَابِرُ مِنْ فَزَارَةَ شَجْوَها … فَالآنَ مِنْ قَسْرٍ تَصِيحُ وتَجْزَعُ
فَمُلُوكُ خِنْدِفَ أَضْرَعُونا لِلعِدَا … لِلَّهِ دَرُّ مُلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ[٣]
كَانُوا كَقَاذِفَةٍ بَنِيهَا ضَلَّةً … سَفَهاً وغَيْرُهُمُ تَرُبُّ وتُرْضِعُ

أخبرني حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِيُّ قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن سعيد بن أسيد العامريّ قال: حَدَّثني محمد بن أَنَسٍ الأَسَديُّ قال:

جلستُ إلى إسماعيل بن عمّار، وإذا هو يفتِلُ أصابعَه متأسِّفاً، فقلتُ: عَلاَمَ هذا التأسُّف والتَّلهُّف؟ فقال: [المنسرح]

عَيْنَايَ مَشْؤُومَتَانِ وَيْحَهُمَا … والقَلْبُ حَرَّانُ مُبْتَلَى بِهِمَا

---

(١) هود القرود: هم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر ثم مسخهم الله قِرَدة. ورغموا: ذلّوا.
(٢) الضّيزى: الجائرة.
(٣) أضرعونا: أذلّونا وأخضعونا.

عَـرَّفَـتَـاهُ الـهَـوَى لِـظُـلْـمِـهِـمَـا ... يَـا لَـيْـتَـنِـي قَـبْـلَ ذا عَـدِمْـتُـهُـمَـا
هُـمَـا إلـى الـحَـيْـنِ دَلَّـتَـا وهُـمَـا ... ذَلَّ عَـلـى مَـنْ أُحِـبُّ دَمْـعُـهُـمَـا[1]
سَـأَعْـذِرُ الـقَـلْـبَ فـي هَـوَاهُ وَمَـا ... سَـبَّـبَ كُـلَّ الـبَـلاَءِ غَـيْـرُهُـمَـا

صوت

[المتقارب]

فَـكَـعْـبَـةُ نَـجْـرَانَ حَـتْـمٌ عَـلَـيْـ ... ـكِ حَـتَّـى تُـنَـاخِـي بِـأَبْـوَابِـهَـا
نَـزُورُ يَـزِيـدَ وعَـبْـدَ الـمَـسِـيـحِ ... وَقَـيْـسـاً هُـمُ خَـيْـرُ أَربـابِـهـا
وشَـاهِـدُنـا الـجَـلُّ والـيَـاسَـمِـيـ ... ـنُ والـمُـسْـمِـعَـاتُ بِـقُـصَّـابِـهـا[2]
وبَـرْبَـطُـنـا دَائِـمٌ مُـعْـمَـلٌ ... فَـأَيُّ الـثَّـلاَثَـةِ أَزْرَى بِـهَـا[3]
إذا الـحَـبَـرَاتُ تَـلَـوَّتْ بِـهِـمْ ... وجَـرُّوا أَسَـافِـلَ هُـدَّابِـهـا[4]
فَـلَـمَّـا الْـتَـقَـيْـنَـا عـلـى آيَـةٍ ... ومَـدَّتْ إِلَـيَّ بِـأَسْـبَـابِـهـا[5]

عَرُوضُه من المُتَقَارب، الشعرُ للأعشى يمدَح بني عبد المَدَانِ الحارثيّين من بني الحارث بن كَعْب، والغناءُ لِحُنَيْن، خَفِيفُ ثقيل بالوسطى في مَجراها عن إسحاق.

وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمالك، وزعم عمرو بن بانةَ أنه خفيف ثقيلٍ، وزعم أبو عبد اللّه الهشاميّ أنّ فيه لابن المَكيّ خفيف رملٍ بالوسطى أوّله:

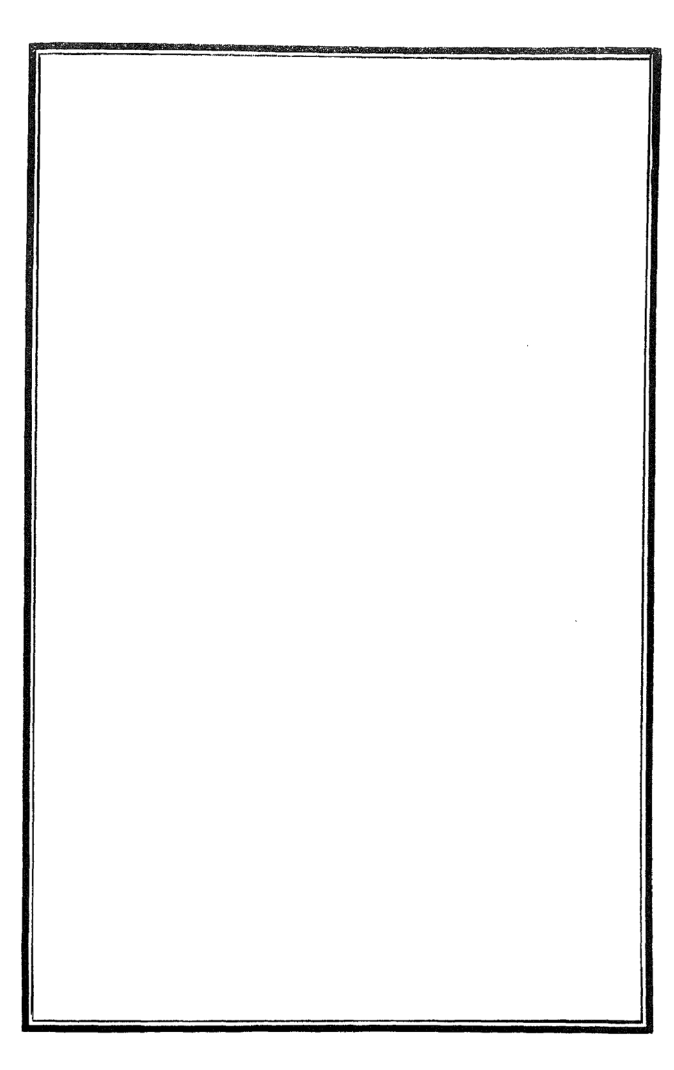
تُـنَـازِعُـنـي إذ خَـلَـت بُـرْدَهَـا

ومعه باقي الأبيات مخلَّطةً مقدَّمةً ومؤخَّرةً، والكعبة التي عناها الأعشى هاهنا يقال إنها بِيعةٌ بناها بنو عبد المَدَان على بناء الكعبة، وعظّموها مُضاهاة للكعبة، وسمَّوها كعبةَ نَجْرَانَ، وكان فيها أساقفةٌ يُقيمون، وهم الذين جاءوا إلى النبيّ ﷺ ودعاهم إلى المُبَاهلة، وقيل: بل هي قُبّة من أَدَمٍ سمَّوها الكعبةَ. وكان إذا نزل بها

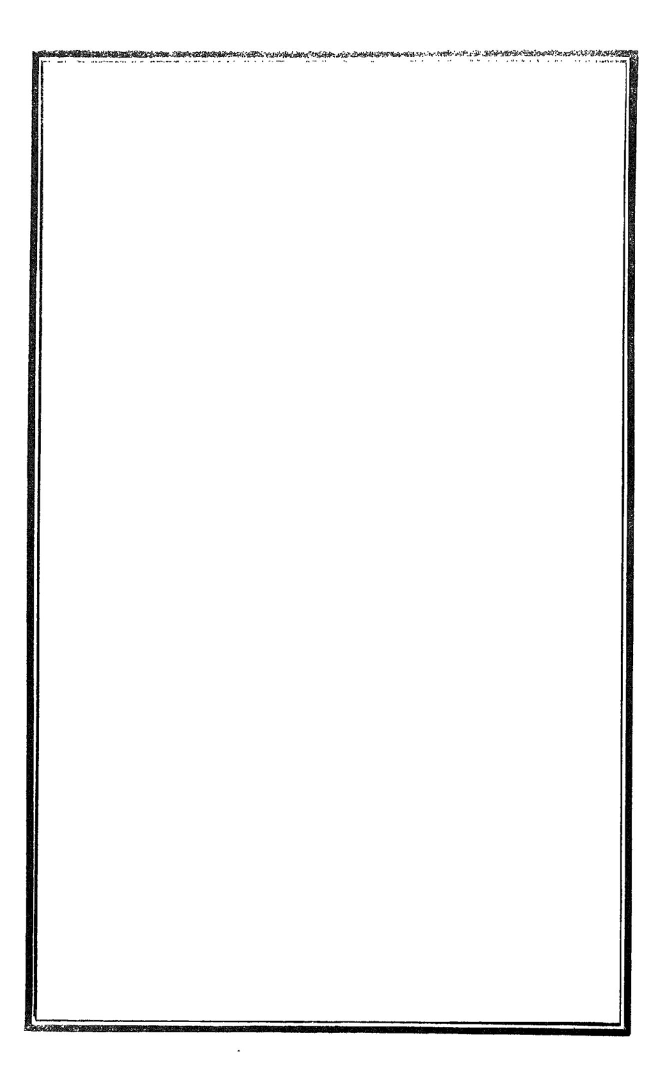
---

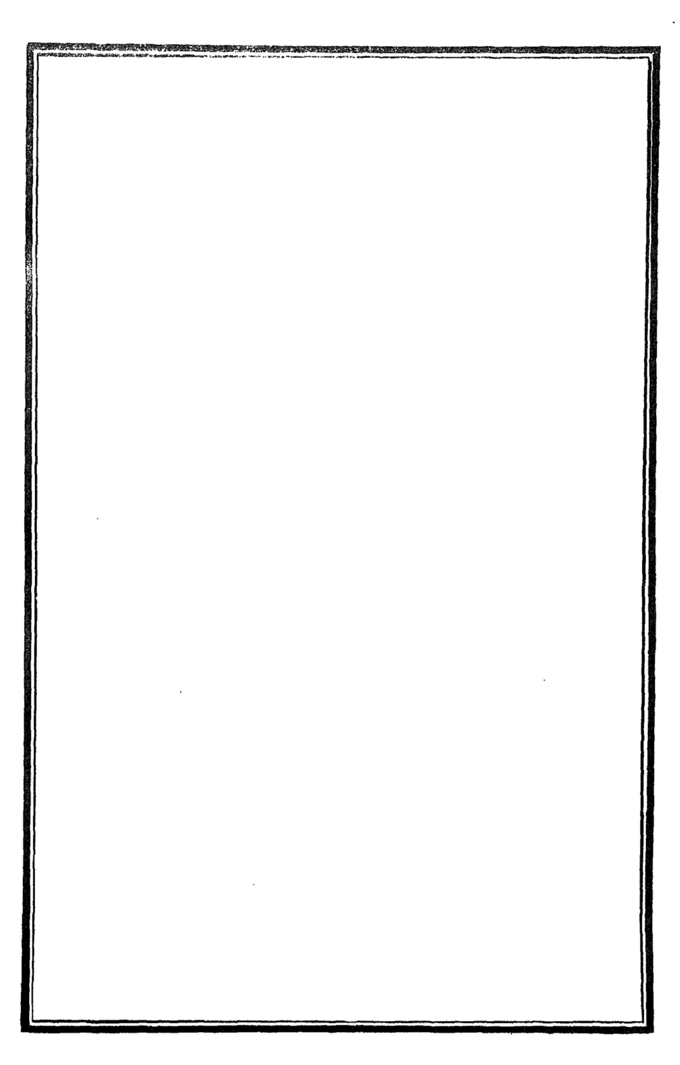
(١) الحَيْن: الهلاك. وذلّ الدمع: هان.
(٢) الجَلّ: الورد بألوانه المختلفة. والقُصّاب: الأوتار.
(٣) البربط: كلمة فارسية معناها العود. ورواية الديوان «ومِزْهَرُنا مُعْمَلٌ دائمٌ». وأزرى به وأزرى عليه: عابه.
(٤) الحَبَرات: جمع الحَبَرة: ضرب من برود اليمن. والهدّاب: الخيوط التي تبقى في طرف الثوب أو هو طرف الثوب.
(٥) رواية الديوان «على بابها» والأسباب: جمع السبب: الجبل وما يتوصل به إلى غيره.

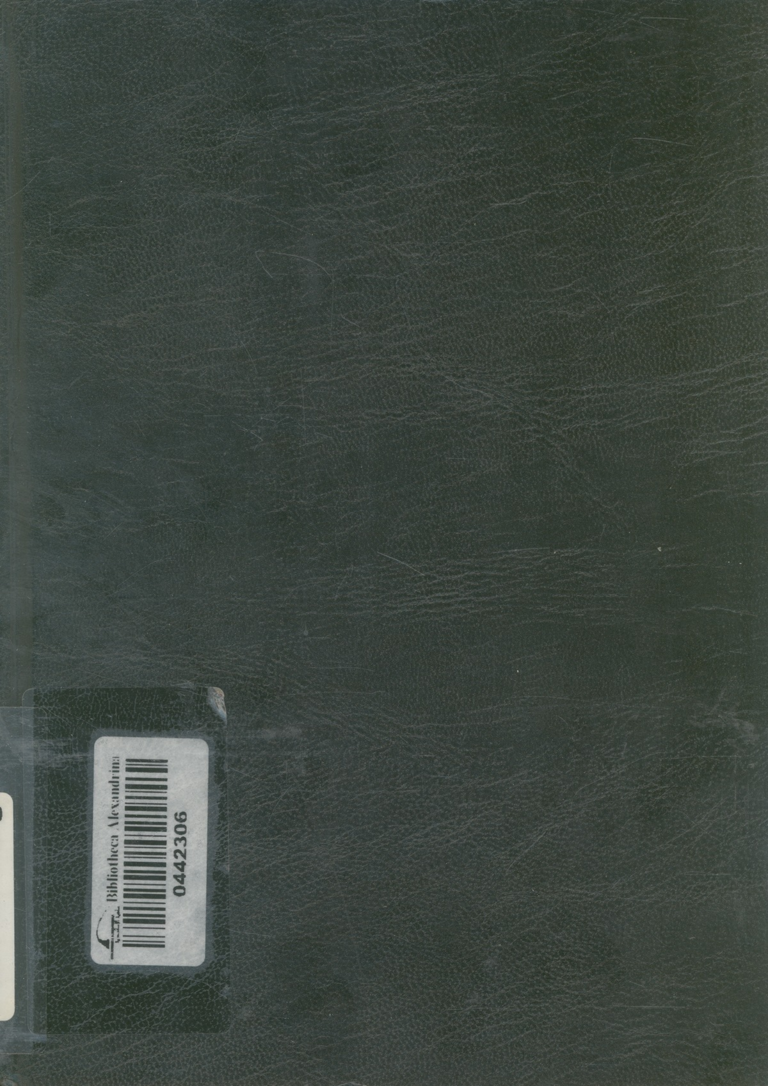
مستجيرٌ أُجِيرَ، أو خائف أَمِنَ، أو طالبُ حاجة قُضيت، أو مسترفد أُعْطِي ما يُريده. والـمُسْمِعاتُ: القِيانُ. والقُصَّاب: أوتار العيدان. وقال الأصمعيّ: قلت لبعض الأعراب: أنْشِدْنِي شيئاً من شعرك. قال: كنتُ أقول الشِّعر وتركتُه. فقلت: ولم ذاك؟ قال: لأنني قلت شعراً وغَنَّى فيه حَكم الواديّ وسمعته فكاد يذهَل عقلي، فآليتُ ألاَّ أقولَ شعراً، وما حرَّكَ حَكَم قصَّابه إلاَّ توهَّمْتُ أنَّ الله عزّ وجلّ مُخْلِدي بها في النّار.



الفهرس






Bibliotheca Alexandrina
04442306